

الشيخ كتاب

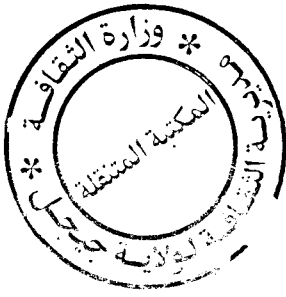
تأليف

الإمام أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي



دار الحديث

كتابُ السَّير



كتاب السَّير

وزارة الثقافة
مديرية الثقافة لولاية جيجل
المكتبة المتنقلة
التاريخ: 2013/01/08
رقم الجرد: 5156
التصنيف: 111/920

تأليف

الإمام أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي

دار الأبحاث

للترجمة والنشر والتوزيع

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

عنوان الكتاب : كتابُ السَّير
الإمام أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي

الناشر :
دار الأبحاث
للترجمة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى : 2011
جميع الحقوق محفوظة

25 شارع مصطفى بن بو العيد - الجزائر
الهاتف : 744281 - 21 (00213)
الفاكس : 748569 - 21 (00213)
البريد الإلكتروني : www.alabhaath.com

سيرة الإمام أبي العباس أحمد الشماخي

رحمه الله تعالى

من كتاب «الأباضية في موكب التاريخ»

للشيخ علي يحيى معمر

أبو العباس الشماخي من أعلام العلم الذين كان لهم شأن عظيم لجدهم واجتهادهم، وبلغوا منزلة قصوى في العلم، كانوا بها مناراً يهتدى به، وعلماً يعتصم ويلجأ إليه. إذا أُلِفَ وصنف كان آية، وإذا ردت إليه مشكلة كان في حلها غاية، وإذا حضر مجلساً من مجالس العلم كان فيه النهاية.

هو الإمام المجتهد أبو العباس بدر الدين أحمد بن أبي عثمان بن سعيد بن عبد الواحد بن سعيد بن أبي الفضل قاسم بن سليمان بن محمد بن عمر بن يحيى بن إبراهيم بن موسى بن عامر جد الإمام أبي ساكن عامر بن موسى بن علي بن عامر الشماخي، فهو يجتمع بهذا الإمام في جده فيما يتبادر توفي: رحمه الله على ما ذكره العلامة أبو زكريا الباروني سنة 928 هجري.

تصانيفه:

له من التصانيف في عدة علوم كلها تعد من الأمهات، خصوصاً مقدمته في أصول الفقه وشرحها، اختصر المقدمة من كتاب العدل

والإنصاف لشمس الدين أبي يعقوب الوارجلاني، فكانت أجمل وأنقى متن في أصول الفقه، وأمتن عدة، وأجدى مادة لمن يريد حفظ قواعد الأصول وإنني لأراها أحسن متونها شمولاً وإيجازاً، وشرحها وإن كان مختصراً جداً إلا أنه على جانب كبير من النفاسة والتحقيق.

ومن مراجع تراجم الرجال وتاريخ أهل الحق والإستقامة : كتاب السير له، يظن الذين لا حظ لهم من التاريخ، ولا قدرة لهم على جواب مراحل ودخول ميادينه: إنه كتاب غير مفيد ولكنهم لا يعلمون أنه ثروة ومادة اخذت من كل ناحية بسبب واختصت بذكر اساطين العلم والدين، وأنت منهم بعجب، وإنني لأطالع هذا الكنز المكنون، والفلك المشحون ولا أزال أكتشف فيه الأعلاق وجلائل تاريخ الأئمة، ومفاتيح ما أغلق من تاريخ الأباضية وسط الأمة الإسلامية بشمال أفريقيا. وله حاشية على مقدمة التوحيد تبدي لك غزارة علمه، ووفرة مادته، وتبحره في فنون الشريعة والعربية مع صغر حجمها، وقد وضعت لك أيها القارئ الكريم تحت بعض الجمل السامية المعنى سطوراً يلفتك إليها، كأنموذج لتحقيقات هذا المصنف الجليل ونظرياته المعربة عن سلامة ذوقه وسمو نظره، وبينها ما يحدثنا عن المصنف من حيث نظره إلى الحياة الاجتماعية، نظراً يباين كثيراً من الفقهاء الذين أضعفوا الأوساط، وأوهنوا العزائم. ومما وقفت عليه من مصنفات هذا الإمام الجليل إعراب الدعائم، سماه «إعراب مشكل الدعائم» وهو من خزانة الشيخ محمد بن عيسى ازبار ولعل صوابه ازبار. وأظن أنني رأيت له شرحاً على متن الديانات نفيساً جداً، واجتهدت في الحصول عليه وقت كتابة هذا الكتاب فلم أفر به. ويحدثنا المصنف عن بعض مؤلفاته بالإحالة إليها في مهمات المسائل، أو إلى بسط القول فيها، فهو يقول إن له شرحاً على مرج البحرين لشمس الدين أبي يعقوب في المنطق، والحساب،

والهندسة، حين تكلم في خطبة شرح مقدمة الأصول على اسم الجلالة واشتقاقه فقال : قد بسطنا ذلك في شرح مرج البحرين فليتنظره الراغب. وقد تمنى ضياء الدين الثميني رحمه الله أن يقف عليه فقال في شرح مرج البحرين: غير أنني سمعت أن البدر علق عليه شرحاً عجيباً، ولكنه ضاع، فياليتني كنت له مصيباً، ثم إنه وعد في آخر شرحه على مقدمته أنه إن أنسا الله له العمر فإنه يجعل له شرحاً يستوعب جميع مباحثه، وذلك سنة ثمانمائة وأربعة وتسعين، وقد أنسا الله له في العمر إلى تسعمائة وثمانية وعشرين، ولعله وضع له شرحاً كما وعد ولم نقف عليه. ومن لطائف التاريخ أن البدر الشماخي أرخ شرحه هذا على المقدمة بحادثة تاريخية هامة حيث يقول: فرغ منه بالتاريخ أوائل شعبان سنة أربعة وتسعمائة، وهو العام الثاني من إخراج المسلمين النصاري من «جربة»، ويعني به إخراج الأسبانيين من الجزيرة بعد أن استولوا عليها، كما احتلوا شطوط المملكة التونسية، وقد وقفت على تفاصيل هذه الواقعة منذ سنين، ولم يتيسر لي قيدها.....

وبعد فإني أرى البدر الشماخي من المؤلفين المكثرين، ويظهر أن له مصنفات في الفروع الفقهية، بيد أنها لم تصل إلينا بل لعبت بها أيدي التلاشي، وعبثت بها عوادي الغواشي، فكانت أثراً بعد عين.

شيوخه:

وأما شيوخه فقد ذكر في تاريخه بعضاً منهم: ذكر أنه أخذ العلم بتونس المؤسسة عن الشيخ البيدموري، وعن العلامة الشيخ أبي عفيف صالح بن نوح زكريا التندميرتي النفوسي، قال البدر الشماخي: عنه أخذت بعض العلوم، وكان عهد الشماخي مزدهراً بالعلم ازدهاراً من كل نواحي الثقافة الإسلامية والدين، ظهر فيه أعلام فخام، مثل أبي القاسم

البرادي وأبي يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى آية من آيات الله في جميع العلوم الشرعية والعربية والفلسفية والتاريخ، وكان أعلم رجل بتونس في النحو بشهادة علمائها، وكثير من تلاميذ الإمام أبي ساكن عامر الشماخي، فإنه نبغ منهم جمع كل منهم بلغ الذروة العليا : وعلماء وعملًا يشار إليه بالبنان، فرحمه الله ورضي الله عنه.

حول كتابة التاريخ:

انتهى إلى هنا ما قاله الإمام العلامة أبو إسحاق طفيش في ترجمة العلامة الشماخي، وإذا قال أبو إسحاق فليس لقائل بعده أن يقول، ولكنني مع ذلك أستسمحه أن أزيد كلمة، وهو أن العلامة البدر الشماخي يعد في نظري أحد الأعلام الذين قامت عليهم حركة التأليف منذ الاتجاه الجديد الذي اتجهه طلاب أبي موسى عيسى بن الطرميسي. وإذا كانت تلك الحركة المباركة آتت ثمارها طيبة وتركت لنا تراثاً مجيداً تفتخر به المكتبة الإسلامية، فإن طريقة أبي العباس في كتابه القديم «السير» طريقة ليس لها مثيل فيما عرفناه من كتب التاريخ فإن المظاهر الخادعة من حوادث الانقلابات والمعارك العسكرية وسير الملوك والحكام، ويعتقدون أنهم بذلك قد أرخوا للشعوب والأمم، والواقع هو أنهم قد أرخوا لعدد قليل من الناس، وثبتوا كراسي الحكم وتصرفوا في عباد الله وأموال الأمة دون حق. وقد أدرك أبو العباس الشماخي هذه الحقيقة فلم ينحرف مع تيار السياسة إلا بمقدار، وإنما لنا الصورة الحقيقية لجانب من الأمة المسلمة، هذه الأمة التي تسكن ما بين «سرت» والمغرب الأقصى، وهو يقدم لنا المادة الحقيقية لتاريخ هذه الأمة في صورة العالم الذي يلقي دروس الوعظ والإرشاد، وفي صورة الرجل الذي يحمل الفأس ويذهب إلى البستان ليقلب الأرض، وفي الشيخ

العالم القدوة الذي يسوق بقرته بعد أن ينزل المطر ليقوم بعملية الحرث، وفي المجالس العلمية التي تنعقد في هذا المجلس أو ذاك وفي المبالغ التي تجمع لينفق منها على الأقسام الداخلية في المدارس المنتشرة، وفي صورة النصيحة التي تقدمها المرأة المخلصة لزوجها أو لصديقتها، وفي سلوكها عندما يتخذ عليها الزوج ضرة أو يقسو عليها في الحياة، وفي نقاش البنت المتعلمة لأبيها وإدلالها عليه وفي كفاح المرأة من أجل العلم، وفي صورة الأحاديث والمشاورات والآراء والفتاوى والأعمال، وكل المظاهر التي يعيشها الشعب عيشة تعكس حقيقة المجتمع والأسرة والفرد.

لقد قرأت كثيراً من كتب التاريخ، وقرأت كثيراً من كتب الاجتماع، فلم أجد ما يستهويني، كما أجد ذلك في كتابه «السير» هذا الكتاب الذي يجعلني أعيش حياة واقعية تمتد عشرة قرون. أرايت القصصي الموفق الذي يستطيع أن يبعث الحياة في شخوص أبطاله، ويجعلك معجبا بهم مهتما بأعمالهم؟ إنه أبو العباس الشماخي، وقصته هذه هي قصة حياة أمة خلال عشرة قرون، وأبطالها أبطال الحقيقة لا الخيال. حقيقة الحياة بما فيها من متعة، بما فيها من فقر، بما فيها من حركة وصراع ونضال، بما فيها من عمل فردي وجماعي، والأمة الإسلامية في حاجة كبرى إلى كتاب من هذا الطراز يصورون الواقع كما هو، وكما تشهد به الحياة بعيداً عن توجيه السياسة المغرضة، والأطماع الزائفة، والمؤثرات الخارجية، مقصودة وغير مقصودة.

وفاته:

توفي رحمه الله ببلدة «يفرن» من جبل نفوسة سنة 928 هجري، وعده العلامة أبو عبد الله محمد بن زكريا الباروني في الطبقة الثامنة عشر حسب ترتيبه: كل خمسين سنة طبقة.

مقدمة

الحمد لله الذي كتب في صحائف القلوب ألفة أوليائه الأخيار
ونقش في ألواح الضمائر التوادد بين الأتقياء الأبرار. ومحا من رق
الصدور محبة أولى الضلال الفجار. فخلافهم ما شرع عن الصراط
للأنام المبين بلسان الرسول ﷺ. الذي نقله الأتقياء والعدول. خصوصاً
من ارتضاه ربنا لصحبة الرسول. مثل عمار والفاروق والصديق.
والتابعين لهم بالإحسان والتصديق. من اتبعه رشد واهتدى ومن حاد عنه
تجنباً ضل وغوى وحل عليه غضب الله وهوى ومن آكدها بعد الإيمان
عقداً وأكملها بعد التوحيد عهداً المحافظة على الأخوة في الدين
والموالة في ذات الحق اليقين فوجب علينا الولاية والدعاء للسابق. كما
فرض علينا مراعاة حق اللاحق. إذ نقلوا لنا الهدى ناصحين. وأدوه إلينا
محتسبين. لا يسألون عنه أجراً ولا كانوا متكلفين. لازموا القبض على
جمر التكليف من أتباع الرسول ﷺ من غير تعنيف ما طلع شمس وعاد
خريف.

وبعد: فقد وردت رسالة ممن أهمه أمرنا وابتغاء المطالعة على
أحوالنا ومعرفة أخبار بلادنا المصان منها بإخواننا والذي ضرب بجرائه
عدونا ومعرفة ما نحن فيه من التبرج والاكتنان والظهور والكتمان
والوقوف على مناقب الإخوان ونسب من سلف به من الزمان من الأئمة

أولى البقية والإحسان أم من سنام المجد قحطان أم من أهل السماح
والصباح والرماح رأس الشرف عدنان وتضمنت الرسالة أنهم أحيوا نفس
الشرعية الساطعة الغراء وطلع شمس النحلة النقية البيضاء وأنهم رَعَوْا
العفو وشربوا الصفو وساسوا بالعدل العباد وتمكنوا في البلاد وساموا
الخشف أهل الجور والفساد بالإمام الجواد الواري الزناد الماجد
الأجداد الهمام الفاضل الأشم الباذل اللباب الحلاحل أبو عبد الله محمد
الأمير العادل المنتهي في الشرف إلى قحطان سواء كان من حمير أو ازْدِ
أو همدان فانشرحت لسطوع نور هدايتهم صدورنا وسلوكهم محجة من
مضى من أسلافنا وإظهار منهج مذهب الحق مشرقاً بشهادة غراييل
الصدق، وها أنا أذكر بعض أخبار السالفين بعد التيمن بلمع من أخبار
الرسول والتبرك بشيء من أخبار الصحابة ومن الله استمد العون والتوفيق
والسداد واللفظ.

سيرة النبي ﷺ

مولده ﷺ ونسبه وبعثته:

اعلم أن الله تعالى مَنَّ علينا بلطفه بأن أنزل علينا كتاباً نُوِّرَ به كل حالك وأضاء به المسالك وأشرقت به دجى المهالك وأرسل رسولاً هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان واختلف فيما فوق ذلك إلى إسماعيل بن إبراهيم ﷺ وعلى سيدنا محمد الصلاة والسلام، ويتميز ﷺ من سائر بطون قريش بهاشم واصطفاه الله من بني هاشم كما اصطفى بني هاشم من قريش، وأمه آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب حملت به أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، وُوُلِدَ ﷺ بمكة يوم الاثنين لاثني عشر خلت من رمضان وقيل من ربيع الأول وقيل لثمان وقيل أول اثنين فيه، وقيل لليلتين خلتا منه عام الفيل وقيل يوم الفيل أي اليوم الذي حبس فيه، وقيل بعده بشهر وقيل بأربعين وقيل بخمسين يوماً يوم عشرين من نيسان وقيل لثلاث عشرة بقيت من المحرم يوم الأحد، وضعته أمه قبل في شعب بني هاشم وقيل بمكة بدار تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف وأرسله الله يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول

التشريق، وقيل خروجه من الغار أول ربيع الأول يوم الاثنين، وقيل قدم المدينة يوم الجمعة، وقيل يوم الاثنين لثمان خلت منه فنزل في بني عمرو بن عوف فأقام عندهم أربعة أيام وقيل عند سعيد بن خثمة أو عند كلثوم بن الهرم وأسّس مسجدهم وخرج منتقلاً إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم فصلّاها في بطن الوادي ثم استوى على ناقته فثارت لا يردّها راد حتى أتت موضع مسجده ﷺ فبركت ثم ثارت فمضت غير بعيد ثم عادت إلى مبركها واطمأنت والنبي ﷺ يراعي حكم الله تعالى فنزل عنها وآوى إلى منزل أبي أيوب الأنصاري النجاري فلم يزل عنده شهراً حتى بنى مسجده في تلك السنة ومساكنه فانتقل إليها وأذن الله له بالقتال وأخى بين المهاجرين والأنصار.

الغزوات والسرايا

وبعث عمه حمزة في جمادى الأولى وهي أول غزوة وأول من عقدت له راية في الإسلام في ثلاثين راكباً إلى سيف البحر فلقى أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة من قريش فحجز بينهم رجل من جهينة، ثم بعث عبيدة بن الحارث في خمسين راكباً يعارض غير قريش فلقوا جمعاً كثيراً فتراموا بالنبل ولم تكن بينهم مسايقة وقيل سرية عبيدة كانت قبل حمزة وفيها رمى سعد أول سهم رمى به في سبيل الله وقيل أول لواء عقده ﷺ لعبد الله بن جحش والصحيح أن سريته في العام الثاني إلى نخلة وفيها قتل ابن الحضرمي لليلة بقيت من جمادى الآخرة فلما اطمأن رسول الله ﷺ واجتمع إليه المهاجرون والأنصار فأقام الصلاة وفرضت الزكاة والصيام والحلال والحرام وأقام الحدود، ثم خرج غازياً في صفر غزوة الأبواء حتى بلغ ودان، ثم خرج يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ربيع الأول إلى بواط وهو على ثلاث مراحل من المدينة ورجع لعشر

خلون منه، ثم خرج غازياً في جمادى الأولى إلى العشيرة من بطن ينع وقد بعث فيما بين ذلك سعداً غازياً حتى بلغ الخوار من أرض الحجاز، ثم خرج غازياً في أثر كرز بن جابر إلى صفوان من بدر وهي بدر الأولى، وذلك في جمادى الأخرى، ثم بعث عبد الله بن جحش وقد تقدم التنبيه عليها ثم بدر الكبرى قتل فيها صناديد قريش يوم الجمعة على الصحيح صبيحة سبع عشرة من رمضان وافترض الله رمضان وحولت القبلة وليس في الإسلام أفضل منها، ثم غزا بني سليم بعد رجوعه من بدر بسبعة أيام حتى بلغ الكدر من مياههم فأقام به ثلاثاً، ثم رجع ثم غزا غزوة السوق خرج في أثر أبي سفيان في ذي الحجة حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم غزا نجدا يريد غطفان خرج إليها بعد أن أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها وأقام بنجد صفراً كله وتسمى غزوة ذي أمر، ثم رجع وأقام بالمدينة ربيع الأول كله أو إلا قليلاً منه، ثم خرج غازياً يريد قريش حتى بلغ نجران من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وفيما بين ذلك أمر بني قينقاع من اليهود ومحاصرة النبي ﷺ إياهم حتى نزلوا على حكمه وتشفع ابن أبي فيهم وبعث النبي ﷺ زيد بن حارثة إلى نجد فأصاب عير قريش على الفردة ماء من مياه نجد ثم قتل كعب بن الأشرف قتله محمد بن مسلمة في فتية أمره رسول الله ﷺ بذلك وقتل محيصة بن مسعود بن مسينة أو سبينة اليهودي، ثم غزوة أحد أصيب فيها حمزة عم النبي ﷺ وجماعة من الصحابة أكرمهم الله بالشهادة، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم خرج في أثر العدو حتى انتهى إلى حمراء الأسد فأقام بها ثلاثاً ثم رجع، ثم بعث إلى مرثد بن أبي مرثد وخبيب بن عدي في سبعة نفر وأخذوا يوم الرجيع، ثم بعث المنذر بن عمر في أربعين رجلاً إلى نجد يدعون إلى الله فأصيبوا ببئر معونة، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل إلى نجد

في جمادى الأولى، ثم غزوة بدر الأخيرة لمعاد أبي سفيان في شعبان عام أربعة، ثم غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول عام خمسة، ثم غزوة الخندق، ولرسول الله ﷺ فيها معجزات كثيرة ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل طالباً بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، ثم غزوة ذي قرد في أثر عيينة بن حصن أغار على لقاح لرسول الله ﷺ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة وفيها حديث الأفك، ثم غزوة الحديبية في ذي القعدة بعد إقامته رمضان وشوال من رجوعه من بني المصطلق فصدّه المشركون وفيها بيعة الرضوان وتقرّب في الفضل من بدر، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة وادي القرى، ثم اعتمر عمرة القضاء ثم الفتح ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك قاتل فيها ﷺ في تسع وزاد الواقدي غزوة وادي القرى وغزوة الغابة فهي إحدى عشرة وقيل كانت غزواته وسراياه وبعوثه من قدومه المدينة إلى أن مات خمساً وثلاثين، قال المسعودي ذكر الطبري عمّن حدثه عمّن حدث الواقدي كانت ثمانياً وأربعين وقيل كانت ستاً وستين ثم قبضه الله إليه وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن ستين وقيل ابن خمس وستين.

زوجات النبي ﷺ وأولاده

قال المسعودي تزوج من النساء خمس عشرة امرأة دخل بإحدى عشر ومات عن تسع خديجة وسودة وعائشة بنت أبي بكر ولم يتزوج بكرةً غيرها وأم سلمة بنت أبي أمية واسمها هند وكانت من أجمل النساء وجهاً وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة زوجها النجاشي من النبي ﷺ وأصدقها منه أربعمائة دينار وزينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وجويرية بنت الحارث بن ضرار وصفية بنت حيي ابن أخطب وزينب بنت خزيمة ماتت قبل النبي ﷺ وعمرة بنت يزيد

الكلابي وأسماء بنت النعمان الكندية، وله أسماء محمد وأحمد والماحي والعاقب والحاشر، وأولاده القاسم وهو أكبرهم وبه كان يكنى وعبد الله وهو الطيب والطاهر ورقية وأم كلثوم وزينب وفاطمة كلهم من خديجة وإبراهيم من مارية القبطية.

مرض النبي ﷺ

عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع الآخرة الأولى والآخرة أشد من الأولى ثم أقبل عليّ فقال يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فابتدأ به الوجع ووجد عائشة تقول وا رأساه لوجع في رأسها فقال بل أنا والله يا عائشة وا رأساه، ثم قال وما يضرك لو مت قبلي فقامت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قلت والله فكأنني بك لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك فتبسم عليه السلام فتتأم به وجعه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له جميعاً قالت فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر عاصباً رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي فاشتد به وجعه قال اهرقوا عليّ من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد ليهم فاقعدناه في

مخضب ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم والمخضب شبه إجانة يغسل فيها كالثور والمدكن، ثم خرج ﷺ عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر فصلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر وفهم أن نفسه أراد فقال بل نحن نفدوك بأنفسنا قال له على رسلك يا أبا بكر فأمر بسد أبواب المسجد إلا باب أبي بكر ثم نزل واشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال مروه فليصل بالناس قالت فعدت لمثال قولي فقال انكن صويحات يوسف مروه فليصل بالناس وإنما فعلت ذلك عائشة خشية أن يتشأم الناس بمن قام مقامه عليه السلام في كل حدث فأحبت صرفه عن أبيها، وقال ابن زمعة كنا عنده ﷺ فدعا بلال إلى الصلاة فقال مروا من يصلي فخرجت وكان أبو بكر غائباً فقلت لعمر قم صل بالناس فلما كبر قال ﷺ فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فكررها فبعث إلى أبي بكر وكان يصلي بالناس غير تلك الصلاة فقال عمر ويحك ماذا صنعت بي يا بن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله أمرك بذلك فقال ما أمرني ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق ممن حضرنا للصلاة بالناس، ثم خرج يوم الاثنين والناس في صلاة الصبح فلما رفع الستر وفتح الباب وخرج كاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ فرحاً به ففرجوا فأشار إليهم أن تثبتوا على صلاتكم وتبسم رسول الله ﷺ لما رآه من هيئتهم في صلاتهم وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منها تلك الساعة فعلم أبو بكر أن الناس لا ينفرجون كذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه فدفعه في ظهره فقال له صل وجلس إلى جنبه الإيمن فصلّى قاعداً فكلّم الناس بعد الفراغ من الصلاة رافعاً صوته سعرت النار

وأقبلت فتن كقطع الليل المظلم إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولا أحرم إلا ما حرم القرآن، ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أنه قد أفاق من مرضه أي برىء فاضطجع في حجر عائشة فرأى سواكاً أخضر في يد بعض آل أبي بكر فنظر إليه في يده نظرة عرفت أنه يريد أن يأخذته فمضغته حتى لينته ثم أعطيته آياه فاستن كأشد ما رأيته استن بسواك قط ثم وضعه فثقل في حجري فنظرت في وجهه وإذا بصره قد شخص وهو يقول الرفيق الأعلى من الجنة قلتُ خُيرت فاخترت والذي بعثك بالحق.

وفاة النبي ﷺ

قالت عائشة: وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ورضوانه ورحمته عليه بين سحري ومنحري وفي بيتي لم أظلم فيه أحداً ثم وضعت رأسه على وسادة وقمتُ من سفهي التدم مع النساء وأضرب وجهي فقال عُمرُ أن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي وأن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن كما رجع موسى، فأقبل أبو بكر حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله في بيت عائشة وهو مسجى عليه بردة حبرة فكشف عن وجهه فقبله فقال أما الموتُ الذي كتبه الله عليك فقد ذقتُهُ ثم لم يصبك بعده موت أبداً فرد البردة على وجهه فخرج فقال على رسلك انصت فلم ينصت فأقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ثم تلى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾⁽¹⁾ فكان الناس لم يعلموا أن هذه

(1) سورة آل عمران، الآية: 144.

الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر وأخذها الناس عن أبي بكر وإنما هي في أفواههم، فاحتفل الناس واجتمعوا إلى وفات رسول الله ﷺ واعتزلت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة لبني ساعدة، واعتزل بنو هاشم وعليّ والزبير وطلحة في بيت فاطمة، واعتزل خالد بن سعيد بن العاصي وانحاز بقية الناس إلى أبي بكر ومعهم بنو عبد الأشهل فأتى أبا بكر وعمر فقال لهما إن كان لكما بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفارق أمرهم ورسول الله في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق أهله دونه الباب فقال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار قال عمر فلقينا منهم رجلاً صالحاً فذكرنا لنا ما تمالأ عليه القوم فقالا فلا عليكم ألا تقربوهم واقضوا أمركم فقلت لتأتيهم فأتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا سعد بن عبادة مزمل لوجع به فاتفق رأيهم بعد أن كثر اللغط وارتفعت الأصوات فبويع أبو بكر فأول من بايع بشير بن سعد وقيل عمر ابن الخطاب والرجلان عويم بن سعدة ومعن بن عدي، أما عويم فمن الذين قال الله فيهم ﴿رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَسْوَاقًا﴾⁽¹⁾ وفيه قال ﷺ: نعم المرأ عويم بن ساعدة، وأما معن فقتل يوم اليمامة شهيداً وأتى أبو بكر المسجد فبويع بيعة العامة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «توليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني وقال الضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح إليه حقه والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ثم قال أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم» ثم أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وتولى غسله وكفنه ودفنه وأمره كله عمه العباس وابناه والفضل وقثم وعلي وأسامة وشقران وأوس

(1) سورة التوبة، الآية: 108.

من الأنصار فغسل وعليه قميصه يدلك من ورائه وصلى عليه المسلمون جميعاً من غير إمام الرجال ثم النساء ثم الصبيان ودفن ليلة الأربعاء في جوف الليل وكُفن في ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها عمامة ولا قميص وحفر له تحت موضعه الذي قبض فيه ودفنت معه قطيفته التي يفرشها وآخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس فعظمت بموته مصيبة المسلمين وارتدت العرب واشترأت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وهم أكثر أهل مكة بالرجوع عن الإسلام حتى خافهم عتاب أسيد عاملها فتواری فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه وقال إن موت محمد ﷺ لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه وكف الناس عما هموا به ..

ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه

لما بويع في المسجد بيعة العامة يوم الثلاثاء لم يتخلف عن بيعته إلا من ذكرنا فبايعه عليّ بعد ستة أشهر وبعد موت فاطمة وقيل أقل وبعد مخاطبات ومراجعات وبايعه جميع من تخلف إلا سعد بن عباد وأراد عمر أن يلجأه إلى البيعة فأبى بشير بن سعد من ذلك وكان أبو بكر أزهد الناس وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه وطعامه ولباسه وكان يلبس العباءة والشملة فأوصى عائشة أن ترد ذلك إلى عمر بن الخطاب بعده وأوصى بما أنفق من بيت المال وهو ثمانية آلاف درهم أن يقضى عنه قال الحسن هو غداء بعضهم اليوم، وقدمت زعماء العرب وأشرافهم وملوكهم وعليهم الحلل وبرود الوشى المثقل بالذهب والتيجان والجبر فلما شاهدوا ما عليه من الزهد واللباس والتواضع والنسك والوقار وما ألبسه الله من الهيئة في أعين الناس ذهبوا مذهبه منهم ذو الكلاع الحميري قدم ومعه ألف عبد غير عشيرته فنزع وزهد وتزيا بزيه وقد رثي يوماً يمشي في السوق على كتفه جلد شاه ففزع عشيرته لذلك وقالوا: فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب قال لهم أردتم مني أن أكون جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام لا والله لا تكون طاعة الرب إلا بالتواضع لله والزهد في الدنيا الفانية، فغلب على الناس في أيامه الزهد والتواضع تأسيّاً بفعله وسمعه أبوه يوماً يصيح على أبي سفيان وهو يتذلل له ويتملق فقال لقائده على من يصيح فقال على أبي سفيان فقال أعلى أبي سفيان

ترفع صوتك يا عتيق لقد تعديت طورك وجزت مقدارك فتبسم أبو بكر
ومن حضره فقال إن الله عز وجل رفع بالإسلام قوماً وأذل به آخرين.

حروب الردة

وارتدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيام فلبس لهم جلد النمر كما
لبس للمؤمنين ثوب التواضع وشمر لهم عن ساق الجد وحسر عن ساعد
الجهاد والحرب بعد ما شاور أصحاب النبي ﷺ فأشاروا أن يتركوا وما
اختاروا لظنهم لا طاقة لهم بالعرب لطول ما عالج رسول الله ﷺ فيهم
من الجهاد والتكذيب والأذى والشدة والمشقة والمكروه مع كثرة عددهم
وشدة شوكتهم وتخوفوا أن يكون لا طاقة لهم بحربهم فرضوا أن
يتمسكوا بدينهم ويتركوا الناس وما اختاروا لأنفسهم، فقال أبو بكر والله
لو لم أجد أحداً يؤازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي حتى أموت أو يرجعوا
إلى الإسلام ولو منعوا مني عقلاً لجاهدتهم حتى ألحق بالله فشمر الذيل
وقاتل من ارتد فعادوا جميعاً مذعنين للحق وذلك سنة إحدى عشرة، ثم
وجه فيها خالداً إلى اليمامة فقتل مسيلمة بعد أن استشهد من المسلمين
ألف ومائتا رجل وقيل وأربعمائة منهم سبعمائة جمعوا القرآن وفيها بعث
المهاجر بن أبي أمية إلى حرب الأشعث بن قيس فأتى به أسيراً في
الحديد فقال لأبي بكر بعد أن وبخه وشدّ عليه وعدّ عليه رذائله وسوء
فعله أبقني لحربك وزوجني أختك ففعل أبو بكر.

الفتوحات

وفيها أمر خالد أن يسير إلى العراق لقتال الفرس ففتح حصوناً في
طريقه إلى أن بلغ الحيرة، فلقي فيها صاحب مصالح كسرى فقاتلهم قتالاً
شديداً فهزمهم الله للمسلمين فصالح أهل الحيرة وحج بالناس أبو بكر

فلما انصرف بعث أبا عبيدة إلى الشام لقتال الروم وكتب إلى خالد أن يمدّه أميراً على المسلمين وفتح في طريقه حصوناً وصالح فنزلوا على بصرى وصالحوها والتقوا بجموع الروم بأجنادين بين الرملة وحيرون فهزم الله المشركين بعد قتال شديد مات منهم في المعركة ثلاثة آلاف وذلك عام ثلاثة عشر في جمادى الأولى.

وفاته

وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ودُفن خلف رسول الله ﷺ.

فضائله

وله مع رسول الله ﷺ أحوال وأخبار وله فضائل ومنزلة عند رسول الله ﷺ لا يطمع فيها غيره وهو أفضل من اهتدى بهداه وخير من سلك سبيله وأتم من اقتدى به وأكمل من اتبع أثره، وقال فيه رسول الله ﷺ ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وفي رواية أرأف أمتي بأمتي، عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ما طلعت الشمس وما غربت على أحد خير وأفضل من أبي بكر»، وكان مجلسه عن يمين رسول الله ﷺ وصلاته خلفه وهو الذي يؤمّن إذا دعا ويتلوّه إذا مشى وكان أول الناس إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم يقيناً وأخوفهم لله قلباً وأحسنهم صحبة وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأفضلهم مناقب وأكثرهم سوابق وأقربهم من رسول الله ﷺ مكاناً وأشبههم به هدى وخلقاً وفضلاً وسمتاً وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده، وردت فيه عن النبي ﷺ أحاديث تدل على كمال فضله وتمايم قربه وكثرة يقينه ورسوخ إيمانه فاطلبها في فضائله ومناقبه وكفاك أن الله سماه صديقاً متقياً والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وسماه

صاحباً ﴿ثَانِي﴾ اثنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْفَكَارِ... ﴿١﴾ وأنه رافق رسول الله في الهجرة وموطن الكره، وسار مع رسول الله ﷺ حين تخلفوا وأقام معه إذ قعدوا وصبر في الشدائد أكرم الصبر واستخلفه رسول الله في الصلاة بل قيل إنه أراد أن يكتب له أن لا يختلف عليه اثنان، فلما تولى قوي إذ ضعفت أصحابه وجبنت وبرز حين استكانوا ونهض حين وهنوا وقام بالأمر حين فشلوا ومضى بقوة الله حين وقفوا كان أطول الناس صمتاً وأبلغهم قولاً وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً وأحسنهم عملاً فحمل ثقل ما عنه ضعفوا وحفظ ما أضاعوا وراعى ما أهملوا وعلا إذ سفلوا وصبر إذ جزعوا ما أشبهه بالجبل الذي لا تحركه العواصف ولا تزلزله القواصف صدق فيه ﷺ «ضعيف في نفسك قوي في أمر دينك متواضع في نفسك عظيم عند الله محبوب من أهل السموات والأرض» فجزاه الله عن الإسلام خيراً.

(١) سورة التوبة، الآية: 40.

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب أسلم قبل الهجرة بأربعة أعوام وكنيته أبو حفص ولقبه الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل.

إسلامه

وسبب إسلامه أنه توشح سيفه وخرج يريد قتل النبي وأصحابه فلقبه النمام نعيم بن عبد الله العدوي وكان مسلماً فصرفه إلى أخته فاطمة وزوجها ابن عمه سعيد بن زيد وهما مسلمان فقال فأمره أن يقيم أمرهما وكان خباب بن الأرت يختلف إليهما ليعلمهما فلما دنا عمر سمع القراءة فلما أحسوا به توارى خباب وجعلت فاطمة لوحاً يعلمها فيه خباب تحت فخذها فسألها عما سمع فأنكرت فآل أمرهم إلى أن بطش بهما وشج أخته فرق لها وندم لما رأى الدم وقال لأخته أعطني الصحيفة وكان قارئاً فخافته عليها فحلف أن يردها إذا قرأها وقالت أنت نجس على شركك ولا يمسه إلا الطاهر فاغتسل فلما قرأ صدرا منها قال ما أحسن هذا فخرج خباب وقد طمعوا فيه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» فقال دلني على محمد أسلم فقال: «هو في بيت عند الصفا» فلما أتاهم نظر رجل من خلل الباب فقال هذا عمر متوشحاً سيفاً فقال حمزة ائذن له فإن أراد

خيراً بذلناه له وإن أراد شراً قتلناه بسيفه فقال عليه السلام: «أئذن له فلقية ﷺ في الحجرة» فأخذ بمجمع رداءه ثم جبذه فقال ما جاء بك يا بن الخطاب فوالله ما أراك تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال جئت لك لأؤمن بالله ورسوله وما جاء به حق من عند الله فكبر رسول الله فعلموا أن عمر قد أسلم وتفرقوا من مكانهم وعزوا في أنفسهم بإسلامه وإسلام حمزة فكان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً وخلافة رحمة، وتوفي رسول الله وهو عنه راض وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين وكان رديف أبي بكر في التواضع والعدل والأخلاق والملبس وخشونة المطعم والزهد يلبس العباءة والحية من الصوف المرقعة بالأدم ويحمل القرية على كتفه شديداً في حق الله تعالى ورزقه الله هيبه، شبه رسول الله ﷺ أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بموسى ونوح في الرأفة وأكثر ما يركب الجمل ورحله مشدود بالليف وسلك أصحابه مسلكه وقال في بعض خطبه من أظهر إلينا منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه ومن أظهر منكم شراً ظننا به شراً وبغضناه عليه وقال فيه لا يصلحنا إلا أربع شدة في غير عنف ولين في غير ضعف وأخذ مال من حله ووضعه في محله ورأى ناراً بليل فقال أرى ركباً فيضرب بهم الليل والبرد فهول حتى دنا منهم فإذا بصبية صغار يتضاغون وقد نصبته امرأة على نار فقال: السلام عليكم يا أصحاب الضوء أدنو فقالت: وعليك السلام أدن بخير أو دع فقال: ما بالكم وما بال الصبية قالت: ضربنا الليل والجوع ونصبت القدر اسكتهم بها حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال: وما يدري بكم عمر قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا فرجع بمن معه حتى أتى دار الدهن فأخرج عجلاً من دقيق وكبة شحم فحملة على ظهره حتى أتاهم يهرول فأخرج من الدقيق شيئاً فقال للمرأة ذري علي وأنا أحرك لك وينفخ تحت القدر فأتته بصفحة فأفرغها فيها فما زال حتى شبعوا وترك لها الباقي ثم قام وهي تقول

جزاك الله خيراً كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ويقول: قلبي خيراً إذا جئت أمير المؤمنين وجدته هنا إن شاء الله وتربص مستقبلاً غير بعيد فما انصرف حتى أبصر الصبية يصطرعون ثم ناموا فقال: لا أريد أن أنصرف حتى أرى ما رأيت وكان يأمر عماله أن لا يقتلوا امرأة ولا يغدروا ولا يقاتلوا حتى يدعوا إلى الإسلام ثم الجزية فإن أبوا قوتلوا، وأرسل إليه بعض عماله بسفطين عظيمين من المال فردهما إليه وقال: إن الجيش أحق بهما.

الفتوحات

وفي السنة الأولى من خلافته فتحت حمص والأيلة والفرات وولى أبا عبيدة الشام كله وعزل خالدًا، وفيها وقعة الأردن وفيها بعث أبا عبيدة بن مسعود الثقفي إلى العراق فبلغ الجسر، وفي سنة أربعة عشر فتحت دمشق وما حولها إلى حمص في ربيع الآخر أو رجب كذا ذكره بعضهم وقيل غير ذلك وفيها أمر بالقيام في شهر رمضان، وفي عام خمسة عشر وقعة اليرموك وكسر الله بها شوكة الروم على يد أبي عبيدة فلم يكن لهم وقعة بعدها قيل إنهم أربعمئة ألف منح الله أكتافهم للمسلمين يقتلونهم كيف شاؤوا وركب بعضهم بعضاً فانتهوا إلى مكان مشرف على أهوية تساقط منهم نحو مائة ألف وقتل منهم نحو خمسين ألفاً في المعركة بعدما أدبروا وتبعهم المسلمون يقتلونهم في كل واد على جبل وانتهت الهزيمة إلى قيصر وهو في أنطاكية وارتحل إلى القسطنطينية، وفيها وقعة القادسية بالعراق على يد سعد بن أبي وقاص وعلى الفرس رستم عامل يزيدجرد بن كسرى فاستشهد فيها من المسلمين ألفان وخمسمئة وقتل هلال بن علقمة رستمًا وقتل معه مائة ألف وأسر نحو خمسين ألفاً، وفيها فتحت الأردن كلها عنوة إلا طبرية فتحت صلحاً

وفي سنة ست عشرة فتح أبو عبيدة الجابية من عمل دمشق وفيها قدم عمر الشام وفتح بيت المقدس، وفي سنة سبع عشرة فتحت دار من الجزيرة وبنى عمر المسجد الحرام وأقام بمكة عشرين يوماً يقصر الصلاة وهي عام الرمادة فاستسقى عمر بالعباس عم النبي ﷺ فقال: اللهم إنا نستشفع إليك بعم نبيك ﷺ فسقوا مكانهم ويأتي أن عمر ترك فيها قطع يد السارق، وفي عام ثمانية عشر وقع طاعون عمواس بالأردن وفلسطين مات فيه من المسلمين بضعة وعشرون ألفاً وهي قرية من الرملة وفيها مات أبو عبيدة ومعاذ وفيها فتحت الرها وشمشاط وحران والموصل وحلوان والمهات ونيسابور، وفي عام تسعة عشر فتح سعد وابن أخيه هشام جلولا من أرض العراق وتسمى فتح الفتوح بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف وفيها فتح معاوية قيسارية ولم يبق في أقصى الشام ولا أدناه عدو للمسلمين وفيها مات يزيد بن أبي سفيان وأثبت عمر معاوية مكانه على بعض الشام وفيها زاد عمر في مقدم مسجد النبي ﷺ، وفي سنة عشرين فتح عمرو بن العاص مصر وفيها فتحت أنطاكية وتستر وفيها جلى عمر يهود خيبر ومن كان بالمدينة والحجاز وفيها دُونَ الدواوين وفيها كتب إلى نيل مصر أما بعد «فإن كنت تجري من قبلك وبحولك وقوتك فلا تجري وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» فألقى عمرو بن العاص الكتاب في النيل قبل يوم الصليب بيوم فأجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقد كان قبل ذلك يلقون فيه جارية بكر محلاة بأنواع الزينة قد رضي أبواها، وفي سنة إحدى وعشرين كانت غزوة نهاوند ولم تكن لفارس بعدها وقعة وفيها فتح عمرو بن العاص إسكندرية وفيها فتح عثمان بن أبي العاص الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل عُمان وغيرهم توج وقتل باب الحميري ملكها شهرک وهو في ثلاثين ألفاً وبيعت منطقته في البصرة بثلاثين ألفاً، وفي

سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان الأولى وفيها كانت غزوة سانيدما من أرض الشام وغزوة عمورية وفيها بعث عمر عثمان بن حنيف لمساحة أرض العراق فبلغ الخراج مائة ألف ألف ونيفاً وفي سنة ثلاث وعشرين كان افتتاح الري على يد قرطبة بن كعب وافتتاح اصطخر وهمدان وأصبهان وفتحت سرت وطرابلس وأراد عمرو بن العاص غزو أفريقية وكتب إليه عمر أنها ليست بأفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت وكان الأمر على ما قال عمر.

مواقفه

واعلم: أن الله سدد عمر فكانت أفعاله موافقة للحق ولذلك نقتت الشيعة عليه أموراً قالوا: خالف فيها كتاب الله، منها منعه قرابة النبي حقهم من الخمس الذي جعل الله لهم بقوله: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وكان الذي يتولى أمره في زمان الرسول محمية الأسدي وأجراه أبو بكر في أول خلافته وكان النبي ﷺ يجريه على أيتام بني هاشم وينكح به إماءهم بدلاً مما طهرهم به من الصدقات التي هي أوساخ الناس، قال الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم في كتاب «العدل» منعه برأي رآه ونظر ولم يجوزه أحد من المهاجرين والأنصار وهو دليل على جواز القياس والتعبد وذلك أنه لما أغناهم العطا نزههم عن مزاحمة اليتامى والمساكين وابن السبيل كما نزههم عن مزاحمة الفقراء والمساكين في الزكاة، ومنها منع المؤلفة قلوبهم سهمهم من الصدقات فليل له في ذلك فقال ذلك إذ كان الإسلام حقياً وأما الآن فقد بزل، ومنها إسقاط القطع عن السارق عام الرمادة لأن المسغبة عمت الآفاق فنظر أنها شبهة تدرأ بها الحدود وبه أخذ بعضهم في جواز تنجية النفوس من الهلاك بمال الغير وقال حق أوجه الله على أهل الأموال وذكر بعضهم أنه يجوز له أن يقاتل صاحب

الطعام والماء لينجي نفسه إن منعه، ومنها أنه ترك على الناس الصدقة عام الرمادة وأخذها في العام القابل مرتين قال صاحب العدل مع انتقال الأموال وتبدل الأحوال فربما رجع الموسر موسراً أو الموسر معسراً أو الحي ميتاً والميت حياً، ومنها أنه أعتق أمهات الأولاد عن أربابها بعدما اجتمعت الأمة على أنهن إماءً على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ثم بدا له رأي منه أن يعتقهن على مواليهن فعوتب فقال ما أردت إلا خيراً ألحقت حرمة بحرمة أي منع بيعها لا غير مدة حياة مولاها ويجري عليها أحكام الإماء في غير ذلك، ومنها إسقاط اسم الجزية والذلة على نصارى بني تغلب وأضعف عليهم الصدقة وسماها صدقة والله عز وجل يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... إلى قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁽¹⁾ نظر رضي الله عنه أن التجارب حنكتهم وأرضعتهم الحروب ألبانها وهم على ذلك من عهد المهلهل الأبد فأنفوا من الجزية وهموا بقطع الفرات ودجلة إلى أرمينية لمعاوضة النصارى على المسلمين واختاروا السيف حين خيرهم عمر بين السيف والجزية فصالحهم على ذلك وجعلهم المسلمون بينهم وبين العدو فأيد الله بهم الإسلام وكانوا أهل نكاية ثم ظهر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليؤيد هذا الدين بناس من ربيعة في شاطئ الفرات» فشكر الله عمر إذ وفقه الله، ومنها رد الأملاك والأصول من الفياء إلى أربابها بعد أن حازها جيوش المسلمين وأعتقهم على المسلمين بعد أن كانوا عبيداً لهم وأجرى عليهم جميع أحكام الأحرار والله عز وجل قد قسم الغنيمة في كتابه فعورض بذلك وبتقسيم رسول الله ﷺ خيراً أصولاً وغنائم، وأجاب بفعل رسول الله ﷺ في أهل مكة وبلدهم، قال صاحب العدل

(1) سورة التوبة، الآية: 29.

نظر إلى الفرس وغيرهم وقد تعلقت بحصونها ولو قسم بينهم الأرض لاشتغلوا بها فيكر عليهم العدو فيعطل الجهاد وينقطع ما أراد الله لهم من الغنائم ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وسلمها إلى أربابها وضرب عليهم للمسلمين ضريبة كالخراج يأخذونها وتفرغ المسلمون للجهاد، ومنها إجلأؤه اليهود من الحجاز بعد عهد الله وذمة رسوله من خير وفدى وأجلى نصارى نجران لثلاثين دينار في جزيرة العرب، ومنها تمصير الأمصار وتدوينه الدواوين وقسم الفيء بالتفصيل وضرب للأحرار والعبيد فيه وللصبيان ولأهل الذمة ومقاسمته العمال وقد كان رسول الله قسم الفيء وجعله في حوائج المسلمين وآثر به أهل الفاقة وأبو بكر قسم بالسوية وله فضائل كثيرة مشهورة وكثير ما يقول رسول الله ﷺ فيه وفي أبي بكر ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر قال علي ابن أبي طالب ما خلفت أحداً أحب أن ألقى الله بمثل عمله منك يخاطبه وهو على النعش.

وفاته واستخلافه

توفي لأربع بقين من ذي الحجة تمام ثلاث وعشرين من طعنة أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله بعدما كبر لصلاة الصبح وطعن معه ثلاثة عشر مات منهم سبعة ودفن في بيت عائشة مع صاحبيه وهو ابن ثلاث وستين سنة ولم يقدم أحداً خليفة بل جعلها شورى بين ستة إلى ثلاثة أيام وصلى عليه صهيب وقيل له حين طُعن استخلف فقال أتقلد أمركم حياً وميتاً فقال له ابنه عبد الله لو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها لرأيت أنه ضيع فكيف بأمة محمد فقال: إن الله يحفظ دينه وإن رسول الله لم يستخلف، عن ابن عباس بينما أنا أمشي مع عمر رضي الله عنه إذ تنفس نفساً ظننت أنه قد فضت أضلاعه فقلت سبحان

الله ما أخرج هذا منك إلا لأمر عظيم قال ويحك ما أدري ما أصنع لأمة محمد قلت: أنت بحمد الله قادر أن تصنع ذلك قال: أراك تقول صاحبك أذكى الناس يعني علياً قلتُ أجل لسابقته وعمله وقرابته وصهره قال: إنه كما ذكرت ولكنه كثير الدعابة «أي المزاح» قلتُ فعثمان قال: لو فعلت حملت بني مُعَيْط على رقاب المسلمين يعملون فيهم بمعصية الله والله لو فعلت لفعل ولو فعل لفعلوا فوثب الناس إليه فقتلوه فطلحة بن عبيد الله فقال به بلوى ما كان الله ليراني أوليته أمر أمة محمد ﷺ وهو على ما هو عليه من الزهو قلت فالزبير قال: إذا كان يلاطم الناس في الصاع والمد قلتُ سعد بن أبي وقاص قال: ليس بصاحب ذلك قلتُ عبد الرحمن قال: نعم الرجل ذكرت لكنه ضعيف ولا يصلح لهذا الأمر إلا القوي في غير عنف اللين في غير ضعف الجواد في غير سرف الممسك في غير بخل فرحم الله عمر ورضي عنه ..

ذكر خلافة عثمان بن عفان

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بويع في غرة المحرم بعد موت عمر بثلاثة أيام يوم السبت عام أربعة وعشرين وذلك أن المقداد جمع أهل الشورى في بيت ومعهم عبد الله بن عمر فأمرُوا أبا طلحة الجمحي أن يحجبهم فجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فصحبهما سعد وأقامهما وقال: تريدان أن تقولاً حضرنا وكنا في الشورى فتتنافس القوم في الأمر فقال أبو طلحة: والذي ذهب بنفس عمر ما أزيدكم على الثلاثة الأيام التي أمركم فردوا الأمر إلى عبد الرحمن بعد أن خلع نفسه منها إلا علياً قال ما تقول يا أبا الحسن فقال: أعطني موثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تألو الأمة خيراً فأخذ ميثاقهم وأعطاهم مثله على أن يختاروا دون هوى وأن يرضوا بمن يختار فاختر عثمان لسنه وسابقته وقال المقداد بن الأسود: أناشدكم الله لا تولوا أمركم رجلاً لم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم أحد يعني عثمان واجتمع الناس حتى غص بهم المجلس فقال عمار: إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً فقال المقداد: صدق عمار، وقال ابن أبي سرح: إن أردت ألا يختلف قولان فبايع عثمان وكان قد ارتد عن الإسلام على عهد النبي ﷺ، وقال عبد الله بن أبي ربيعة صدقت فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال رجل من بني مخزوم لعمار وقد قال: إن الله أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فكيف تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم لقد

عدوت طورك يابن سمية وما أنت وتأمير قريش وما زال عبد الرحمن حتى بايع عثمان بعد أن أخذ عليه عهد الله وميثاقه ليعملن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال عليّ: ليس هذا أول ما تظاهرتم علينا فصبر جميل والله المستعان، فلما بويع دخل داره ومعه بنو أمية، فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم وقد كان أعمى قالوا: لا فقال يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وسأله عثمان كتمان ذلك ونما إلى المهاجرين والأنصار وغير هذا من الكلام.

توليته أقاربه

ثم شرع في عزل عمال عمر ويولي أقاربه على فسقهم عزل عمرو ابن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وسعد بن أبي وقاص من الكوفة وولاها المغيرة بن شعبة ثم عزله بعد أيام يسيرة ثم ولاها سعداً ثم عزله وولاها الوليد بن عقبة بن أبي معيط، قال المسعودي وهو ممن أخبر النبي ﷺ أنه من أهل النار وعزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وولاها عبد الله بن عامر وهو ابن ستة عشر عاماً وقيل غير ذلك وسبب ذلك أنه دخل شبل بن معبد على عثمان وليس معه إلا أموي فقال: أما فيكم يا معشر قريش صغير تريدون نبلة أو متحير تريدون غناه أو خامل تريدون التنوّه باسمه على ما أقطعتكم هذا الأشعري العراق يأكلها خضماً وقضماً فقال عثمان: ومن لها وأشار إلى ابن عامر وهو ابن خاله من بني حبيب بن عبد شمس ومعاوية بن أبي سفيان بالشام وسعيد بن العاص ورد الحكم بن العاص وابنه مروان، قال المسعودي هو طريد رسول الله ﷺ الذي غربه عن المدينة ونفاه عن جواره انتهى. قال غيره طلب عثمان أبا بكر وعمر من بعده أن يرداه

فأبيا وكثر شرب الخمر واقتناء الأموال في أيامه، قال المسعودي شيد داره بالحجر وجعل أبوابها من الساج والعرعر واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة وضياًعاً بوادي القرى وحنين وغيرهما ثم قال بعد أن عد أموالاً لغيره: ولم يكن قبل ذلك في عصر عمر بن الخطاب شيء مما وصفنا رضي الله عنه بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة وقد قال لولده لقد أسرفنا في نفقتنا في سفرنا هذا وقد أنفق في حجة غاديا ورايحا ستة عشر ديناراً وفرض كل يوم شاة بين عمار بن ياسر عاملاً على ثغر الكوفة وعثمان بن حنيف على الخراج وابن مسعود على بيت المال وتعليم الناس كل يوم انتهى أما الوليد فكان يشرب مع ندمائه ومغنياته من أول الليل إلى الصباح فخرج منفصلاً في غلايله فصلى بهم أربعاً وقال أزيدكم، قال المسعودي: قيل قال في سجوده اشرب واسقني وقال عتاب بن غيلان: لا تزيدنا لا زادك الله مزيد الخير والله ما أعجب إلا ممن بعثك إلينا أميراً وعلينا والياً فدخل قصره لعنه الله وهو يتمثل:

ولست بعيداً عند خمر وقينة ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي وأمشي الملا بالشاحب المتشلسل
وفي ذلك يقول الحطيئة:

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم ثملاً وما يدري
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا لأتت صلاتهم على العشر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو خلوا عنانك لم تزل تجري

قال المسعودي: وشاع بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر، وهجم عليه جماعة فأخذوا خاتمه وهو سكران لا يعقل فأتوا به عثمان فزجرهم ودفع في صدورهم واتخذ الوليد يهودياً معه أنواع من الخمر والخيالات والشعوذة فأراه في المسجد ضرباً من الخيالات أظهر

له فيلاً عظيماً على فرس يركض في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة
يمشي على حبل وأراه في صورة حمار يدخل من فيه ويخرج من دبره
وضرب عنق رجل فرق بين رأسه وجسمه فقام الرجل فاخترط جندب بن
كعب الأزدي وقيل ابن زهير سيفه بعد أن استعاذ من فعل الشيطان
فضرب اليهودي ضربة أبان رأسه فقال: أحي نفسك إن كنت صادقاً
فسجنه الوليد فأطلقه السجن وقتل السجن ومات عثمان والوليد مخلق
الوجه سكران عليه مصغبات واسعة، قال المسعودي كان الوليد صاحب
شراب وفتوة ومجون.

أحداثه

وقال صاحب العدل انتهك من المسلمين الحرم الأربع وانتهك عنه
المسلمون الحرم الأربع، أولها استخلفوه على دينهم ودمائهم وأموالهم
وأماناتهم فولى على المسلمين الظلمة والفجرة والخلفاء الخونة ليحكم
بين الناس في دين الله وعلى صلاتهم وزكاتهم وفروجهم وأزواجهم
ودمائهم وأموالهم فأبيغى أعظم من هذا وقد صلى بهم عامل من عماله
في أعظم مصر من أمصارهم وهو الكوفة بمحضر من المهاجرين
والأنصار صلاة الصبح ثلاثاً وهو سكران فشعر وبال فقام وقال: ألا
أزيدكم فقال ابن مسعود: حسبنا من ثلاثك ثنتان، والثانية منعه العطايا
التي افترضها لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقصر بيوت الأموال
على ذوي قرابته وأرحامه ومنع منها كبراء الصحابة، والثالثة ضربه
الأبشار وهتكه الأستار وطرد وشرد الصالحين من أفاضل أصحاب
النبي ﷺ طرد أبا ذر وسيره وفتق بطن عمار وأمر بآبن مسعود فكسرت
أضلاعه، فتوفي في خلال ذلك وطيف بعبد الرحمن بن حنبل في
الأسواق على قوله:

فإن الإمامين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذنا درهما غيلة ولا جعلنا درهماً في هوى
وأعطيت مروان خمس العباد فهيئات شارك فيمن سعى

والرابعة كتب إلى عماله في خواص المسلمين ما كتب انتهى كلام
أبو يعقوب ملخصاً، أما ما كتب عثمان فهو الذي كتب إلى عبد الله بن
سعد حين رجع الناس بعد توبته وإعطائه الموائيق والعهود للمهاجرين
والأنصار أن يرد المظالم ويقيم الحدود التي عطلها ويعزل عماله: أما
بعد فانظر فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقهم وفلاناً أدبه بكذا وفلاناً بكذا
منهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم قوم من خيار التابعين، وأما
عبد الرحمن بن حنبل ضربه مائة سوط وحمله على بعير فطاف به المدينة
كلها وأوثقه في الحديد ورمى به في السجن وأخرجه بعد على أن يسكن
خيبراً حتى يموت، وأما تشريد الصالحين وطردهم فكفعله بأبي ذر حين
رد على كعب في مجلسه إذ قال ليس في المال حق غير الزكاة بقوله
تعالى: ﴿وَأَنَّى الْمَالُ عَلَىٰ حُيِّهِ...﴾ الآية⁽¹⁾ فقال ما أكثر أذاك لي غيب
وجهك فانتقل إلى الشام فكتب إليه معاوية احمل أبا ذر إليك وإلا أفسد
عليك القلوب فقال أرسله فأرسله محمولاً على بعير عليه قتب يابس يطرد
به خمسة من الصقالبة إلى المدينة وقد انسلخت بواطن أفخاذه وكاد يتلف
فلما أفاق بعد عشرين ليلة أحضره وقد هيا بني أبي العاص ليكذبوه وقد
أرسل إلى قريش فجمعها فقال: لا أنعم الله لغير عينا فقال: ما سماني
الله غيراً وما غيرت العهد الذي فارقت النبي عليه ولا بدلت فقال
عثمان: كذبت على نبينا وطعنت في ديننا وفارقت رأينا وضغنت قلوب
المسلمين علينا وقد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو ننفيه من الأرض، وقال

(1) سورة البقرة، الآية: 177.

عليّ هل أدلكم على خير من ذلك وأقرب رشداً أنزلوه منزلة مؤمن آل فرعون ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَلَعَلَّكَ كَذِبٌ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾⁽¹⁾ بعد أن قال عثمان تكلم حتى يكذبوك هؤلاء فقال أبو ذر: إني أسألهم فإن صدقوني تكلمت وإلا كفت ثم سألهم بالله وبأسمائه هل سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر» قالوا: اللهم نعم ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً ودينه دغلاً وعباده خولاً» فقال عثمان: كذبت فأجابه عليّ بما تقدم وقد كان قائماً على عصاه إذ لم يجد في البيت مقعداً لمجيئه آخرأ قال له عثمان: بفيك الحجر فقال عليّ: بفيك التراب فقال عثمان: قد أخذك رسول الله سارقاً فما منعه من قطع يدك إلا قرابتك منه قال له: كذبت على الله وعلى رسوله فنادى منادياً عثمان لا تكلموا أبا ذر فنفاه إلى الربذة فمات بها وشيعه عليّ وعمار فأراد أن يمنعهما مروان فضربه عليّ بالسوط فشكاه عثمان إلى الناس فاستقبلوه فقالوا: إن أمير المؤمنين عليك غضبان فقال: غضب الخيل على اللجم ونفى جماعة من أهل الكوفة وسيرهم وكذا من أهل البصرة، وأحدث ما لم يكن عند رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وحمى لأحبابه وأهله وأقاربه قطر السماء وضربة وما أشبههما ونقص أهل بدر ألفاً ألفاً من عطاياهم وأعطى ابني طريد رسول الله ﷺ مائة ألف درهم لكل واحد منهما مروان والحارث ولأبيهما ثلاثة آلاف من صدقات البحرين وأعطاه خمس أفريقية وبعث إليه أبو موسى مع زياد بن عتبة مالاً فقسمه بين أهله وأولاده وقرابته بالصحفة وابن هذا من نزع عمر من فم ابنه درهماً فردّه

(1) سورة غافر، الآية: 28.

في مال الله وأعطى عبد الله بن خالد ستمائة ألف درهم، ومنع أهل البحرين وأهل عمان أن لا يبيعوا طعامهم حتى يبيع طعام الصدقة وأمر عمر بقتل ابنه عبيد الله في الهرمزان وأبا وضعه على مرقاة رسول الله ﷺ في المنبر وأبو بكر مرقاة وعمر مرقاة واستسلف مالاً من مال المسلمين فأتاه عبد الله بن أرقم وهو في بيت المال يتقاضاه فمأطله فألحَّ عليه قال له والله لا أقصى منه شيئاً أبداً فلما سمع منه ذلك عبد الله أخذ المفاتيح فألقاها له ولجماعة المسلمين فقال: والله لا ألي لك ولاية أبداً، وجاءه رجل يتظلم بأن أهل الحمى ضربوه ووطئوا بطن امرأته فألقت ولدها فقال: ما أصنع أفأردَّ إليك امرأتك حاملاً وحضره بصري فقال: والله لا أسأل عن عثمان أحداً بعد اليوم، وقال ابن مسعود: وددت أنا وعثمان برممل عالج يحثو عليّ وأحثو عليه حتى يموت الأعتجل قيل له يقتلك إذا قال: لا يعين الله الكافر على المؤمن، وكان ابن مسعود بالبصرة يخطب عشية كل خميس يذكر معائب عثمان فسيره فنزل على سعد بن مالك فسأله عثمان أين نزل فتجاهل بأن قال: أو قديم قال عثمان: نعم والله لأشفينك لشيء كان بينه وبين ابن مسعود قديماً، قال سعد: لا أريد أن تتجاوز فيه الحق فأعيا أمره أين نزل فخطب الناس فقال: أيها الناس قد أطرقتكم الليلة دويبة من تمشي على طعامه تسليخ وتتقيأ فاحذروها، فقال ابن مسعود: أنا صاحبه ﷺ يوم بدر ويوم أحد إذ فررت ويوم بيعة الرضوان إذ غبت فقال: إنك لها هنا فأمر به أسوداً له فضرب به الأرض فكسر بها أضلاعه.

(قال الراوي): فكأنني أنظر إلى ساقيه تخفقان على عنق الأسود وصاحت عائشة وفتحت الأبواب وحلفت لئن لم تخلو عنه لأكشفنَّ عن وجهي وقال لها: لتسكتن أو لأملأنها عليك سوداناً وأمر بابن مسعود

فأخرج إلى ناحية المدينة فضربت أمهات المؤمنين بيوتهن حوله يمرضنه وقد حبس عطاءه خمس سنين وله خمسة آلاف كل عام فدخل عليه بعد أن استشفع بعائشة فقال: أرسل إلي أعطياتك واستغفر لي فقال: إن كان الأمر كما تقول ألا يضرك عدم استغفاري وإن كان كما أقول فما ينفعك وأبى من قبض العطا فمات ابن مسعود فعجلوا بتجهيزه فركب عثمان إليه وقد فرغوا من دفنه وقد أمر أن لا يصلي عليه عثمان فأراد أن ينبشه ليصلي عليه فقال ابن حنبل: تصلي عليه بعدما قتلته فياشر ذي قتلة وياشر نابش في أبيات، وفي الخبر طول اختصرته وأكثر الناس في عثمان وعابوه في وجهه وصاحت عائشة هذا قميص رسول الله ونعلاه لم يخلقا وخلقت سنته إن فيكم فرعون أو مثله تعنيه فقال عثمان: لئن لم تنتهي لأدخلن عليك حمر الرجال وسودها فقالت: لقد لعنك رسول الله وما استغفر لك حتى مات، وكان حذيفة من أشد الناس عليه، وروي عنه عليه السلام أنه قال: فتنة بعضكم أخوف من فتنة الدجال فلما أكثر الناس على عثمان صعد المنبر فقال: لقد هممت أن لا تكون عقوبة سفيهمكم إلا السيف إن رسول الله يؤثر بني هاشم وأبا بكر يؤثر بني تميم وعمر بني عدي فعلى بني أمية تلوموني والله لأخصنهم ولأكرمهم على رغم الأنوف ولو كانت الجنة بيدي لأدخلتموها قبل الناس فقال عمار أنفي وأنف رسول الله وأنف أبي بكر وأنف عمر ترغم فقال: أرغم الله أنفك وأنف أبي بكر وعمر ونزل إليه فوطئه فاستخرجوه من تحته وقد غشي عليه وفتق بطنه وقد ثبت عندهم أن رسول الله عليه السلام قال: يا آل ياسر موعدكم الجنة، ومن أشد الناس عليه عبد الرحمن بن عوف قال له: والله لئن بقيت لك لأخرجنك من هذا الأمر كما أدخلتك فما لبث أن مات فأوصى أن يدفن سرّاً لثلا يصلي عليه عثمان فدفن كذلك فشتهم ولده فقال بعضهم: كره أن تصلي عليه فأراد ضربه، وخطب بني أمية بأن

قال: يا بني أمة يا فراش النار وذبان الطمع أشأتمم بي الناس وألبتم علي أصحاب محمد ﷺ.

مقتله

فلما رأى المسلمون عتوه وعصيانه واستثثاره بالفيء وضربه الرجال وأخذه الأموال ومنعه العطايات وتعطيله الحدود واستحلاله الحرام وإذلاله الناس وما عمهم به من البلاء اجتمعوا إليه من كل أفق على أن يتوب أو يعتزل أو يقتل فتاب كما قدمنا فكتب في قتل بعضهم وتأديب بعض فرجعوا إليه وأرسل إلى عماله فتباطأوا عليه لعلمهم باجتماع الناس عليه فقتلوه حيث لم يف بما عاهد عليه من رد المظالم وإقامة الحدود وعزل العمال وما أشبه ذلك وقد أرسل إلى علي أن يؤخر عنه ويتوب ففعل ثانياً فلم يف وأرسل إلى عائشة وارتحلت إلى مكة وقالت لمروان وددت أنه في غرايري مشدوداً حمله حتى أقذفه في البحر وسمته طاغياً وقالت لابن عباس: لا تخذل عنه الناس وطلحة يصلي بالناس وعلي يحرض الناس وطلحة عليه السلاح وأرسلت أم حبيبة إلى علي أمن أهلي من الدار، فقال كلهم: آمنون إلا سعيد بن العاص الشقي وعثمان فإن قلت: إن الحاصرين له والقاتلين أهل مصر والبصرة دون أصحاب النبي ﷺ، قلت عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وقد سئل عن هذا فقال: إنما قتله أصحاب رسول الله ﷺ فكيف يحاصره الوافدون ويقتلوه والمدينة مشحونة بالمهاجرين والأنصار فيها ألوف والقادمون ستمائة رجل ويسلمون خليفتهم للأعراب والغوغاء وفيهم مثل علي والزبير وغيرهما الذي يقوم بقتال الستمائة وحده، قال المسعودي أقرض طلحة والزبير مائة ألف لمالك الأشتر النخعي وحاصروه شهرين وعشرين يوماً، وقيل تسعة وأربعين يوماً فما نصره أحد من ستمائة رجل

والله عز وجل يقول: ﴿قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا﴾⁽¹⁾ فالذي نسب
كبراء الصحابة إلى ذلك نسبهم إلى ارتكاب كبائر من الذنوب عظيمة من
عدم النهي عن المنكر وهم قادرون ولا يأمرون بالمعروف وقد مدحهم
بقوله: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ...﴾⁽²⁾ إلى قوله: ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ﴾⁽³⁾ وذم بني إسرائيل بقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي
إِسْرَءِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾⁽⁴⁾ ومدح طائفة منهم بقوله:
﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...﴾ إلى ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽⁵⁾ وأعجب
من هذا أن يقتل خليفة المسلمين بين ظهرانهم وموضع بيضتهم وكبرائهم
ويمنع أن يدفن في مقبرة المسلمين وخطب بعض المسلمين يومئذ فقال:
لم نقتله خطأ ولم نصبه غيلة، واختلف الناس في هذه الفتنة فقال
بعضهم: مسألة اجتهادية المصيب مأجور والمخطيء معذور وقيل كل
مجتهد مصيب، وقال أهل الحق: مسألة دينية المحق مأجور والمخطيء
مأزور بل هالك بدليل ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى...﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية: 167.

(2) سورة آل عمران، الآية: 110.

(3) سورة المائدة، الآيتان: 78، 79.

(4) سورة آل عمران، الآيتان: 133، 114.

(5) سورة الحجرات، الآية: 9.

خلافة عليّ بن أبي طالب

ابن عبد المطلب بويع في اليوم الذي قتل فيه عثمان وخلافته حق باجتماع أهل العقد من المسلمين واختلفت أهل السنة فيها ف قيل إنما أتاه الأشر النخعي فقال: هل تنتظرون أحداً قم يا طلحة ويا زبير فبايعا فقاما فبايعا ثم خرجا فقالا: لم نبايعه بقلوبنا، وقيل جلس على المنبر وبعث إلى طلحة والزبير فشرع أهل مصر الرماح لهما فبايعا على شرط إن قام أحد بدم عثمان قمنا معه فقال: والله لا ينتطح فيه عنزان فبايعاه على ذلك وفيهم من قال: إنها عن رضى المسلمين ولم يأخذها غصباً بأن دخل داره حين قتل عثمان فجاء أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: إن هذا الرجل قد مات فلا بد للمسلمين من إمام فدافعهم فأبوا فبايعه في المسجد المهاجرون والأنصار وأرسل إلى طلحة والزبير فتلكأ طلحة و سل الأشر عليه سيفه، وقيل أول من بايعه طلحة ما ردهم التماس العذر لهما في نكث البيعة والمرجئة أرجوه عن الخلافة وأخذه هاشم بن عتبة له البيعة على أهل الكوفة حين تربص أبو موسى الأشعري، فلما تولى الخلافة قسم بيت المال على العدل بين الناس وجعل مال عثمان بين أولاده إلا شيئاً معروفاً بعينه.

خروج طلحة والزبير ومعركة الجمل

وأرسل ابن عباس إلى طلحة والزبير ليستعملهما فقالا: وصل أمير

المؤمنين رحماً فأخبره ابن عباس بذلك فقال: لا أراها يعدان استعمالاً لهما إلا صلة فأمر بالرجوع على أن يقعدا فأضمرأ عدواته فاشتكى كثرة العيال وضيق عيش المدينة وكثرة المؤنة فأراد أن يعطيها ما يسعهما فقال شاورا المسلمين فقالا أشد العهود وآكد المواثيق وجعل الله كفيلاً على أنهما يعتمران ويرجعان ولا يحدثان حدثاً دون أن يصلا المدينة فلما بلغا مكة نكثا وخالفا ونسيا أعظم العهود التي أعطياها وألفيا بها عائشة وعبد الله من الزبير وابن عامر وسعيد بن العاصي ويعلى بن منبه والوليد بن عقبة ومن كان بمكة من بني أمية فالتمسوا وجهاً يتوصلون به إلى الخلاف لجمع الناس فأشار ابن عامر أن يظهروا أن عثمان قتل مظلوماً وأظهروا لعائشة أن عثمان استخلف عبد الله بن الزبير فالتمسوا خروجها معهم فامتنعت فما زالا يزينان لها أمر الصلح بين عبد الله وعليّ وكان عبد الله عزيزاً عليها فأبت إلا أن تخرج أم سلمة فكانت رسولهما إليها فأغلظت لها أم سلمة وأكثرت عليها فقالت عائشة والله لا أخرج أبداً فما زالا بها أعني الزبير وطلحة وأراها أن عبد الله غير راجع وأنه مقتول ولعله إذا كانت أن يستمع منها فرقت له وخرجت تردّه عما أراد أو تصلح ما فسد وهما يريدان اجتماع الناس عليها فخرج الناس وسائر قریش خروجها حتى وردوا بليل ماء يقال له الحوآب عليه أناس من بني كلاب فقالت عائشة: ما اسم هذا الماء فقال لها السائق الحوآب فاسترجعت وقالت: ردوني إلى حرم رسوله وذكرت أن رسول الله ﷺ قال كلاب ماء يقال له الجواب قد تنبح امرأة من نسائي وهي فيه راکبة معصية فقال عبد الله بن الزبير ليس هذا بالحوآب وقيل القائل الزبير وكان الزبير في ساقاة الناس، قال المسعودي فلحقها فأقسما أنه ليس بالحوآب وشهد معهما خمسون ممن كان معهم، قال المسعودي وذلك أول شهادة زور في الإسلام وقاله غيره فأتى الخبر علياً بخروجهما

وطلبهما بدم عثمان قال: والله يعلم أنهم قتلوه وقد أعان يعلى بن منبه طلحة والزبير بأربعمائة ألف وأعطى عائشة العسكر جملاً اشتراه بمائة دينار وجهزهم ابن عامر بألف ألف درهم ومائة من الإبل، وبعث على عثمان بن حنيف فمانعهم البصرة حين وردوها وقد سبقهم إليها فاصطلحوا عن الكف عن القتال إلى أن يرد عليّ فلما كان في بعض الليالي بيتوا عثمان وأسروه واتفقوا لحيته وضربوه ومنعهم من قتله خوفهم على أهل المدينة من أخيه سهل ومانعهم الخزان بيت المال فقتل منهم سبعون رجلاً غير الجرحى منهم خمسون قتلوا صبراً، قال المسعودي: وهؤلاء أول من قتل في الإسلام صبراً وظلماً وقتل حكيم بن جبلة وكان سيداً زاهداً ناسكاً ويسمى المقتولون هناك السباحة وسار عليّ من المدينة بعد أربعة أشهر في تسعمائة راكب منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم سبعون بدرياً وأتته طي في ستمائة راكب واستنفر أهل الكوفة فنبطهم أبو موسى عامله فعزله عليّ وكتب إليه اعتزل عملنا يا ابن الخنا مذموماً مدحوراً فما هذا أول يوم منك وإن لك فيها لهنات وهنات فلما انتهى إلى البصرة التقى مع طلحة والزبير فاقتتلوا قتالاً شديداً وعائشة على الجمل في هودج من دفوف الخشب عليه جلود البقر وقد غشى على ذلك بالدروع فدنا عمار من موضعها فناداها إلى ماذا تدعين قالت: إلى الطلب بدم عثمان قال: إنكم أيها الناس لتعلمون أيكم المماليء في قتل عثمان ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل:

فمنك البكاء ومنك العويل ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقاتله عندنا من أمر

وتواتر عليه الرمي واتصل وزال عن موضعه والتحم القتال وقد أمرهم عليّ أن لا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا أسيراً ولا يتبعوا مولياً

ولا يطلبوا مدبراً ولا يكشفوا عورة ولا يمثلوا بقتيل ولا يهتكوا سترأ ولا يأخذوا مالاً إلا ما يجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم، وذكر عليّ الزبير بقوله عليه السلام: «إنك ستقاتله وأنت ظالم له» وقال له طلحة: قتل الله أولانا بدم عثمان وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة وخرج الزبير إلى وادي السباع فأدركه ابن جرموز فقتله ومات طلحة وابنه محمد في المعركة وصرع عبد الله بن الزبير صرعه الأشر ولم يجد إلى قتله سبيلاً لشدة اضطرابه وقتل منهم ثلاثة عشر ألفاً ومن أصحاب عليّ خمسة آلاف، وقيل قتل من الفريقين عشرة آلاف، وقيل سبعة، وكان في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى عام ستة وثلاثين وسقط الجمل ووقع الهودج وأمر عليّ أخاها وأنزلها دار صفية بنت الحارث بن طلحة وهي أم طلحة الطلحات فدخل عليّ البصرة وأقام بها خمسة عشر يوماً وخلف فيها ابن عباس وسار إلى الكوفة وأتى الأحنف بن قيس عائشة فقال: ألم تقولني أن الله قتل عثمان بذنبه إن سريال رسول الله ﷺ لم يبيل حتى بدل عثمان دينه فقالت: بلى، قال أتأب عثمان بعدما مات، وحديث الجمل والدار كثير ومن أراد بسطه فعليه بحديث المسلمين يوم الدار والجمل من الكتاب المسمى بالنهروان وغيره من الكتب المبسوطة وكذلك تسمية رجالها من بدري وغيره وأكثر حديث الناس في ذلك على قدر شهواتهم والحق أبلج وعلى الشهوة ظلمة ولم أحفظ خلافاً في الفتنة أن الحق فيها مع عليّ والخلاف في توبة طلحة والزبير والاتفاق على توبة عائشة ورجوعها إلى المدينة، عن موسى بن طلحة جاوزت ثمانية أشهر بعد الجمل فما رأيت مريضاً كان أشد منها تأوهاً ولا حزيناً باكياً فما رقي دمعها حتى ماتت وتقول إذا ذكر يوم الجمل: يا ليتني كنت نسياً منسياً.

حرب صفين

ثم كتب عليّ إلى معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون وامتنع من بيعته والرسول جرير بن عبد الله البجلي قيل هواه أموي ونهاه عنه مالك الأشتر النخعي وأكثر الناس هواهم عثمان لما مكنهم من الدنيا كالأشعث وأبي موسى ولكون عليّ يقسم بالسوية وكان عثمان يؤثر الكبرى واجتمع أهل الشام مع معاوية والطلب بدم عثمان واجتمع شرحبيل وعمر بن العاص وغيرهما واجتمعت الكلمة في ذلك ورجع خائباً وخطب عليّ الناس وقال: إن الله قتل عثمان وأنا معه وارتحل عليّ إلى صفين ومعه أهل العراق والمهاجرين والأنصار وارتحل معاوية ومعه أهل الشام ومعه من اختار وركن إليها الباغون بعد مكاتبات ومخاطبات جرت بينهم كاتب معاوية من تخلف عن بيعة عليّ كسعد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأنكروا عليه مقالته وأنه ليس أهلاً لذلك وكان عليّ في سبعين ألفاً ومعاوية في خمسة وثمانين ألفاً وقيل غير ذلك ومات بصفين سبعون ألفاً من أهل العراق خمسة وعشرون وخمسة وأربعون من أهل الشام وكانت الوقائع تسعين، ومات فيها عمار، وثبت عن النبي ﷺ عند الأمة أن الفئة الباغية تقتله ومات فيها جماعة من كبار الصحابة وخيارهم، ومن كلام عليّ فيه المموا الأصوات واكملوا الامة واستشعروا الحسنة واقلقوا السيوف في الأجفان قبل السلة والحظوا الشزر واطعنوا المتن بالضبات وصلوا السيوف بالخطا والنبال بالرماح وطيبوا عن أنفسكم أنفساً فإنكم بعين الله عز وجل ومع ابن عم نبيكم ﷺ عاودوا الكر واستقبحوا الفر فإنه عار عليكم في الأعقاب ونار يوم الحساب، ومما يحفظ لعمار والذي نفسي بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله وقوله والله لو هزمونا حتى يبلغوا شعبات هجر لكننا على الحق وكانوا على الباطل، ولقد

اشتهرت الأحاديث التي وردت في عمار في الفتنة وغيرها .

(فائدة): نصرت العرب من وقت ولد رسول الله على غيرهم وأضاء الأرض بمبعثه وكان الخير يزيد منذ أسلم عمر إلى يوم مات فبدأ في النقصان وبدأ ظهور الجور مذ سقط خاتم رسول الله ﷺ لعثمان في بئر أريس وكان الناس على بصيرة من أمرهم في القتال حتى مات عمار فالتبس الأمر على الناس إلا قليلاً منهم، عن أبي وائل شقيق ابن سلمة قال: والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا قط إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه حتى كان يوم صفين وما مات القوم حتى شكوا وكف الناس عن القتال .

قضية التحكيم

وذلك أن أهل الشام لما رأوا أنفسهم إلى التلاف أشار عمرو على معاوية أن ينادوا بأن كتاب الله بيننا وبينكم فمن لثغور الشام من النصاري ومن لثغور العراق من فارس فرفعوا المصاحف على الرماح، قال عليّ قد قبلت فقام عمار بن ياسر فقال يا عليّ لقد أخرجها إليكم معاوية بيضاء من أقرّ بها كفر ومن أنكرها سلم كفتنة نهر طالوت أشككنا في ديننا ورددنا على بصائرنا أنحكم في ديننا بعد مائة ألف منا ومنهم وقد دعاك طلحة والزبير وعائشة إلى ذلك فأبيت وزعمت أن من خالف ضال حلال الدم وقد حكم الله في الملل ما قد سمعت فماؤوا إلى أمر الله ولا طفيت الفتنة فلما رأى علياً وأصحابه مسارعين إلى القضية نادى هل من رايع إلى الجنة فحمل في خمسمائة من البدرين والعقبين والأحدين وغيرهم من خيار من بقي بعد الشربة التي أخبره الرسول ﷺ أنه آخر ما يدخل بطنه اللبن وهو يقول: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، وحمل

عليّ بعد موت عمار فهزم أهل الشام وقد رفع أهل الشام المصاحف فقال الأشعث بن قيس والله ما نرد ما دعونا إليه أبداً والصحيح أن رفع المصاحف عند انتفاض صفوفهم والدعاء إلى كتاب الله قبل موت عمار وأنكر الحكومة طائفة من أصحاب عليّ فقال مالك الأشر: أمهلوني غدوة فرس فإني طمعت في النصر قالوا: إذا لا ندخل معك في خطيئتك فقال: متى كنتم محقين حين يقاتل خياركم فيقتلون ويُقتلون أم الآن حين أمسكنم وخياركم الذين لا تشكون في فضلهم في النار وكلام هذا معناه، فمر الأشعث ببني حنظلة وهو يسير على الأحياء يعرض على الناس أمر الحكومة فحمل عليه عروة بن أديّة فضربه فوق السيف على عجز بغلته فقال: أين قتلانا يا أشعث «لا حكم إلا لله» وهو أول من قالها، ثم أرسل معاوية ابعثوا حكماً منكم وحكماً منا ونرى بما يحكمان فقبل عليّ القضية تبعاً لرضاء الأشعث والسواد الأعظم ممن معه وأنكرها الأخيار من المسلمين تبعاً لعمار وعبد الله بن بديل وغيرهما ممن قتل وبعض من خالفنا يقول طلب الحكومة بعد قتل عمار والصحيح أنها قبله وانظر في رفع المصاحف، فلما اتفق الناس على التحكيم إلا من أنكر وكتبوا على ذلك كتاباً وسمى عليّ نفسه أمير المؤمنين فأبى معاوية فقال عليّ على يدي يدور هذا الأمر وذكر إنكار سهيل بن عمرو على رسول الله ﷺ وأراد أن يكتب اسمه مجرداً من أمير المؤمنين فنهاه الأحنف وقال: خشيت ألا يرجع إليك أبداً أنه ليس لكم ما لرسوله ﷺ فعصاه ثم رجع الناس إلى العراق بعد كتابة الكتاب يتدافعون على الماء ويتزاحمون عند الارتحال يعير الراضون المنكرين بأنكم عصيتم أمر أمير المؤمنين وخالفتموه يا أعداء الله ويرد المنكرون عليهم بأنكم أعداء الله إذ شككنم في دينكم وعصيتم أمر ربكم وحكمتكم الرجال وتركتم حكم الله إذ يقول ﴿فَقَبِلُوا آلِيَّ تَبَغَّى حَتَّى تَفَى إِلَهُ أَمْرٍ أَلَهُ﴾ وقبل كثير منهم الحق ورجع إليه

إلا من مال إلى الدنيا، وكان معاوية يمنيهم بها فلما نزل عليّ الكوفة دخل عليه نفر ممن أنكر الحكومة فعاتبوه وسألوه نقضها فأبى فخرجوا ونزلوا حروراء باثني عشر ألفاً وقيل عشرون ألفاً وقيل أربعة وعشرون وهم خيار أهل الأرض يومئذٍ وقراءهم وزهادهم ممن بقي من كبراء الصحابة والتابعين وفيهم من أهل بدر ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كحرقوص بن زهير السعدي الذي قال فيه رسول الله ﷺ في رواية عائشة: أول من يدخل علينا اليوم من أهل الجنة فكان هو الداخل إلى ثلاث مرار وشجرة ابن أوفى وكان بدرياً، ومن أراد معرفة أسمائهم فعليه بالنهروان وغيره من الكتب، وأخرج عليّ إليهم ابن عباس فناظره بأن الأمر الذي كانوا عليه أهدي في قتل عثمان لإحداثه وامتناعه من كتاب الله وفي سفك الدماء يوم الجمل لنكثهم وعدم رجوعهم إلى كتاب الله وفي قتلنا أهل الشام لبغيهم وتعديهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أم ضلال، قال: بل رشد قالوا: فهل نزل أمر من السماء يحرم الأمر الأول قال: لا قالوا: فلمَ حكم في دين الله قال: قد علمتم أن الله قد أمر بالتحكيم في رجل وامرأة وفي طير يقتله المحرم قال: فكيف بأمر أمة محمد ﷺ قالوا: تحكيم الحكمين في رجل وامرأة وفي طير رد الله الحكم فيه إلى العدول وهذا الأمر جاء الحكم فيه من الله كالزنا والسرقه والقذف ولا يمكن لإنسان أن يحكم فيها بغير حكم الله ولو أراد إمام قطع يد السارق فقال له الناس: حتى نحكم فيه حكمين أله أن يحكمهما أم يمضي على حكم الله قال: بلى لا يحكم الرجال قالوا: معاوية فاء إلى حكم الله وعمرو بن العاص قال: لا قالوا: أفعمرو بن العاص عدل الذي صرح بالعداوة والبغي وباع دينه بمصر وسفك دماء المسلمين بغير حق وأبو موسى الذي ثبط الناس عن الجهاد قال: لا وأيضاً إن كان عمرو عدلاً وهو يقاتلنا فنحن على غير حق، وقد كان شناً رسول الله ﷺ

في سبعين بيتاً من الشعر فقال ﷺ: اللهم إني لا أحسن الشعر فalcنه بكل بيت قاله لعنة، وإذا كان عدلاً فنشهد أن عمار ومن استشهد معه قتلوا على باطل وضلالة، ثم رجع إلى عليّ فقال خصمك القوم، ثم خرج إليهم عليّ فوقعت بينهم مناظرة قال لهم: دعوني إلى كتاب الله فأجبت قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُوعِظُونَ﴾⁽¹⁾ قالوا: إذن أنزلت معاوية منزلة المؤمنين وأنت منزلة أهل الكتاب إذا كانوا هم الذين يدعونك إلى كتاب الله فإن كنت على الحق فإن كتاب الله حكم عليهم بالقتل إلى أن يرجعوا إلى الحق فقال: أنتم القائلون لا نقاتل قوماً يدعوننا إلى كتاب الله فقلت: هذه خدعة فقلت: ابعث رجلاً لا يعقد صاحبهم عقدة إلا حلها وأبستم إلا أبا موسى الأشعري قالوا: عرفنا إخواننا الحق فتبنا قال: إني أستغفر الله وأتوب إليه فكبروا ورجعوا وقيل قال له بعضهم: إن الله حكم العدلين في الجراداة وحكمتم في دماء المسلمين عمراً فما زال به الأشعث بن قيس حتى نقض الذي أعطاه ورجع إلى الحكومة ومعاوية يرسل إلى وجوه أهل العراق يمينهم ويحثون على عليّ في التحكيم وبعث أبا موسى فخرجوا إلى النهروان وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي يدافع عنهم من أرادهم، وخرج مسعر بن فذكى من البصرة في عصابة فجاز على قرية فيها عبد الله بن خباب فأخبره بالتحكيم فقال: إن أبي أوصاني أن ألزم بيتي إذا وقعت الفتنة فقال: إن الله أوصانا بغير ما أوصاك به أبوك قال: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾⁽²⁾ فقتله مسعر فأتى أصحاب النهر فأنكروا ذلك عليه وهموا بقتله

(1) سورة آل عمران، الآية: 23.

(2) سورة البقرة، الآية: 193.

وفر منهم وبرؤوا منه وقيل الذي تولى قتله ريسة الفهري وطرده أهل النهر وبرؤوا منه فخرج يستعرض الناس، وفي كتاب النهروان حدثني عتاب بن إبراهيم أن مسعراً حين هرب لقي أناساً من أهل خراسان حجاجاً فضرب أعناقهم ثم أتى المدائن فما شعر عليّ إلا وهو واقف على رأسه فأمنه والله أعلم في صحة ذلك، ثم التقى الحكمان بأدرج وحضرها عبد الله ابن عمر في جماعة من قريش وآلا الأمر بينهم أي بين من حضر حتى اتفق الحكمان على خلع عليّ من الخلافة بل عن الأمر واختلفا في معاوية اتباعاً للهوى وميلاً إلى الدنيا، وذكر بعض المخالفين أن عبد الله ابن عباس حضرها من جهة عليّ وليس كذلك بل الذي أرسل عليّ شريح ابن هانئ الحارثي بل طلب حضوره وطلب الأحنف أن يحضر أو أبو الأسود ولم يجدوا ذلك بالناس فلما بلغ علياً فعلهما صعد المنبر فبرأ منهما وخلعهما وقد فاته الأمر ولم يأخذ بقول نصحاء الدين الذين ضللوا الحكومة ولا بقول نصحاء الدنيا ونصحاء الدنيا قالوا: أرسل الأحنف أو أبا الأسود أو ابن عباس وعصى الفريقين ثم نفر الناس إلى معاوية وأعطاهم العطا فلما انتهى إلى الأنبار فالتمسوا وجهاً يصرفونه عن الشام فقال له الأشعث: أتسير إلى أهل الشام وتدع أهل النهر خلفك فصرفه إليهم فبعث ابنه حسناً، وفي كتاب النهر قالوا له فيما حدثنا عبد الله ما تريد منا يا حسن نذكرك الله في دماننا أتقاتلنا على أن سمينا أباك أمير المؤمنين وخلع نفسه فأبين أن نخلعه وطلبناه أن يمضي إلى قتال عدوه فأبى وشك وثبتنا على ذلك في كلام كثير فانصرف الحسن عن قتالهم فقال الأشعث: ناجز القوم وإن كلموا الناس افسدوهم عليها ثم قدم عليهم صعصعة بن صوحان فخطب فقالوا: أعطاك الله بضعة تقلبها في فيك لكن لو أنكر عليّ الحكومة وقد دعونا إليها أمعنا الحق أم معه فسكت وانصرف، فأرسل إليهم قيس بن سعيد فناظروه فقال: هذا أمير

المؤمنين يحكم بكتاب الله قالوا: ألم يخلعه وكيله وغضب لنفسه حين لم يحكم له وقد سلب دينه وسلطانه قال قيس: إن أتاكم تائباً قتلتموه كما قتلتم عثمان قالوا: أنتم قتلتموه وعلى أمركم قُتل قال قيس: إني آتيكم به تائباً ففرحوا وسرّحوا خيولهم ثم أقبل بجميع من معه فلما رأى عزتهم وقتلهم أشار إلى أمراء خيوله أن يحملوا وأبوا حتى يبدأ بنفسه وأعظم ذلك فرماهم بسهم فانعطفت عليهم الخيل ثم اجتمعوا إلى عبد الله ذي الثغفات فقال: اكسروا الجفون ثم ارموا بها وتنادوا هل من رايح إلى الجنة وقاتلوا قتالاً شديداً وقتل زيد بن حويم نحو مائة وأكثرهم من همدان فقال عليّ: أفنى بيت همدان رجل واحد واقتتلوا من صلاة الغداة إلى الأصيل، وعليّ واقف ومعه ذو العقيصة فسمعه يقول: والله إن كنتم لأصحاب الدار يوم الدار وأصحاب الجمل يوم الجمل وأصحاب صفين يوم صفين وأصحاب القرآن إذ تلي القرآن فقال له: فيما نحن إذاً فضرب فرسه فلحق بهم وأقبل ابن لُعدي ابن حاتم فسأل عن زيد بن حصن فقيل له هناك فلحق بهم وقتل فيها خيار من على وجه الأرض وقتل فيهم أويس القرني، عن ابن عباس قال: حدثني قنبر مولى عليّ قال: تحولت أنا وعليّ إلى النهر بعد القتال فانكب طويلاً يبكي فقلت: ما يبكيك قال: ويحك صرنا هاهنا خيار هذه الأمة وقراءها فقلت: أي والله فأبُك فبكى طويلاً ثم قال: جدعت أنفي وشفيت نفسي فأظهر الندامة على قتله إياهم وقال له رجل: هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً قال: ويحك أولئك أهل التوراة والإنجيل وقال له آخر: والله ما بين الطريقين طريق إن كان أمر الحكمين هدى فقد ضللت بنقضك عهدك وبراءتك منهما وإن كان ضلالة لقد ضللت بقتلك أهل النهر إذ نهوك عن الضلالة، ودفن الناس قتلاهم ودفن عدي بن حاتم ابنه فقال: الحمد لله الذي ابتلاني بموتك حين حاجتي إليك. ومات فيهم أويس القرني وخبره

مشهور في المبسوطات وتفرق عن عليّ أصحابه لما رأوا أنهم قتلوا خيارهم فخرج عنه في يوم اثنا عشر ألفاً وأيضاً ثلاثمائة وما زالت أيامه في الإدبار من يومهم، ونزع له معاوية اليمن والحجاز ومصر وغارت خيله إلى الأنبار وقتلوا عماله ولا يسمع له كلام ولا يمثل له أمر قال له عدي ابن حاتم: تركتنا لا ندري أين نسكع قتلنا من رضي القضية ومن أنكرها لأنه قتل أيضاً الحارث بن راشد إذ رضيها وتلقاه ابنه الحسن حين دخل الكوفة فقال: يا أبت أقتلت القوم قال: نعم قال: لا يرى قاتلهم الجنة قال ليت أني أدخلها ولو حبواً فلما فقد عليّ تلك الأصوات بالليل كأنها دوي النحل قال أين أسود النهار ورهبان الليل قالوا له: قتلناهم يوم النهر. وفي كتاب النهروان حدثني مسعود بن الحكم الهمداني أن ابن عباس قال للحسن: إنكم لأحق بيت في العرب أن تتيهوا كما تاهت بنو إسرائيل فمتم بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ فجاهدتم بها ثم جعلتم حكماً على كتاب ربكم ثم قتلتم خيار المسلمين وفقهاءهم وقد أفنوا المخ واللحم وأجهدوا الجلد والعظم من العبادة وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفيه، وحدثني مسعود بن عبد الله بن شداد أنه قدم المدينة فأرسلت إليه عائشة فقالت يا عبد الله أقتل عليّ أصحابه فحدثها بالقصة كلها فقالت: ظلمهم قالت: هل تسمي أحداً ممن قتل قال: نعم حرقوص بن زهير السعدي فاسترجعت وقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كان في منزلي قال: يا عائشة أول رجل يدخل من هذا الباب من أهل الجنة فدخل حرقوص ولحيته تقطر ماء وقال ذلك في اليوم الثاني فدخل وكذلك في اليوم الثالث قالت: ومن؟ قلت زيد بن حصن الطائي فبكت وقالت والله لو اجتمعت الأمة على الرمح الذي طعن به زيد لكان حقاً على الله أن يكبهم جميعاً في النار، وفرح معاوية فرحاً شديداً لقتله إياهم فاستنفرهم من النهر إلى الشام فقال الأشعث:

نفذ الزاد وكلت السيوف ونصلت الأسنة فارجع بنا إلى مصرنا نستعمل أحسن عدتنا ويزيد أمير المؤمنين فينا عدة من هلك منا فننزل النخيلة فأمر الناس أن يلزموا معسكرهم فتسللوا فدخلوا الكوفة وتركوه فدخل في أثرهم فغار سفيان بن عوف العامري على الأنبار وعليه حسان بن حسان فقتله وأجلى ما هناك من الخيل وسلب النسوان ورجع وافرأ فخرج عليّ في أثره حتى ورد النخيلة فأقام بها واستنفر الناس فأبطوا عنه ووبخهم بخطبه وعيّرهم وكتب لهم فما نفع ذلك أجمع وقال في بعض خطبه: جندي لا يمنعون الضيم ثم من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيبي أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصرتكم فرق الله بيني وبينكم، وفي كتاب النهروان قال الشعبي: لما قتل عليّ أهل النهر آيس أن يستقيم له الأمر قال لابنه: لا تكرهوا بيعة معاوية. وفيه عن جابر بن زيد أن علياً لما أظهر الندامة للناس، قيل له: قتلت قوماً وأظهرت الندامة عليهم وطفقت تمدحهم وتزين أمرهم لتخلعن أو لتقتلن فلما أصبح قال: ابتغوا في القتلى رجلاً فوجدوا نافعاً مولى ترملة صاحب رسول الله ﷺ وكان صالحاً مجتهداً قطع الفحل يده فقال: هذا هو فقال له الحسن: هذا نافع مولى ترملة قال له: اسكت الحرب خدعة فانتقل من بقي من أهل النهر إلى النخيلة.

مقتل عليّ بن أبي طالب

ثم قتل عبد الرحمن بن ملجم علياً وبايعت الناس الحسن وخادعه معاوية وسلم له وأقبل ليدخل الكوفة فدعاه أهل النخيلة إلى كتاب الله فأبى فقاتلوه فقال اغدرا يا أهل الكوفة وخرج الحسن في أهل الكوفة ونصروه وعاتبهم ابن عباس على ذلك واستقام الأمر لمعاوية وذهب العمل بكتاب الله لا ينازعه أحد إلا أتى عليه...

فصل..

فإن قلت الصحابة كلهم عدول والواجب إذا ذكروا أن يمسك لمدح الله لهم في غير موضع من كتابه ولأمره ﷺ بالإمساك إذا ذكر أصحابه ولما روي في جملتهم وخاصتهم من الأحاديث قلت: الأمر كذلك إلا من أحدث ويدلك على ذلك قتال أبي بكر للعرب الذين ارتدوا وكثير منهم صحب وسمع وروى ولقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فَتَنَهُ...﴾⁽¹⁾ الآية، ﴿وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽²⁾ فإن قلت: إن معاوية أعطاه الله سهماً ﷺ فقال: خذها حتى تلقاني بها في الجنة وقال: اللهم قه العذاب، وعن عون بن مالك أنه نام في بعض المساجد فإذا بأسد ففرع منه قال له: إنما أرسلني ربي لتخبر معاوية أنه من أهل الجنة فيكون تسليم الحسن له صواباً، قلت قال ابن عبد البر حديث مجهول ولو ثبت هذا ما أسماه ﷺ هو وأتباعه فئة باغية في قتلهم عماراً ولقوله لعمار: قاتلك وسالبك في النار وروي أن أبا سفيان أقبل راكباً جمللاً يقوده معاوية ويسوقه عتبة فقال: لعن الله السائق والقائد والراكب وأجمع أصحاب علي والعارفون من أصحاب معاوية أن معاوية باغ في سفك الدماء وسيأتي بيان ذلك، فإن قلت قال ﷺ في الحسن: سيصلح ما بين فئتين عظيمتين من المسلمين، قلت: لو ثبت هذا الحديث لما اتفق جميع أصحابه على تعييبه حتى سموه مذل المؤمنين بعد أمير المؤمنين يا عار المؤمنين ولو كان الفعل لله

(1) سورة الأنفال، الآية: 25.

(2) سورة النور، الآية: 55.

لم يشترط عليه أن الأمر من بعده له وأيضاً لا يجوز له أن يسلمها
لمعاوية وقد علم أنه لا يعمل بكتاب الله وإن علم أنه يعمل بكتاب الله
فقد تحقق أن من قاتله باغ ضال هذا تخطيط صدق ابن عباس في قوله
له: لأنتم أحق بيت في العرب أن تتيهوا..

دولة معاوية وأيامه

لما غضب الناس الملك وقهر الناس بسيفه وإذا رأى الحسن رحب وأعطاه ثلاثمائة ألف وحمل الأئمة الجورة على رقاب المسلمين واصطفى لنفسه البيضاء والصفراء وتكلم الحسن عنده يوماً فزجره فقال الحسن: إياي تزجر ثم افتخر عليه فقال معاوية: كنت حولك مائة ألف سيف يغمدها رضاك ويسلها غضبك فتركت ذلك إما ضعفاً عنه فأنت اليوم أضعف وإما زهداً فالיום أخرى أن تزهد فلا يوردك لسانك مورداً يقل فيه إخوانك وأخذانك في كلام يصغره به، قال ابن عبد البر لما بايع الحسن لمعاوية قال عمرو لمعاوية: مره أن يخطب فكره معاوية فما زال به حتى أمره وخطب ومراد عمرو أن يبدو عيّه وقال لمعاوية: لا يدري في هذه الأمور ما هي مستجهاً له ونسبه إلى ضعف الرأي والعقل وعدم الدهاء، وقال ابن عبد البر: أول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة، وكان يقول: أنا أول الملوك وولى الكوفة المغيرة بن شعبة وأمره بشتم عليّ وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له فامثل وكان إذا خطب ذم علياً وشتمه وترحم على عثمان واستغفر له فينكر عليه حجر بن عدي قائلاً: إياك ذم الله ولعن وكان المغيرة شيخاً كبيراً ويتحلم عن مثله لمنعته في قومه وشرفه فقل للمغيرة على ما تترك هذا الرجل يجترى عليك في سلطانك قال: إني تركته يجترى على من بعدي فيأخذه بأول وهلة فمات فتولى بعده زياد وترحم وشتم كالمغيرة ورد عليه حجر فأخذه وأرسل به

إلى معاوية فقتله في ستة من أصحابه، وتتبع أصحاب عليّ فمن شتمه أطلقه ومن أبى أخذه فبعث إلى بعض أصحاب حجر فقال له: يا عدو الله ما تقول في أبي تراب فقال: لا أعرفه قال: هو عليّ قال فيه أحسن قول أقول فضربه بالعصا على عاتقه حتى ألصق بالأرض ولزمها ثم قال له: لتلعننه أو لأضربن عنقك فاستقام لهم الأمر وظهر الجور وعم الناس فتبعهم القريب والبعيد خوفاً من سلطانهم ورغبة فيما في أيديهم وتزاحمت على طاعتهم العلماء والأشراف وذهب الدين وسكن أهل الحق زوايا الخمول والكتمان وقد بقي في أيديهم شيء من اليقين وعرفوا من جور الظلمة ما عرفه من قبلهم فلم يستطع أحد أن ينهى عن معصية وتتبع زياد وابنه المسلمین يقتل ويسجن وكذا شيعة عليّ وربما جمع أهل العراق فمن لعن علياً أطلقه وإلا قتله كذا في كتاب المسعودي، قال المسعودي أن أصحاب معاوية ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن عليّ سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير ويلعنه على المنابر قيل لبعضهم من هذا أبو تراب الذي يلعنه الأمير على المنبر قال: لص من لصوص الفتن، فأقام المسلمون على ذلك بعد أن قتل أهل النخيلة مع إمامهم فروة بن نوفل الأشجعي ثم صار الأمر من بعده إلى عبد الله ابن أبي الحيسا الطائي إلى عام ثلاثة وأربعين فأنسوا من أنفسهم قوة فاجتمعوا، منهم معاذ بن جوين بن حصن الطائي، وحيان بن ظبيان السلمي، والمستورد بن علقمة التيمي تيم الرباب وغيرهم فقالوا: اخرجوا بنا نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر فلا عذر لنا وإخواننا قتلوا في المجالس آمنين فإن ظفرنا يشفي الله صدور المؤمنين وإن قتلنا ففي مفارقة الفاسقين راحة ولنا بأسلافنا الصالحين أسوة ففطن لهم زياد وسجن معاذ بن جوين وحيان بن ظبيان، وباع المسلمون المستورد فخرج في ثلاثمائة وسار على شاطئ دجلة فأرسل المغيرة في أثره معقل

ابن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف من قريش فالتقوا عام خمسة وأربعين
فقتل كل من المستورد وابن قيس صاحبه، ولما خرج معاذ وحيان من
السجن في نحو عشرين اجتمع إليهما أصحابهما فقام حيان فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الله كتب علينا الجهاد فمننا من قضى نحبه
وأولئك الفائزون بفضلهم ومن يكن منا ينتظر فهو من سلفنا القاضين
نحبهم فحرض أصحابه على الجهاد فبايعوه فخرج بعدما تشاوروا أين
يوجهون فقال معاذ: أرى أن نسير إلى حلوان فإنها كورة بين السهل
والجبل والثغر والمصر قالوا له: إن أعداءنا لا يتركونا ويمهلونا بل
يعاجلوننا قبل ذلك قال حيان نخرج إلى جانب الكوفة فنقاتل حتى نموت
فذلك عذر لنا عند ربنا فقال عتريس بن عرقوب الشيباني: الرأي ما قال
معاذ أو تسيرون إلى عين التمر فقال حيان: عدوكم معاجلكم عن ذلك
فقالوا: الرأي ما رأيت فقال: إنكم تبادرون بذلك الجنة فخرجوا فقتلوا
جميعاً رحمهم الله، ثم أراد خالد بن عباد السدوسي رحمه الله الخروج
فسعي به فأخذه ابن زياد لعنه الله وكان زاهداً صالحاً ناسكاً وكذب
الساعي فضمنه رجل ثم أتى ابن زياد بعد ذلك أنه لم يبت البارحة في
أهله فأرسل إليه فقال: أين كنت قال: عند إخوان لي ذكرنا الله وذكرنا
أئمة الهدى وذكرنا ما الناس فيه من الجور قال: دلني عليهم قال: لو
دللتك لقتلتهم وسعدوا وأشقى ولم أكن لأروعهم قال له العن أهل النهر
قال: إن كانوا لله أعداء فلعنهم الله قال: فما تقول في أبي بكر وعمر
قال: خيراً قال: وعثمان ومعاوية قال: إن كانا وليين لله فليست أعاديهما
قال له رجل: إنك في تقية قال: قد علمت ولكن لا تقية اليوم في الله
فأمر بقتله وكان شاسفاً من العبادة بين عينيه أثر السجود وكره الناس قتله
لما رأوا عليه من أثر العبادة والخشوع فأتى المثلث بن مسروح فقتله فائتمر
المسلمون بقتله فدسوا إليه رجلاً في هيئة الفتيان فلقيه بالمربد يسأل عن

لقحة صفي قال له: قد علمت مكان كذا وكذا ناقة صفي فإن شئت تركت حاجتي وسرت معك فسار معه حتى دخل دار فقال: ادخل بفرسك فقتله حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي وجعلوا دراهمه في بطنه، ثم خرجت جماعة من الموالي أميرهم أبو ليلى مولى لبني الحارث بن كعب فخرجت معهم قطام وكحيلة فدعوا الناس إلى الحق حتى قتلوا وتولى ذلك جابر بن حشر البجلي بعثه المغيرة فناداهم على ما تقولون: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾⁽¹⁾ الآية، ثم خرج زياد بن الحراش العجلي من الكوفة في ثلاثمائة وقيل إنه سار بالبسط والله أعلم حتى أتى الأجنبية فقتلوا منهم عدداً كثيراً وهو يوم من أيام الكوفة لا ينسونه ثم انتقلوا وبعث إليهم زياد من أتى على جميعهم، ثم خرج علي الأعرج الكوفي ثم خرجت جماعة فعاجلتهم الخيل فأصيبوا بنهر عبد الرحمن عليهم ابن معاذ الطائي وقد كان عبد الله بن عوف فيمن خرج مع أهل الكوفة لقتال أهل النخيلة فقتل ابن وداع الأسدي رحمه الله فقال:

قتلت أخا بني أسد سفاهاً	لعمر أبيك ما لقيت رشدي
قتلت مصلياً مُخِيَّ لليل	وذاك لشقوتي وعشار جدي
تقبل توبتي يا رب واغفر	إذا حاسبتني خطأي وعمدي

وأخذ المغيرة معبد المحارب ورجلاً من بني تميم فسجنهما وأرسل إلى معاوية فقال: إن شهدا أنني أمير المؤمنين فأطلقهما فشهد تميم أن صاحبهم مجنون فخلى سبيله فقال للمحارب: أتشهد أن معاوية أمير المؤمنين فقال: أشهد أن الله حق وأن الله يبعث من في القبور فقال: أمجنون فقال: وددت أنني من صالحي الجن فقال: أحروري قال: وددت أنني من الذين تحروا رشداً قال: أتشهد بذلك على معاوية وأخلي سبيلك

(1) سورة الجن، الآيتان: 1، 2.

فقال: أشهد أن تميماً أكثر من محارب فقال قبيصة بن التبر الهلالي: اسقني دمه فقتله المغيرة وزياد وابنه وخالد بن أسيد والضحاك وعبد الرحمن بن أم الحكم، ثم النعمان بن بشير، ثم بشير بن مروان فأقبل رجل من عمان فاستثبت قبيصة بأربعة شهود فقتله، ثم خرج طواف في جماعة فأصيبوا، ثم خرج قريب الأزدي وزحاف الطائي وهما ابنا خالة فقتلا رحمهما الله بحومة بني راسب عاجلوهما ولم يكونا تهيأ للخروج فرموهما من فوق البيوت ومن الأزقة فبعث عبيد الله بن أبي بكره إلى زياد بالكوفة إن كان لك بالبصرة حاجة فالعجل العجل فلما قدم قامت الخطباء على رأسه وعم عمران بن حطان وأبوه من الخطباء فرأيا عمران يريد السير معهما فعزم عليه أبوه أن يرجع وينزع ففعل ثم عاد فلم يشعر به إلا وهو يخطب على رأس زياد فقال الناس: هذا أخطب العرب لو مازج خطبته بكتاب الله قال فرجعت إلى كتاب الله فإذا به شاغل وهذا سبب توبته رحمه الله.

خروج أبي بلال

ثم خرج أبو بلال مرداس بن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وأصحابه وأدية جدته من محارب وقيل أمه، وسبب خروجه فيما ذكر في كتاب الإعلام أن زياداً قال على المنبر: لآخذن المحسن بالمسيء والحاضر بالغائب والصحيح بالسقيم فقام إليه رحمه الله فقال: ما هكذا ذكر الله إذ يقول: ﴿وَابْتَهِمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وذكر عبيد الله بن زياد البلجاء الخزامية

(1) سورة النجم، الآيات: 37 - 41.

من بني حازم بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وكانت مشهورة بالورع والزهد والنسك فلقى غيلان بن خرشة الضبي أبا بلال فقال له سمعت الأمير يذكر البلجاء فمضى إليها أبو بلال فقال: إن الله جعل لأهل الإسلام سعة في التقية فإن هذا الجبار المسرف ذكرك قالت: أكره أن يصل إلى أحد مكروه بسببي فإن أخذني فهو أشقى له وأخذها عدو الله فقال لها: إنك حرورية مخلوقة الرأس فقالت: ما أنا كذلك قال: لأرينكم منها عجباً اكشفوا رأسها فمنعهم فقال: لأكشفن أحسن بضعة منك قالت: لقد سترته حيث لم تستره أملك قال: إيه ما تشهدين علي قالت: شهد الله عليك ثلاث شهادات بقوله: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وشهدت على نفسك أن أولك لزينة وآخرك لدعوى فعض لحيته فقتلوها، فخرج أبو بلال في جنازتها قال: لو أعلم أنني أبعث على ما تبعث عليه لعلمت أنني أبعث سوياً على صراط مستقيم، وفي كتاب الإعلام أنه قطع يدها ورجليها وطرحها في السوق فمر بها أبو بلال فقال لهذه أطيب نفساً عن بقية الدنيا منك ما من ميتة أموتها أحب إليّ من ميتة البلجاء، وفي بعض النسخ البشجاء بشاء وألح عبيدُ الله في طلب المسلمين فأجمع أبو بلال على الخروج وقال لأصحابه أن الإقامة على الرضا بالجور للذنوب وأن تجريد السيف وإخافة الناس لعظيم ولكن نسير في أرض الله ولا نجرد سيفاً وإن أرادنا قومٌ بظلم امتنعنا منهم فقالوا له: أنت سيد المسلمين وبقيتهم فخرج في ثلاثين فلقاه عبدُ الله بن رباح عامل عبيدالله على الجسر وكان صديقاً لأبي بلال، وفي كتاب الإعلام كان فاضلاً فراودهم على الرجوع فأبوا فأتوا الأهواز فأصابوا أموالاً تحمل إلى ابن زياد فأخذوا عطيتهم وردوا الباقي فبلغ عبيدالله خروجهم فوجه إليهم أسلم بن زرعة في الفين قال يونس بن أرقم خرجنا في جيش نريد خراسان فدخلنا

ذَرَبَاسِك فِيهِ ثَلَاثَةُ أَخِيَّةٍ فَإِذَا هُوَ أَبُو بِلَالٍ فِي سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا فَقَالَ ابْنُ عَمِي السَّلَامُ عَلَيْكُمْ قَالُوا: وَعَلَيْكَ أَمِنْ هَذَا الْجَيْشِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ قِتَالَنَا قُلْنَا: لَا قَالَ: سَلِمَ لَكُمْ اللَّهُ ابْلُغُوا مِنْ لَقِيْتُمْ أَنَا لَمْ نَخْرُجْ لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَلَا نَقَاتِلَ إِلَّا مَنْ أَكْرَهْنَا عَلَى قِتَالِهِ وَلَا نَأْخُذَ مِنَ الْفِيءِ إِلَّا أَعْطَيْتَنَا فَبَلَّغَهُمْ أَسْلَمَ بَاسُكَ وَهُمْ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَقَالُوا لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّا لَا نَرِيدُ قِتَالًا فَمَا تَرِيدُ قَالَ: أُرِدْكُمْ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ قَالُوا يَقْتُلُنَا وَتُشَارِكُهُ فِي دِمَائِنَا قَالَ: نَعَمْ دِمَاؤُكُمْ حَلَالٌ وَهُوَ مُحَقٌّ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَانصَرْنَا عَلَيْهِ، قَالَ حَرِثُ بْنُ حِجَلٍ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ امْحَقْ وَهُوَ يَطِيعُ الْفَجْرَةَ وَيَقْتُلُ بِالظَّنَّةِ وَيَخْصُصُ بِالْفِيءِ وَيَجُورُ فِي الْحُكْمِ فَرَمُوا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُ قَالَ أَبُو بِلَالٍ جَاهِدُوا وَلَتَكُنْ إِلَى اللَّهِ رَغْبَتُكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا فَحَمَلُوا فَانْهَزَمَ وَكَادَ مَعْبِدٌ يَأْخُذُهُ فغَضِبَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَالَ لَأَنْ يَذْمَنِي ابْنُ زِيَادٍ حَيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَمْدَحَنِي مَيِّتًا وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ أَبُو بِلَالٍ: مَا تَرِيدُ قَالَ: أُرِدْكُمْ قَالَ: أَتَدْعُونَا إِلَى طَاعَةِ مَنْ يَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَيَأْخُذُ الْمَالَ الْحَرَامَ وَيَعْطِلُ الْحُدُودَ وَيُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ وَيَتَسَلَّطُ بِالْجَبْرِ وَيَقْتُلُ بِالظَّنَّةِ وَيَأْخُذُ عَلَى التَّهْمَةِ لَا يَقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذَرَةً قَالَ نَعْرِفُ مَا تَقُولُونَ وَلَكِنْ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ الطَّاعَةُ وَقِيلَ قَالَ: كَذَبْتُمْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالضَّلَالِ مِنْهُ، وَقَدِمَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَطِيَّةِ الْبَاهِلِيِّ مِنْ خُرَاسَانَ يَرِيدُ الْحَجَّ، قَالَ مَا هَذَا قِيلَ لَهُ الشَّرَاةُ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَانْتَشَبَ الْحَرْبَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ وَأَبُو بِلَالٍ يَتْلُو ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ...﴾⁽¹⁾ الْآيَةَ، فَأَسْرَوْا الْقَعْقَاعَ فَقَالَ: لَسْتُ مِنْ أَعْدَائِكَ وَإِنَّمَا غَدَرْتُ وَلَمْ أَعْلَمْ وَأَطْلُقْهُ وَرَجِعْ فَرَجَعَ يَقَاتِلُ فَحَمَلَ عَلَيْهِ حَرِثُ وَكَهْمَسُ فَأَسْرَاهُ فَقَتَلَاهُ فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ

(1) سورة الشورى، الآية: 20.

صلاة الجمعة ناداهم أبو بلال أنكم في يوم عظيم فدعونا حتى نصلي
وتصلوا فأجابوهم فلما دخلوا في الصلاة حملوا عليهم فقتلوهم بين راع
وساجد وقائم وقاعد . . .

ذكر طبقة التابعين

[أبو بلال]

أبو بلال وأخوه عروة وبعض أصحابه ممن حضر صفين وكان مع أهل النهر وله في العلم والورع والديانة والشجاعة هو وأخوه الأمد الأقصى ولكل منهما فضائل لا تحصى لا تأخذهما في الله لومة لائم، ومن شجاعته أن غيلان بن خرشمة ذكر أصحابه عند ابن زياد فلما خرج لقيه فقال قد بلغني ما كان منك يا غيلان ما يؤمنك أن يلقاك رجل احرص والله على الموت منك إلى الحياة فينفذك برمحه فقال: لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة، ومر على فرسه ينادي قومه فوقف وسلم فقال شاب منهم فرسك حروري قال: وددت والله لو وطأت بطنك في سبيل الله فمضى وقال الفتى لأصحابه أني مقتول فمشوا إليه بالفتى فقالوا: اصفح عنه فصفح عنه وقال: إذا كنت في مجلس فاحبسن حملان رأسك ومن خوفه أنه جاز مع صاحب له على الحدادين فسقط مغشياً عليه ولم يزل صاحبه يرشه بالماء حتى أفاق ثم سارا فاستقبلتهما امرأة جسيمة عليها زينة عظيمة فغشي عليه فلم يزل يرشه حتى أفاق ورأى رجلاً فغشى عليه فرشه حتى أفاق فقال: ما هذا الذي أرى قال: أما أولاً فمعينة النار والثاني تفكرت كيف تقلبها في النار مع الجسامة والحسن وأما الرجل فكثير ما أراه يشهد مجالس المسلمين فرجع إلى ما رأيت من الهيئة والغلمان والنزهة فاستعدت من سوابق الشقا، ومن تورعه هو وأصحابه أنهم يبيعون حلى

سيوفهم من الحاجة وأبوا أخذ المال إلا من له عطاءً وقد تقدم، ومن كراماته ما قال سفيان قال أخبرني أبو العلا بن الشهيد رجل من حجة البيت عن آبائه قال: إني لفي الطواف في ليلة صاحية قمراء فإذا برجل تحت الميزاب يدعو الله ويرغب إليه فبينما هو كذلك إذ لحَّ فقال: اللّهم حاجتي فكرر فسمعه أهل الطواف قالوا: اللّهم اقض حاجته قال: اللّهم إن كنت رضية ما أريد فأرني من ذلك علماً فقال فقطرت عليه من الميزاب قطرات فلما أحس بالماء انساب في الناس فإذا هو أبو بلال، قال أبو سفيان لما حضر خروجه اجتمع هو وأصحابه في بيت لبني تميم قال: فدعوا الله ورغبوا إليه أن يجعل لهم علامة إن رضي خروجهم قال: فانشق سقف البيت حتى نظروا إلى السماء روى أبو سفيان عن قرة بن عمران أتى بني تميم يسأل عن البيت فإذا هو مشهور فيهم فرأته وكثيراً ما يخرج إلى ساحة الدار بليل ويقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾⁽¹⁾ ويقول لأصحابه: عرضت نفسي على الله فلم أره يقبلني، أبو سفيان قال دخل هو وجابر على عائشة أم المؤمنين فعاتبها مما كان منها يوم الجمل فتأبّت واستغفرت مما كان منها، وكان أبو بلال يفارق جابراً من بعد ما يصلي العتمة إلى آخر الليل مع بعد ما بين منزليهما فيقول له: ارفق بنفسك أو كلام مثل هذا فيجيب بأنه لا يقدر على مفارقتها.

[عروة أخو أبي بلال]

وأما عروة فهو أول من قال: لا حكم إلا الله وسل سيفه وضرب عجز دابة الأشعث وأحضره زياد وسأله عن الخلفاء الولاة ثم سأله عن نفسه فقال: أولك لزنية وآخرك لدعوى وأنت عاص لربك فأمر به

(1) سورة التوبة، الآية: 46.

فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال له: صف لي أموره وأوجز قال: ما أتيت به بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشاً بليل قط فقال: إذا قتلناه صالحاً، وبقي في حفطي قديماً أن ابن زياد لما صلب عروة عاين الحرس النور عليه فكذبهم فخرج فعاين فتركه ودفنه المسلمون وسال غلامه، وفي كتاب الإعلام أن ابن زياد خرج في رهان فقال له عروة: خمس كن في الأمم قبلنا وقد صرنا اليوم فينا تبون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين وخصلتان لم يحفظهما الراوي فترك رهانه وطلبه ابن زياد وقدم به عليه وقطع يديه ورجليه ثم قال له: ما رأيت قال: أفسدت دنيائي وأفسدت آخرتك فقتله وقتل بنيه، وقيل لما قتل ابن أخضر أرسل إلى ابن زياد من الكوفة إلى ابن أبي بكرة لا تدع أحداً ممن يذكر بهذا الرأي وأوتي بعروة فكفله ابن أبي بكرة فلما قدم ابن زياد قتل من في السجن وتغيب عروة وقال ابن زياد للكفيل: لئن لم تأت به لأقتلنك فأوتي به من سرب يعبد الله فكتب الكاتب في شرب فقراً في شرب قال ابن زياد: كذبت وصحفت يا ليتة ممن يشرب قال له بعد محاورة لأمثلن بك قال: اختر لنفسك من القصاص ما شئت، وابن أخضر لما رجع بعد غدر أبي بلال في الصلاة وأصحابه اتفق عبدة بن هلال مع ثلاثة من أصحابه فقتلوه في يوم الجمعة فنجا عبدة بن هلال، ومن أمانة أبي بلال أن ابن زياد سجنه في جماعة من المسلمين فرأى السجنان اجتهداه فقال: إن تركتك بقيت عند أهلك أترجع، قال: نعم فأتاه الخبر عند أهله أن ابن زياد أراد قتلهم غداً فرجع أبو بلال إلى السجن بعد أن قال له أهله اتق الله في نفسك قال: أتريدون أن ألقى الله غادراً وقال للسجنان: قد علمت رأي صاحبك، قال: أعلمت وجئت قال: نعم فقتل ابن زياد من في السجن فأخبره السجنان بفعله فأطلقه رحمه الله.

[حريث بن حجل السدوسي]

ومن أصحابه حريث بن حجل السدوسي وهو الذي طلبوه أن يؤمر عليهم فأبى وقال: لا ألي على رجلين أبداً وقد سمعت ما قيل يؤتى بالإمام يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه حتى يفكه عدله أو يوثقه جوره، وسأل الهيثم أمين بن سماعة أبو بلال أفضل أم حريث فقال ما كنت أرى أن أعيش أو أبقى في قوم يشكون في فضل حريث.

[كهمس بن طلق الصريمي]

ومنهم كهمس بن طلق الصريمي وليس له أهل إلا أمه وكان عابداً زاهداً من خيار المسلمين وقال لأمه خرج أبو بلال وحريث وحويص أبو الشعثاء ولا في العيش بعدهم خير فقالت: مالي غيرك قال: أكره الخروج وأنت ساخطة قالت: وهبتك الله فخرج.

[حويص أبو الشعثاء]

ومنهم حويص أبو الشعثاء وكان فاضلاً تقياً وإليه يفزعون في المهمات وقد قيل له ألا تقبل منا هذا قال انطلقوا إلى كهمس فإني والله ما رأيت رجلاً من المسلمين يعدله.

[غسان]

ومنهم غسان وله بنات وقد همَّ بالرجوع لأجلهن فقال له حويص: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁽¹⁾ وهو والله خير لبناتك منك وفي حظي طلبت إحداهن أن تشرب ليلة فسكت عنها فقامت أختها فسقتها فتيقن أن الله نعم المتكفل.

(1) سورة هود، الآية: 6.

[شيبان]

ومنهم شيبان وجاء إلى البصرة يطلب إرثاً فصادف خروج أبي بلال فاختر ما عند الله على عرض الدنيا.

[أبو العباس بن عبد القيس]

ومنهم أبو العباس بن عبد القيس وهو الذي أرسلوه إلى ابن أخضر يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فدعاهم إلى طاعة ابن زياد.

[أبو عمران عون]

ومنهم أبو عمران عون وهو الذي ضرب برمح فمشى في الرمح إلى طاعنه فقتله فقال: إن ربي أرضيت.

[أبو عمر بن عقيل وآخرون]

ومنهم أبو عمر بن عقيل ويزيد ومعاذ بن ضيبان ويهس والمغيرة رحمهم الله وذكرهم عمران بن حطان في قصيدته جمعهم فيها.

ومنهم جابر بن زيد الأزدي رحمه الله بحر العلم وسراج الدين أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه اطامه صاحب ابن عباس رضي الله عنه وكان أشهر من صحبه وقرأ عليه، وفي الطبقات ذكر أبو طالب مكي في كتاب قوت القلوب «إن ابن عباس قال اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه» وفيه قال إياس بن معاوية رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد، وعن الحصين عن حيان قال: سمعت ابن عباس في المسجد الحرام يقول: جابر بن زيد اعلم الناس بالطلاق وعن الحصين بن حيان قال: لما مات جابر بن زيد فبلغ موته أنس بن مالك فقال: مات اعلم من على ظهر الأرض أو قال: مات

خير أهل الأرض، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جابر بن زيد أعلم الناس، وعنه قال عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه، أبو سفيان كان جابر بن زيد يحج كل سنة فلما كان ذات سنة بعث إليه عامل البصرة أن لا تبرح العام فإن الناس يحتاجون إليك فقال: لا أفعل فسجنه فلما كان غرة ذي الحجة جاءه الناس فقالوا: أصلحك الله قد هل هلال ذي الحجة قال فأرسله فخرج من السجن فأتى منزله وناقته حوله في الدار قد كان هيأها للخروج فأخذ يشد عليها الرحل ويقول: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾⁽¹⁾ يا آمنة أعندك شيء قالت: نعم فهيأته في جرابين فقال من سألك فلا تخبريه بمسيري يومي هذا فخرج من ليلته وانتهى إلى عرفات والناس بالموقف فضربت بجرانها الأرض وتجلجلت فقال الناس: ذكها ذكها قال حقيق لناقة رأت هلال ذي الحجة بالبصرة أن لا يفعل بها هذا ثم سلمها الله تعالى وقد كان سافر عليها أربعاً وعشرين مرة بين حج وعمرة، أبو سفيان أصاب الناس على عهد جابر بن زيد ظلمة وريح ورعد ففزعوا إلى المساجد فخرج أبو الشعثاء إلى بعض المساجد فجلس يذكر الله والناس في تضرع وضجة فلما انجلت أخذ الناس ينصرفون إلى أسواقهم ومنازلهم فدعا من كان قريباً منه فقال: ما كنتم تظنون هذا الأمر قالوا: خفنا أن تكون القيامة قامت قال: وإنما خفتم طي الدنيا والإفضاء للآخرة قالوا: نعم قال: خفتم أمراً عظيماً فحق عليكم أن تخافوه ثم قال: أين تذهبون الآن قالوا: إلى منازلنا قال لقد خفتم أمراً عظيماً ففزعتم إلى الدعاء ولو جاء ما خفتم لم يغن عنكم ما كنتم فيه شيئاً فالآن إذ رد الله عليكم دنياكم فاعملوا حين قبول العمل

(1) سورة فاطر، الآية: 2.

فأما ما كنتم فيه فلو كان الأمر كما خفتموه لم يغن عنكم دعاؤكم من الله شيئاً، أبو سفيان دخل جابر وأبو بلال على عائشة فعاتباها على ما كان منها يوم الجمل فاستغفرت وتابت قال ودخل جابر عليها فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها أحدٌ عنها حتى سألها عن جماع رسول الله ﷺ كيف كان يفعل وأن جبينها يتصبب عرقاً وهي تقول سل يا بني ثم قالت له: ممن أنت قال: من أهل المشرق من عمان فذكرت له شيئاً لم أحفظه إلا أنني أظنها قالت إن النبي ﷺ ذكره أو نحو هذا قال ورأى رجلاً من الحجة يصلي فوق الكعبة فقال: من المصلي لا قبله له وكان ابن عباس في ناحية المسجد فسمع قوله أو أخبر به فقال: إن كان جابر في شيء من البلد فهذا القول منه، قال ودخل ثابت البناني على جابر حين احتضر فقال: هل تشتهي شيئاً قال: إني لأشتهي أن ألقى الحسن البصري قبل أن أموت فخرج ثابت فأعلمه بقول جابر وكان مستخفياً من الحجاج فركب بغل ثابت على السرج وركب خلفه ثابت بطيلسانه فلما دخل على أبي الشعثاء وهو مضطجع انكب الحسن عليه وهو يقول: قل لا إله إلا الله فرفع جابر عينيه وهو يقول: أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار فقال له: قل لا إله إلا الله فقال: أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار ثم قال: يا أبا سعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَئِنْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾⁽¹⁾ فقال الحسن هذا والله الفقيه العالم ثم قال: يا أبا سعيد أخبرني عن حديث ترويه عن رسول الله ﷺ في المؤمن إذا حضرته الوفاة فقال قال ﷺ: إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده برداً فقال جابر: الله أكبر اللهم إني أجد برداً على كبدي ثم قبض رحمة الله عليه، قال مر رجلان من

(1) سورة الأنعام، الآية: 158.

المسلمين وأبو الشعثاء قاعد في سقيفة باب داره ولم يرياه فلعلنا رجلاً قال: لعن الله من لعنتما فقالا: ما علمنا بمكانك وكيف تلعن رجلاً لم يثبت عندك أمره قال: وأي تثبيت أثبت منكما وقد اجتمعتما على لعنه، قال خرجت آمنة زوجة جابر إلى الحج ولم يخرج تلك السنة فلما رجعت سألها عن كريها فذكرت سوء الصحبة وأثنت ثناء قبيحاً فخرج إليه وأدخله داراً واشترى لإبله علفاً وعولج له طعام واشترى له ثوبين كساه بهما فدفن له ما كان مع آمنة من قربة وأدوات وغير ذلك فقالت: أخبرتك بسوء الصحبة ففعلت ما أرى فقال أفكافئه بمثل فعله فنكون مثله لا بل نكافئه بالإساءة إحساناً والسوء خيراً، قال: شاورته امرأة على جاريتها يخطبها رجل قال: لا تزوجيه فعادت فقال: لا فقال لها الخاطب: إن لم تزوجينها أوقعتها حراماً قال زوجيه الآن فهذا خوف العنت، قال أبو سفيان كان جابر خاصاً بيزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فوفد عليه مرة فأدخله على الحجاج فقال: أقرأ قال: نعم قال: أتفرض قال: نعم فعجب به قال: لا ينبغي أن نؤثر بك أحداً نجعلك قاضياً للمسلمين قال جابر: أنا أضعف عن ذلك قال: وما بلغ ضعفك قال: يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما قال إن هذا لهو الضعف قال: فهل لك من حاجة قال: نعم قال: وما هي قال: تعطيني عطائي وتدفع عني المكروه قال الحجاج: هذا لا يستقيم أنعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم قال فقال يزيد بن أبي مسلم: ها هنا خصلة تخف عن الشيخ وفيها عون للمسلمين تجعله في أعوان صاحب ديوان البصرة قال كذلك فلما خرجا قال جابر ما صنعت شيئاً أتراني أكون عوناً لصاحب الديوان فقال يزيد: أنا أكتب لصاحب الديوان أن لا يكلفك مؤنة ويعطيك عطاءك كاملاً وكان عطاؤه سبعمائة أو ستمائة وكان في ديوان المقابلة قال وكان يزيد شديد الحب لجابر فخرج إليه

ذات مرة إلى واسط في يوم جمعة فلما تغديا دعا يزيد جارية له فجاءت بغالية قفلت بها رأس جابر ولحيته فقال: يا غلام اسرج البرذون لأبي الشعثاء قال: اعفني من البرذون قال: فالبغلة قال: نعم فخرج فقال للغلام: قف لي عند باب المسجد بموضع سماه له وأخذ على دجلة ونزل وغسل رأسه ولحيته ودلكها دلكاً شديداً يقول: اللهم لا تجعل حظي منك منزلتي عند هؤلاء القوم ثم جاء إلى المسجد فلما حضر خروج جابر تنافست امرأتا يزيد في زاده فصنعتا له شيئاً كثيراً وكان معه عمارة بن حيان فلما ركبا السفينة قال لعمارة: لا تدع أحداً من أهل المركب يفتح زاده فلما انتهى إلى البصرة قال: بقي جرابان أحملهما إلى الصبيان قال: صبهما على ظهر السفينة واطعم ملاحيك وادع المساكين وادفع إليهم ما بقي، قال وقع في نفس الحجاج شيء من أمر القدر فشكا ذلك إلى يزيد فكتب إلى جابر فأجابه قل للأمير يكثر ترديد خطبته فإن فيها بيان ما سأل عنه فرددها مراراً كل ذلك لم ينتبه ثم بعد ذلك انتبه فقال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىُّ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَكَأْ هَادِىٍّ لَهُ﴾ قال ويحك يا يزيد ما أعلم صاحبك، قال: أتى جابر الجمعة فتلقى الناس خارجين عنها فشق عليه ذلك فقال: اللهم لك عليّ أن لا أعود، قال أبو سفيان: أرسلت عاتكة بجزور إلى جابر فأمر العنبر أن ينحرها ويجزئها بين جيرانه وأن يرسل إلى أهله فأطاب وأكثر في جزء أبي الشعثاء فقال: أكل جيراننا أصاب مثل هذا قال: بلى ولكن أطبنا هذا لأهل البيت قال: وا سواتاه لا تفعل ساو بيننا وبين جيراننا، قال: أتى شاب أبا الشعثاء فقال: أي الجهاد أفضل قال: قتل خردلة والشاب لا يعرفه فأراه إياه رجل من المسلمين في المسجد ووضع يده عليه لئلا يخطأه فضربه بين كتفيه ضربة بخنجر قد سمه وأخذ فقال له الوالي قد علمت أنك لم تفعل هذا من نفسك وإنما أمرت فدلني على من أمرك ومناه فقال دع

عنك هذا فقتله وكان خردلة سعى بجماعة من المسلمين فقتلوا، قال خرج ابن لجابر وهو قاعد على باب داره فقبله ومسح رأسه فقال لجلسائه: أتروني أحبه قالوا: أجل قال صدقتم والله أني لأحبه وما من نازل ينزل به أحب إليّ من الموت ينزل به وبإخوته ثم ينزل بي ثم بآمنة قالوا: فآمنة أعز عليك من ولدك قال ما هي بأعز عليّ منهم ولكن لا أحب أن أبقى في الدنيا يوماً واحداً عازباً وكان كما تمنى، قال أبو سفيان نفى الحجاج جابراً وهبيرة جد أبي سفيان إلى عمان وقال كانت جدة أبي أم الرحيل عم أبي وجدي العنبر فأتيا أبا الشعثاء فقالا: أمنا لا تطبيق الصوم قال: صوما عنها فصام عنها الرحيل فأتياه في العام القابل فقالا، أم الرحيل لا تطبيق الصوم قال: فأطعما عنها فأطعم عنها العنبر، قال قال جابر بن زيد: ليس للعالم أن يقول للجاهل اعلم مثل علمي وإلا قطعت عذرك وليس للجاهل أن يقول للعالم ارجع إلى جهلي وضعفي وإلا قطعت عذرك وإذا قال العالم ذلك قطع الله عذر العالم وإذا قال الجاهل ذلك قطع الله عذر الجاهل، قال قال ضمام كان جابر يأتي الخوارج فيقول لهم: أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين فيقولون: نعم، وحرم الله البراءة منهم بدين فيقولون: نعم فيقول: أوليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين فيقولون: بلى فيقول وحرم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها بدين فيقولون: نعم فيقول: هل أحل ما بعد هذا بدين فيسكتون، قال قال جابر لامرأة من المسلمين إني أحبك فافترقا فتفكر في قوله لها: إني أحبك فرجع إليها فقال في الله قالت: وما تظن أني حملت ذلك على غير الحب في الله أي والله في الله، قال لما مات جابراً أتى قتادة قبره وهو أعمى إذ ذاك فقال ادنوني من قبره فوضع يده على قبره فقال اليوم مات عالم العرب، قال طلع أبو الشعثاء فإذا برجل من الأكارين يبكي ويمسح دموعه قال مالك: ويحك قال

صبيان در بكم هذا نزعوا مني قنوين جئت بهما إلى صاحب الأرض فأخاف أن لا يصدقني فبعث جابر إلى بعض أصحابه له نخل فأخذ قنوين فبعث بهما إليه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي سنة ست وتسعين وكان أعلم الناس أروع الناس وأعبد الناس استضاء بنوره جماعة عظيمة وأخذ عنه ناس كثيرة وكان مجاب الدعاء قال سألت ربي امرأة مؤمنة وراحلة صالحة ورزقا كفافاً فأعطانيهن.

[عبد الله بن أباض]

ومنهم عبد الله بن أباض المري التميمي إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولى التفريق سلك بأصحابه محجة العدل وفارق سبل الضلالة والجهل وكان رحمه الله على ما حفظت ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من مسلم عامل يزيد الملقب بمسرف وكان كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد وله مناظرات مع الخوارج وغيرهم.

[عمران بن حطان]

ومنهم عمران بن حطان الشيباني تقدم سبب توبته وكان ورعاً صالحاً شاعراً خطيباً عالماً وأشعاره كثيرة وتغيب من الحجاج فانتقل في القبائل حتى نزل بروح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان فانتمى له من الأزد وكان مسامراً لعبد الملك وكان لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك إلا سأل عنه عمران فيجده عنده ويزيده ما ليس عنده فذكر ذلك لعبد الملك فحدثه ببعض أخباره وإنشاده فقال عبد الملك اللغة عدنانية وأظن صاحبك عمران بن حطان فتذاكرا ليلة:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأعلمه يوماً وأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

ولم يعرفا لمن هما فسأل عنهما عمران فقال لعمران بن حطان فأخبر عبد الملك بذلك صاحبه عمران فجيء به فقال له روح إن أمير المؤمنين أحب أن يراك فقال عمران أردت أن أسألك ذلك فاستحييت فامض فإني بالأثر فأخبر عبد الملك بذلك فقال: إنك سترجع فلا تجده فخرج من عنده وخلف له رقعة فيها أبيات ونزل بزفر بن الحارث الكلابي فانتسب له أوزاعيا وكان يطيل الصلاة وكانت غلمان بني عامر يضحكون منه فسلم عليه رجل يعرفه عند روح بن زنباع فسأله زفر من يكون فقال من الأزدي رأيت ضيفاً عند ابن زنباع فقال له زفر: يا هذا أزديا مرة وأوزاعيا مرة أخرى إن كنت خائفاً أمناك وإن كنت فقيراً أجزيك فلما أمسى خلف في منزله رقعة فيها أبيات منها:

إن التي أصبحت يعيى بها زفر أعيت عياء على روح بن زنباع

ثم ارتحل حتى نزل عمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال ويظهرونه فنزل فيهم وأظهر أمره فبلغ ذلك الحجاج فكتب فيه إلى عمان فهرب فنزل بقوم من الأزدي فلم يزل فيهم حتى مات رحمه الله وقال في ذلك:

نزلنا بحمد الله في خير منزل نسراً بما فيه من الأنس والفخر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم وليس لهم فعل سوى المجد يعتصر

في أبيات ومنهم الوليد جد حمزة بن عنبسة وهو رجل من عبد قيس، قال أبو سفيان كان من خيار المسلمين ومن بقية أصحاب أبي بلال قال وكان عنبسة وحمزة فاضلين وأدركت عنبسة شيخاً كبيراً قال لما أخذ ابن الأزرق في الخروج أخذ له خيلاً وسلاحاً من نحو أربعة

وعشرين ألف درهم فلما أحدث ابن الأزرق ما تبرأ منه المسلمون به ورفضوه ورجعوا عنه سقط في يد الوليد وكان ذو جاه خرج إليه وأخبره خبر المال فتبسم وقال: صرنا إلى غير ما تعرف فقال الوليد لا أجد قضاها فجاءه جمل مال ودفعه إلى الشيخ فلما قرب من البصرة وجد به فضلاً على ماله وسقط في يده وكره أن يرده فلقية عمران بن حطان فأخبره الخبر فقال عمران: إني أطالبه بأربعة آلاف فدفع إليه ما فضل من حق القوم.

[جعفر بن السماك]

ومنهم جعفر بن السماك العبدى رحمه الله شيخ الصيانة والنزاهة المشهور في الورع والعلم والنباهة له الكعب العالي بين الفضلاء والنصيب الأوفى بين الأتقياء، قال أبو سفيان كان معلم أبي عبيدة وما حفظ عنه أكثر مما حفظ عن جابر قال وفد هو والحباب بن كليب وسالم الهلالي في جماعة إلى عمر بن عبد العزيز فدخلوا عليه فكلموه فقال لهم: هل تنكرون من أمر الأحكام شيئاً فكلما كلموه فزع لهم إلى الأحكام فعاتبوه وذكروا أمر عثمان فأخذ يعذره ويريد أن ينصرفوا عنه وضرب الحباب على ركبته وقال: وإنك لهاهنا تعذر الظلمة وتفعل فقال له: امسك يدك يا عبد الله وكان جعفر ألطفهم به وقال ما فيكم أرفق من الأشج فأجابهم عبد الملك ولد عمر وقبل منهم ما دعوا إليه أباه وكان عبد الملك فاضلاً متقياً دخل عليه رجال من بني أمية فقال بعضهم سمعت أمير المؤمنين يقول: إذا صليت الظهر ناديت في الناس بالصلاة جامعة فيأمر كل من له مظلمة عنده أو عند أحد بنيه أو غيرهم من الناس فهي مردودة عليه لئن فعل لهلاك أهل البيت قال له عبد الملك: بئس

والله بداخل وبئس المحضر حضرته فدخل على أبيه نصف النهار فقال: رأيت باباً من العدل وأردت أن تنام عنه قبل أن تنفذه ولا تدري ما يحدث عليك في نومك قال: بارك الله فيك من ولد ثم توضأ فخرج فنادى الصلاة جامعة فقال من كانت له مظلمة فحصي مردودة عليه عند من كانت فمات عبد الملك قبل أبيه فدعا الحباب وجعفر وأصحابهما فولوا أمر صاحبهم فلما أخذوا في غسله دخل عمر فغشى عليه ووقع فرفع فقال له بعضهم: يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الناس وعزوك وحدثوك فخرج فغسلناه وكفناه وصلى عليه أبوه وكتب إلى عماله أن لا يقام عليه مأتم، وسئل جعفر عن عمر فقال مثل الحسن بن الحسن أبي البصري.

ومنهم الحباب وسالم الهلالي وتقدم الكلام عليهما.

[صحار العبدي]

ومنهم صحار العبدي قال أبو العباس كان ممن يدعو إلى الله على بصيرة ويده في العقائد طويلة، قال أبو سفيان قال صحار في القدرية كلموهم في العلم فإن أقروا به نقضوا وإن أنكروا كفروا وكان أحد شيوخ أبي عبيدة، قال أبو سفيان أكثر ما حمل أبو عبيدة عن جعفر بن السماك وعن صحار وكان من أئمة المسلمين وقاداتهم.

[هبيرة جد أبي سفيان]

ومنهم هبيرة جد أبي سفيان محبوب بن الرحيل بن العنبر بن هبيرة وكان فاضلاً تقياً، قال أبو سفيان وكان الحجاج نفى جابراً وهبيرة إلى عمان.

[الأحنف بن قيس]

ومنهم الأحنف بن قيس التميمي السعدي يكنى أبا بحر واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم أدرك النبي ﷺ ولم يره ودعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم اغفر للأحنف» وهو أحد الجلة الحكماء الدهاة الحكماء العقلاء معدود في كبراء التابعين وتوفي سنة سبع وستين ومشى مصعب بن الزبير في جنازته وأخباره كثيرة وهو الذي قال لمعاوية على يزيد حين أراد أن يأخذ له البيعة انظر من تشيد إليه عهدك ومن توليه الأمر من بعدك واعص رأي من يشير عليك ولا ينظر وله أخبار مع عليّ ومع عبيد الله وزيد وغيرهم كثيرة.

[إياس بن معاوية]

ومنهم إياس بن معاوية، قال أبو العباس به تضرب الأمثال في الذكاء وتحري الصواب في القضاء، قال إن والي البصرة جمعه والقاسم ابن ربيعة بأمر من عمر بن عبد العزيز لينظر أصلحهما للقضاء فيقدمه فقال إياس: سل عني وعنه فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فقال القاسم: لا تسئل أحداً واسمع مني قال قل فحلف يميناً مستوفاة جامعة لمعاني الحلف أن أياساً لأصلح للحكم مني فإن صدقتني فقدمه وإن كذبتني فلا يحل لك أن تقلد الحكم بين المسلمين من يبارز الله تعالى بمثل هذا اليمين الكاذبة فقال إياس لا تسمع منه أتيت به إلى شفير النار فافتدى منها بيمين يكفرها ويستغفر الله، قال الوالي أولست فطنت لها وقلد إياساً الحكم وله مآثر قد عمرت بها الدفاتر.

[أبو روح تبرح]

ومنهم أبو روح تبرح على وزن المضارع في بعض النسخ بالتاء وبعضها بالياء ومازن، قال أبو سفيان حدثني يسار وهو من خيار من أدركت عن والدته وهي بنت ثمانين سنة قالت: أدركت أخوين من بني راسب يقال لأحدهما تبرح والآخر مازن ابنا كنان وكانا من خيار من مضى من أهل هذه الدعوة وكانا نظيري أبي بلال وأخيه عروة رحمهم الله وكانا في زمانهما فأما تبرح فكان عابداً مصلياً لا يفتر من العبادة حتى دبرت ركبتاه ويداه ورجلاه وجبهته كدبر البعير وكان قد اتخذ سرباً في الأرض يعبد الله فيه.

قال أبو سفيان قال يسار أدركت سربه ذلك وحضرته الوفاة وقعد مازن عند رأسه فأفاق فقال: أين تراها تذهب يعني نفسه قال: نحو الذي كانت تعبد فلما حضرت الوفاة مازن صاحت بناته فقال: يا بناتي لا تبكين عليّ إن أباكن عن ساعة هو الباكي أو الضاحك، قال قال يسار عن والدته: إني كنت في مجلس من مجالس المسلمين يذكرون إذ دخل رجل متقنع بثوبه فجلس وهم لا يعرفونه فلما فرغ المتكلم قام فقال: إني أخبركم بما رأيت عيني وسمعت أذني أو عن خبر من رأى وسمع واقتص الفتن المتقدمة واحدة بعد أخرى ونبه على من أنجاه الله تعالى منها، قالت: فما رأيت أحداً في مجلس من مجالس المسلمين يتكلم قائماً قبله ولا بعده فإذا به مازن وهذا كاف في ذكر أئمتنا وقادتنا من هذه الطبقة أعني التابعين..

طبقة تابعي التابعين

[أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة]

منهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي كان مولى فيهم كان أعور وشهر بالقفاف توفي في ولاية أبي جعفر بعد وفاة حاجب رضي الله عنهما .

تعلم العلوم وعملها ورتب روايات الحديث وأحكمها وهو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه ويزدحم لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه وقد اعترف له بحوز قصب السبق في العلوم واعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما هو عليه من الاتساع وكان رحمه الله يضعف أمر الشفعة ويقول: لا تحبس على يتيم ولا غائب فابتلى بها رجل من أصحابه فجاءه يسأله فقال: اذهب فاسأل أشياخ البصرة هل لجابر فيها ذكر فأخبر أن جابراً يوجبها فأخذ بقول جابر، قال أبو سفيان بعث عبد الله بن الحسن إلى أبي عبيدة وإلى جماعة المسلمين حين أراد الخروج فتشاوروا فتكلم برأيه فاتفق رأيهم أن يبعثوا إليه صالح بن كثير وقد قال لهم إني على دينكم وكان من متكلمي المسلمين ألا أنه أحدث أشياء قلاه المسلمون عليها، فقال أبو عبيدة: إن هذا ليس برأي أترون رجلاً يخاف على نفسه ويطلب الملك ألا يعطيكم كل ما سألتموه وإذا طأوعكم على ما تدعونه إليه قال: أنا مقر بدعوتكم ولكن الناس إليّ

أسرع وأنا أحق فما عسى تقول له يا صالح وقد صدق فإن أراد الدين كما يزعم فليلحق بصاحبنا بحضرموت عبد الله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت ففرق جماعتهم وأفسد رأيهم، قال أبو سفيان قيل لأبي عبيدة ما يمنعك من الخروج ولو خرجت ما تخلف عنك أحد قال ما أحب ذلك ولو أني فعلت ما أحببت ولا أحب أن أقيم ما بين الظهر والعصر مخافة الأحكام، قال أبو سفيان كان أبو عبيدة يتخذ جوارب يصلي فيها يتقي بذلك أن يصيب مذاكيره مواضع الوضوء من رجله فبلغ ذلك حيان الأعرج فقال لقد أشقانا الله في ديننا إن كان الأمر كما يقول أبو عبيدة، قال أبو سفيان عن من حدّثه أن أبا عبيدة قدم مكة ومعه امرأة من المهلبيات وهي جدة سعيدة أو عمّتها فلما فرغا من حجّهما قالت له أريد المقام بمكة قال لها الخروج أفضل، قال الراوي فقلت: وأنا أخرج معكم قال: أنت فأقم فقلت: تأمر هذه بالخروج وتأمرني بالإقامة قال: لأنك قريب من مكة ونحن بعيد منها أنتم قريب من خيرها يعني الطواف وبعيد عن شر أهلها كأنه يكره المقام فيها للتجارة، قال أبو سفيان شهد رجلان على شهادة أبي عبيدة عند قاضي البصرة قال المشهود عليه أصلحك الله إنما شهدا على شهادة فلان قال: ويحك أنا به عارف ولو جاز لي أن أحكم بشهادة رجل واحد لحكمت بشهادته، قال أبو سفيان أتى حمزة الكوفي أبا عبيدة ليذاكره في أمر القدر فخرجنا إلى منزل حاجب فتناظرا كثيراً وآخر ما سمع من أبي عبيدة يا حمزة على هذا فارقت غيلان فخرج فكلّمه حاجب وكان هيّبه من حاجب أعظم من هيّبه من أبي عبيدة فقال حمزة: إنما أخذت هذا القول عن المسلمين فقال له حاجب: لم تدرك أحداً إلا وقد أدركته إلا جابر فعن من أخذته، فقال عنك فقال حاجب: إني أرجع عنه فارجع عنه كما رجعت عنه، فقال ارفق بي واقبل ما أقول ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ

سَيِّئَةٌ فَمِنْ نَفْسِكَ⁽¹⁾ فالحسنة من الله والسيئة من العباد وأقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽²⁾ فقال له: أما هذه الكلمة فمقبولة من غيرك وأما منك فأنا أعرف مذهبك فيها أولاً فخرج فسئل عنه حاجب فقال: ارفقوا بحمزة ثم بلغهم بعد مدة أنه مشى إلى النساء والضعفاء فكلّمهم، قال فأمر أبو عبيدة حاجباً فجمع له الناس قال فتكلّم المتكلمون ثم تكلم حاجب فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن حمزة وعطية أحدثا علينا أحداثاً فمن آواهم أو أنزلهم أو جالسهم فهو عندنا الخائن المتهم فتفرق الناس وطردها من المجلس، قال أبو سفيان وهجره أبو عبيدة وأمر بهجراني وهؤلاء الفتيان يقولون: أراد وشاء وأحب ورضي عنهم وهو يدينهم ولا يقول بمثل قولهم، فقال أبو عبيدة: هؤلاء أرادوا إثبات القدر فعلوا فيه وحمزة يريد إزالته وليس مثبتة كمزيله، وقيل لأبي عبيدة هل يستطيع الكافر الإيمان فقال: من يستطيع أن يأتي بحزمة حطب من حل إلى حرم يستطيع أن يصلي ركعتين ولا أقول يستطيع ذلك إلا بتوفيق من الله، وسأله جماعة من الفتيان على من كان على دين عيسى ولم يبلغه أمر النبي ﷺ فدعا رجلاً من المجوس فأجابه فانظر فيها قال فما تقولون قال الداعي مسلم والمجيب كافر، قال فهل يدعو إلى طاعة الله ودينه قالوا: نعم، قال: وكيف يكون الداعي إلى طاعة الله مسلماً والمجيب كافراً فرادوه الجواب فبرىء منهم فخرجوا من عنده منكسرين فأتوا حاجباً فقالوا: اغثنا قد عجل علينا بالبراءة إنما أردنا أن نستفهمه فأخبره بتوبتهم فقال: فليأتوا الربيع وعبد السلام بن عبد القدوس

(1) سورة النساء، الآية: 79.

(2) سورة البقرة، الآية: 286.

فليخبراهما بتوبتهم فقال: ففعلوا وأمر بهم وأدخلوا المجالس، قال أبو سفيان اجتمع ابن أبي الشيخ البصري وأبو عبيدة بمنى فقال لأبي عبيدة: هل أجبر الله أحداً على طاعة أو معصية فقال: لا ولو قلت ذلك لكان تخويفه لهم وترهيبه إياهم فقال: فالعلم هو الذي قاد العباد إلى ما عملوا قال: لا ولكن سولت لهم أنفسهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فكان منهم ما علم الله، قال أبو سفيان اشترى رجلاً غلاماً فبرىء إليه البائع من الرمد وبرىء من الرمد وخلف في عينيه بياضاً فسالأ نخاساً بأمر أبي عبيدة فقال: إن برىء إليه من الرمد وما جرّ فلا شيء عليه وإلا فعليه ما جرّ الرمد أو يرد غلامه فاستحسنه أبو عبيدة وأخذ عنه خلق كثير وعنه حملت العلم إلى المغرب وإلى المشرق حملة العلم.

[ضمام بن السائب]

ومن أهل طبقتة ضمام بن السائب من أهل العلم والتحقيق والكاشف أمر المعضلات عند حصر ذوي الضيق أخذ عن جابر وغيره وكان ما أخذ عن جابر أكثر مما أخذ عنه أبو عبيدة، قال أبو سفيان اشتكى صمام شكاية فعاده الربيع فوجد عنده رجلاً من المسلمين يسمى عمران وهو يقول يا أبا عبد الله إن في نفسي لشيئاً وإنني لأضيق منه أن يكون الله أمر العباد بأمر ثم يحول بينهم وبينه.

قال الربيع فقلت له: أتوفيق الله وتسديده وفضله ومنه على أبي بكر وعمر كتوفيقه وتسديده وفضله ومنه وإحسانه على أبي جهل، قال لا والله، قال ضمام اشدد يدك عليه يا ربيع أي قم بالحجة.

قال أبو سفيان لما سجن الحجاج أبا عبيدة وضماماً منع أن يوصل إليهما شيء وكانا يقصان شاربهما بأسنانهما وكان أحدهما لينفض لحيته

فيتساقط منها القملُ وكان يطعم أهل السجن خبز الشعير وملح الجريش ويعمد إلى مراكن عظام فيسكب فيها الماء وي طرح فيها الملح ثم يضربوه حتى تخرج رغوته فمن شرب أولاً كان أمثل قليلاً ومن شرب آخرأ كان العذاب وربما ضاق ضممام فيقول أبو عبيدة على من تضيق ولم يخرجوا من سجنه حتى مات الفاسق إلى النار، وعمد إلى ثلاثة من رؤساء الخوارج فبنى عليهما بنياناً من قصب وطلاه بالعدرة داخلاً وخارجاً فلما أبقوا فيه ثلاثاً ماتوا ووقع الموت في أهل السجن، فقال لطبيب مجوسي أردت أن أعذبهم، قال له اجعل طعامهم الزيت والكراث قال ضممام فلما أكلنا الزيت والكراث سمنا وقيل للمجوسي لو تركتهم فماتوا قال لعله يموت فيخرجون ومن مات فلا مطمع فيه، قال أبو سفيان كان رجل من أهل خراسان بمنزلة عظيمة من أبي عبيدة وضممام والمشايخ وله قدر في أهل بلده أتى يوماً ضمماماً فذكر رجلاً من المسلمين فنقصه فقال له ضممام مَه لا تفعل فعاد فانتهره فقال تبرأ الله منه فقال ضممام: تبرأ الله منك فقال: أ تبرأ مني يا ضممام قال: أنت أحللت بي ما ترى والجأتني إليه أ ترى أنك تبرأ من رجل أتولاه وأتولاك بئس ما ظننت قال: فاستغفر الله وأتوب إليه قال فغفر الله لك.

وأنت امرأة أبي طارق ضمماماً تسأله عن أمر زوجها وقد قال لها: أخرى عني انغالك يعني أولادها فضمت ثيابها فاستغفر الله فقال ضممام: دعيني حتى ألقى جابراً فأتى هو وأبو حمزة جابراً فقال: لا بأس عليهما فليسترا ما ستر الله عليهما.

قال أبو سفيان قال أبو الحر لأبي عبيدة أقم للناس خمسة أيام بعد الموسم فأبى ف قيل له عليك بضممام فقال: أوعنده من العلم ما يكتفي به الناس، قالوا: وفوق ذلك فأتاه فأقام للناس وكثر عليه السؤال وكان

جوابه سألت جابراً وسئل جابر وسمعت جابراً وقال جابر وكان راوية جابر، قال أبو سفيان وقد سئل عن الجهر في الدعاء فقال: بلغني عن ضمام وكان راوية جابر يقول: ما بال أحدكم يصبر ديناره ودرهمه ويبيدي دينه على كفيه ولعله يلقاه من يسلبه إياه فإذا لم يكن شارياً ولا باذلاً لنفسه فإن السر والمدارة والرفق بالناس أعجب إلينا فإذا اشترى نفسه فليس بشيء من الأعمال أعظم عند الله شرفاً من الشرى.

[أبو نوح صالح الدهان]

ومنهم أبو نوح صالح الدهان وكان شديد الورع غزير العلم ممن أدرك أهل العلم وأخذ منهم أخذ عن جابر وغيره رحمهم الله، قال أبو سفيان دخل أبو نوح على عاتكة بنت المهلب وكانت من المسلمات فقال كأنني أرى مجلس رجل قالت: الآن خرج من عندي الأحوال تعني جابراً، قال فهل ظفرت منه بشيء قالت: سألته عن لباس الخفين قال: إن كنت تلبسينهما من حر الأرض وبردها وخشونتها فلا بأس فلا تبالين وإن انكشفا وإن لبستهما لغير ذلك فلا تبديهما، وعن حلى لبنات أخي يستعار مني فيقوم بمال فقال: إن أعرتة فاضمني فأنت ضامنة، وعن عبد كان من أنفس مالي عندي وأوثقه فأعتقته ثم استخلفته على ضيعتي قال: لا اخرجيه من ذلك ولا تدخله في شيء من منافعك، قال الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد رحمه الله هذه بمناقب جابر أولى بها وإنما أثبتناها هاهنا لتعلم حرص أبي نوح على التقاط الفوائد من كل من يثق به.

قال أبو سفيان قال أبو نوح صالح الدهان أدركت الناس ثلاثة أصناف صنفاً يزينون أمر عثمان ولا يفرطون في الأرجاء وصنفاً يزينون أمر علي ولا يفرطون في التشيع والمسلمون بعد على هداهم وما رزقهم

الله من العون والتوفيق وإصابة الحق، قال المليح دخلت أنا وعبد الملك الطويل على أبي عبيدة فسألناه عن رجل أدخل يده تحت امرأة فأنكرت إنكاراً تاماً ونهضت أله أن يتزوجها، فقال أبو عبيدة إنها الفروج يا أبا نوح قال: صدقت ولكن أفتى بها جابر فقال إنها الفروج فقال: نعم ثم قال أبو نوح: ألم أنهاكم يا معشر الفتیان أن تسألوني إذا كان أبو عبيدة حاضراً.

[حيان الأعرج]

ومنهم حيان الأعرج وكان من العلماء الراسخين وأهل التقوى والدين من كبراء من صحب جابراً وأخذ عنه، قال أبو سفيان ممن حمل عن جابر وكان أكبر سنّاً من أبي عبيدة وكان أبو عبيدة يتخذ جوارب ليصلي فيها يتقي بذلك أن يصيب مذاكيره مواضع الوضوء من رجله فبلغ ذلك حيان الأعرج فقال: لقد أشقانا الله في ديننا إن كان الأمر كما يقول أبو عبيدة وكان أبو نوح يقول: لا ينقض الوضوء إلا من مس البول منه وأما القضيب فليس فيه وضوء إلا من مس الثقبه التي يخرج منها البول، وقال أبو عبيدة القضيب كله ينقض، قال أبو سفيان وأما الدبر والأنثيان وموضع الشعر فلا ينقض مسهن عندهم، قال أبو نوح حدثني حيان الأعرج عن جابر أنه قال للرجل أن يتزوج المرأة إذا أدخل يده تحت ثيابها فأنكرت.

[أبو حمزة الأشعث]

ومنهم أبو حمزة الأشعث بحر العلم الزاخر والجامع بين العمل والورع الفاخر، قال أبو سفيان كان من كبار أصحاب جابر وممن جاء عنه الفقه قال سألت امرأة ضمماً عن امرأة قال لها زوجها أخري عني

انغالك فراح هو وأبو حمزة الأشعث إلى جابر فقص عليه القصة فقال لا بأس عليهما .

قال أبو سفيان تكلم نساء من المسلمين بعد جابر في تحريم الذي يجمعه الجبابة من المال وأفشين ذلك ووافقهن أبو الوزير وهممن أن يرفعن ذلك إلى ضمام وأبي عبيدة فلقين أبا حمزة الأشعث فكلمنه في ذلك فقال ومن يوافقكن على ما تقلن قلن أبو الوزير، قال أو بلغ من ضعف أبي الوزير ما أرى ثم نهاهن وعظم ذلك عليهن وقال إذا زعمتن ذلك فإنكن تقدمن على جابر وأبي بلال وأصحابه فإنهم ماتوا وهم يأخذون عطاهم فبلغ ذلك ضماماً فاشتد في ذلك وعظم عليه قولهن فرجعن واستغفرن الله .

[حاجب أبو ودود]

ومنهم حاجب أبو ودود الطائي رحمه الله، قال أبو العباس كان بالاجتهاد موصوفاً وبالزهد والورع معروفاً، قال أبو سفيان قال المليح بلغنا ذات ليلة أن في منزل حاجب مجلساً قال أبو سفيان وكان المشايخ لا يدعوننا أن نحضر معهم المجالس بالليل فقلت لرجل من أهل عمان انطلق بنا إلى منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا فجئنا المنزل فأذن لنا فوجدنا المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ فقال لنا حاجب: ائتيا بلح بن عقبة وأخبراه بمكاننا فأخبرناه فأتى فلما صلينا العتمة أخذوا في الكلام فيقوم أحدهم فيتكلم ما شاء الله ثم يجلس فيقوم الآخر فكذلك حتى أضاء لنا الصبح .

قال المليح ما رأيت متكلماً يتكلم قائماً في مجلس قبله ولا بعده فجاء شعيب بن عمرو وكانت أخته تحت حاجب فرده وأبى على إدخاله

وكان يومئذ من أفضل الفتيان وكان بين منزله ومنزل حاجب نحو ثلاثة أميال، قال أبو سفيان احتبس حاجب ولم يخرج إلى الحج حتى بقي للموسم ثمانية أيام قال وأراد الخروج هو وجماعة معه ووافق خروجهم يوم الجمعة فقال لأصحابه إن في نفسي من يوم الجمعة لشيئاً فقالوا: سبحان الله إنما بقي ما تعلم فقال: اخرجوا وأنا ألحقكم فخرج القوم وتخلف حاجب حتى صلى الجمعة فركب فلحقهم على مسيرة ليلتين من البصرة، قال أبو سفيان وقع غلام كان لحاجب عند أبي جعفر فسأله لمن كان فقال لحاجب وكان عالماً به وبأبي عبيدة فدخل عليه يوماً فرآه حزيناً فسأله فقال: مولاي الذي كنتُ له مات يعني حاجباً فرجع أبو جعفر فقال: رحم الله حاجباً ثم دخل عليه بعد ذلك فرآه حزيناً فقال مالي أراك حزيناً فقال مات صديق لمولاي يقال له أبو عبيدة الأعور قال: وإنه قد مات قال: نعم فرجع وقال: ذهبت الأباضية.

قال أبو سفيان خرج أبو عبيدة وحاجب من البصرة يريدان مكة فأصبحا بالأبطح فإذا جماعة تصلي الصبح فدخلوا معهما الصلاة فقت الإمام في الركعة الثانية فلما انصرفا إلى خبائهما فقد أبو عبيدة حاجباً فسأل عنه فقالوا: خرج فقال: لعل اللحياني يريد أن يعيد الصلاة وكان حاجب كبير اللحية وليس علينا إعادة الصلاة لأننا لم نتعهدهم وهم يريدون أن يقتلوا، قال أبو سفيان ولا ينبغي لمن علم أن الإمام يقتل أن يصلي معه.

قال أبو سفيان عن وائل أن حاجباً قدم مكة عام وقع بين أهل حضرموت ما وقع في أمر عبد الله بن سعيد حين جعلوه في الحديد وبايعوا حسناً وخالفت طائفة يكرهون ما فعل به فبعث هؤلاء رجلاً وهؤلاء رجلاً فدخلوا على حاجب وهو أرمد فقال لقد خرجتُ من

أجلكم فما أبصر من البصرة سهلاً ولا جبلاً ومما أرجو من قضاء نسك
يا أهل حضرموت أنكم قد غلبتمونا قال وائل: يرحمك الله لا نخرج من
رأيك فقال له: اسكت والله ما أريدك ولا صاحبك فقال الذين أنكروا
على عبد الله ما أحق بالأمر الدافع أم الشاري قال بل الشاري فقال
أصحاب ابن سعيد أما إذا شروا فليخرجوا عنا فإننا لا طاقة لنا بالحرب
فقال صدقوا اخرجوا عنهم فقالوا: يؤجلوننا شهراً فقال: لا والله ولا
ثلاثة أيام إلا برضاهم، قال أبو سفيان وكان حاجب هو القائم بمثل هذه
الأمور للمسلمين في مثل هذه الأشياء من أمر الحرب وجمع المال
والمعونة والخصومة وأبو عبيدة إليه يسند أمر الدين والمسائل وكان
حاجب لم يبصر الإسلام إلا بعد جابر.

[أبو سفيان قنبر]

ومنهم أبو سفيان قنبر كان شيخاً تقياً وفي الناس مرضياً قال أبو
جميل ما رأيت أحداً ممن مضى يذكر الجنة والنار ويصف من أمرهما
مثل ما كان يصف ويذكر قنبر وكان يصف صفة من رأى وعاین وشاهد
وكانوا يقولون: ما رأينا متكلماً يتكلم بالقرآن مثل أبي سفيان وكانت
امراًة من المسلمين من بني كلاب يقال لها أم يحيى وكانت تحت يوسف
ابن عمرو ثم تزوجها جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي وكانت عظيمة
الشأن فبلغها أن مجلساً فيه قنبر فأقبلت فدخلت البيت التي تكون فيه
النساء فاشتت رائحة أنكرها فحول وجهه نحو النساء ثم قال تأتي إحداكن
إلى مجلس الذكر والقرآن والتخويف بهذا فمن أراد منكن التطيب والزينة
والفخر والحلى ففي غير مجالس المسلمين فتصاغت إليها نفسها ولم
تسفر عن وجهها فلما سكت المتكلمون خرجت نصف النهار ولم تكن
تخرج حتى تبرد ثم تتروح.

قال أبو سفيان بلغنا أن الرجل يرى عليه أثر الخشوع فيقال إن هذا الرجل قريب العهد بمجلس أبي سفيان قال أبو سفيان كان أبو سفيان قنبر شيخاً كبيراً أخذ وجلد أربعمئة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل .

قال جابر بن زيد وكنت قريباً منه وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله وكان من خيار المسلمين وكان يجتمع المسلمون عنده فيأخذ في الذكر والدعاء والرغبة في الخير ويحض عليه والزهادة في الدنيا .

[خيار بن سالم]

ومنهم خيار وكان من العلماء الراسخين والفقهاء العارفين ، قال أبو سفيان كان رجل من المسلمين يقال له خيار بن سالم من طيء من أهل عمان وكان فاضلاً وكان يقول لأبي عبيدة إذا جاوزت نهر البصرة فأنا أفقه منك ولو كنت شريفاً ما أجابك أحد أنت تشدد على الناس فيضحك أبو عبيدة من قوله فمات رحمه الله فقيل له : أوصي فقال : بماذا أوصي ما علي درهم ولا لي على أحد درهم فكانوا يقولون : يا لها موة كموة خيار .

[أبو عبيدة عبد الله بن القاسم]

ومنهم أبو عبيدة عبد الله بن القاسم كان ممن حاز السبق في حلقة الرهان علماً وعملاً وغاص في بحور الزهد والتقوى شاباً وكهلاً ، قال أبو سفيان ربما سئل عبد الله بن القاسم فيقول : عليكم بوائل فإنه أقرب عهداً بالربيع ، قال أبو العباس عن أبي سفيان أقام أبو عبيدة عبد الله بن القاسم بمكة وليست له امرأة فقال له أصحابه لو تزوجت قال ما أريد

ذلك فما زالوا به حتى أجاب وهناك امرأة من المسلمين موسرة وقالوا: لا تكلفك مؤنة فقال: إذا أبيتم إلا ذلك فابلغوا بمهرها مهر مثلها ولا تنقصوها شيئاً ففعلوا فلما تزوجا ودخل بها طابت له نفساً عن الصداق وكان يأتي منزل الفضل بن جندب ومعه قرصان من خبز وملح وكان الفضل يطيب الطعام ويكثره ويقول يا أبا عبيدة تفعل لي مثل هذا فيقول دعني منك وإلاً لم أدخل لك منزلاً فتركه وكان خرج إلى الصين تاجراً فاشترى قوم عوداً فسألهم أن يشركوه ففعلوا فأقبلوا يعيرون العود عند صاحبه حتى استنقصوه مما كانوا اشتروا به فظن أنهم صادقون ونقد معهم عشرين ديناراً فلما خرجوا أقبلوا يمدحون فقال سبحان الله تعيرون عوداً بلا عيب ردوا عليّ رأس مالي فاستغنموا منه ذلك وردوا عليه ماله وكان بمكة حين مات أبو جعفر فأخذت على الناس أبواب المسجد للبيعة وكان أبو عبيدة والفضل بن جندب ووائل وعليّ الحضرمي فلطف الله بهم فنجوا فقليل لأبي عبيدة لو أخذت ما أنت صانع، قال تذهب والله نفسي قبل أن أعطيهم هذه البيعة.

[أبو يزيد الخوارزمي]

ومنهم أبو يزيد الخوارزمي رحمه الله وكان من السادات الأخيار والمشار إليهم في العلم والأخبار قيل سئل عن رجل لقي عالماً فقال له العالم إن الأمر الذي أنت عليه أو أنت فيه حرام فقال له الرجل: هل تعلم عالماً أعلم منك فقال: نعم قال الرجل: سأترك هذا الحرام ولكن لا أخذ منك ذلك حتى أسأل من هو أعلم منك فلم يسأل الرجل حتى مات فقال أبو يزيد مات هذا مسلماً إذ مات في طلب السؤال تائباً.

[العنبر جد أبي سفيان]

ومنهم العنبر جد أبي سفيان وكان ممن أخذ عن جابر، قال أبو سفيان دخل العنبر على جابر في ليلة صافية مظلمة وعنده زوجه آمنة فأخذت عليها ملاءتها فجذبها جابر وقال إن الله جعل الليل لباساً قال يقول المقنعة والخمار بالليل تجزىء عن الرداء، قال أبو سفيان أتى العنبر والرحيل أبا الشعثاء فسألاه عن أم الرحيل وقد كبرت ولا تطيق الصوم فأمرهما أن يصوما عنها فصام عنها الرحيل فأتيها من قابل فقال: أطعما عنها فأطعم العنبر.

قال أبو سفيان أرسلت عاتكة بنت المهلب بجزور إلى جابر فأمر العنبر أن ينحرها ويجزئها بين الجيران وأطاب جزء جابر وأكثره فنهاه عن عدم التسوية.

[عمارة بن حيان]

ومنهم عمارة بن حيان وكان فاضلاً خيراً يتيماً في حجر جابر وهو الذي يصاحبه في أسفاره وقد تقدم وفده معه إلى يزيد بن مسلم، قال أبو سفيان استأذن عمارة بن حيان على جابر فقال: ارجع فلما ذهب قال ردوه قال: أراك وجدت في نفسك أما أنه أذكى لك إذ رجعت قال أبو سفيان: توفي عندنا في الحي عمارة بن حيان اليتيم الذي كان في حجر جابر وكان من خيار المسلمين ولم يترك وارثاً إلا بنتيه فقال مالي لابنتي بميراثهن وما بقي فهو عليهن رد إلا أن يرى غير ذلك المسلمون قال فسألنا الربيع وقال وكان الشيخ عالماً صادقاً.

[أبو سالم وابنه وحفيده]

ومنهم أبو سالم وابنه أبو سنان وابن ابنه سلمة وكانوا من خيار المسلمين زهداً ويساراً وتقى وجودة، قال أبو سفيان وكان المسلمون من

أكثر الناس حجاً وكان لغير واحد نجائب يحملون عليها إلى مكة وكان جد سلمة يدعى بأبي سالم من خيار المسلمين وكان أبو سنان له نجائب عدة قال سلمة لأبي نجائب يحمل عليها مشايخ المسلمين ممن لا سعة له إلى مكة شبه المختار بن عوف وغيره وكان أبو سالم من الفضلاء الأخيار وذوي السعة وكان ممن سجن مع أبي عبيدة وضمّام.

قال وقرمنا اللحم فقلنا لرجل كان ممن يدخل علينا اشو لنا دجاجة وآتيناه معها بأربعة أرغفة وصانع عليها صاحب السجن فلما أوصلها واقتسمناها فإذا بجلبة نحو البيت الذي نحن فيه فخفنا أن يكون فطن بنا فرمينا بالجميع في الكنيف فإذا لم يفتن بنا فكان طرحنا لها أشد علينا مما مر للمعاينة.

[أبو فقاس]

ومنهم أبو فقاس وكان حقه أن يذكر قبلهم وكان من رفقاء جابر واسمه الأسود بن قيس وكانا يحجان معاً فيلقيان ابن عباس رضي الله عنهما فلاقاه جابر مرة ولم يكن معه أبو فقاس فقال ابن عباس أين صاحبك قال: أخذه ابن زياد قال ابن عباس لجابر: وإنه لمتهم قال: نعم أو ما أنت متهم قال: اللهم بلى عن حصين بن نوفل عن ابن عباس قال أصاب أهل النهر السبيل أصاب أبو بلال السبيل.

[أبو محمد النهدي]

ومنهم أبو محمد النهدي وكان مرضياً ممن أبصر الإسلام بنظره وكثرة عمله، قال أبو سفيان خرج غازياً فخرج إلى أفعال الناس من الغلول والجور فأنكره وقال ليس هذا من فعل أولياء الله وأهل الإيمان ونظر إلى صلاتهم وقيامهم بتوحيد الله فقال ما هذا بفعل المشركين فلما

رجع إلى البصرة وكان له مجلسٌ يذكر ويحدث به ويقص ويقول أهل الأحداث ليسوا بمشركين ولا مؤمنين بل كفار فبلغ ذلك المسلمين فحدثوه ووصفوا له ما هم عليه فقبل وقال هذا هو الحق وما زلت على هذا منذ دهر ولم أجد من يوافقني عليه وما كنت أرى أن أحداً يقول بهذا القول فقالوا: بلى والله إن لك إخواناً على هذا وأعواناً وكان من أفاضل المسلمين بعد وكان يظهر هذا الأمر ويبوح به وكان يدعو في مسجده على خالد بن عبد الله وهشام بن عبد الله وكان على البصرة بلال بن بردة بن أبي موسى الأشعري وكان طريقه على مسجد أبي محمد فأرسل إليه بالكف عن ذكرهما فلم يفعل فقال: إذا رأيتني مقبلاً فكف حتى أمضي عنك فلم يكن يلتفت إلى ما قاله له.

قال أبو سفيان قال أبو محمد لا تذكر الحسن في شيء من القدر فإني عاتبته فيه فقال معاذ الله أن أقول ذلك إنما أفسد على قلبي واصل ابن عطاء أياً ما كنتُ عنده مُستخفياً وأمّا أن أقولَ بالقدر فمعاذ الله وقال هو أبعد الناس من القدر.

[محمد بن حبيب ومحمد بن سلمة]

ومنهم محمد بن حبيب ومحمد بن سلمة المدنيان وكانا من خيار المسلمين علماً وعبادة، قال أبو سفيان عن وائل قال: ما رأينا أبا عبيدة قام إلى أحدٍ من مجلسه يسلم عليه إلاّ محمد بن سلمة ومحمد بن حبيب قال وكان محمد بن حبيب من عباد المسلمين وخيارهم وكان أبو عبيدة يعظمهما وإذا رآهما قام إليهما فاعتنقهما، قال قال وائل في خباء أبي عبيدة وكان حاجب حاضراً ومحمد بن حبيب ومحمد بن سلمة المدنيان ومشايخ من أهل حضرموت فقهاء علماء فسألتهم عن رجل اكرى دابةً إلى موضع معلوم فجاوز الموضع فتلفت الدابة فاجتمعوا كلهم على أنه

ضامن للدابة ولا رأوا عليه كراء حين ضمنوه القيمة وأبو عبيدة غائب أو نائم فحضر فقال حاجب سل الشيخ عن مسألتك يا حضرمي فسأله فلزمه الكراء والقيمة فقال له محمد بن سلمة: من أين يضمن الكراء قال من حيث لا تعلم.

[سلمة بن سعد]

ومنهم سلمة بن سعد رحمه الله وهو الذي وصل إلى المغرب يدعو الناس إلى هذا المذهب وهو يتمنى ظهوره يوماً واحداً ويموت في آخره وهو الذي دل حملة العلم أو بعضهم على موضع أبي عبيدة بالبصرة.

[عبد الله بن يحيى وآخرون]

ومنهم أبو يحيى عبد الله بن يحيى طالب الحق وأبو حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبو الحر علي بن الحصين ويحيى بن حرب وأبرهة وغيرهم من أصحاب طالب الحق كانوا أشداء على الأعداء صبراء عند اللقاء أذلة على الأتقياء وفيما بينهم رحماء ارغموا الجور وأورثوا أهله ذلاً وصغاراً وأقاموا منار الحق وعظموا آله كباراً وصغاراً، أما أبو يحيى عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود بن عبد الله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندي فكان قاضياً لإبراهيم بن جبلة عامل القويسم على حضرموت وهو عامل مروان على اليمن فأظهرها باليمن وحضرموت جوراً كبيراً ففزعت الناس إلى عبد الله بن يحيى فكتاب أبا عبيدة فقال: إن استطعت فلا تبقى يوماً واحداً وأرسل إليه بأبي حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الأزدي أحد بني سليمة وأرسل إليه أنا بعثنا لك برجل أنجيله في صدره وأرسل إليه ببلج بن عقبة الأزدي وكتب إليه إنا بعثنا لك اثني عشر رجلاً وألفاً يعني

بالألف بلج بن عقبة الأزدي أحد بني مسعود فلاقى جموع الفجرة والجورة فهزمها الله على يديه وهو لا يتبع مدبراً ولا يجهز على جريح حتى بلغ إلى جند القويسم وهو في ثلاثين ألفاً وأبو يحيى في ألف وستمئة وعلى ميمته يحيى بن حرب والمهاجرون وعمارة وعلى ميسرته بلج بن عقبة وأبرهة بن علي وعبد الله في القلب ومعه ابن عيسى فأمرهم أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً فهزم الله القويسم ودخل صنعاء ثم خرج منها وفَرَ وخرج من جميع اليمن وخلص لعبد الله وقسم ما وجد من مال على فقراء صنعاء قصد إليه ابن خيران وعبد الله بن مسعود وغيرهما من المسلمين فأتوا به من الخزانة إلى المسجد فقسمه عبد الله على فقراء صنعاء ولم يأخذ منه شيئاً ولم يستحل منه لأصحابه متاعاً فلما حضر الموسم وجه أبا حمزة وبلجا وأبرهة إلى مكة فلما قدموها خاف الناس فساد حجهم فمَشَتْ بينهم السفراء فتواعدوا إلى أن يقضي الناس نسكهم فوقف أبو حمزة على حدة وكان بلج يأتي الجمار بالخيول والسلاح خشية الغدر فلما كان يوم النفر خرج عبد الواحد من جوف الليل إلى المدينة وأقام أبو حمزة بمكة أربعين يوماً فلما التأم إليه أصحابه ودخلوا مكة يحكمون قال أبو الحر علي بن الحصين هذا صوت غريب في أرض الحرم وخطب بمكة خطباً وأقام بها ما شاء الله أن يقيم وهو يكاذب أبا يحيى وكان أبو الحر علي بن الحصين العنبري من علماء المسلمين وفقهائهم أقام بمكة.

[عيسى بن أبي عمرو]

عن عيسى بن أبي عمرو قال أبو سفيان أدركته شيخاً كبيراً بعث مروان بن محمد إلى أبي الحر إذ كان بمكة وشدّ في الحديد مع رجل من الرافضة اسمه أصفر ثم ساروا بهما فخرج عيسى في أربعة عشر

رجلاً من المسلمين فخلصوه منهم بعدما جاوزوا المدينة بمراحل ثم رجعوا حتى دخلوا مكة مستخفين فخرجوا إلى منى وإلى عرفات وكانوا ينتظرون قدوم أبي حمزة فعند الرواح فاجأهم أبو حمزة في نواصي الخيل قد طلعت فلما رآهم أبو الحر قال: أحرموا فاغتسلنا وأحرمنا ودخلنا في عسكر أبي حمزة فأرسل عبد الواحد إلى أبي الخطباء فأفحمهم فتهادونا أوقفنا وأفضنا إلى جمع ثم إلى منى فنزلنا في مؤخر منى وكانت هلبية المهلبية إذ ذاك حضرت الموسم وكانت من خيار المسلمين وفاضلاتهن وهي أم سعيدة فعالجت لهم طعاماً فحملة أبو واقد إليهم وابنه وكانا فاضلين فأخذهما الحرس فأرسل إليهم أبو حمزة أن النقض وقع من قبلكم إما أوفوا بهدكم وإما نناقضكم فأرسلهما وتمّ العهد فخرج عبد الله لما قضوا المناسك، قال أبو سفيان وكان بلج بن عقبة يأتي لرمي الجمار في الخيل والسلاح فقال أبو حمزة رحمك الله لو رميته متنكراً فقال له: لا آمن غدرهم بنا ونقض عهدهم وخرج أبو حمزة يريد الشام فتعرض له أهل المدينة بقديد وقد اجتمع إليه نحو أربعمائة من نواحي مكة مع من أقبل معه من أهل اليمن فقال: ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله فإلى ما تدعوننا أنتم قالوا: ندعوكم إلى طاعة مروان فاقتتلوا فقتل منهم أبو حمزة نحو من أربعة آلاف وأصيب مع أبي حمزة يوم مكة أبو عمرو وابنه كانا من أفاضل المسلمين، ومن مناقب أبي الحرّ أن أهدى إليه رجل من أهل البصرة بساطاً فيه تصاوير فباعه فقال له وائل: إن كان مما يوطى ويمهد فلا بأس فلم يلتفت إلى كلامه.

[عيسى بن علقمة]

عن عيسى بن علقمة قال كان أبو الحر موسراً وتأتيه غلته من البصرة إلى مكة نقرة واحدة ذهباً فيقسمها نصفين فيفرق نصفها في فقراء

المسلمين وربعاً في نفقته وربعاً يحبسه ليهيئه لمن يمر به من المسلمين وفي معاونتهم، ولزمه شاب من المسلمين وكان صاحب أمره والذي يولي حوائجه فأنته غلته مرةً وأعطى فقراء المسلمين النصف فاحتاج إلى ثمنه أي النصف الثاني فدعا الشاب فأمره ببيعها فأبطأ عنه فقال له: ما حبسك فقال: إن القطعة ضاعت فقال أبو الحر في الله خلف من كل هالك ولم يسأله عن شيء فخرج يوماً إلى المسجد فإذا القطعة موضوعة بين يدي صائغ فعرفها فقال من أين أتتك قال ناس من بني مخزوم دفعوها إليّ أصوغها لهم حلياً فجاز عليه مرةً أخرى قال له: إني سألت القوم فقالوا: إن الشاب الذي يخدمك باعها منهم فاستثبت أبو الحر الخبر من المخزوميين وكان لأبي الحر مجلس يجلس فيه للذكر يوم الاثنين ويوم الخميس فأمر الشاب أن يدعو جماعة من مشايخ المسلمين أن يحضروا مجلسه ففعل قال لهم أبو الحر لا يكون أكثر كلامكم إلا في تعظيم الأمانة فإن بعض أصحابكم قد ابتلى ففعلوا فلما بلغ الأمر إلى أبي الحر عظم من ذلك ما شاء الله والفتى جالس قد غمره العرق فخرج الناس ولم يبق في البيت إلا أبو الحر قال الفتى قد والله هلكت قد خنتك في القطعة قال أبو الحر: الله أكبر ذلك الذي أردت هي لله ولك ولا حاجة لي فيها واستغفر الله وكان مع أبي الحر في أحسن حالاته.

قال أبو محمد عن عيسى بن علقمة أن شاباً يلازم مجلسه فقد فأتى أمه فسألها عن شأنه قالت أخذ في السفه وترك ما كان عليه ونفد ما في يده ولا يأتينا إلا ليلاً أو نصف نهار وقال أبو الحر إذا أتيت وهو في البيت فلا تحبسني على الباب فأتاهم نصف النهار ومعه ستة أثواب وثلاثمائة درهم فاستأذن فأذنت له فإذا الفتى في خلق في ناحية البيت قال له ما منعك أن تأتينا فنحن الذين أسأنا في أمرك فخذ هذه الأثواب

واكتس بثوبين ولأملك ثوبان ولأختك ثوبان وخذ هذه الدراهم فاستنقها
على نفسك فرجع الفتى وحسنت حالته فقتل مع أبي الحر يوم مكة
رحمهما الله، ومن أصحاب أبي يحيى أبو بكر بن محمد بن عبد الله
القرشي من بني عدي كعب.
ثم من بعدهم:

طبقة «الربيع بن حبيب» رحمه الله

[الربيع بن حبيب]

طود المذهب الأشم وبحر العلوم الأطم صحب أبا عبيدة فنال وأفلح وتصدر بعده على الأفاضل فأنجح قال أبو سفيان لما أصاب أبا عبيدة الفالج وحضر خروج الناس إلى الموسم مضى إلى أبي عبيدة حاجب بعبد الله بن عبد العزيز ليرسله مع الربيع فقال: لا افعل فقال له فالمثنى قال: نعم فارسلوا إلي المثنى فحضر فقال: أشير عليكم ألا تفعلوا فيقال ما وجدوا من يبعثوا مع الربيع في سنه وفضله إلا هذا الغلام فازداد محبة بقوله في نفس أبي عبيدة وازداد عندهم رضا فخرج الربيع وحده، قال أبو سفيان ذكر الربيع عند أبي عبيدة فقال: تقينا وأميننا وثقتنا، قال أبو سفيان اجتمع وائل والمعتمر بن عمار وجماعة إلى الربيع فسألوه أن يخرج إلى الموسم قال ما عندي ما أتحمّل به فمشوا إلى النظر بن ميمون وكان من خيار المسلمين ومن تجار الصين فاعلموه بقوله فأتاه بأربعين ديناراً فقال له: حج بها قال: فلم يقبلها وكان به خاصاً فأتاه وائل والمعتمر فقالا: تعلم يا أبا عمرو حاجة الناس إليك فأبيت أن تقبل من النظر قال لي خذها على أن تحج بها ولست أقبلها على شرط فرجعا إلى النظر قال: خذها وادفعها إليه ولست أظن أنه يكره ذلك ففعلا فأبى أن يقبلها.

قال أبو سفيان استحلف أبو جعفر رجلاً من أهل الموصل بالطلاق على رجل اتهم أنه عنده أو ماله فحلف فرجع الرجل إلى داره فوجد نعله فكتب المسألة إلى الربيع فقال لا بد أن يحضر الحالف فلما حضر جمع العلماء والأشياخ فاتفق رأيهم على أن الملوك لا يستحلفون على النعال وما أشبهها والربيع ساكت فقال الرجل ما تقول يا أبا عمرو فقال: أرى فراقها فقال شعيب إن الملوك لا يستحلفون على النعل فقال: صدقت ولكن صاحبنا قال ما له عندي قليل ولا كثير ولا تخلو النعل أن تكون من القليل أو الكثير، قال أبو العباس إن يمينه انعقدت على علمه ولا علم له بالنعل وأيضاً فإن لفظه عندي لا يلزمه ما لزمه لأن فيه تخصيصاً لا ينقض قصر الحلف ولعله أخذ بالأحوط انتهى. قال أبو سفيان يرى التغليظ على من قال عليّ عهد الله وميثاقه أو كافراً أو يهودي أو نصراني.

قال أبو سفيان جاء نصر أبو محمد الأزدي إلى أبي عبيدة يسأله عن مسألة فأجابه ثم قال: انت بالربيع فلما حضر سأله فأجاب بغير جواب أبي عبيدة فراجع أبو عبيدة فيه وقال الذي حفظت عنك كذا قال أوقد حفظت قال: نعم قال للرجل انظر ما قال الربيع فخذ به فإنه عني حفظ وكان أبو عبيدة في وقته ذلك في شكاية وكان الربيع إذا سئل عن مسألة قيل ويقال له إذا أجاب عمن أخذتها فيقول إنما حفظت الفقه عن ثلاثة أبي عبيدة وضمام وأبي نوح هذا قول أحدهم ولم يكن يخفى عليه قول واحد منهم.

وسئل عن رجل مشتمل من البرد فيضع كسائه تحت قدميه ويسجد ويداه على الطيلسان قال هذا صنيعي إلا أن يرى أبو المضا غير ذلك وكان أبو المضا من السند قد أدرك أصحاب النخيلة قال أبو المضا القول قولك.

ودخل عليه أبرهة بن عطية فقال يا أبا عمرو رجل من إخوانك من أهل الشام فكان يختلف عليه ويسأله عن الفقه زماناً لحضر بعض المسلمين مجلسه فقال سلم على أخينا فسلم عليه فقال من أي البلاد قال من الشام قال: من أي الشام قال: من أهل الجزيرة قال: لعلك ابن عطية قال: نعم قال: يا أبا عمرو هذا الذي أهلك أهل خراسان وأبوه قبله فلا يدخلن عليك، قال الربيع أسرع على الرجل فخرج الرجل فأتى وائلاً والمعتمر وعبد الملك وجماعة من أصحابنا فاعلمهم فأتوا الربيع فقالوا: قربت ابن عطية فقال: لا يجمل بمثلي أن أرد من يأتيني مع أن الرجل لم يسألني عن شيء أكرهه قالوا: فلا يدخلن عليك فأتى فاستأذن فحجبه فقال: ما ظننت الربيع في فضله وعلمه وورعه وحلمه يرد مثلي وإنما أسأله عما ينتفع الناس به من أمر دينهم فبكى وانصرف وارتحل من جواره.

وفي أيامه خالف عبد الله بن عبد العزيز وأبو المؤرج وشعيب وأصحابهم في الجمعة والمرأة التي تؤتي فيما دون وأن أهل القبلة المتأولين في الذي ورد ما يوهم التشبيه مشركون ورد الربيع مقالتهم وبريء منهم وقد كانوا تكلموا بذلك في أيام أبي عبيدة فأنكرها عليهم وطردهم من المجالس وأتوا حاجباً والربيع فتابوا وأعادهم إلى المجالس ثم أظهروها في أيام الربيع وتمادوا عليها وكذا مخالفة عبد الله بن يزيد وابن عمير عيسى، وأما حمزة الكوفي وعطية وغيلان فخلافهم في القدر في زمان أبي عبيدة.

[وائل بن أيوب]

ومنهم أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي وهو من أفاضل أصحابنا علماً وزهداً وتقى وأمراً ونهياً، وإذا سئل أبو عبيدة الصغير

عبد الله بن القاسم قال: عليكم بوائل فإنه أقرب عهداً بالربيع، قال أبو سفيان قال وائل: أدركت بحضرموت رجالاً إن كان الرجل منهم لو ولي على الدنيا كلها لاحتمل ذلك في عقله وحلمه وعلمه وورعه ورأيت جزءاً فيه مناظرة أبي أيوب للمعتزلة مع رجل منهم يقال له كهلان وأصحابه، قال أبو العباس صنو الربيع وتلوه فإنهما رضيعا لبان التفقه في العلوم فما منهما إلا له فيه مقام معلوم وإن كان لأبي عمرو فضلٌ وزيادة وشهرة في الاستفادة والإفادة فإن لوائل أنواعاً من جميل الصفات أحياى الله بها على يديه أعظم الدين الرفات من طيب شيم وخلق كريم.

قال أبو سفيان قال وائل قدم علينا ابن عطية بعد أن قتل أبا يحيى حضرموت فقاتلناهم فتحصنوا في قرية فأقمنا عليها أربعة وعشرين يوماً نحاصره فطلب الصلح فصالحناه على أن يرد جميع ما في عسكره مما أصابوا من أموال المسلمين فدخل المسلمون فأخذوا ما عرفوا في عسكره وأرسل إليه مروان أن يلحق بالموسم يصلي بالناس وخرج في نفر يبادر الموسم وجيشه خلفه فوافق رجلين أخوين من المسلمين يقال لهما ابنا جمانة فظنا أنه جاء منهزماً فدخلوا عليه في قرية بات فيها ومعهما نفر من أصحابهما فقتلوه وقتلوا من معه واحتزوا رؤوسهم وطلبوا جيش المسلمين فبينما هم يسرون إذ لقوا جيش ابن عطية فسألوهم عن ابن عطية قالوا تقدم فعجل الله بروحه إلى النار ومات مع ابن يحيى أسد بن كثير وعبد الله بن خيران وكانا من أهل الفضل.

[الفضل بن جندب]

ومنهم الفضل بن جندب هو مولى للأزد وكان من خيار المسلمين وفضلائهم وكان ذا مال وكان سخيّاً، قال أبو سفيان مات حاجب ودخل عليه قرّة بن عمر وجماعة المسلمين ليغسلوه فقال قرّة ما تقولون في دين

هذا الرجل فابتدر قرة في أربعة فضمنوه وكان دينه خمسين ألفاً، وفي كتاب أبي العباس مائة وخمسون ألفاً فحضر الفضل بن جندب وكان من خيار المسلمين وكان موسراً فأخبروه فقال هو في مالي دونكم حتى أعجز عنه ولا يبقى لي مال فقالوا له: شأنك فمات الفضل قبل أن يؤدي عن حاجب فأوصى إلى أبي عبيدة عبد الله بن القاسم وإلى زوجته وإلى حبيب بن سابور وإلى أبي سنان البناني فمات أبو عبيدة فردوا الوصية إلى أم الصلت زوجة الفضل وإلى حبيب بن سابور وإلى أبي سنان فلم يقبل الوصية وكان للفضل بن جندب على رجل مال فوق ماله عند القاضي وهو عبد الله بن الحسن ابن أخي أبي الحر فأرادوا أن يثبتوا عنده أن أم الصلت وصى زوجها الفضل فلم يجدوا شهوداً إلا من شهد أنه أوصى إليها وإلى أبي عبيدة وإلى حبيب بن سابور وإلى أبي سنان وخشوا إذا لم يقبل حبيب وأبو سنان الوصية أن يدخل القاضي رجلين مكانهما فيفسد عليهم الأمر فسألوا الربيع هل يجوز للشهود أن يشهدوا أن الفضل أوصى إلى زوجته أم الصلت ولا يذكروا غيرها قال: نعم إلا أن يسألوا فلا بد لهم حينئذ أن يأتوا بالشهادة كما استشهدوا وإن لم يسألوا فلا بأس عليهم وأما أبو عبيدة عبد الله بن القاسم فضاق عليه ذلك وقال لا يجوز أن يشهدوا إلا كم استشهدوا.

قال أبو أيوب وائل إنما الفقيه الذي يعلم ما يسع الناس فيه مما يسألونه عنه وأما التضييق فمن شاء أخذ بالاحتياط.

[قرة بن عمرو وآخرون]

ومنهم قرة بن عمرو وحبيب بن سابور وأبو سنان وهم من فضلاء المسلمين وخيارهم، قال أبو سفيان غضب عبد الله بن القاسم على حبيب بن سابور في أمر وصية الفضل بن جندب وكان سلفاً للفضل

فَقَالَ: لَأَدْعُونَ اللَّهَ عَلَيْهِ قَالَ: اللَّهُمَّ ادْخُلْ بَيْتَهُ قَنَاطِيرَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ
قَالُوا: دَعَوْتَ لَهُ قَالَ وَاللَّهِ وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْرَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ قَنَاطِيرَ
الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ.

[عبد الملك الطويل]

ومنهم عبد الملك الطويل وكان شيخاً فاضلاً وعالمًا متقناً استفاد
وأفاد وكان له مجلس.

قال أبو سفيان بلغ حاجباً أن في منزل عبد الملك الطويل مجلساً
بالليل تكثر فيه الجماعة ولهم كلام يسمعه الجيران فأرسل إليه فقال له
ارفق على نفسك يا عبد الملك ما هذا الذي بلغني أنكم تفعلون قال: إنا
لنفعل وإن أمرتنا أن لا نفعل تركنا فسكت طويلاً فقال: لئن تخافون
وتعمرون لأحب إليّ من أن لا تخافون ولا تخربون اعمروا مجالسكم
فإن الله يحفظكم - قال أبو العباس لا تخافون وتخربون - قال أبو سفيان
وما بلغنا أنهم ظفر لهم بمجلس قط إلا أنهم كانوا في عهد زياد وابنه
أثامهم الخبر بأن الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم فجاءت
الشرطة فنظروا إلى نعالهم فقالوا للعجوز التي لها البيت ما هذا النعال،
قالت: مكاتب لنا يطلب الناس فيعطوه النعال وغيرها فقال بعضهم: قد
ذكرت ما ذكرت فلا تعرضوا العجوز للبلأ فلعلها صادقة وكانوا إذ ذاك
يأتون المجالس في هيئة النساء وكان لأبي الحر علي بن الحصين مجلس
فقليل له خشينا أن يظهر علينا، قال أما سمعت أن الله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽¹⁾.

قال أبو سفيان سمعت عبد الملك الطويل يتحدث عن أبي حمزة

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

المختار قال: أدركت المسلمين إن كان الرجل منهم ما يستزاد في صلاة ولا في صيام ولا في حج ولا اعتمار ولا في وجه من الوجوه إن عرف أنه ليس بشديد الحرص في الشرى سقط من أعينهم وتسقط منزلته عندهم.

قال حاجب لعبد الملك الطويل فيما يود به فيه إذا كان يعيب عليه المسلمون في أشياء تكون منه فيما بينه وبين الله فاستروا عليه وعظوه واحضروه مجالسكم وارفقوا به جهدكم عسى الله أن يتوب عليه وإن عابوا عليه في خلافهم في الدين يريد أن يشغب ويفتق عليهم فتقاً فابدوا عورته واهجروه واعلموا الناس به حتى يكونوا منه على حذر.

قال أبو سفيان كان زوج سعيذة يقال له عبد الله بن الربيع خال المهدي واتخذت سعيذة للمسلمين سرباً في دارها يجتمعون فيه بالليل ولابن الربيع أولاد من غير سعيذة فكان أحدهم قد دعاه المسلمون فأجابهم ودخل مجالسهم وعرف المشايخ بوجوههم ومنازلهم وأسمائهم وكان له أمهات أولاد مسلمات فأعتق واحدة يريد إكرامها وأراد أن يتزوجها فأبت عليه وقالت: الحمد لله الذي نجاني منك فغضب عليها ثم أعتق أخرى لينظر ما تفعل ففعلت كفعل صاحبها قال لهن: إنما خدعتني حتى أدخلتني في دينكن فلما اعتقتكن وأردت إكرامكن بأن أتزوجكن فأبيتين فغضب وكتب إلى أبي جعفر بأسماء مشايخ المسلمين ومجالسهم وكتب بأن سعيذة تجتمع عندها الأباضية في سرب لها في دارها فلما قرأ أبو جعفر الكتاب دفعه إلى ابن الربيع، فلما قرأه أكثر الاسترجاع قال أبو جعفر: مالك قال: ابني قد ذهب عقله وأرجو أن يعافى وصار إلى ما أرى واسترجعت لمصيبتي فيه قال: احبسه قال: لا بد من ذلك.

قال أبو جعفر فأرسل إليك طبيباً يداويه قال: لا أحب أن أشهره لكن ابعث لي بالأدوية فبعث إليه أصنافاً من الأدوية وجعل ابنه في الحديد زماناً حتى كتب إلى أبي جعفر بأنه كتب الكتاب وهو لا يعقل، وقد قال ابن الربيع لأبي جعفر أو مثل سعيدة يقال فيها هذا.

[المعتمر بن عمارة]

ومنهم المعتمر بن عمارة وكان من مشايخ المسلمين وخيارهم ومن أولي الفضل.

قال أبو سفيان عن المعتمر قال قلت لأبي عبيدة إنك لأحب إليّ من والدي قال كذلك ينبغي لك يا معتمر أن تكون لأنك بذلت لي ما لم تبذله لأبيك يعني الولاية.

قال أبو سفيان قال شعيب أبو المعروف للمعتمر ابن عمارة اقبل مني أن أقول أن المسلمين جمعوا مع الجبابرة وهم أفضل منا فقال المعتمر: هم أفضل منك في حضورها وتركك لها قال: لا تحمل عني ذلك قال المعتمر: إنما كلامك في الجمعة فإن زعمت أنهم أفضل منك في حضورها قبلت منك قال: لا أعطيك ذلك قال المعتمر: ذلك لتعلم إنك طاعن عليهم في حضورهم لها.

قال أبو سفيان سمعت المعتمر بن عمارة يقول وكان من خيار من أدركته من المسلمين ما لقي الله أحد ممن يقر بالإسلام بذنب أعظم من ترك الصلاة متعمداً.

قال أبو سفيان وكان المعتمر قد حفظ من أبي عبيدة وضمام وغيرهما علماً كثيراً ولكن لم يكن يبذل نفسه ولا يقعده للناس وكان يقول: إن للعالم أن يعبد الله بكتمان علمه ما لم يحتج إليه.

[المثنى]

ومنهم المثنى وكان شيخاً فاضلاً تقياً، قال أبو سفيان لما أبى أبو عبيدة من إرسال عبد الله بن عبد العزيز مع الربيع إلى الحج قيل فالمثنى بن المعرف قال: نعم قال: فبعث إلى المثنى في ذلك فقال: ما كنت لأفعل اخرج مع الربيع والربيع غاية في فضله وسنه ومعرفته فما أشير عليكم أن تبعثوا غلاماً حدثاً مثلي وفي الربيع كفاية فبلغ قوله أبا عبيدة فازداد له في نفسه محبة وازداد عندهم بذلك رضا، فقال أبو عبيدة صدق مثنى، فقال الربيع يا أبا عبيدة كنت تحضر أنت وحاجب وحفص الوائلي فما تكادون تقومون بما يرد عليكم فكيف بي قال له ليس بيني وبين الناس سوط ولا سيف من جاءك موافقاً لك يقول بقولك فيه ونعمت ومن أتاك مخالفاً عليك فأبعد الله من أبعد.

[المليح]

ومنهم المليح وكان من العلماء الأخيار والفضلاء الأبرار قال أبو سفيان، قال المليح دخلت أنا وعبد الملك الطويل على أبي عبيدة فسألناه فيمن أدخل يده تحت ثياب المرأة فأنكرت إنكار الحرة أله أن يتزوجها فأبى ذلك وأجازه أبو نوح، قال أبو سفيان قال المليح بلغنا ذات ليلة أن في منزل حاجب مجلساً فأتيته أنا وعماني فاستأذنا فأذن لنا واستأذن شعيب فرد وتقدم الخبر بالتعريف لحاجب.

[مخلد بن العمرد]

ومنهم أبو غسان مخلد بن العمرد وكان من العلماء النحارير والفقهاء القناطير قال أبو سفيان: أفتى عبد الله بن عبد العزيز وجماعة معه أن من أفتى الناس بما لا يعلمون أنه حق فإن لهم أن يقفوا عنه فقال

أبو غسان للراوي قل له ما قلت فيما أفتيتنا به من أمر حجتنا فإننا لا نعلم ما تقول أليس لنا أن نقف عنك لأننا لا نعلم ما قلت حقاً فقال له ذلك فقال ابن عبد العزيز أنت رجل شغب ولم يجبه بشيء، قال أبو غسان إن الذي قال لك لا يجوز في الدين ولا يسع نقض ولاية أهل الدين إلا بما لا يسع مقارفته .

[بسطام]

ومنهم بسطام قال أبو سفيان وكان خيراً فاضلاً له فضل في المسلمين وشرف قال وكان يحضر المجالس فهو أول من يتكلم وكنيته أبو النظر وكان قبل ذلك صغرياً وهو بسطام بن عمر بن المسيب بن زهير الضبي من أصحاب شبيب وفر من الحجاج ونزل البصرة، قال أبو سفيان نزل عندنا في دارنا في الأزد فدعاه المسلمون فأجاب وكان اسمه مصقلة ثم غلب عليه بسطام فقال له المسلمون حين دعوه ندعوك إلى ولاية من قد علمته يقول بالحق ويعمل به وإلى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم قال فعلمت أنه الحق وإنه دين الله .

[أبو طاهر]

ومنهم أبو طاهر، قال أبو سفيان مات أبو طاهر وأوصى بكفارات لأيمانه وترك عيالاً فسألت الربيع كم يعطي لكل مسكين وهو عالم بعياله فقال اشتروا الشعير فإنه أرخص وأعطوا لكل مسكين وهو عالم بعياله .

[أبو محفوظ]

ومنهم أبو محفوظ وكان شيخاً فاضلاً، قال أبو سفيان وكان من خيار من أدركت قال جاء رجل إلى أبي عبيدة فقال له : إنهم يعرضون بنا

في المجالس قال له فهل سموأ أحداً قال: لا قال: ومن يعلم ما نقول فأشار إلى شيخ يقال له أبو محفوظ وكان من خيار من أدركت قال صدق قال أبو عبيدة: وإن القرآن ليعرض بالناس فمن عرف من نفسه شيئاً فأبعد الله من أبعد.

[أبو الوزير]

ومنهم أبو الوزير وكان من أشياخ المسلمين وحقه أن يذكر في طبقة أبي عبيدة، قال أبو سفيان ذكر أبو عبيدة يوماً في مجلسه وذكر النار وما أعد الله فيها لأهلها والجنة وما أعد الله فيها لأهلها وخوف ورغب وكان ذلك في أيام ابن يحيى فلما سكت قام أبو الوزير فقال يا أبا عبيدة لو أردنا الجلوس إلى ما كنت فيه لجلسنا إلى من هو أوصف لما كنت فيه منك من قومنا ألا تزين أمر أصحابك وتحض على نصرتهم والعون لهم فنحن إلى ذلك أحوج إلى ما كنت فيه يعني ابن يحيى وأبا حمزة ومن معهم رحمهم الله، قال أبو عبيدة إنما يتكلم الرجل بقدر ويمسك إلى أجل، قال أبو سفيان تكلم نساء من المسلمات بعد جابر في المال الذي يجمعه الجبابة وقلن إنه حرام ثم افشيته فوافقهن أبو الوزير على ذلك فكلمن أبا حمزة الأشعث فنهاهن عن ذلك وتقدم الكلام على ذلك.

[عيسى بن علقمة]

ومنهم عيسى بن علقمة وهو من أصحاب أبي الحر علي بن الحصين والله أعلم إن كان هو عيسى بن أبي عمرو أو غيره وتقدمت روايته في التعريف بأبي الحر، قال أبو سفيان: أدركت عيسى وهو شيخ كبير.

[أنس بن المعلا]

ومنهم أنس بن المعلا وهو من مشايخ المسلمين، قال أبو سفيان وهو من خيار من أدركته من مشايخ المسلمين قال خرج إلى ابن عم له والياً على فارس فأحسن إليه فبينما هو عنده إذ عزل فهرب أنس إلى البصرة وخرج مستخفياً في مركب ومعه ماله الذي أجاز به ابن عمه وخشي أن يؤخذ منه فدفعه إلى أبي حمزة المختار حتى سكن عنه ما يخاف عنه .

[الحسن بن عبد الرحمن]

ومنهم الحسن بن عبد الرحمن قال أبو سفيان عن الربيع عن الشيوخ: إنه كان معروفاً مسلماً فاضلاً خطب أم عفان وكانت مسلمة وإن أباه استأمرها فكرهت ذلك فنهاء جابر أن يزوجه وهي كارهة ثم خطبها رجل من قومها ليس منا فشاورا أبا الشعثاء فيه وقد رضيت به فأمره أن يزوجه إياه، وكان حقه أن يذكر في طبقة أبي عبيدة .

[سفيان]

ومنهم سفيان وكان من التائبين قال أبو سفيان كان سفيان هجره المسلمون على أشياء أحدثها ثم تاب ورجع وكانوا يقولون له: يا سفيان أكننت تبرأ من أبي عبيدة والمشايخ قال: والله كنت أفعل ولكن أستغفر الله من ذلك وكان حاجب يقول: يا لها توبة كتوبة سفيان .

[يحيى بن نجيح]

ومنهم يحيى بن نجيح، وديال رحمهما الله وكان سعيهما أن يجمعا من الأغنياء للفقراء، أما يحيى فيخرج بجراب فيطوف على أغنياء

المسلمين حضر عنده الخبز أو التمر أو الرمان أو الدراهم وما حضر، قال أبو سفيان وهو يحيى الصغير، ثم يطوف بما جمع على الفقراء يفرق عليهم ومات مع الجلند بن مسعود بعمان.

[ديال بن يزيد]

وأما ديال بن يزيد فيفعل مثل ذلك بعده وربما استأجر الأكسية في البرد الشديد والطنافس والقطف بألف درهم أو أقل أو أكثر وليس عنده منها شيء وإنما يتكل على الله ثم المسلمين ثم يفرق تلك الأكسية والقطف والطنافس على الفقراء ثم يخرج فيجمع ذلك على الأغنياء فيقضي أهل الثياب حقوقهم وكان المسلمون يكثرُونَ الصدقات ويفرحون لأبواب البر.

قال أبو سفيان سمعت بعض مشايخ من أدركت يقول: إنا لنذكر إذا دخل شعبان إن كان الفقراء من المسلمين لتأتيهم الأحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان ولا يعلمون من بعث بها يأتي الرجل بالجمال حتى يقف به على باب الدار فيقول ادخل فيكتب في خرقة كلوا واطعموا وكانوا يحملون المشايخ إلى الحج ويكون لأحدهم عدة نجائب أعدها وكانوا يجمعون الأموال يبعثون بها إلى المغرب والمشرق وتيهرت لإقامة دين الله وكان الذي يتولى ذلك في أيام أبي عبيدة حاجباً.

قال أبو سفيان لما خرج الإمام عبد الله بن يحيى وأبو حمزة جمع حاجبٌ لهما أموالاً كثيرة يعينهما بها وكتب على كل موسر من المسلمين قدر ما يرى فما امتنع عليه أحد ودعا أبا طاهر وكان شيخاً فاضلاً وقال له عليك بالنساء وأوساط الناس فإننا نكره أن نكتب عليهم ما لا يحملون فانطلق أبو طاهر فيمن انطلق معه من المسلمين فلم يأتوا امرأة ولا رجلاً

إلا وجدوه مسارعاً فيما سألوه وكان رجل من المسلمين لم ير أنه صاحب مال فدفع إليهم ثلاثة آلاف درهم فقال له أبو طاهر: أي أخي العيال قال الله لهم: والله ما رأيت مذ كنت وجهاً مثل هذا أنفق فيه فإذا وجدته فدعه والله لا يرجع إلي منها درهم ولكن عهد الله لا تخبر باسمي ما بقيت ففعلوا فلم يمس الليل حتى جمع أبو طاهر عشرة آلاف درهم فأخبروا حاجباً فسر بذلك فقال: إن في الناس لبقية بعد فاشترى بتلك الأموال سلاحاً فوجهه ووجه ما بقي وتقدم الكلام على حاجب وعلى أبي طاهر.

[سابق العطار]

ومنهم سابق العطار، قال أبو سفيان كان سابق من خيار من أدركت قال خرج أبو عبيدة ذات مرة حاجاً مع سابق العطار فبينما هما نازلان في بعض المنازل إذ وقفت عليهما إعرابية بلبن وسمن وجدي فاشتراها سابق بقرورة خلوق وقلادة فجاء باللبن إلى أبي عبيدة فقال: أَخْرُ عَنَّا لَبْنِكَ يا سابق كم ثمن القلادة قال نحو دائق وكذا القارورة ويحك إنما الغبن للعشرة اثنان أو خمسة للعشرة وللدرهم درهم ولعله والله اعلم أنه أراد ما ثمنه درهم تبيعه بدرهمين يعني الثلث أو السدس أو النصف قال له وأما مثل هذا فلا فأرسل سابق إلى الأعرابية فقال لها أبو عبيدة: كم ثمن اللبن عندكم قالت: لا ثمن له قال: وثمان الجدي والسمن قالت: أربعة دراهم فاخرج سابق أربعة دراهم فدفعها إليها، قال أبو عبيدة: هلم الآن لبنك يا سابق.

[أردون]

ومنهم أردون، قال أبو سفيان أخبرنا شيخ لنا من أهل عمان يقال

له أردون وكان من خيار من أدركته من مشايخ أن نسوة من أهل عمان استأذن على عائشة فأذنت لهن فدخلن فسلمن عليها وسلمت عليهن فسألتهن من تكونن قلن من أهل عمان فقالت: لقد سمعت حبيبي ﷺ يقول: «ليكثرن وراد حوضي من أهل عمان».

[أبو الموسر]

ومنهم أبو الموسر، قال أبو سفيان شيخ فاضل من المسلمين، قال أبو سفيان كان له ابن يدعى عبد الرحمن قال الناس كلهم عندي أهل ولاية إلا من ظهر لي منه ما أبرأ به منه فنهاء المسلمون ونهاء أبوه عن ذلك القول فلم ينته فخلعوه وبرأوا منه واعلموا الناس أنه على غير طريقتهم وذلك في زمان أبي عبيدة.

[أبو منصور]

ومنهم أبو منصور، قال أبو سفيان وكان فقيهاً عالماً قال أبو منصور النفساء لا نزيد على ستين ليلة يوماً واحداً إذا تمادى بها الدم تطهرت وصلت وتغتسل وتجمع بين الصلاتين، قال أبو سفيان أخبرني رجل من المسلمين من أهل خراسان إن عندهم في الأثر عن أبي عبيدة إنها تتربص ما بينها وبين تسعين يوماً فإن انقطع وإلا فلتتطهر وتصل، قال أبو سفيان لعل أبا عبيدة جعل لكل شهر من شهور الحمل أقصى مدة الحيض عشرة أيام وجعل شهور الحمل تسعاً.

[أبو واقد]

ومنهم أبو واقد وكان حقه أن يذكر في طبقة أبي عبيدة، قال أبو سفيان كان أبو واقد من خيار المسلمين، قال أبو سفيان قال الربيع يكره

أن يتزوج الرجل المرأة ويتزوج أبوه ابنتها فقال لي: إن امرأة واقد وأبي واقد ليست كذلك إنما كانت امرأة وخالتها.

قال أبو سفيان وكانت هلبية المهلبية إذ قدم أبو حمزة مكة حضرت الموسم فعالجت لهم طعاماً كثيراً وكانت من خيار المسلمات فأرسلته مع أبي واقد وابنه وكانا فاضلين فأخذهما الحرس فقالوا: معكما السلاح ففتشا فلم يجدوا معهما سلاحاً فلما أصبح أبو حمزة أرسل إليهم النقض جاء من جهتكم وكانت بينهم وبينه مواعدة إلى انقضاء الموسم قال لهم: فإن شئتم ناقضناكم وإن شئتم فأوفوا بعهدكم فأرسلوهما فتم العهد حتى فرغ الناس من مناسكهم.

[زجر الحضرمي]

ومنهم زجر الحضرمي، قال أبو سفيان كان ذا فضل وعبادة وورع قال وسمعت وائلاً يقول: إن معنا بن زائدة لعنه الله لما قدم اليمن وقتل من قتل من المسلمين وغيرهم هرب زجر إلى قلعة فامتنع فيها زماناً وكان له ابن عم بلغ مع معن منزلة ومكانة فاستأمنه على زجر فأمنه فلما قدم به ابن عمه قتله فسألنا أبا عبيدة فقال يقتل علانية وسراً فقالوا: لا ننتهمه على ابن عمه قال: أيعرف أن معنا يقتل بعد أن يؤمن قلنا نعم قال يقتل سراً وعلانية.

[حفص الويلي]

ومنهم حفص الويلي وكان من طبقة أبي عبيدة، قال أبو سفيان قال الربيع لأبي عبيدة حين بعثه ليقوم بأمر الناس في الموسم قد كنت تحضر أنت وحفص الويلي فما تكادون تقومون بما يرد عليكم فكيف بي وقد تقدم الخبر.

[محبوب بن الرحيل]

ومنهم أبو سفيان محبوب بن الرحيل أحد الأسياف والأخبار والمقيد
غرائب الفقه وعجائب الأخبار ساد الفضلاء علماً وحفظ الآثار، قال أبو
العباس مناقب أبي سفيان مغنية شهرتها عن المشاهدة فقد قامت مقام
العيان، قال أبو سفيان كنت أصلي بجماعة النساء في منزلنا وأنا إذ ذاك
شاب فجاءنا الربيع يوماً من الأيام وجاء معه أبو طاهر فيمن جاء فقال
لي أبو طاهر يا محبوب إنك تحبس النساء وتطول عليهن فقال لي
الربيع: فكم تقرأ قلتُ عشرين وعشراً ونحو ذلك فقال له الربيع وهذا
كثير يا أبا طاهر ثم قال الربيع كان ضمام يقرأ خمسين آية وكان حافظاً
سريع القراءة، قال أبو سفيان عن عبد الملك الطويل قال أبو حمزة كنا
نأتي منزل حاجب في رمضان يصلي بنا فيه فيقرأ بنا المائدة في ثلاث
ركعات، قال أبو سفيان من لم يقدر على القيام من مرض أو في سفينة
أو طين أو ماء فإنه يصلي جالساً ويومئ برأسه ولا يسجد وهو قول أبي
عبدة والربيع وجابر وذكرت للربيع أن رجلاً من أهل خراسان حدثني
عن أبي عبدة الصغير وهو الذي تولى أمره في مرضه الذي مات فيه
أعني عبد الله بن القاسم أنه كان يصلي قائماً فلما غلب حملته حتى قعد
على المسجد فكبر ثم ركع ثم أهوى إلى السجود فظننت أنه غلب
فبادرت لأرفعه فجذبتني فأرسلته فسجد وهو جالس فلما فرغ والتفت إليّ
قال: إنما الإيماء على من كان على الفراش أو دابة أو سفينة وأما من
كان في المسجد فإنما يركع ويسجد، قال أبو سفيان أدركت أصحابنا
يكرهون أن يصلي الرجل في داخل المحراب ولكن ليقم خارجاً منه
ويكون سجوده فيه، قال أبو سفيان أفتى الربيع لامرأة سألت والدتي
وكانت والدته تحت الربيع عن من اشتغل عن الظهر إلى العصر قال:

تعتق رقبة قالت: لا تجد قال: تصوم شهرين قالت: فعلت ذلك غير مرة قال: فلتصم لكل مرة شهرين. قال أبو سفيان عن الربيع أن أبا عبيدة يجمع الصلاة في الفلوات فإذا مر بقرية فإن شاء جمع وإن شاء أفرد وإن نزل بقرية يقيم فيها أفرد.

[عبد الملك بن صفرة]

ومنهم أبو صفرة عبد الملك بن صفرة بلغ في العلوم فكان كبيراً وحاز منها شيئاً كثيراً روى آثار الربيع عن ضمام عن جابر وهو مشهور وأما كتاب المسند عن أبي عبيدة المسمى بكتاب الربيع فلا أدري من رواه ولعله هو الراوي أيضاً وكان مشوشاً وإنما رتبته أبو يعقوب يوسف ابن إبراهيم الوارجلاني. ومنهم حملة العلم إلى المغرب وحملة العلم إلى المشرق.

[الجلندي بن مسعود وآخرون]

ومنهم الجلندي بن مسعود وهلال بن عطية الخراساني، ومنهم سالم ذكوان رحمه الله وحقه أن يذكر في طبقة أبي عبيدة وهو من مشاهير العلماء الأبرار وكان ممن يكاتبه جابر بن زيد رحمه الله وينبغي أن نذكر من خالف الربيع في بعض المسائل وإن كان من خالفه لا يلتفت إليه لأن لهم أقوالاً في الفقه وأسانيد يأخذ بها أصحابنا.

وفي جواب الإمام أفلح وقد سئل عن أبي المؤرج وابن عبد العزيز فقال وقعت منهم مسائل معروفة فلم يؤخذ بقولهم في تلك المسائل وأما غيرها فما فيه اختلاف من رأى أصحاب النبي ﷺ واختلاف فقهاءنا فلا يدفع إسنادهم وهم بمنزلة من سواهم من المسلمين وأما البراءة قال لم يكن عند المسلمين يعني ابن عبد العزيز محموداً وهو إلى البراءة أقرب،

وهم سهل بن صالح، وأبو المعروف شعيب بن المعرف، وعبد الله بن عبد العزيز وأبو المؤرج، وتقدم الكلام على حمزة الكوفي وعطية وغيلان وأنهم أخذوا بقول أهل القدر فبرئ منهم أبو عبيدة وحاجب والمشايخ، وقد اجتمع شعيب وابن عبد العزيز مع حمزة وعطية فتناظروا فقال حمزة لشعيب ومن أدركت وما أنت إنما أنت صبي فقال عبد الملك الطويل لشعيب: لك عندي شهادة قال: هاتها قال: عدلت حمزة عند سوار في شهادة فعاتبني أبو عبيدة فقال أتعدّل من هجره المسلمون، وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس فقالا: إن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا أحداثاً فمن آواهم فهو الخائن المتهم وكان حمزة منقطعاً إلى هلبة أم سعيذة فدخل عليها أبو النصر بسطام وقد تقدم التعريف به فقالت له: قد علمت أنسي بك وراحتي في لقائك فأبطأت عني قال: كيف آتيك وأنت كهف من هجره المسلمون قالت: أوقد فعلوا قال: نعم قالت: أما ما مضى فلم أعلم وأما ما يستقبل فلن يدخل عليّ فلما هجرته خرج من البصرة إلى الموصل يبتغي ضعفاء المسلمين فلما بلغ أمره أبا محفوظ تتبع القرى بحذر منه ويخبرانه على خلاف المسلمين ودخلوا على أم شهاب فكلموها قالت قد سمعت ما قلت فممنه ما أعرف وممنه ما لا أعرف فالذي أعرف قد عرفته والذي لا أعرف فقولي قول المسلمين وديني دينهم ولا تعودوا على هذا الكلام فعجب المسلمون من قولها وفرحوا به.

ودخل عليها عبد الله بن عبد العزيز وصالح بن كثير فسألتهما عن مسألة فأجابها صالح فقالت: عمن أخذتها قال: رأي قالت: اضرب برأيك الحائط لا حاجة لي فيه.

وأما حفص بن مقتات وأخوه صالح فمن المتكلمين، وحاتم بن منصور ومن شاكلهم فلم احفظ فيهم ما أقول ولا أدري ما هم، أما

حيان بن حاجب فإلى الولاية أقرب والجميع لا أعرف قول المسلمين فيهم.

وأما ابن عباد المصري ففي الولاية وابن عباد المتكلم كذلك وسيأتي التنبيه عليهما إن شاء الله تعالى وكذا خلف بن زياد البحراني، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، ومحمد بن المعلل، وهاشم بن غيلان، ومنير بن النير الجعلاني، وبشير بن المنذر النزواني.

ومن بعدهم من أئمتنا وكذا فقهاء الكوفة وسائر العراق واليمن لكن الجهل بهم منع ذكرهم وسأذكر أشيأاً يروي عنهم الربيع ويروون عن جابر لكنهم مجاهيل ما رأيت من عرف بهم، منهم يحيى بن أبي قررة، عباس بن الحارث، قتادة، سعيد، عبد الله بن الحارث، الوليد بن يحيى، سري بن سالم، كعب بن سوار، يحيى بن نافع، حبيب بن أبي حبيب، عمر بن هرم، محارب بن يزيد، أبان بن يزيد، ابن جريح، ضمام بن يحيى، عمرو بن أبي قررة، سلام بن مسكين، عمار بن حبيب، أبو خليل، أبو عوانة بن جعفر، ابن الياس، خدأش، ابن عبد الحميد، حماد بن سلمة، القاسم بن الفضل، حسان العامري، وأما جابر بن عمارة فمن شيوخ أهل الدعوة بصري وإن عده أبو يعقوب في المجاهيل، وكذا أبو المهاجر الكوفي، وإسماعيل بن القديد، وأبو محمد عبد الرحمن بن مسلمة المدنيان، وعبد السلام بن عبد القدوس رحمهما الله.

وأما رجال حديث مسند الربيع فقد ذكرهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم فلا أتعرض لذكرهم إلا من تقدم ذكره في تعريفنا، وإنما مقصدنا فيه التعريف بمشايع المغرب وأئمتهم وكرامتهم ومناقبهم، وها أنا بائح بهم والله المستعان.

ذكر المشائخ بالمغرب

[ابن اليسع]

منهم ابن اليسع من أهل مصر وكان شيخاً سخيّاً ذا يسر فاضلاً شهيراً وقد جعل كراء عشرة فنادق لفقراء المسلمين، قال أبو طاهر إسماعيل بن موسى رجل عظيم القدر واسع المال فيما وجدت والله أعلم.

[إبراهيم المصري]

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم المصري، ومنهم ابن عباد وهو شيخ مرضي فقيه كان بمصر وفي كتاب «سير الجبل» إن أم أبي ميمون لما حضرته الوفاة قيل لها لمن أَكَلْتُ وَصَيْتِكَ قالت: لهذا الذي في المهد تعني أبا ميمون فلما بلغ أخبروه بمقالة أمه فأراد أن يحج عنها فسأل عن ولايتها فلم يجد من يتولاها إلا امرأة واحدة متقية فالتمس من يفتي له أن يتولى أمه بها فلم يجد فسار إلى مصر ودخل على ابن عباد فرخص له وقدم إليه تيناً ولحماً فأكل ابن عباد التين وأبى من اللحم فقال هذا يضر وهذا يضر يعني أن اللحم يأكل أموال الناس في حال حياته وهرب وتترزه من الشبهة وهذا من كثرة ورعه وخوفه على نفسه.

[عيسى بن علقمة المصري]

ومنهم الإمام الماهر الشيخ الطاهر عيسى بن علقمة المصري وهو من متكلمي الأباضية وحذاق علمائها، قال الشيخ أبو عمار عبد الكافي إن مثل عيسى لمن حذاق متكلمي هذه الدعوة المباركة فيما بلغنا عنه قال عارض من قال إن أسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة في كتاب التوحيد الكبير بأمر مقنع بما فيه الكفاية وعيسى بن علقمة هذا مصري وعيسى بن علقمة الذي ذكرته قبل مكي صاحب أبي الحر بن الحصين.

وكذا ابن عباد هذا أيضاً وهو غير ابن عباد المدني الذي ناظره محمد بن محبوب في مكة اسمه محمد بن عباد وكان له مقالات واعتقادات أفسدها عليه ابن محبوب وعرفه الحق ودعاه إليه فقال تبث من جميع الخطأ فقال من حضر إنك متدين ولا يجزيك إلا أن تعد مسائلك وتتوب منها ومن اعتقادك فيها فخاف من البراءة فتوقف، قال له ابن محبوب المعترف بذنبه الراجع عنه لا يبرأ منه في قول بعض فتاب ورجع إلى قول المسلمين.

قال أبو عمرو عثمان بن خليفة وليس هو بابن عباد الذي في زمان الربيع هذا متكلم وذاك فقيه.

[أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح]

ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني وسبب وروده أرض المغرب أن سلمة بن سعد لما قدم المغرب يدعو إلى هذه الصبغة يعني مذهب الأباضية فيما نقل الإمام عبد الوهاب عن أبيه عبد الرحمن بن رستم قال: وددت أن يظهر هذا الأمر يوماً واحداً فما أبالي أن تضرب عنقي فتعلق بمسامع عبد الرحمن ما قال

فاجتهد في طلب ذلك أتم الطلب والاجتهاد، قال ولا أدري كيف التوصل إليه وكان بمدينة القيروان، وسبب وصوله إليها أن أباه رستم بن بهرام بن سام بن كسرى قدم مكة حاجاً بزوجته وابنه عبد الرحمن فمات فتزوجت زوجته رجلاً من القيروان فأقبل مع أمه فلما سمع ما سمع من سلمة بن سعد وتعلق قوله بقلبه وطلب ذلك، قال له رجل من أهل الدعوة إن أردت هذا الأمر الذي كلفت به فعليك بالبصرة برجل عالم فيها يقال له مسلم أبو عبيدة بن أبي كريمة التميمي تجد عنده ما تطلب وقيل أمه هي القائلة له ذلك فسافر مرتحلاً طالباً علماً فقدم على أبي عبيدة ووافق ارتحاله جماعة إليه في ذلك العام حملة العلم، وهم عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي فلما بلغوه صافحهم وسألهم عن أحوالهم وما يريدون فقالوا: نطلب العلم فأجابهم فمكثوا عدة سنين عنده وكان في أيام استخفافه من بعض أمراء البصرة وكان يقرئهم في سرب وعلى فمه سلسلة فإذا أقبل أحدٌ حركت فيسكتون وإذا انصرف حركت فيأخذون في القراءة.

وكان عبد الرحمن جميلاً شاباً حدث السن وضرب أبو عبيدة بينه وبين الناس سترًا لثلاً يشغلهم بجماله فلما استكفوا وأرادوا الانصراف كلمن العجائز أبا عبيدة أن يريهن عبد الرحمن وهن ثلاث فأدخله عليهن فدعون له بالبركة ثم استشاروا أبا عبيدة في شأنهم إن أنسوا من أنفسهم قوة أيؤمرون عليهم واحداً منهم قال: نعم وأشار إلى أبي الخطاب فإن أباي فاقتلوه وهو أراد المسير معهم فلما أراد وداعهم سأله إسماعيل بن درار الغدامسي عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام قال له أبو عبيدة أتريد أن تكون قاضياً يا ابن درار قال: أرأيت إن ابتليت بذلك فلما بلغوا بلادهم وأنسوا من أنفسهم قوة اجتمع من اهتم بأمور المسلمين

ومن له النظر من الشيوخ وتشاوروا بموضوع يقال له صياد غربي مدينة طرابلس فاتفق رأيهم على تولية أبي الخطاب المعافري ويظهرون أن اجتماعهم بسبب أرض أرادوا قسمتها وقيل بسبب رجل وامراته اختصما فاتعدوا ليوم معلوم يجتمعون فيه ويأتي كل واحد بمن خلفه من أتباعه ويجعلون عدتهم في غرائر مملوءة تبناً فأخرجوا أبا الخطاب معهم فتكلم بعضهم فقال: امضوا الأمر الذي عزمتم عليه فقامت طائفة يتناجون وكل ذلك لا علم لأبي الخطاب بشيء فلما رجعوا من المناجاة قالوا لأبي الخطاب: ابسط يدك نبايعك على أن تحكم بيننا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآثار الصالحين من بعده فقال لهم: ليس لهذا أخرجتموني قالوا: لا بد من ذلك فلما رأى الجد والحقيقة منهم قال: لا أقبل منكم إلا على شرط ألا تذكر في عسكري مسألة الحارث وعبد الجبار، فأعطوه ذلك الشرط، ومسألة الحارث وعبد الجبار هي أن يقتل رجلان من أهل الولاية فيقتل كل واحد صاحبه ولا يدري الظالم والباغي من المبغي عليه فبعضهم قالوا: هما على ولايتهما حتى يتبين أمرهما وبعضهم قال نقف.

وكان عبد الجبار والحارث قاما عام أحد أو اثنين وثلاثين بناحية طرابلس على عامل مروان بن محمد أحدهما إمام والآخر وزيره أو قاضيه إخوان لأم أو ابنا خالة فوجدوهما ميتين في بيت واحد وسلاح كل واحد في صاحبه فاختلفوا في ولايتهم فبلغت مسألتهم أهل المشرق فاختلفوا كما اختلف أهل المغرب فكتب أبو عبيدة وحاجب الكف عن ذكرهما فأراد أبو الخطاب قطع مادة الخلاف وقد كان الحارث وعبد الجبار خرج إليهما عامل طرابلس فقتلوه فلما بايعوا أبا الخطاب على الإقامة بحق الله والعمل بما في كتابه والاقتداء بسنة نبيه وآتباع

الأئمة المهتدين قبله فقبل ذلك ودخل مدينة طرابلس ومعه جماعة المسلمين على حين غفلة من أهلها وذلك عام أربعين ومائة وأدخلوا الرجال في الجواليق في هيئة الرفقة فلما توسطوا المدينة أشهروا السلاح وقالوا: لا حكم إلا لله وقصدوا عامل أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فخيره أبو الخطاب بين الخروج بالأمان والعودة على أن ينتزع من الولاية فاختر الخروج نحو المشرق وأمنوا أهل المدينة وأحسن أبو الخطاب السيرة وأظهر العدل والتواضع فسلكت عماله ورعيته مسلكه وتولت ورّفجومه القيروان وهم بطن من البربر.

وسبب توليتهم القيروان أنه لما قتل حبيب بن عبد الرحمن عمه الياس في أبيه وكان عبد الرحمن عامل بني أمية وأقره المنصور ثم خلع المنصور ثم قتله أخوه الياس غدرًا بليل أراد أن يوادعه فقتل الياس حبيب في حرب بينهما وفرّ عبد الوارث من ابن أخيه حبيب ومن فل من جيش الياس إلى ورفجومه فبعث حبيب بن عبد الرحمن إلى عاصم بن جميل الورفجومي يرسل إليه عمه عبد الوارث ومن معه فامتنع فزحف إليه حبيب فاقتتلوا وهزم حبيب فزحف عاصم وأخوه مكرم إلى القيروان فدخلوها بعد حرب وفرّ حبيب إلى قابس ثم إلى جبل أوراس فاستحكمت ورفجومه على القيروان وعتوا وطفغوا وجاروا وساموا الناس سوء العذاب وربطوا دوابهم في المسجد الجامع فخرج إليهم أبو الخطاب غضباً لله ولدينه وسبب ذلك امرأة أرسلت إليه كتاباً إن لها ابنة جعلتها في مطمورة خوفاً عليها من ورّفجومه.

وحكى ابن الرقيق عن ابن حسان أن رجلاً من الأباضية دخل القيروان فرآى ناساً من الورفجوميين كابروا امرأة على نفسها والناس ينظرون ولم ينكروا ذلك عليهم فترك حاجته فأتى أبا الخطاب وقال بعض

أصحابنا إنَّ ورفجومه أخرجوا امرأةً وهي تصيح يا معشر المسلمين أغيثوني فلم يغثها أحدٌ فبلغ الخبر أبا الخطاب وقيل ظلموا فصاحت يا أبا الخطاب فحمد الله في صوتها فسمعها فقال لها: لَبَّيْكَ يَا أَخْتَاهُ إِلَى ثَلَاثِ مَرَارٍ وَبَكَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَنَادَى بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَصَلَّى بِهِمْ فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَرَغَبَ فِي الْجِهَادِ وَأَمَرَ بِالِاسْتِعْدَادِ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ سَلَ سَيْفَهُ وَكَسَرَ غَمْدَهُ غَضَبًا لِلَّهِ وَتَرْغِيًا لِلْجِهَادِ وَكَانَ عَامَ قَحْطِ وَسَنَةِ عَسِيرَةٍ وَأَرْضُ مَجْدُبَةٍ فَخَرَجَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ رَغْبٍ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَأَمَدَهُمُ اللَّهُ بِالْجِرَادِ يَتَزَوَّدُونَ مِنْهُ يَرْتَحِلُ بَارْتِحَالِهِمْ وَيَنْزِلُ بِنَزْوِلِهِمْ مَتَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا بَرَزُوا نَادَى مَنَادِيهِ مَنْ لَهُ أَبْوَانُ كَبِيرَانِ أَوْ وَاحِدًا وَعُرُوسٌ جَدِيدَةٌ فَلِيرْجِعْ بَلِيلٌ فَإِذَا أَصْبَحَ أَمْرٌ مِنْ يَنْظُرُ الْأَثَرَ هَلْ رَجَعَ أَحَدٌ وَيُخْبِرُ بِالرَّجُوعِ وَكُلَّ ذَلِكَ يَكْرُرُ النِّدَاءُ فَلَمَّا أُخْبِرَ بِعَدَمِ الرَّجُوعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْجِهَادِ وَعَدَّتْهُمْ سِتَّةُ آلَافٍ فَخَطَبَ أَصْحَابَهُ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: اطْمَعْ لِمَنْ مَاتَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ الْجَنَّةُ إِلَّا مَنْ فِيهِ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ، قَاتَلَ نَفْسًا ظَلَمًا، وَقَاعَدَ عَلَى فِرَاشٍ حَرَامٍ، وَمَنْ فِي يَدِهِ أَرْضٌ مَغْصُوبَةٌ وَالْمَخْرُجُ مِنْهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الْمَرْأَةِ وَيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ وَلِيَتَبَرَّأَ مِنَ الْأَرْضِ وَلِيَشْهَدَ عَلَى تَرْكِهَا وَلِيَقْدِمَ نَفْسَهُ الْقَاتِلَ لِأَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُمْ فَلِيَدْفَعْ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَجُلٌ: اجْتَمَعَنْ فِيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الْمَرْأَةِ وَالْأَرْضِ وَيَقُودَ نَفْسَهُ لِأَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُمْ فَلِيَدْفَعْ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحَازَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْقَيْرَوَانِ عَلَى مَدِينَةِ قَابَسٍ فَحَاصَرَهَا حَتَّى أَضْعَفَ أَهْلُهَا فَأَذْعَنُوا وَأَطَاعُوا فَتَرَكَ عَلَيْهِمْ عَامِلًا ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ فَلَمَّا بَلَغَهَا حَاصِرَ أَهْلَهَا مَا شَاءَ اللَّهُ وَقَدْ كَانَ خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْجَعْدِ بِوَرَفْجُومَةٍ فَقَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَأَصْحَابَهُ وَذَلِكَ فِي

صفر عام إحدى وأربعين ومائة وكانت تغلب ورفجومة على القيروان سنة وشهرين .

وقال أبو زكريا يحيى بن أبي بكر رحمه الله أن عاصم السدراتي وهو أحد النفر الخمسة من حملة العلم كان من أشد الناس شوكة على أهل القيروان فمرض مرضاً شديداً فسمع بمرضه أهل القيروان ثم انتهى قثاء فبلغهم ذلك فسموا قثاءة فأرسلوا بايعاً يبيع القثاء فأمره ألا يبيع تلك التي جعلوا فيها السُّم إلا لعاصم فاشتروا تلك القثاءة المسمومة لعاصم فلما أكلها مات فاستشهد رحمه الله فجمع الله له أجر الجهاد وشدة النكاية في الأعداء والمرض والموت بالسُّم رضي الله عنه فلما فعلوا فعلتهم صاحوا من فوق المدينة أين عاصم السدراتي الذي قتل بالسُّم وبلغ ذلك في أبي الخطاب مبلغاً عظيماً فأمر أهل العسكر أن يخرجوا بالليل بسلاحهم ويتركوا الأخبية كما كانت أشباه المنهزمين فلما أصبح أهل القيروان ظنوا أنهم هربوا فاتبعوهم مشرقين وقد كمن لهم أبو الخطاب فيمن معه فلما ترائى الجمعان ووقع القتال انهزم أهل القيروان وولوا مدبرين فتبعهم حتى دخل القيروان فخرج أهل المدينة إلى موضع القتلى فإذا بثيابهم لم يسلب أحدٌ منهم فقالت امرأة كأنهم رقود وسمي الموضع رقادة إلى أيام عبد العزيز بن أحمد المكنى بأبي فارس فسمَّاهُ نبهانة على ما قيل وخرجوا إلى زروعهم فإذا هي كما كانت لم يقع فيها فسادٌ ولا مضرَّةٌ لا بالناس ولا بالمواشي فتعجب الناس من عدل أبي الخطاب وطاعة أصحابه له فتفقد رحمه الله القتلى فوجد واحداً منهم مسلوباً فنادى مناديه من أخذ من القتلى شيئاً فليرده فلما آيس دعا الله ربه وكان مستجاب الدعاء أن يفضحه على رؤوس الإشهاد فركبوا خيلهم ليجروها وانقطع حزام جميل السدراتي وسقط وظهر السلب تحت سرجه

فأخذه الإمام وأدبه وكان رحمه الله أحسن السيرة فيهم حين هزمهم لم يجهز على جريح ولم يتبع مدبراً فقال له خالد اللواتي نأكل من أموالهم كما يأكلون من أموالنا .

قال أبو الخطاب حقيق على الله أن يدخلنا معهم النار ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَدَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ ثم ارتحل إلى القيروان وولّى عليها عبد الرحمن ابن رستم أحد حملة العلم من المشرق المتقدم ذكرهم ورتّب عبد الرحمن العمال على مداين أفريقية ونواحيها، ثم إن المسودة أقبلوا من ناحية برقة في جيوشهم وعليهم العوام بن عبد العزيز البجلي فخرج أبو الخطاب حتى أتى ودراسة فوجه إليهم مالك بن سحران الهواري فلقي العوام بأرض سرت فهزم الله العوام والمسودة وأقبل أبو الأحوص عمر بن الأحوص العجلي بالمسودة فخرج إليه أبو الخطاب فالتقاه بمغمداس من أرض سرت على شاطئ البحر فهزم الله أبا الأحوص بعد أن قتل من أصحابه بشرٌ كثيرٌ وانصرف أبو الخطاب إلى طرابلس وخلصت طرابلس وأفريقية لأبي الخطاب وانبسط العدل في الناس حتى قال شيخ من أهل القيروان يخاطب أصحابه تشبهون دينكم بدين أبي الخطاب وأين مثل أبي الخطاب في فضله وعدله وأقام حدود الله وأحيا سيرة العدل بعد أن أماتها الأئمة الجورة وقهر الجبابرة وعظم أولياء الله مع زهدٍ وتواضعٍ ثم إن جميل السدراتي خرج مغاضباً لما وقع به من الأدب وما لبس من الفضيحة إلى أبي جعفر فأقام سنة لا يؤذن له بالدخول ثم أذن له ثم سأله عن حاجته فقال: إن تبعث معي عسكرياً إلى المغرب فأرسل معه ابن الأشعث محمد

(1) سورة الأعراف، الآية: 38.

في سبعين ألفاً وقيل خمسين ألفاً وخرج من أفريقية إلى أبي جعفر من كره العدل من بقية الجند وغيرهم كنافع بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن ابن أنعم، وأبو البهلول وغيرهم وخرج محمد بن الأشعث الخزاعي الأغلب بن سالم التميمي والمحارب بن هلال والمخارق بن الغفار الطائي وأمرهم بالسمع والطاعة لابن الأشعث فلما جاوز حدود مصر أرسل العيون وقد تهيأ له أبو الخطاب في المسلمين فلما رجعت له عيونه سألهم عن أبي الخطاب وأحواله وجنده فقالوا: نجمل أم نفسر فقال: اجملوا قالوا: رأينا رهباناً بالليل أسوداً بالنهار ويتمنون الجهاد بلقائكم كما يتمنى المريض لقاء الطبيب لو زنى صاحبهم لرجموه ولو سرق لقطعوا يده خيلهم من نتاجهم ليس لهم بيت مال يرتزقون منه وإنما معاشهم من كسب أيديهم فلما وصفوا له حال أبي الخطاب وحال أصحابه ضاق بلفائه ذرعاً فهاله أمرهم فاستشار أصحابه في الرجوع فأبوا له فخاف الافتراق صانع في كتاب أقواماً أخرجهم بليل يقبلون به يورون الناس أنهم قدموا من بغداد فلما قدموا كما أمرهم وقرأ الكتاب أمر الناس بالرجوع كأنه مأمور من أبي جعفر بذلك فكره بعض أصحابه ذلك وأظنه المحارب بن هلال فأمر به فقتل فخيّل للناس أن أبا جعفر أمره بذلك وكر راجعاً وتباطىء في سيره وقرب المراحل فرجعت عيون أبي الخطاب فأخبروه وبذلك ففطن لمكره وكيدته وكان وقت زرع فأراد الناس التفرق إلى زروعهم قال لهم: إن العرب أصحاب مكر فلا تتفرقوا عن إمامكم فما زالوا به حتى أذن لهم بالرجوع فلما رجعت عيون ابن الأشعث إليه وأخبروه بتفرق أصحاب أبي الخطاب طوى المراحل ليلاً ونهاراً ولم يشعر أبو الخطاب إلا وقد دخلوا حيز طرابلس فقال: لا يسعني في ديني أن أقعد عن دفاع العدو عن رعيتي فخرج في قلة وكانوا أهل بصائر وقد كانوا أشاروا عليه أن يقيم حتى تجتمع عليه جنوده الذين

تفرقوا فأبى عليهم يرى أن ذلك لا يسعه في الدين فلقي ابن الأشعث
بتَوَزَّعًا وكان معه نفوسة وهوارة وطريشة أعني من قرب من المدينة منهم
وقد سبقه ابن الأشعث إلى الماء وقال لأصحابه: إن استقى أبو الخطاب
واستراح هو وأصحابه لا تطيقون لقاءهم ولا تقدرّون لهم على شيء
وأنتم الآن أقدر عليهم مع التعب والجوع والعطش وأصحاب أبي
الخطاب تآقت نفوسهم إلى الجهاد وملاقاة الأعداء ومجالددة الأقران
وكان بينهم قتال شديد وصبر أبو الخطاب في قتله حتى مات من الفريقين
بشرٌ كثير فأبى أبو الخطاب وأصحابه من الانهزام حتى استشهدوا رحمهم
الله تعالى وهم اثنا عشر ألفاً وقيل أربعة عشر وتتبع عدو الله المسلمين
في الجبال فتعلقوا في الجبال والقلاع.

وأدرك عبد الرحمن بن رستم وهو بمن معه من أهل أفريقية بقابس
وتفرق أصحابه وذهب وهو مستخفٍ حتى دخل مدينة القيروان فلما بلغ
أهل القيروان موت أبي الخطاب قاموا على عامله وأوثقوه وقدموا عمر
ابن عثمان القرشي على أنفسهم حتى قدم ابن الأشعث وقام عبد الرحمن
ابن حبيب يلتبس عبد الرحمن بن رستم وفرَّ رحمه الله إلى المغرب، قال
أبو يحيى ظفر به عبد الرحمن بن حبيب فتشفع فيه رجلٌ من أهل
القيروان فقال له ابن حبيب كل حاجة لك عندي مقضية إلا ابن رستم
فقال: إن لم أسألك ابن رستم فمن ذا أسألك فأطلقه له.

وكان ابن رستم حين أراد المسلمون توليته لبعض أموره قال: إن
ابن حبيب إبليسٌ أو شيطان في صورة إنسان فحقدها عليه ابن حبيب
وخرج عبد الرحمن بن رستم وما معه إلا ابنه عبد الوهاب وغلام له
فمات فرسه في بعض الطريق فدفنه خشية الطلب وضعف عن المشي
وأدركه العياء والملل فصار ابنه وغلामه يحملانه نوباً وكل واحد يقول

لصاحبه إن أدركنا العدو فما دون الخمسمائة لا تضع الشيخ لجلدهما وشجاعتهما حتى بلغوا بالمغرب سوفجج جبل منيع وفات عدو الله ابن الأشعث واجتمع إليه بعض شيوخ أهل الدعوة من طرابلس وغيره فارتحل إليه ابن الأشعث فحاصره زماناً فلم يصنع شيئاً ووخم الجبل بأهله ومات من أصحاب عبد الرحمن بشر كثير بالمرض فأيس منه ابن الأشعث ورجع إلى القيروان وضبطها وأمعن في قتل أهل الدعوة ثم قام عليه الجند فأخرجوه إلى المشرق واتقدت المغرب نيراناً لكثرة الفتن.

[يعقوب بن حبيب]

ومن أئمة المغرب ومشايخها أبو حاتم: يعقوب بن حبيب مولى كندة وهو أبو حاتم الملزوزي التجيبي.

قال ابن سلام بن عمر أن أهل دعوتنا من المسلمين بعدما قتل أبو الخطاب ومن معه في أربعة عشر ألفاً تتبع عدو الله محمد بن الأشعث المسلمين يقتل ويسدل وأخرج الجزيري عاملاً باغياً جباراً على مثل فعله وطريقته ويشترط على من نزل عليه من أحياء المسلمين ألا يفلي لحيته إلاّ الجواري الحرائر من المسلمين حتى انتهى إلى ناحية زهانة فنزل على مياهم ومعه وانيتن بن يلاتس وعبد الله بن يزيد وسليمان بن دوستن من بني يجلتن فأرسل عبد الله بن وانيتن ورجلاً من الجند معه لحشد زهانة فلم تزل زهانة تتوانى بهما حتى تهور الليل ف ضرب الحارث بن يردون عنق الجند وكتف عبد الله وظعنوا إلى الجزيري ولم يشعر إلا وقد أحاطوا به وبجنده فقتلوهم ولم يفلت منهم أحدٌ إلا من أراد الله ثم خرج سليمان بن دوستن بالجند في طلبهم فلم يحسن الدلالة وأخذ بهم طريقاً قليل المياه حتى بلغ بهم الأحمر موضعاً معروفاً فرجعوا خائبين، فلما أنس المسلمون من أنفسهم قوةً في حيز طرابلس اجتمعوا فأظهروا أن

اجتماعهم في شأن امرأة صالحة اسمها مسلمة أساء إليها زوجها فلما اتقنوا رأيهم وحضر كل من ينظر إليه عقدوا الولاية لأبي حاتم عام أربعة وخمسين فأرسل إليهم والي طرابلس خمسمائة فارس فقاتلهم أبو حاتم فهزمهم فتفقد رحمه الله القتلى فوجد بعضهم قد جرد فغضب وقال: إن لم تردوا أسلابهم اعتزلت ولايتكم فردوا الأسلاب وأجابوا الطاعة وتابوا مما اقترفوا وأتاه جيش ثان من أفريقية فتلقاهم قرب قابس فهزمهم ودخل طرابلس مع هزيمتهم وأقام بها أشهراً فلما تعدلت أحوالها واستقام أمرها خرج يبتغي أفريقية فنزل على القيروان فحاصرها أشهراً بل سنةً ففتحها الله له .

وقال ابن سلام بن عمر كان عاصم السدراتي من أشد الناس على الأعداء مع أبي حاتم وسموه في قثاء ونادوا من فوق السور أين عاصم السدراتي قتلناه فخادعهم أبو حاتم حين كمن لهم في وادي رقادة وتقدم ما حكاه أبو زكريا أن قصته وموته مع أبي الخطاب، والأقرب ما رواه ابن إسلام لأنه قال رويته عن سليمان بن زرقون وفي كتب المخالفين ما يدل على أنه كان حياً بعد أبي الخطاب والله أعلم .

قال ابن سلام أقام أبو حاتم بالقيروان سنةً فيما روى سليمان بن زرقون وكان عامل الجند بها ابن الأشعث، قال أخبرني سليمان بن وكيل الزهاني عن خبر والده وكيل بن محمد وكان وكيل ممّن حضر حصار القيروان مع أبي حاتم قال سليمان: إن محمد بن الأشعث هو أمير المحصورين فأقاموا في حصارهم سنتين .

قال أبو زكريا حاصرها سنةً وألقوا بأيديهم وانحاز الجند مع ابن الأشعث في دار الإمارة فحاصروهم فيها سنةً، وقال الرقيق إن الجند أخرجوا من أفريقية محمد بن الأشعث عام ثمانية وأربعين في ربيع الأول

وإن المحصور عمر بن حفص بن هزار مرد وبلغ الجهد بالحصار حتى انتهى أوقية ملح بدرهم، فلما فتح الله عليه أخرج الجند وأحسن السيرة وأعطى لكل خمسة قربةً وخشبةً يحملون بها قربتهم وخنجرًا يصلحون نعالهم كذا قال أبو زكريا وابن سلام وأعطى لكل واحد رغيفاً وأجلاهم من مدينة القيروان، ثم أرسل أبو جعفر يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في ستين ألفاً وما انضم إليه فخرج أبو حاتم من القيروان يريد طرابلس فغدر أهل القيروان بأصحابه فرجع إليهم من طرابلس فقاتلهم فانهزموا.

وأتبعهم جرير بن مسعود المديوني ورجع هو إلى طرابلس ينتظر قدوم يزيد فبلغ في جمادى الآخرة عام خمسة وخمسين ومائة وانضمت إليه الجنود واستمد بمليلة ومن يدين بطاعتهم على قتال أبي حاتم ومعهم أيضاً عمر بن مطكود النفوسي، قال أبو حاتم من أمدهم قالوا: مليلة فدعا عليهم فلم يزالوا في مذلة من الجند الظلمة لا ينقطع عنهم دون البربر وقيل كان في ستين ألفاً من أهل خراسان وستين ألفاً من أهل البصرة والكوفة والشام وانضم إليه الجند الفارون من أفريقية ومن أمده من قبائل البربر ويوسف الفرطيطي وجماعة من قبائل البربر من هوارا وغيرهم وجعل يزيد مقدمته سالم بن سودة التميمي فالتقى بأبي حاتم فهزمه أبو حاتم وقتل منهم ما قتل وبلغ الباقي يزيد.

وقال عمر بن مطكود ليزيد استند بجبل غربي جندوبة فلما التقى الجمعان مات أبو حاتم في أهل البصائر من أصحابه ومن يلمس الشهادة.

قال أبو زكريا سمع أبو حاتم بطوالع أقبلت من المشرق فتلقاتهم بموضع يدعى مغمداس فهزمهم الله ومنح أكتافهم له وقتل منهم نحو ستة عشر ألفاً وحاور رجل من الجند رجلاً من أصحابنا بأن قال له ما تفسير

تورغا يعني موضع قتل فيه أبو الخطاب ومن معه فأجابه بأن تفسيره
مغمداً فيه أربعة أكداً في كل كدس أربعة آلاف وقد تقدم أن أبا
الخطاب قاتل الجند بمغمداً وهزمهم وقتل منهم بشر كثير إما أن يكون
قتال أبي حاتم لهم به ثانياً وإما سهو من أبي زكريا لأن قتال أبي
الخطاب لهم به مشهور ذكره ابن سلام والرقيق.

وقال أبو زكريا موضع مقتل أبي حاتم وموضع المعركة يستضيء
كل ليلة نوراً ويبصر ضياؤه من مكان بعيد ساطعاً في الهواء ممتداً
صاعداً، قال ذكر بعض أصحابنا من أهل عصرنا أنه رآه وهو نور ساطع
وضياء عظيم.

قال وحدث يعقوب بن يوسف الباجراني الملقب بابن منصور أنه
مر ومعه رفيق وقد سكنا بجبال تلك النواحي في أحياء من البربر فجاز
بموضع المعركة بليل مظلم فأبى به نوراً ساطعاً وضياء ممتداً بين السماء
والأرض فشقاها فاستبان لهم في المعركة أثر الهوام الصغار من شدة
الضياء وقوة النور فخرجوا منها فالتفتا فإذا النور خلفهم ممتد بين السماء
والأرض وقد أحاطت به الظلمة وحفت به من جميع جهاته وجوانبه
فصارا يدعوان الله تعالى ويرغبان إليه حين توسط المعركة وكان شجاعاً
قوي المرة شديد الطبيعة . . انتهى كلامه .

وقد اشتهر عندنا من غير أن أراه أن النور ينزل على قبره وقيل لم
يزل ينزل حتى دفن إلى جنبه إعرابي فكف والله أعلم .

وبتلك الجهة مقبرة يقال إنها للذين ماتوا عنده يوجد بأطرافها تراب
أحمر يقال إنه دمهم لم يغيره الزمان يتبرك الناس به ويحملونه للمرضى
وهذا في مثلهم ليس بغريب وقد شاهدت بنفوسة دماء رجال ثلاثة
سفحت على صفا مسيل ماء المطر مضى عليها مئون من الأعوام وهي

باقية وكل ما وقع مطر جرى عليه الماء ومسحته بثوبي مبلولاً بالريق فأثر فيه وشممته فإذا هو رائحة دم، وحكمه عند العلماء الطهارة كذا ذكر الشيخ أبو يحيى في كتاب الطهارات والمارة يدعون الله عندها لأنهم صالحون ففتك بهم هناك، وقال أبو زكريا أبو الخطاب إمام ظهور وأبو حاتم إمام دفاع وإنه يرسل ما زاد على ما يحتاج إليه فما جمع من الزكاة لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور ولاية الظهور.

[عبد الرحمن بن رستم]

ومنهم عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى الملك الفارسي تقدم ارتحاله إلى أبي عبيدة وأخذ العلم منه ودعا العجائز له وقدمه المغرب وتوليته أفريقية عاملاً لأبي الخطاب وهروبه إلى المغرب ونزوله بسوفجج وحصار ابن الأشعث له وامتناعه منه وقول ابن الأشعث هذا سوفجج لا يدخله إلا دارع أو مدجج وبقي لنا أن نتكلم على ولايته وسيرته وعدله وورعه وزهده في الدنيا ورفضه لها إذ تمكن منها وبنائه مدينة «تيهت».

قال أبو زكريا حَدَّثَ غير واحد من أصحابنا أن عبد الرحمن بويج بالإمامة عام ستين ومائة وقيل عام اثنتين وستين بتيهت وكانت تيهت غياطيل وأشجار ملتفة يسكنها أنواع السباع والوحوش أرضها لقوم من البربر فلما أذن الله بعمارتها بالناس.

قال أبو زكريا إن بقية المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين وجماعة المؤمنين اتفقوا أن يتخيروا موضعاً يبنون فيه مدينةً لتكون حرزاً وحصناً للإسلام فأرسلوا الرواد فطافوا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تيهت فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لأهلها عليها

خارجاً معلوماً يأخذونه من غلتها فأمرُوا منادياً فنادى بأعلى صوته منْ بها من الوحوش أن أخرجوا وارتحلوا فإننا يريدون عمارتها ونازلون بها واجعلوا ثلاثة أيام، قال أبو زكريا وذكرُوا أنهم رأوا بها وحشاً تحمل أولادها في أفواهها يعني سباعاً والله أعلم وهي خارجة من تلك الأشجار والغياطل فرغبهم ذلك فيها وزادهم بصيرة في عمارتها فلما تم الأجل أرسلوا فيها ناراً فأحرقت ما ظهر من الأشجار وبقي الأصول والعروق فجعلوا في أطرافها حيساً مدفوناً فلما جن الليل حفرتها الخنازير لرائحة الحيس فقلعوا جميعه فاقترعوا بين أربعة أمكنة أيها يجعلون المسجد الجامع فوقعت قرعتهم على مكان الجامع فاخبطوها دوراً وقصوراً وبيوتاً فلما بنوها أنسوا من أنفسهم قوة فنظروا من يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا جماعة كل واحد صالح شجاعة وعلماً وتقى فاتفق رأيهم على عبد الرحمن لفضله وكونه من حملة العلم ولكون المسلمين أرادوا تقديمه قبل أبي الخطاب وامتنع لأماناتٍ كانت تحته للناس وودائع ولكونه عامل أبي الخطاب على أفريقية وما والاها ولأنه لا قبيلة له تمنعه إذا تغير عن طريق العدل فبايعوه على إقامة كتاب الله وسنة رسوله واتباع الخلفاء الراشدين فقبلها على ذلك وقام بأمر الله وزهد الدنيا بعد أن تمكن منها فلم ينقم أحدٌ عليه في خصومة ولا حكومة ولا أخذ مال ولا إقامة حد ولا ميل إلى الدنيا، فلما اشتهر عدله واتصلت أخباره بذلك وتواترت أخباره بالمشرق والمغرب بعث له أهل البصرة بثلاثة أحمال مال فلما بلغت الرسل إلى تيهرت ألفوا الإمام فوق دار يطينُها والعبيد يناولونه الطين فسألوا العبید أن يستأذنوا لهم على الإمام وقد سمع قولهم وما طلبوا فنزل وغسل الطين فأذن لهم فدخلوا فسلموا ورد عليهم وفتت لهم خبزاً وعصر عليه عكة فلما أكلوا خلصوا نجياً.

قال أبو زكريا واجتمع رأيهم على أنهم رضوا عنه واتفقوا على أن يدفعوا له المال فلما أتوه بالمال نادى الصلاة جامعة فلما صلوا شاور أختيار المسلمين وذوي الرأي والفقهاء منهم فأشاروا عليه أن يفرقه في ذوي الحاجات ففعل وذلك بمحضر الرسل فلما رجعوا أخبروا بما رأوا وشاهدوا من عدله أرسلوا له بما يقرب من عشرة أحمال أو يزيد بقليل فلما وصلوا إلى تيهرت وجدوا البلد قد تغير عما تركوه عليه فوقع في نفوسهم وسيأتي سبب ذلك إن شاء الله فلما تلقوا الناس سألوهم عما أتوا به قالوا: مألٌ للأمير قالوا: إن قبله منكم فلما بلغوا وجدوه على حاله الذي تركوه عليه فأخبروه بالمال قال قد علمتم السيرة فنادى الصلاة جامعة فلما صلوا واجتمعوا شاورهم على عادته قالوا: الرأي إليك فلما ردوا الرأي إليه قال للرسل ارجعوا بمالكم فإن أربابه أحوج إليه منا لأننا في أرض قد استولى عليها العدل وهم في بلد غلب عليهم الجور يدارون به على أنفسهم ومالهم ودينهم وبسط هذه الأخبار في كتاب ابن الصغير ولم يحضرني وقت جمعي لهذه السيرة.

قال أبو زكريا فشق ذلك على الرسل ولم يكن لهم بد من طاعة الإمام فردها إلى المشرق فتعجبوا من زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة واعترف كل أباضي بإمامته ووصلوه بكتبهم ووصاياهم.

[عاصم السدراتي]

ومن أئمة المغرب ومشاهد أسيانها وقادة أهلها عاصم السدراتي وكان من حملة العلم عن أبي عبيدة مسلم وتقدم بعض أخباره مع أبي الخطاب وكان من خيار من صحبه اشتهر موته بحصار القيروان بسّم في قثاء وهو مع أبي الخطاب كما قال أبو زكريا أو مع أبي حاتم كما قال ابن سلام، قال الرقيق عسكره ستة آلاف وكان رحمه الله تعالى جمع

العلم والعمل والجهاد والحزم وشدة العزم والرأي وحيد الدهر وفريد العصر.

[أبو درار الغدامسي]

ومنهم أبو درار الغدامسي وقد تقدم ذكره في حملة العلم عن أبي عبيدة وهو أحد الشيوخ المشهورين في العلم والتعليم والعمل والورع أخذ عنه جماعة واسمه إسماعيل بن درار وهو السائل لأبي عبيدة عند الوداع بعد أن تعلموا عنده خمسة أعوام عن نحو ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام فقال أبو عبيدة أردت أن تكون قاضياً يا ابن درار فقال له: أرايت إن ابتليت بذلك يا شيخ فابتلي بالقضاء، وممن أخذ عنه مامد ابن يانس الدركلي النفوسي رحمهما الله.

[عبد الأحد بن تالانيس]

ومنهم عبد الأحد بتخفيف الدال ابن تالانيس المزاتي وهو من رؤساء أصحاب أبي الخطاب ومن كبرائهم وحضر معه المشاهد واستشهد معه.

[عمر بن تمطين]

ومنهم عمر بن تمطين وابنه يحيى، وأخوه أبو حميد وهم من خيار جند أبي الخطاب وممن حضر معه المشاهد واستشهدوا معه.

[عمر بن يمكتن]

ومنهم عمر بن يمكتن ساد أهل زمانه علماً وعملاً وسارع إلى الخيرات قولاً وفعلًا، قال ابن سلام كان عالماً من علماء المسلمين قال: أخبرني أبو صالح النفوسي بتوزر قبل سنة أربعين ومايتين أن أول

من علم القرآن بجبل نفوسة عمر بن يمتكن علمه بمنزل يقال له
ايفاطمان، قال ويقال إن عمر بن يمتكن إنما تعلم القرآن بطريق مغمداً
يتلقى فيها السائلة والمارة من المشرق فيكتب عنهم لوحة من القرآن
وينصرف فإذا حفظه رجع إلى المحجة فيكتب من المارة والرفاق كذلك
حتى حفظ القرآن وتعلم العلم قال وهو أصغر ولد دمرا الحمدانية بنت
درجوا امرأة يمتكن، قال وذلك لحرصه على طلب العلم والقرآن في أول
الإسلام وقل المتعلمون في البلدان وكان عاملاً لأبي الخطاب على
سرت وهو الذي مر عليه أعرابي مقبلاً من المشرق فقال عمر له: نخشى
أن يغفلنا محمد بن الأشعث فأجابه بأنه لا يأتيكم بغفلة وهو في جند
أمير المؤمنين رجال مشمرين وخيل مضمرات وسيوف مهندات بل يأتيكم
نهاراً جهاراً فيعطي الله الغلبة لمن يشاء وهو رحمه الله من خيار
المسلمين واستشهد مع أبي الخطاب وهو صاحب لواء لواتة. قال ليس
للواتة مع أبي الخطاب إلا لواء عمر.

[موسى بن عبد الله بن يمتكن]

ومنهم موسى بن عبد الله بن يمتكن، وأخوه إبراهيم وهما من خيار
جند أبي الخطاب رحمهما الله.

[أوس بن عمر الهواري]

ومنهم أوس بن عمر الهواري، وأبو يحيى الهواري، قال ابن سلام
ومع ابن الخطاب ليلة الجند بمغمداً من خيار قادة البربر في محاربه
الجند أبو يحيى الهواري وأوس المزاتيان وكانا من خيار جند أبي
الخطاب ومن مشاهير أصحابه.

[محمد البدي وسعيد بن قايد]

ومنهم محمد البدي، وسعيد بن قايد المزاتي وهما أيضاً من جند أبي الخطاب.

[ابن مغطير النفوسي]

ومنهم ابن مغطير النفوسي الجنائني وكان شيخاً فاضلاً فقيهاً مفتياً كان ممن أخذ عن أبي عبيدة مسلم ثم قدم بعد الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا وقال: إني أخذت عن أبي عبيدة ولم يحرر لي المأخوذ به عنده من الأقوال وهؤلاء أخذوا آخراً وقد حرر المختار عنده من الأقوال.

وفي كتاب سير مشايخ نفوسة ومثله لأبي زكريا أن أمير المؤمنين عبد الوهاب بن عبد الرحمن حين كان بجبل نفوسة تخاصم عنده رجلان فتكلم المدعى فاستردد الإمام المدعى الجواب فلم يجب بشيء بل تكلم بما لا ينبغي فقال الإمام هل هاهنا ابن مغطير قالوا: لا قال الإمام قوما إلى غدٍ ثم اختصما من غد فأبى من رد الجواب قال الإمام هل هنا ابن مغطير قالوا: لا فقال: ارتفعا إلى غد فلما اختصما امتنع من رد الجواب فقال الإمام: أبا لمجلس ابن مغطير قالوا: لا فلما كان اليوم الرابع وامتنع من رد الجواب وكان ابن مغطير حاضراً في ناحيته مستغشياً بثوبه قال الإمام أبا لمجلس ابن مغطير فلم يتم الإمام قوله إلا وقد وثب ابن مغطير على الممتنع فوطئه بركبته وصاح أغثنني يا إمام أدركني يا أمير المؤمنين فأمره الإمام بتركه فتركه فاسترده الجواب فأجاب وأذعن للحق وكان ابن مغطير شديد الشكيمة قوي العريكة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[أبو داود القبلي]

ومنهم أبو داود القبلي من بلاد نفاوة وكان شيخاً مشهوراً عالماً
ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة بل أحد الخمسة وأخذ عنه وكان الإمام
عبد الوهاب مع كثرة علمه إذا جلس بين يديه كالصبي أمام المعلم، وفي
كتاب سير أشياخ نفوسة إن أبا عبيدة قال له: لا تفت بما سمعت مني
ولا ما لم تسمع وقال للإمام عبد الرحمن أفت بما سمعت وما لم تسمع
وقال لأبي الخطاب أفت بما سمعت مني. ثم:

الطبقة الذين من بعدهم

[عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم]

منهم الإمام الباسل الشجاع التقي اللين الحليم أمير المؤمنين عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن دوستار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الأكتاف الفارسي بويع بالإمارة بعد أبيه عبد الرحمن بمدينة تيهرت بنحو شهر وذلك إنَّ عبد الرحمن لما حضره الموت جعلها شورى بين أشياخ المسلمين، مسعود الأندلسي، ويزيد بن فندين، وأبي قدامة اليفرني، وعمران بن مروان الأندلسي، وأبي الموفق سعدوس بن عطيدة، وشكر بن صالح الكتامي، ومصعب بن سلمان، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن فتدافعوها فأجمعوا على أحد اثنين مسعود وعبد الوهاب ثم مال الأكثرون والعامّة إلى تولية مسعود فبادروا إلى مبايعته فبلغه الخبر فاخفى فأرادوا عبد الوهاب وخرج مبادراً ليكون أول من بايع عبد الوهاب ومال أبو قدامة إلى مبايعة عبد الوهاب لأن أم عبد الوهاب يفرنية وطمع أن يؤثره على من سواه فتكلم هو وأصحابه حين أرادوا مبايعته أن لا يقطع أمراً دون مشورة جماعة من المسلمين معلومة فقال مسعود وجماعة المسلمين لا نعلم شرطاً في الإمامة إلا أن يحكم بيننا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآثار الصالحين قبله، فسكت يزيد وأصحابه عن ذكر الشرط حين رد عليهم المسلمون فأول من بايعه مسعود

وتتابع المسلمون ثم بايعه المسلمون بيعة عامة فحملوه إلى دار الإمارة فلم يتخلف عن بيعته أحد ولم ينقم عليه أحدُ حكماً ولا أمراً وكانت تيهرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن في موضع مربع ولذا سميت تاقدمت وتفسيرها الدف وقد تقدم أنها أرض لقوم وهم بعض صنهاجة ومداسة مستضعفين فراودهم عبد الرحمن على البيع فامتنعوا فمن ورعه وعدله أن اتفق معهم أن يأخذوا الخراج من الأسواق ويتركوا الناس يبنون ففعلوا وكانوا يأخذون ما عليه الاتفاق.

ثم إن عبد الوهاب لما تمت بيعته قدم الراغبين عن الأمور وأُخِر الراغبين فيها فوقع في نفس ابن فندين وسقط في يده جماعة من أهل الرغبة في الولايات فجددوا فيما أمسكوا عنه من الشرط أعني قولهم لا يقطع أمراً دون جماعة معلومة من المسلمين التماساً لشق العصا وسلاماً للتفريق فالتمسوا عزل بعض الولاة لغير سبب فشاور جماعة من أهل الصلاح فأبوا إلا بحدث فأكثرُوا الحديث والنجوى فسموا نجوية وخادعوا الناس بأقوالهم واضطربوا فإذا لقوا من لا بصيرة له في الدين قالوا شرطنا أن لا يقطع أمراً ولا يقضي دون جماعة معلومة وإذا خلوا بإخوانهم قالوا: قدم علينا من نحن أولى منه بالتقديم وقد ولينا الأمر على أن يقدمنا ويرفع درجتنا فأخرنا وإذا لقوا الضعفاء قالوا: لا تجوز إمامة رجل إذا كان في المسلمين من هو أعلم منه فافشوا القيل والقال وارتحلوا إلى خارج المدينة وإلى الجبال ليتمكنوا من قلوب الضعفاء ومن لا بصيرة له ولتم كلمتهم فاصطلح جماعة المسلمين ومن لا يريد الافتراق وشق العصا مع ابن فندين أن يكتبوا إلى إخوانهم وعلمائهم بالمشرق فيعملون بموجب ما يرونه ويجيبونهم به فاختراروا من يرفع الكتاب وكتبوا ما وقع به الخلاف وحمله الأمناء، فلما بلغوا مصر

صادفوا بها شعبياً أبا المعرف وشيعته وقصوا عليه الأخبار وما جرى من موت الإمام عبد الرحمن واتفق الناس على تقديم عبد الوهاب وذكر يزيد بن فندين الشرط الذي شرطه وسألوا سائر العلماء الذين بها واتفقت الفتيا على أن الإمامة تامة والشرط باطل، وقد كلف أهل المغرب لحمل ما كتبوا رسولين أمينين عند الجميع فلما قدما مكة مع من معهم ألفوا بها الربيع بن حبيب ووائل بن أيوب ومخلد بن العمرد وغيرهم من المشايخ ففهموا ما سألوهم عنه واتفق رأيهم على أن يكتبوا لهم جواب ما سألوا عنه ولم يألوا جهداً في النصح واجتهدوا في النظر لله ولدينه ولأهل دينه ثم كتبوا الكتاب وألقاه مخلد بن العمرد إلى عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة فدفعه إليه وأمره بنسخه ليكون حجة للمسلمين بعدهم، ومن جملة ما تضمنه الكتاب أن الإمامة تامة والشرط باطل وأن القول قوله، وإنه مصيب وله ما صنع إلا أشياء عابوها عليه وأمره أن يرجع عنها فكان قوله: إنه لم يفعل ذلك مقال إنه كان غلطاً مني في كتاب كتبه في أسنان الإبل ولم يكن بقصد.

وكان شعيب حين أخبره الرسولان بمصر عن أمر المغرب خرج من غير مشورة المسلمين ومشايخ مصر بل نهاه خيارهم أن يخرج إلى المغرب فخرج ومعه أبو المتوكل من أصحابه وجماعة من شيعته فجدوا السير طمعاً في الولاية وقيل وردوا تيهرت في عشرين يوماً وأنضوا رواحلهم وأعجفوها فنزلوا عنها وكانوا يسوقونها سوقاً، فلما وصل تيهرت بمن معه دخل على الإمام عبد الوهاب فسأله الإمام رضي الله عنه عن إمام ولي بشرط أن لا يقضي أمراً دون جماعة معلومة فأجابه شعيب أن الإمامة صحيحة والشرط باطل وسأله هل يتولى الإمامة رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم فأجابه بجواز ذلك، ثم إن شعبياً خرج

فتوجه نحو أبي قدامة وأصحابه فأطعموه في الأمور قيل فندم على فتياه التي تقدمت فواز ابن فندين على الإمام فخرج من كان ينظر إليه من النكار من المدينة إلى الجبال والمنازل فأكثرُوا التناجي ثم اجتمعوا بكديّة فأظهروا إنكار إمامة عبد الوهاب ولذلك سمو نكاراً وسموا نكاثاً لنكثهم بيعة الإمام ثم أكثرُوا دخول المدينة بالجماعات فكلم بعض المسلمين الإمام أن ينهّاهم فنهّاهم فلم يشتغلوا به فكلمهم في خروجهم من المدينة إلى المنازل وجبال المدينة فقالوا هذه مدينتنا وتلك منازلنا فإن عصينا في خروجنا من المدينة انتهينا ثم صاروا يدخلون المدينة بالسلاح فنهّاهم عن إمساك السلاح فقالوا: إن كان معصية تركنا وخاف من غدرهم فأمر أهل المدينة أن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم فلما لم يجدوا غفلة أرادوا أن يكيدوا الإمام فيقتلوه فتكاً أو غيلة.

قال أبو زكريا بلغنا أن جماعة منهم تواتقوا على غدر الإمام رضي الله عنه فالتمسوا الحيلة في الوصول إلى ذلك فأداروا الرأي بينهم فلم يتجه لهم فقام منهم رجل فقال اجعلوني في تابوت واجعلوا قفله في داخله فالتمسوا وصولي إلى بيته فعمدوا إلى تابوت فجعلوه فيه فأظهروا أنهم يتخاصمون على ما فيه وإن كل واحد لا تطمئن نفسه بتركه عند خصيمه ورغبوا إلى الإمام أن يكون عنده إلى أن يتفقوا فأجابهم فلما حملوه استراب ثقله وكون قفله من داخل واتفقوا مع صاحبهم إذا قتل الإمام أذن لصلاة الصبح فيضعون السلاح في أهل المدينة وتهاؤوا لذلك واستبشروا بنيل المطلوب، فلما جاء الليل وقضى الإمام ورده من الصلاة وغيرها من نظر الكتب وكان من عادته إذا فرغ من الصلاة أخذ كتاباً ينظر فيه، ثم عمد الإمام تلك الليلة إلى زق منفوخ فألقاه على فراشه وألقى عليه رداء أبيض وأخفى السراج وتنحى ناحية لما وقع في نفسه من

الريبة فلما سجد البيت وهدى وسكنت حركة الإمام ظن أنه نام فتح التابوت وخرج فتأمل البيت فظن أن الزق هو الإمام فضربه بالسيف وظن بالفوز والظفر بالبغية فأخرج الإمام السراج وسقط في يده فقتله الإمام وكان شجاعاً بطلاً فردّه في تابوته فتسمعوا للأذان فأقبل بعضهم فلما لم يسمعوا علموا أن صاحبهم لم يفعل شيئاً فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الإمام وصاحبهم وهل سمع أذاناً أو شيئاً فاجتمعوا إلى الإمام وقالوا اتفقنا ونريد تابوتنا قال: اذهبوا إلى موضعه الذي تركتموه به فخذوه فذهبوا فحملوه إلى مأمّنهم فإذا صاحبهم قتيلاً فخبب الله سعيهم وأظهر بغيتهم وأخلف ظنهم فخرجوا منها خائفين أن يجازوا بما صنعوا.

ثم إن شعبياً أبا المعرف حرّض ابن فندين على مناجزة الإمام بالقتل خشية أن يرجع الرسولان من المشرق فتقوم عليهم الحجة فينتقض ما أبرموا وينفتق ما رتقوا لأنهم زينوا للضعفاء أموراً وزخرفوا لهم ما يحسبونهم به محقين فصاروا ينتظرون الغرة والغفلة فخرج الإمام يوماً لبعض حوائجه فانتهزوا الفرصة فبادروا المدينة ففطن بهم قبل دخولها فتلقاهم الناس.

وكان أفلح بن عبد الوهاب يمشط رأسه وقد ظفر منه نحو الشطر وبقي الشطر فأخذ سلاحه وترسه فوقف لهم على باب المدينة وقد كادوا يدخلونها ونشب إحدى رجله على العتبة السفلى من باب المدينة فانسلك رجله إلى العروق وجالدهم حتى لم يبق في مدرّته ما يصلح أن يكون وقاية فأخذ إحدى مصرعي باب المدينة فاتقى به وابن فندين بين يديه يضرب الناس يميناً وشمالاً وعلى رأسه بيضتان فضربه فقسمه نصفين فنشب السيف في الصفا من شدة الضربة فلما مات انهزمت أصحابه فقدم

منازعتهم في ذلك حتى استقام رأيهم على أن يبعثوا رسولين ويكف بعضهم عن بعض حتى يرجع إليهم رسولا هم وجواب كتابهم من عند المسلمين فما أتاهم من قبل المسلمين أخذوا به واجتمعوا عليه فقدم رسولا هم مكة وبها يومئذ الربيع وجماعة المسلمين فقرأوا كتابهم وسألوهم ثم نظروا واجتهدوا ولم يألوا جهداً فيما يوافق الهدى والعدل وفيما يصلح الله به أمر المسلمين فكتبوا به وبعثوا به مع رسولهم فلم يصل الرسولان ولا كتابهما الذي رجوا منفعته وصلاح أمرهم فيه حتى خرج أبو قدامة وأصحابه فعكسروا حيث شاء الله ثم إن أبا قدامة ومَنْ معه ساروا إلى عبد الوهاب والمسلمين وهم في منازلهم وبدوا بالقتال فاقتتلوا فقتل من بلغ أجله فقدم الحاج فيهم من كان مع عبد الوهاب والمسلمين ومنهم من كان مع أبي قدامة ومن معه فذكروا أن المسير كان من أبي قدامة وأصحابه إلى المسلمين وإن عبد الوهاب كان مقيماً في منزله وعسكره حتى غشيهم أبو قدامة ومن معه فقامت البيئة العدول فيما علمنا أن البداءة كانت من أبي قدامة، وأن شعيباً كان الرسول فيما بينهم وأمر أصحاب أبي قدامة بالمسير والقتال وزعم أن دم عبد الوهاب ومن معه حلال وشجع القوم وهو أمر بذلك وأعجلهم من أن يأتي رسولا هم وجواب كتابهم وكان تصديق ذلك عند المسلمين على شعيب أنه لما كان من قتل أصحاب أبي قدامة ما كان خرج منها شعيب وقدم طرابلس فأظهر البراءة من عبد الوهاب ومن معه وأحل دماءهم فاستقبل الحاج فأظهر مثل ذلك، فلما رأى الربيع والمسلمون معه ما كان من شعيب ومن مسير أبي قدامة ومن قبله نظروا واجتهدوا في النظر لله ولدينه ولأهل دينه فرأوا أن من عمل بمثل ما عمل به شعيب فهو هالك بريء من الإسلام حتى يتوب ويراجع الحق فأظهروا البراءة من حيث لم يسعه إلا ذلك انتهى كما هو .

وفيها أن أصحاب أبي قدامة ومن قتل منهم قتل باغياً متعدياً ومن بقي منهم فهو هالك إلا من تاب وندم وراجع الحق وأهله فمن تاب لم يعير بما كان منه وقبل منهم، انتهى..

ورأيت في رسالة أخرى ما هو أبسط من هذا، وفيها أنهم عزلوا الربيع في البراءة من شعيب فقال سماني كاذباً خائناً وبريء من عبد الوهاب قالوا: عبد الوهاب قتل المسلمين فهو أحق بالبراءة من شعيب، ثم ذكر فيها أمر عبد الوهاب من أول البيعة وما اشترطوا عليه وإرسال الكتاب والرسولين بالجواب إلى آخر القصة إلا أن فيها بسطاً وطولاً وقصدي الاختصار.

قال أبو زكريا أصبح ميمون بن عبد الوهاب قتيلاً مفرق الأعضاء فقال أبوه اجتمع فيك قول القائل ويل لمن مرت الخيل بكساه وويح لمن أصيب بليل وإذا مسست ابن السلطان فأمسسه مساً عنيفاً ثم استعمل ابنه جابياً للصدقة فلما بلغ إلى النكار قالوا: يابن المهدور دمه فأخبر جده بقولهم فاستثبت فصيح عنده أنهم قتلوه فأرسله إليهم في عسكر فقاتلهم فهزمهم الله ولم يطيقوا إحصاء القتلى فنظروا في أقل الأسماء فوجدوه هارون فأحصوا ما قتل ممن اسمه هارون فوجدوا ثلاثمائة فأوهن الله شوكتهم لعله لما قدم عليهم أبوا أن يدفعوا له القتلى أو ناصبوه الحرب فبدأوه بالقتال وإلا فالمشهور من سيرته أنه لا يتبع مدبراً ولا يجهز على جريح ولا يتدىء بقتال.

ثم تحركت عليه قبائل البربر وكانوا على مذهب واصل بن عطاء أعني معتزلة وذلك إنه لما وقع ما وقع بين الأباضية من انشقاق العصا وكثرت القتلى انتهزوا الفرصة لكثرة عددهم وقوة شوكتهم فاعتذر الإمام عبد الوهاب إليهم عادته في عدم المبادرة إلى البسط وسفك الدماء مرة

بعد أخرى فما زادهم ذلك إلا شغباً وكانت فيهم أبطال وكان زعيمهم وحاميتهم ابن قائدهم وسيدهم فبرز إليه عبد الوهاب في عساكره فآل أمرهم إلى القتال فكانت بينهم وقعات، فلما رأى الإمام شدة شوكتهم وكثرة عددهم أرسل إلى جبل نفوسة وإلى عامله بها أن يمدّه بجيش يتضمن شجعاناً وفرساناً عارفين بأبواب الحرب ومبارزة الأبطال وعلماء بفنون التفسير والرد على المخالفين والحلال والحرام، وقيل مائة بطل للمبارزة ومائة مفسر ومائة متكلم عارف بفنون الرد ومائة عالم بفنون الحلال والحرام لأن الواصلية معهم عالم أعين من هناك في الكلام وفيهم شاب لا يبارزه أحد إلا قتله ولا يقوم له في القتال شيء، فلما ورد الخبر إلى نفوسة اختاروا محمد بن يانس ومهديا وأبا الحسن الأبدلاني وأيوب بن العباس، فلما وردوا على الإمام استسر بقدمهم وقد قدم لغلمانه أن من آتاه بخبرهم أعتق وخرج حراً فلما رأوهم مقبلين كان غلام منهم أعرج على سور المدينة فلما رأى الغلمان يتسابقون علم أن ذلك من قدوم نفوسة فأخبر الإمام بقدمهم فخرج حراً فلما بشره الغلمان قال لهم: فاز بها الأعرج فأرسلها مثلاً، وسيأتي خبرهم عند ذكر محمد بن يانس وكان ينتظر قدوم العسكر الذي فيه كثرة العلماء والأبطال فلما دخلوا عليه بأربعة استخبرهم عن أحوالهم وكل واحد وما يخصه وما ضمن من الخصال التي بعث لهم فيها فذكر أيوب بن العباس أنه تكفل أمر المبارزة ومحمد بن يانس تفسير القرآن وأنه أخذه عن الثقة ومهدي للكلام والحجة وأبو الحسن الحلال والحرام، وسيأتي التعريف بأخبارهم وأحوالهم إن شاء الله ثم أدخلهم إلى دار الضيافة وأجرى عليهم الأرزاق وكان للإمام مع المعتزلة حروب ومناظرات ووقائع، وكان الإمام من العلماء الراسخين وكذا سائر أهل بيته كما سيأتيك التعريف عليهم بعد إن شاء الله فسألهم يوماً فقال مهدي: سأكفيك أمر المناظرة

إن شاء الله وقال محمد سأكفيك أمر التفسير وكان قد أجلوا أجلاً جعلوا
 الموعد يوماً معلوماً، فقال الإمام لمهدي وقع بيني وبين المعتزلي في
 مناظرتي له كذا وكذا فذكر ما وقع بينهما من الحديث فكلما زاغ
 المعتزلي عن الحق وحاد عن الصواب قال مهدي هاهنا ذهب عن الإلزام
 وهاهنا لبس بالشبهة حتى اطلعه على مكانه وما لبس به وقيل غاب
 مهدي يوماً وهو بتيهرت فرجع مع الليل بعد أن أكلوا عشاءهم فقالوا:
 أين غبت فقال أفحمت تسعين عالماً من المخالفين فتقدم إلى عشائه
 فصادف عجين غدائهم فلما أخذ بلغته قال إن عشاءكم الليلة لم ينضج
 قال له بعضهم: لعلك صادفت العجين فكان الأمر كذلك قال حمدت الله
 في ثلاث أقضي بقليل من النوم غرضي وبأي طعام سددت جوعتي ولا
 أخشى من مخالف يفحمني في حجتي، فلما بلغ الأجل حضرت المعتزلة
 اشتكى أيوب من تعب فرسه وحفائها وطلب غيره فأدخل إلى خيل
 السلطان يختار ما يريد ويشتهي فكلما أعجبه فرس منها أخذ بناصيته
 فيجذبه فيكاد يقع على ركبتيه فلم يجد فيها ما يرضيه فقال عليّ بفرسي
 فأحضر فأخذ بناصيته جابداً له بقوته فما أثر فيه شيء من ذلك فجرّه من
 الحفاء الذي به فحضر به القتال وبلغ الخبر المعتزلة بقدوم نفوسة، فلما
 التقى العسكران تآقت النفوس من الفريقين إلى رؤية أيوب لما يسمع
 الناس من شجاعته وأنه المتكفل بفارس المعتزلة وحاميتها الذي يفترس
 الأقران وأعجز الفرسان، ثم إن الإمام دعا المعتزلة إلى ترك ما به ضلوا
 وأبوا إلا التماذي وطلبوا المناظرة فخرج عالمهم وبرز إليه مهدي بين
 الصفين ومعه الإمام في جماعة المسلمين، فقال مهدي لمحمد بن يانس
 ناظره قال: بل ناظره أنت ولست بأعلم مني ولكن خشيت العرق الذي
 فيّ من قبل يانس فتناظرا حتى غاصا بحيث لا يفهم ما يقولان من
 الحاضرين إلا الإمام فتمادى بهم البحث حتى خفي عن الإمام وغيره

فأفحمه مهدي فكبر المسلمون فافترقا من المناظرة وقد خزي المعتزلة
فخرج حاميتهم طالباً للبراز فخرج إليه أيوب جابذاً فرسه حتى أبصر
الفريقان فتجاهل حين ازداد الركوب فأضحك الفريقين واستبشر المعتزلة
وازدرتة أعينهم إلا أباه فقال: هيهات جاء قاتل ابني قالوا: وكيف ذلك
قال: ألا ترون كيف أدلى فرسه حين ركبه ولا يفعل الفرس ذلك إلا
تحت الفارس الحاذق وقيل إن في سنان حربته ثمانية عشر رطلاً فقذفها
في الهواء وهيأ لها رمحه فوقعت فيه مستوية فتمكنت لا تحتاج إلى
تركيب والناس ينظرون فبارزه المعتزلي قيل سلكه في رمحه وقيل ألقاه
مجندياً فانهزمت المعتزلة لما أبصرت عميدها وحاميتها قتيلاً قيل قتل
أيوب منهم قتلى كثيرة وكذا أفلح وفات أحدهما صاحبه بواحد وقيل إن
أيوب قال ضربت شيئاً نبا عنه السيف لصلابته فنظروا فإذا هو عمود
قسمه نصفين بضربته فدخل المعتزلة تحت طاعة الإمام ووضعت الحرب
أوزارها وأرادوا أن يمكروا بأيوب ويقتلوه غيلة أو فتكا فأرسلوا إليه
ليكرموه فمنعه المسلمون أو بعضهم فأبى إلا السير فأخافوه الغدر ولم
يلتفت إلى قولهم فلما بلغ إلى بعض أحيائهم أنزلوه في خص فقدموا إليه
العشاء ورحبوا به فأكل ما على المائدة وما فيها ومن جملة ذلك شاة ثم
قدم إليه وطب لبن فشربه جميعاً ثم أخذ في قراءة القرآن بعد أن صلى
حتى أصبح فصلى بوضوئه فأمرهم أن يقربوا إليه فرسه فلم يجدوا فرصة
لغده فتكفل لهم بعض فتاكهم بقتله فلما ركب طلبوا إليه أن يعلمهم
الفروسية فأجابهم فأخذوا قضباناً يترامون بها فهو معهم في ذلك إذ حمل
عليه المتكفل بقتله ولم يشعر حتى كاد أن يطعنه فتغافل له حتى ضربه
فالتقى الضربة وحمل عليه فقتله وقتل معه ثمانية ثم حمل على الجهة
الأخرى وقتل ثمانية فقال لساء الحيّ أيكفيكن أم أزيدكن فقلن يكفيننا .

ومن مشهور شجاعته ما ذكر أنه جاز على أسد ولبوة واشبال فقطع أرجلها فجاز على حيّ فقال من يبتغي اللحم المكروه فعليه بالوادي فذهبوا مبادرين فمن كان يأكل المكروه أخذ، وكان الإمام رضي الله عنه كثير المال ممن اتسعت عليه الدنيا وسببه أنه كان في أيام أبيه رحمه الله تاجراً وكانت تيهرت لما اشتهر عدل عبد الرحمن انتقل إليها أهل الأموال والتجار من مصر وأفريقية والمغرب لخوفهم على أموالهم من أئمة الجور، ومن هناك دخلتها الفرق ونفقت فيها السلع مع كونها كثيرة الخصب فعظمت بها الأموال وكان عبد الوهاب حاذقاً بالتجارة واتسعت أمواله، فلما تمكن من الخلافة وانقطعت مادة الفساد والفتنة وهذأت الأوطان أراد الحج فارتحل حتى نزل جبل دمر وله مسجد مشهور بمسجد عبد الوهاب وله في تطاوين مصلى غير مسقف وكنت أتيته في موعد بيني وبين بعض المخالفين فطلبت من أهل تلك البلاد فسقفوه.

وذكر أبو زكريا أن له مصلى بتلالت والله أعلم، قال وفي موضع المصلى بلاطة يتكىء عليها إذا قعد مساوٍ بها رأسه وهي اليوم تحاذي رأس الواقف ثم تحول إلى جبل نفوسة عازماً على الحج فممنوعه خوفاً من المسودة أن يمسكوه فتتعطل أمور المسلمين وحدود الله وأحكام الشريعة قالوا له ولا نجد سبيلاً إلى تولية غيرك وبيعتك في أعناقنا فأرسل رجلاً نفوسياً من أهل تمزدا إلى أبي عمر الربيع بن حبيب وإلى ابن عباد وكان مرجع أمور المسلمين فأجابه الربيع من كان مثلك في العناء بأمور المسلمين وحمل أمانتهم وخاف على نفسه من المسودة أن يبعث بحجّه وهو حيّ وأجابه ابن عباد أن من كان على هذه الصفة فلا حج عليه لأن من شرط الحج أمان الطريق، فلما قدمت عليه رسله أخذ بقول الربيع فأرسل رجلاً من أهل تمزدا يحج عنه فأقام بجبل نفوسة في تلك

النوبة بسبعة أعوام يقرأون عليه مسائل الصلاة ومسجده بميرى في بني
زمر مشهور إلى الآن وتزوجت الفرس ومن مع الإمام إماء أهل زمر
فلما أراد الرجوع والانتقال إلى تيهرت حملوا أولادهم منها فقال أبو
عبدة عبد الحميد الجناوني لأهل زمر خذوا عبيدكم فأخذوهم بعد أن
حملوا على السروج ..

ذكر محاصرة مدينة طرابلس

ولما أقام الإمام بجبل نفوسة ببني زمور وقعت بين هوارة وبين جند طرابلس مخالفة فخرج الجند إليهم إلى واد الرمل فاقتتلوا فهزم الله الجند إلى مدينة طرابلس فاتبعهم من حضر من أهل الدعوة إلى المدينة فخرج الجند هاربين إلى إبراهيم بن الأغلب وهو عامل لهارون الرشيد على أفريقية ومنزله بالقيروان ومات هارون وأقره الأمين فوجه إبراهيم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألف فارس سوى الأتباع فقاتل هوارة من أهل الدعوة فبلغ الخبر إلى الإمام فأقبل حتى نزل طرابلس وفيها عبد الله بن إبراهيم وحاصرها وسد عبد الله باب زناته وكان يقاتل من باب هوارة فأقام عليها زماناً وكانت محاصرته لها عام ستة وتسعين ومائة وهناك مات مهدي النفوسي وذلك أنه خرج من العسكر إلى شاطئ البحر فسبحوا له حين أبصروه منفرداً فسكوه وقطعوا رأسه .

قال أبو زكريا إذا قالوا له : انهزم المسلمون يعنون الإمام ومن معه تعبّس وإذا قالوا له : انهزمت المسودة انبسط وجهه وتبسم وفي كتاب سير نفوسه أنهم علقوا رأسه على السور فإذا قالوا له : انهزم المسلمون انقبض وجهه وإذا قيل له انهزم أهل المدينة انفتح حاجبه وتبسم وكل قريب فلما طال الحصار على أهل طرابلس وكان الإمام يشاور أصحابه في المكائد التي يكيدهم بها وكانت المدينة في غاية الحصانة والمنعة

فيخرج ما اتفقوا عليه من الرأي وينقض من اتهم بالإخراج حتى إذا لم يبق إلا وزيره مزور بن عمران فلم يخرج لهما خبر فقال الإمام لا نحاصر المدينة برجل واحد ثم مات إبراهيم بن الأغلب فورد الخبر به إلى الإمام فأخبر بذلك المحصورين وابنه عبد الله فتصالحا على أن تكون المدينة والبحر للمسودة وما كان خارجاً فللإمام عبد الوهاب وكانت أيامه بعد ذلك في سكون واعتدال وعمالة إلى سرت وإلى قسطالية وعمالة عليها زقون بن عمير، وأرسل إلى قابس قطعان بن سلمة الزواغي فحاصرها وكان خارج قابس مطمامة وزنزفة ودمر وزواغه وغيرهم تحت ولاية نظره وكذا جربه فلما تم حجه وقضى وطره منه بعد مراجعات إلى المشرق ومراسلات إلى الربيع وكذا طرابلس وما وليها ارتحل راجعاً إلى المغرب إلى تيهرت فطلب إليه أهل نفوسه وغيرهم من القبائل أن يولي عليهم رجلاً يستندون إليه ويسندون أمورهم نحوه فطلبوا إليه وزيره السمع بن عبد الأعلى أبي الخطاب بن السمع بن عبيد بن حرملة المعافري وقد تقدم بعض أخبار أبيه وولايته المغرب وبعض سيره وعدله وكان الإمام عبد الوهاب ظنينا به وكان السمع عزيزاً عليه ولم يرد الإمام أن يفارقه لكن أثر هواهم على نفسه وعقد له الولاية وتركه في حيز طرابلس عاملاً عليها وقد كان الإمام بعث إلى الربيع بن حبيب باثني عشر ألف درهم أو دينار قال ابن سلام بن عمر على ما حدثه نفاث بن نصر النفوسي قال فاشترى بها الربيع جهازاً من البصرة وأرسل به أخاه إلى تيهرت فلما وردها جمع عبد الوهاب تجار تيهرت واشتروا منه جهازه واشتروا له حوائجه في ثمانية أيام فانصرف راجعاً إلى المشرق وقال أبو زكريا حدث بعض أصحابنا أن عبد الوهاب أرسل ألف دينار إلى المشرق إلى إخوانه بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب فلما وصلهم الألف اشتروا بها رقاً فنسخوا له فيها وقر أربعين جماً فلما بلغت تشر

وجد لقراءتها ليلاً وبعض أوقات النهار وقيل يجرد ثيابه إلا السراويل فختمها فقال الحمد لله إذ وجدت جميع ما فيها محفوظاً عندي ولم أستفد منها إلا مسألتين ولو سئلت عنهما لأجبت فيهما قياساً كما رسماً في الكتب وهذا من كثرة علمه وقوة فهمه ونقاء قريحته وتهيء نفسه لاكتساب العلوم وبيت الرستميين تحتوى على علوم كثيرة من فقه وإعراب ولغة وفصاحة وعلم نجوم وعن بعضهم أنه قال معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم اين بات القمر وقيل إن عبد الوهاب بات مع أخت له يتعلمان مسائل الفرائض فلم يطلع عليهما الفجر إلا وهما قد تعلماهما جميعاً.

وقال ابن سلام قال قائل من علماء أهل المشرق لا أعلم بمن يخرج دماء أهل القبلة في زماننا هذا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب وأبو يزيد الخوارزمي يعني والله أعلم أنك لا تتقدم على سفك الدماء إلا بفتيا أحد الرجلين من غزارة علمهما وورعهما وتحفظهما وقال الإمام عبد الوهاب رحمه الله ذاكرت أبا مرداس في الوجوه التي تحل بها الدماء أو بأحدها فذكرت أحدها فتنكر وتكره فأمسكت عن باقيها كذا قال أبو العباس أحمد بن سعيد في كتاب طبقات العلماء والصالحين من أهل الدعوة وكفاك في فضل الإمام وعدله قول أبي مرداس لا أعرف إلا الإمام ووزيره وهذا الفزاني لم أره وإنما أعرفه بكتابه يعني عبد الخالق ويأتي التعريف بهما وأخبار الإمام وحلمه وشجاعته وعدله وعلمه مشهورة ومقصودنا في هذا التصنيف مطلق التعريف والتنبيه على بعض الكرامات.

[أبو هارون]

ومنهم الشيخ الأفضل أبو هارون من أهل بندوفرك وممن أخذ منه ويروي عنه أبو يوسف بن منيب النفوسي وسيأتي التعريف به ومما روي

عنه ما ذكر أبو الخير الأرجاني عن أبي يوسف بن منيب عن أبي هارون من أهل بندوفرك أنه قال ثمَّ من يقول من العلماء بتشريك الشاك فيمن دفع الرأي المجتمع عليه .

[أبو الخير الأرجاني]

ومنهم أبو الخير الأرجاني وهو شيخ فاضل مذكور وحقه أن يتأخر عن أهل هذه الطبقة وإنما ذكرته لتقدم ما ذكره ورواه عن أبي يوسف بن منيب ولم أرد أن أعيده وأما أبو يوسف وإن كثرت فضائله فإنه يأتي به التعريف مع أخيه بعد هذا إن شاء الله وحق بني المنيب لكثرة فضائلهم أن يبسط في أخبارهم ولكن القصد من هذا الكتاب التعريف وفي بعض الكتب عن أبي الخير الأرجاني أنه قعد في المجلس في فرسطاء مع أبي محمد الكباوي وأبي يحيى الفرستائي فوق سؤال عمن لا يفرز بين كبائر الشرك وكبائر النفاق فقال أبو يحيى هو مشرك فأنكروا عليه قوله فقالوا له: انزع وتب فحلف بالله لا انزع منها قولي إلا أن ينزعه الدرقي يعني أبا عيسى وهو حي يومئذ فقال أبو محمد الكباوي ارفقوا به صدق لكم .

[السمح بن أبي الخطاب]

ومنهم السمع بن أبي الخطاب وقد كان وزيراً للإمام عبد الوهاب فطلبه أهل طرابلس إلى الإمام أن يوليه عليهم وكان به ظنينا فآثروهم على نفسه وقدمه عليهم وقال أبو عيسى الخراساني في رسالته إلى أهل المغرب في قضية خلف بن السمع بعد أن ذكر عبد الوهاب وأثنى عليه بأنه مضى رحمه الله على الرضا من المسلمين والاستقامة لا ينقم عليه أحد من أهل الخير عندنا وعندكم، سيرته فيكم سيرة من مضى من أئمة الهدى وحكمه فيكم حكمهم وحربه فيمن حارب حرب من مضى من

الأخيار وسيرتهم ولا ينقم عليه أحد في حكم حَكَمُهُ ولا في قسم قسمه ولا في سيرة سارها بل كان يدين الله عندنا وعندكم بالحق ودين المسلمين ومشاورة الفقهاء وأهل الرأي من الصالحين والبصيرة في الدين ممن كان قبلنا وقبلكم حتى توفي رحمه الله فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد أدركنا أبا أيوب وائل بن أيوب وغيره من الفقهاء بل من الأشياخ ومن بعده محبوباً أبا سفيان بن الرحيل وهم راضون عنه لا ينقمون عنه شيئاً والحمد لله وقد كان فيما أبلغنا استعمل على بعض قراكم وبلادكم السمع فكان السمع على تلك الطريقة والاستقامة لا ينقم عليه أحد من المسلمين في حكم حكمه ولا في قسم قسمه يسير فيهم بسيرة صاحبه وأهل التقوى من الأئمة قبله ثم مضى لسبيله رحمه الله انتهى كلامه. قال أبو زكريا السمع عامل على حيز طرابلس فأحسن فيهم السيرة وعدل في حكمه فذلك حاله مقرأً بإمامة عبد الوهاب وناصحاً له في رعيته وراضياً عنه فلما حضرت الوفاة السمع اجتمع إليه وجوه أصحابه وقد استعمل في طرابلس وحيازها عمالاً كثيرة تحته قالوا له: أوصنا ومرنا بأمرك يرحمك الله فإنا مطيعوك في حياتك وبعد وفاتك فإنك لن تألونا رشداً جزاك الله عنا وعن الإسلام خيراً فقال السمع أوصيكم بتقوى الله والاتباع لما أمركم به والانتها عما زجركم عنه وطاعة إمامكم عبد الوهاب وتأيدته ما دام مستقيماً على الحق الذي عليه سلفكم وجهاد من خالفهم فتوفي رحمه الله وفي كتاب «سير نفوسة» أن رجالاً من أهل المشرق قدموا زائرين زمان الإمام عبد الوهاب فاختراروا من تيهرت الإمام ووزيره أبا عبد الأعلى السمع واختاروا من نفوسة أبا مرداس وأبا زكريا التكيّتي والعباس ولعل الوزير مزور بن عمران لأن اشتهار العباس وتوليته بعد السمع.

[مزور بن عمران]

ومنهم مزور بن عمران وزير الإمام وشهرته في الخير كاف عن التعريف به وأخباره وسيرته وحسن سياسته وإنصافه ونصيحته للإسلام معروفة .

[أيوب بن العباس النفوسي]

ومنهم أيوب بن العباس النفوسي من أهل التقى والصلاح والاشتهار في طرق الخير وسبل الرشاد وكان الغاية في الشجاعة وقيل إنه قال لا أعلم من فاس إلى مصر فارساً يبارزني وله أخبار في الشجاعة وسير في الحروب ومعرفة مراسها ومزاولتها خلدت في بطون الأوراق وقد قدمنا التنبيه عليه في سيرة الإمام عبد الوهاب .

[محمد بن يانس]

ومنهم أبو المنيب محمد بن يانس رحمه الله المجاهد لنفسه المطيع لربه ذو المناقب الشهيرة والمآثر الكريمة وهو أحد الأربعة الذين تكفلوا رد الواصلة الباغين على الإمام وهو خصوصاً تكفل علم تفسير كتاب الله وأنه أخذه عمن وثق به وهو من الاثني عشر الذين وسموا في الجبل بإجابة الدعاء في زمان واحد وقد اختص بكثرة الكرامات والتفرغ لفعل الطاعات، ومن ذلك أنه لما أرسل الإمام إلى نفوسه أن يبعثوا له جيشاً يتضمن مائة فقيه ومائة مفسر ومائة مبارز ومائة متكلم أي يقوموا بعلم الكلام وهو أصول الدين فساروا بأربعة كل واحد تكفل ما تفعله المائة، وقيل أن أبا المنيب إنما ضمن الحلال والحرام وأبو الحسن هو الذي ضمن تفسير القرآن فلما ارتحلوا واستقلوا طلبهم محمد بن يانس أن يولي أمر خدمتهم لما يرجو فيه من الثواب فأجابوه إلى ذلك وكان عادته معهم

إذا نزلوا قيد خيلهم واشتغل بعشائهم ثم إذا صلوا وأتموا أورادهم وناموا أخذ في الصلاة إلى طلوع الفجر فلما رأوا ما تحمل من المشقة وحمل على نفسه من الطاقة قالوا: اترك قيام الليل أو خدمتنا وعزموا عليه بترك أحدهما قال: ترك خدمتكم مما لا سبيل إليه وأما قيام الليل فذرني أصل ركعتين فسامحوا في الركعتين فقرأ بنصف القرآن في ركعة وبالنصف الآخر في ركعة فانفلق الصبح وطلع الفجر فلما نظروا إلى ما حمل نفسه من المشقة في طول القيام قالوا: ارجع إلى عادتك فرجع إليها ونظر إليه بعضهم في ليلة باردة ذات مطر والريح تضرب بثوبه رجله والمطر نازل عليه وهو قائم في الصلاة فقال: إن لم يدخل الجنة إلا من فعل فعلك أخذته الوحشة فلما رجعوا من عند الإمام أخذهم شدة الحر فضربوا خباءهم فدخلوا فلم يدخل فسمعهم يتمنون ما يشتهون تمنى أحدهم لبناً وآخر ماء أيندل ولم أحفظ ما تمنى الثالث، وذكر أبو العباس أنه رافق رجلين فتمنيا فقال لهما: إن الثالث وذكر أبو العباس أنه رافق رجلين فتمنيا فقال لهما: إن كتمتما ما تريانه يحضر ما تمنيتماه فحل فم السقا فصب منه لبناً وصب للآخر ما تمنى من الماء بحيث لا يشكون أنه ماء الموضع أعني أيندل وأيندل عين بقرب الجزيرة بجبل نفوسة ورأيت به خط عمنا يحيى بن أبي العز في كتاب السير لمشايع نفوسة بباء بعد همزة وقد أخذ عليهم أو عليهما ميثاقاً أن لا يذكران ذلك قال أبو العباس ودخلوا في وجهتهم هذه مدينة من المدن فمرت بهم امرأة في أيدي الشرطة يقتلونها وهي تصيح أغيثوني معاشر المسلمين فأغاها وسل سيفه فدافعهم وخلصها ثم حملوه إلى السلطان فقال ما حملك على ما فعلت فقال: لما سمعتها تستغيث بالله والمسلمين لم أتمالك ولم أوف بديني إن سلمتها فأمعن فيه النظر فقال تركناها لله وإيجاباً لحقك ثم رجع فوجد أصحابه مستخفين خوف سوء العاقبة فقال قيامي لله وهو أعلم

بحالي، وفي سير مشايخ نفوسة وهو الصواب إن شاء الله تعالى أنه كان بمصر وسمع رجلاً يقول: أنا بالله وبالسultan ثم قال: أنا بالله وبأهل المروءة فلم يشتغل به ثم قال: إنا بالله وبالمسلمين أو قال وبالإسلام وصادف قوله أبا المنيب قد فتح زق زيت فتركه وأغاث الرجل فخلصه من أعوان السلطان ورجع إلى زقه فوجده على حاله لم تنهرك منه نقطة ثم إن الشرطة أقبلوا إليه وحملوه إلى السلطان فقال: ما حملك على ما فعلت فقال لم يسعني في ديني حين استغاث بالمسلمين أن أتركه فقال السلطان لأعوانه أفبمثل هذا تأتونني ولولا هذا ومن كان مثله لم تطلع علينا الشمس فيهم أمهلنا الله فقال ابن يانس ما فعلتها الله قط فخرجت دنية ومن شدته في الأمر والنهي أنه وجد رجلاً على باب الأمير له حاجة عنده والباب مغلق فأخذ يقذف الباب بالحجارة ويشتم أهل المدينة وكان شديد الغضب في الله معروفاً بالحدة ففتح الإمام الباب واعتذر باشتغاله بغسل الجنابة وعصر لحيته فلما سكن عنه الغضب قال له الإمام: وكيف تشتم أهل المدينة وأنا وأنت في وسطها قال: إن لم نعمل بموجب الشرع فلا محيد لنا عنها، وهذا من مناقب الإمام إذ تحمل لرجل من رعيته مثل هذا الله، وقيل إنه ضرب ثلاثة أخوة على الخط فدخلوا عليه ليلاً فضربوه حتى أضعفوه فلم يطق إتيان المسجد وعلم أهل المسجد أنه لا يحبس عنها إلا الأمر العظيم فدخلوا فسألوه فأخبرهم بما فعل به فأرادوا الانتقام منهم فمنعهم مخافة أن ينتصف لنفسه فساروا صبيحتهم إلى اشتغالهم فأخذ أحدهم يسقي الغنم فسقط في البئر فأخرج ميتاً فصعد آخر إلى قنة جبل يجني الكبار فوق من أعلاه وقعد الثالث في بيت فانتفخت بطنه فعظمت حتى لا يرى أحد القاعدين من الجانب الآخر فانشقت فمات وذلك في يوم واحد فنعوذ بالله من عقوبته ومن عقوق أوليائه، وقيل إنه مكث في الجزيرة شهراً من غير زاد فصعدت إليه امرأته

ليلة فوافقت وقت الإفطار فمال إلى أشجار الأرض يأكل منها من رمث
وشيح فقال لها: كلي فأكلت مما يأكل فصادفته أحلى ما أكلت فأخذت
منه فلما أصبحت نظرت أشجار الأرض فقالت: أبهذا عشت فقال لها:
نقي قلبك وافتحي يديك واغلقي فاك يجعل الله لك كل عود طعاماً أو
عسلاً وقيل إذا أتاه أبو خليل يأخذ عنه العلم عظم مجلسه وإذا أتاه
أخوه عمرو بن يانس حقر مجلسه فعوذ على ذلك فقال تعليم أبي
خليل الله وتعليم أخيه عمرو ليؤدي المسلمين فخرجا كما تفرس فيهما
وكان عمرو بلاء على المسلمين وصاحب خلفاً وأحدث أحداثاً على
المسلمين ويتبع عوراتهم ويكتب بها الإمام فبلغ ذلك في الإمام فكتب
إليه أعاذنا الله يا عمرو من النزول بعد الطلوع ومن الترك بعد الاجتهاد
ومن بعض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تخفيه الأبدان ومن أشياء
ليس لها تجارب فقال بلغوه الكتاب ولا أظن أن تدركوه حياً فوجده
حامل الكتاب محمولاً على النعش وقيل قسم عمره بين طلب العلم
والزيارة والحج وقراءة العلم فعام للحج وعام يذهب زائراً إلى تيهرت
عند الإمام وعام يقرأ العلم عند إسماعيل بن درار الغدامسي وعام يتعبد
فيه في مشاهد الجبل، قال أبو العباس أن محمد بن يانس كانت له
غنمة لا راعي لها فكان إذا أصبح وأراد أن يرسلها إلى المرعى قال
لها: أنهاك أن تضرني أحداً وأنهى أن يضرك أحد امضي في حفظ الله
فتمر أوساط الزرع ولا تضر شيئاً ولا تأكل غير الحشيش المباح الذي
لا حق فيه للناس حتى تروح إليه سالمة لا يطمع فيها سارق ولا
يتعرض لها ذئب ولا ضبع، وقال أبو العباس وحدث أن له سبعة
مساجد بعضها في الجبل وبعضها في السهل ولا تفوته الصلاة في كل
واحد منها وهو ذو تسبيح كثير...

[مهدي النفوسي]

ومنهم مهدي النفوسي الويغوي رحمه الله المقوم في علم الجدل الذي له اليد العليا في البرهان والاستدلال القامع كل ملحد ومحيد والناصر كل مجد مجيد وقد مضى من أخباره في مناقب إمامه وما ردع من شبه أهل الزيف والبدع واشتهر عنه أنه أحد من صد مكائد نفاث بن نصر النفوسي ومنع انتشار بدعه في الآفاق وضربت لذلك مثلاً، وفي كتاب السير أن جماعة اجتمعت في تنين أن دركل فيهم أبو نصر التمصبصي وهو المفتي وفيهم نفاث بن نصر وهو يلقي عليهم من المسائل العويصة ما لا يفهمون فأقبل مهدي وعمروس فأمسك فقال أبو نصر الآن جاء السلوقان اللذان يحرزان الحي من الذئب وأما جروة أبي نصر فتنبج على الغنم وتنهزم، ونسب أبو العباس المقالة إلى أبي مهاصر رحمه الله والصواب ما قدمنا يعني بالجروة نفسه لضعفه عن نفاث وبالغنم نفوسة وبالسلوقين مهديا وعمروساً والصواب أن هذا غير مهدي المعاصر للإمام لأنهما متأخران أعني مهدياً وعمروساً وقد تقدم أنه قال لا أبالي من أي طعام آخذ قوتي وأقل شيء من النوم يكفيني ولا أخشى مخالفاً يغلبني في الحجة حين أكل عجيين غذاءهم فقال لم ينضج طعامكم، وروى أن جماعة من أهل الجبل قدموا تيهرت على الإمام فعجب من كثرة علمهم وشدة ورعهم ورزانة أحلامهم فقال له تركتم في الجبل خيراً منكم فقال له مهدي تركنا من هو خير منا أبا عبيدة الجناوني وفي سير أهل نفوسة أن مهدياً وابن خالته فرجا تخاصما عند الإمام بتيهرت فقال مهدي خذ لي حقي من فرج فقد اشتغل بالدنيا وخفت على فوات الآخرة وقال فرج وخذ لي بحقي منه اشتغل بآخرته فضاعت دنياه وخفت على آخرته تتبعها فلم يجد الإمام جواباً فلما قدم نفوسة وقع

عليهم مطر غزير فابتلت ثيابهم ووليهم منزل ويغوا فدخلوا عند مهدي فألفوه بيت زاهد أفقر من مرافق الدنيا فقال له فرج أتركهم يسرون إلى بيتي فإنه أنفع لهم فذهبوا إلى داره فوجدوها واسعة كثيرة الثياب فبدلوا ثيابهم ونشروها بثياب يابسة وأكثر لهم مجامر النار وقدم لهم أطباق التمر ووسع عليهم أنواع الأطعمة فدفوا وشبعوا، قال الإمام لمهدي خاصمك فرج يا مهدي فهو خير منك وتعجب الناس من كثرة الكوانين لأن الثياب والأطعمة مما يدخر للتجارة وأما الكوانين فليس لدخرها معنى وقيل إنما استعملها للفرس يمنعها من خشايش الأرض وقيل إن مهدياً لما مات في حصار الإمام بطرابلس دخل طائر في ذلك اليوم الذي قتل فيه ونزل على وتد يجعل عليه عمامته فتكلم فقال قتلوا من قتلك يا سيد الرجال فعلموا أنه مقتول رحمة الله عليه، وأخبار مهدي كثيرة مشهورة...

[أبو الحسن الأبدلاني]

ومنهم أبو الحسن الأبدلاني كان واسطة العقد وإنسان العين تعلم العلوم وعمل بموجبها وتحصن من الشيطان بزهد الدنيا ورفضها وهو أحد الأربعة الذين تكفلوا بما طلبه الإمام ولما التقى العباس في فاغيس مع خلف، وخلف في جنود كثيرة أتى رجل أبا مرداس فقال له خفت على عسكرينا من كثرة عدونا فقال أبو مرداس لا أخاف على عسكري فيه أبو الحسن الأبدلاني فأتى أبا الحسن فقال له مثل ذلك فأجابه بأني لا أخاف على عسكري فيه أبو مرداس وأبو الحسن أحد الأثني عشر المشهورين بإجابة الدعاء في عصر واحد بجبل نفوسة وهم أبو مرداس وأبو عامر التصراري وأبو المنيب محمد بن يانس وقد تقدم وماطوس بن ماطوس الشروسي وأبو مهاصر الفاطمي وأبو الحسن الأبدلاني فهؤلاء الستة من الجهة الغربية من جبل نفوسة وأبو الشعثاء السنتوتي وأبو يحيى

الأصفوي وأبو يحيى تسكنيت وأبو عبيدة عبد الحميد الجنائني وأبو زيد المصغوري، «وبعضهم يكتبه بالباء بدل الميم» وأبو زكريا التوكيتي فهؤلاء من جهة جادو وهي الجهة الشرقية من جبل نفوسة.

[أبو مرداس مهاصر السدراتي]

ومنهم أبو مرداس مهاصر السدراتي الساكن بتبرست بلغ في العلوم النهاية وجرى له أمر الصلاح حتى الغاية وقنع في دنياه بالخمول ورأى ما سوى أمر المعاد فضول وكانت عادته إذا وقع الجذب وعظم البلاء أن يجمع حشايش الأرض ويطبخها ويرسل بها إلى من احتجب من النساء، وفي سير نفوسة أن أبا مرداس في الشدائد ينفق ماله على الضعفاء وكان يقعد على طريق رجوع الخدم ورواحهن من الاحتطاب فيعطيهن قبضة من دقيق مبلول بماء يسمى الصميت ويسمى أيضاً بعرف بعض البلاد البسيطة حتى نفذ ما عنده ثم صار ينفق الحشيش فلما يبس صار ينزل إلى تيج فيحمل القطف من السباخ فلما يبس بالقحط صار يحفر عروقه ويطبخها فينفقها وكان له مسجد في كهف يتعبد فيه ويقول لولا أمور الإسلام ما أجاوز هذا الشعب إلى هذا الشعب وكان شديداً في الأمر والنهي ويتبع الأمراء يأمر وينهى ويشدد عليهم في أمور الإسلام، وكان الإمام عبد الوهاب يقول احفظ أربعة وعشرين وجهاً تحل بها الدماء ولم يحفظ أبو مرداس إلا أربعة وشدد عليّ فيها صاحب الإمام حتى مات وصاحب أيوب بن عباس بعد رجوع الإمام إلى تيهرت حتى مات وكان مع أبي عبيدة عبد الحميد حتى مات ثم صحب العباس بن أيوب وقد كبر وانحنى يجر سيفه إذا مشى أمام الجيوش وكان قصيراً ورأيت فوق مصلاه الذي كان في الكهف أثر قدم على صفاة ملساء وكان في طريق واشتهر عند العامة أن ذلك أثر قدمه تحول ثلاث مرات يتبرك الناس بها

إلى يومنا هذا، وقيل تكلم حين لا قوا خلفاً بأبي أطمع الجنة لمن مات في وجهتنا هذه إلا القاعد على فراش حرام أو القاتل النفس أو الآكل مال غيره ظلماً وله منها مخرج إن تاب ورفع نفسه عن المال والفراش وليقد نفسه لأولياء المقتول وإن لم يجدهم فليقاتل بنفسه غيره وليوص بالتباعات فقام وادكن الجارازراري فقال قتلت أبا مكشان وأكلت ماله فقال أبو مرداس حملين حملان ثقيلان أي تحملت حملين هما حملان فأمره فدخل القتال من غير مجن ولم يتق عن نفسه ضربة ولم تأخذه ضربة ولم يحمدا له ذلك ونظيرها تقدم لأبي الخطاب حين سار إلى قتال ورفجومة في القيروان وكان قد أهدى بطة عسل قبل ذلك لأبي مرداس فردها له واستعار دابة فركبها وطلبه رفيق له أن يحمل صرة دراهم فاعتذر بأن الدابة عارية فصاح الرجل فقال أبو مرداس صار العلم عجباً واستفتاه آخر فيمن قرن بين الصلاتين هل يفعل بينهما فعلاً وجعل يكرر عليه السؤال وهو يجيب بأني لا أحفظ بينهما إلا الإقامة والتسليم وفي سير نفوسه أن أبا مرداس يحضر الجمعة مع الإمام إذا كان بنفوسة ففقدته الإمام ذات جمعة فسأل عنه فقل له تزوج. فقال ذاق أبو مرداس ما ذقت الناس ومن شدة ورعه أنه طلع على منزله وهو بتبرست فرأى بنياناً كثيراً قد حدث في البلد فقال متى حدث هذا البناء من قلة التفاته إذا مشى وإنما نظر ذلك اليوم لأن الناس خرجوا إلى الخصوص وليس في المنزل أحد وفي السير أن مشايخ قدموا من أهل الشرق زائرين فاختاروا من أهل تيهرت الإمام ووزيره ومن أهل الجبل أبا مرداس وأبا زكريا التوكيتي والعباس قالوا أبو مرداس يقول نفسي نفسي الغزاة والعباس نعم الفتى وأبو زكريا هو الجبل والجبل هو أبو زكريا وفيها أن مشايخ نفوسه يقبلون إلى الإمام فيجلسون إليه حين كان بالجبل فإذا قدم أبو مرداس قام إليه وكان قصيراً فقال رجل من أهل المشرق لم يعظم

الإمام هذا فقال حين سمعهم كيف لا أجل من تجله الملائكة ولا أعرف في الدنيا مثل هذا إلا رجلاً بالمشرق وهذا أرجح منه بكثير فقالوا للإمام أروده علينا لنسأله ونتحدث معه فقال لا يلبث عني فلما رجع بعد ذلك سأله فقال أسألو الإمام فكرروا السؤال فكل ذلك يقول أسألو الإمام فقال له الإمام أجيبهم فأجابهم وتحدث معهم فلما قام قالوا لا نعلم أحداً بالمشرق ولا بالمغرب مثل هذا وفيها أن رجلاً من أهل ابديلان قال لأبي مرداس يا كافر فقال سميتني باسم هربت منه زماناً فلا مُت حتى تنبح مثل الكلب فابتلاه الله فصار يطلع على المزابل فينبج مثل الكلب فإذا أفاق وزال عنه قيل له مالك تنبح فيقول بدعوة أبي مرداس نعوذ بالله من سوابق الشقاء ومن غضبه، وفيها أنه ذهب يحرق على بقرة له فجاز على أهل اكرين والناس مستنون وأحاط بهم القحط وأكلهم الضبع فرأى ما بهم من الحاجة فتصدق عليهم بالزريعة وذبح بقرته فقسمها بينهم وقسم الجلد فأخذ نصيبه بينهم فلما رجع قالت له زوجته زررت أين البقرة وأين حرث فقال حرثت حرثاً استغنى عن المطر ولا تصيبه آفة فأخبرها بما فعل فقالت لِمَ لم تردد علينا من بقرتنا إلا هذا، وفيها جاز عليه رجل يحرق في فدان به بقرته فقال له اخرج من فداني فخرج أبو مرداس وترك الفدان فأدركه وقال له اترك البقرة لأنها لي فتركها فرجع إلى بيته فأتاه فقال: اخرج من بيتي فدخل إلى زوجته فقال: ناوليني سلاحاً ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها يريد دفاعه، فقال الرجل استهزأ وليس لي في الفدان ولا في البقرة قال أبو مرداس ما بعثك الله إلا وقد علم في الفدان والبقرة شيئاً فتركهما ورفع يده عنهما، وفيها بلغنا أن أهل منزله قالوا نرى في هذا الرجل أمراً عظيماً من الصلاح يا ليتته بعيد عتاً. قال لهم أموت ولا ترون بعدي إلا الفقر، فقيل إنهم بعده صلوا على ميت بالركوع فجاز رجل من فوقهم فقال ليس لها

ركوع، وفيها أنه خرج في غير يمتار ومعهم الأحوص الأبدلاني وهو
المقدم على القافلة فغارت عليهم قطاع السبيل فتبعوهم فقال أبو مرداس
ارجعوا فرجعوا فكر العدو فهزموهم ثانية فقال أبو مرداس ارجعوا
فرجعوا فكروا فتركوا القتال لأبي مرداس وحده، فلما اشتد عليه القتال
فقال أدركني يا أحوص فرجع إليه أصحابه فهزموهم وتبعوهم فسكت أبو
مرداس وإنما فعلوا ذلك ليسكت منهم إذا تبعوهم وفيها أن رجلاً أتاهم
يبتغي أن يرافقهم فمنعه أبو مرداس من صحبتهم فلما انصرف أقبل قوم
يطلبونه بدم وليهم فقال عند ذلك أبو مرداس لمثل هذا منعتكم من
صحبتة ولو أجبننا له لوجب علينا منعه حتى يبينوا ما يدعون، قال أبو
الربيع أبو مرداس رجل حازم ممارس للأمر ورع نبيه وجيه حاذق عاقل
فطن مجتهد رحيم للضعفاء شديد على الفجار ذليل على المؤمنين لا
تأخذه في الله لومة لائم يؤثر الحق والصدق وإذا أراد الزيارة لأهل
تيهت أخذ الوصايا من أهل الدعوة من أهل الجبل فيرفعها إلى تيهت
لنفع بيت مال المسلمين ولنفع أرباب الوصايا لرخص السعر فإذا اشترى
الطعام جمعه جميعاً ويؤذن للمساكين فيرفعون ما قدر لهم ولا يكيل
لأحد ولا يكيلون لأنفسهم بل يحملون كذلك وقال أبو الربيع قال الإمام
سبعون وجهاً تحل بها دماء الموحدين وذكرت منها لأبي مرداس ثلاثة
فقال من أين من أين؟ منكرًا ذلك، قال أبو الربيع وفعل أبي مرداس في
جمع الوصايا ودفعها بغير كيل أصل لمن بعده لأن ذلك بمشهد أئمة
العلم من أهل الجبل وأهل تيهت ولم ينكر عليه أحد ما فعل، وقال أبو
الربيع رأى امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة لرؤيته وسببها أن الناس
خرجوا من البلد إلى الربيع فقالت في نفسها لم يبق إلا أبو مرداس ولا
ينظر أحداً فطلعت فوق البيت فوقعت عليها عين أبي مرداس، وقال
ذكران ماء وضوئه نفد فطلب سبع بيوت من جيرانه وسمع كلام جارتة

فقال كفرت جارتنا اليوم مراراً وما بين خيمتيهما إلا قدر سبع حزمات حطب، وكان إذا حصد الناس زروعهم ولقط اللقاطون خلفهم وراعت أرباب المواشي مواشيهم لقط من بعدهم نفقته لأنه يراه متروكاً وسمع رجلاً بتيهت يدعو غريمه إلى الحق ولم يجبه فأتى إلى دار الإمام فحذفها بالحجارة فقال بهلة الله اليوم على من سكن هذا البلد فقال رجل للإمام كيف نحن وهذا الذي يذكر أبو مرداس قال نحن في وسطها إذا لم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر وقد تقدم مثلها لما مداهي محمد بن يانس ولعل القصة واحدة والغلط من قبل النقل وفي كتاب «طبقات الأسياف» لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني أن أبا مرداس شاور بعض إخوانه في التزويج وسأله أن يخطب له امرأة تصلح لمثله فدار في الجبل ولم يجد إلا امرأة مجنونة فخطبها فأجابت فرضي بها على جنونها إذ اختارته فلما تزوجها ارتفع ما بها فكانت من أفضل نساء نفوسة وأحسنهن وأكملهن وأرفعهن ذكراً ببركة الشيخ وموافقته. فقال أبو العباس إما أن يعني بالجنون الوسوسة وشراسة الأخلاق أو من يجن ويفيق وإلا فكيف ينعقد النكاح على مجنون لا يفيق، وبالجملته شهرة أبي مرداس في العلم والورع والزهد كافية..

[أبو زكريا التوكيتي]

ومنهم أبو زكريا التوكيتي قال أبو العباس كان علماً لكل الفضائل ومعلماً لكل ناهل قال أبو العباس وغيره إن رجلاً من أهل المشرق أقبل زائراً فجاز بنفوسة فتصفح أحوالهم واختبر كل من يتوجه إليه منهم ثم توجه إلى تيهت فتصفح أحوال أهلها أيضاً فسأله عن الجبل ونفوسه قال الجبل هو أبو زكريا وأبو زكريا هو الجبل وأما أبو مرداس فكالغزالة نفسي نفسي وأما أبو العباس ففتى مقرعي وصفه بالشدة والنجدة ثم رجع

إلى الجبل فسألوه عن أهل تيهرت فقال ليس بها أحد إلا الإمام ووزيره ابن عمران وقد تقدمت الحكاية أنه جماعة لا رجل واحد وفي السير أن العباس خرج بعسكره إلى حرب بني يفرن ومعه أبو زكريا التوكيتي وأبو مهاصر ثم إن العباس فقد الشيخين فلم يجدهما في العسكر فخشي أن يكون رجوعهما لحدث أحدثه فرجع يقفو أثرهما فوجدهما عند أم الخاب أغرم اينان والمشهور اغريممان ووجدته بخط عمنا يحيى بن أبي العز بألف بعد ميم بعدها ياء بعدها نون وألف ونون وهما في مجلس الذكر وقد أرخوا الستر فقال ما ردكما عني قالاً أنت على المنهاج وإنما رجعنا من أجل لمع السيوف فقال: أنا الذي يحمل لمع السيوف فأخذت أم الخطاب شاة ذبحتها لهما فجعلتها في خرجه وقالت لهما يكفيكما الجلبان فرجع العباس إلى عسكره، وفيهما أن أبا عبيدة لما دفع الولاية ولاية جهته واعتل بأنه ضعيف كتب إليه الإمام إن كنت ضعيفاً في العلم فعليك بأبي زكريا يصلتن التوكيتي وستأتي الحكاية في التعريف بأبي عبيدة وشهرة أبي زكريا وعلمه وورعه مما لا يخفى على الحفاظ وكفاك أنه في زمان امتلأ فيه جبل نفوسه علماً وعملاً وعدلاً فاختر من جميعهم حتى قيل أبو زكريا هو الجبل والجبل هو أبو زكريا.. ومنهم فرج الويغوي النفوسي وقد تقدم التعريف به مع مهدي..

[أبو عبيدة عبد الحميد الجنائني]

ومنهم أبو عبيدة عبد الحميد الجنائني قال أبو العباس أحمد بن سعيد، أحد علماء نفوسة الموصوفين بأخلاق نفيسة ومال إلى ما طبع عليه من الورع واطراح الحرس والدنيا وترك الطمع وكان غاية في إنفاذ الأمور وإمضائها وقائماً بالمدافعة لأحوال البغاة ودفاعها ووافياً بما أمر من إصلاح النفس والدين والدنيا وتحسينها، وفي السير فلما ولي أحسن

السيرة وأول من أخرج منه الحق رجل دعا يا آل فلان دعوة الجاهلية وفيها حجر على أهل اجناون خرط زيتونهم إلى وقت معلوم فكسر بعضهم الحجر فأدبه قال أتضربني على مالي يا بن فحمس قال له حاش لله أن أضربك على مالك وإنما ضربتك على الحق فيها، وروى أنه أخرج الحق من رجل على التهمة فخرج الفاعل غيره فقال المضروب ظلمتني يا بن فحمس فقال: معاذ الله أن يظلمك ابن فحمس إنما أنت الظالم لنفسك الذي جعلتها في مواضع التهمة، وفيها أن الفرس تزوجوا إماء بني زمور في مدة إقامة الإمام بنفوسة فلما أرادوا الرجوع إلى تيهرت حملوا أولادهم منها فقال أبو عبيدة لبني زمور خذوا عبيدكم فانزلوهم عن السروج، واستمسك رجل بآخر عنده بنصف دينار أو بثلاثة أرباع إلى الآخرة قال: لا أحكم بدين الآخرة، وله سبع مساجد معلومة يتعبد في جميعها كل ليلة وفيها وفي غيرها من الكتب لما مات السمح بن عبد الأعلى المعافري عامل الإمام عبد الوهاب رحمهما الله تعالى وقد أوصى الناس ووجوه أصحابه بتقوى الله وبطاعة إمامكم وتأييده ما دام مستقيماً بلغ في الناس مبلغاً عظيماً لعدله ولفضل أبيه أبي الخطاب فبادرت العامة ومن لا بصيرة له بالأمر إلى تقديم ولده خلف ظناً منهم أن ذلك أرفق بالمسلمين وأوفق بأمير المؤمنين فردّ فعلهم من له بصيرة بأنه ليس لكم أن تسبقوا إمامكم بالتقديم قال بعضهم نوليّه فإن أبي أمير المؤمنين عزلناه وأهل الصلاح أبوا ذلك وامتنعوا منهم أبو المنيب إسماعيل بن درار وأبو الحسن أيوب بن العباس وغيرهم فبعثوا كتاباً إلى الإمام فأجابهم بأنه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بحيز طرابلس (أما بعد) فإني أمركم بتقوى الله والاتباع لما أمركم به والانتفاء عمّا نهاكم عنه وقد بلغني ما كتبتكم إلي به من وفاة السمح واستخلاف بعض الناس خلفاً ورد أهل

الخير ذلك فإن من ولي خلفاً من غير رضا إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين ومن أبى من توليته فقد أصاب فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله منكم السمع على عمالته التي ولي عليها إلا خلفاً حتى يأتيه أمري وتوبوا إلى ربكم وراجعوا التوبة لعلكم تفلحون . فلما وصل كتابه طرابلس وعلموا ما فيه من تصويب من وقف عن توليته وتخطئة من ولاه ورجوع كل عامل إلى عمله كاتبوه ثانياً أن يجوز لهم ما فعلوا من توليته فأجابهم بأنه لا يسعني في ما بيني وبين ربي ولو وسعني لفعلت فأفرد كتاباً لخلف يأمره فيه بتقوى الله وأن يعتزل أمر المسلمين كافة وأرسله إلى جماعة المسلمين بطرابلس وكتاباً آخر فيه توليته وأمرهم أن يدفعوا إليه الأول فإن أطاع وامثل دفعوا إليه الثاني وإن أبى تركوه في غيه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فلما قرأ خلف الكتاب الأول أبى واستكبر فاجتمع الذين ولّوه وكتبوا إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل يستفتونه إذ هو يومئذ واسطة العقد ورأس من بالمشرق من أصحابنا والمقدم في الأمور بعد الربيع وأبي المهاضر وأبي غسان وأبي أيوب فلما علم ما في كتابهم أجابهم بتخطئة من ولّى خلفاً وأمرهم بتقوى الله وطاعة إمامهم، فلما وصل إليهم جوابه أنكروا إمامة عبد الوهاب من غير حدث وزعموا أن إمامهم خلف واعتلّوا أن حوزة طرابلس منقطعة عن حوزة تيهرت وبعيدة منها فلما أبوا من قبول الحق استعمل الإمام أبا الحسن أيوب بن العباس وقد تقدم بعض أخباره وأنه أحد الأربعة الذين وصلوا إلى تيهرت متكفلين بأمر المعتزلة وتقدم قوله إني لا أعرف فارساً يبارزني من فاس إلى مصر وكان ذا بأس وشدة وشجاعة فهابوه وكان ذا عدل واستقامة فلما حضرته الوفاة أرسلوا إلى الإمام أن يولي عليهم فأجابهم أن يختاروا أفضلهم وأولاهم بأمور المسلمين ويسموه وكتبوا إليه أنه ليس مثل أبي عبيدة لهذا الأمر

عبد الحميد الجناوني فأرسل الإمام إليهم أن يولوه بأمره فاجتمعوا إلى أبي عبيدة وأخبروه بما كتب به إلى الإمام وما أمرهم به من توليتهم إياه على أنفسهم أن يقضي بينهم بكتاب الله وسنة نبيه وآثار الصالحين فأجابهم بأن قال أنا ضعيف أنا ضعيف، ولا أطيق القيام بأمر المسلمين فأرسلت نفوسة إلى الإمام بامتناعه وقوله أنا ضعيف أنا ضعيف، فأجابهم وحلف بالله بلغة العرب وبلغة العجم وبلغة البربر أن لا يقلد المسلمين وأمرهم إلا رجلاً يقول أنا ضعيف أنا ضعيف، فكتب إلى أبي عبيدة يأمره بالدخول في أمور المسلمين كذا قال أبو زكريا، وفي سير نفوسة أن أبا عبيدة استعذر بأنه ضعيف المال ضعيف البدن ضعيف العلم وقولهما إن الإمام كتب إليه إن كنت ضعيف البدن فادخل في أمور المسلمين يقوي الله بدنك وإن كنت ضعيف العلم فعليك بأبي زكريا يصلتن التوكيتي وإن كنت ضعيف المال فبيت المال يسعك ويسع غيرك فلما ورد عليهم جواب الإمام اجتمعوا إلى أبي عبيدة وقالوا لا يسعك إلا الدخول في أمور المسلمين وطاعة إمامك فقال أمهلوني حتى أستشير فأتى عجوزاً معروفة بالعلم والورع والدين تسكن بموضع يقال له أرجى ازمار فيما يقول أبو محمد فقال لها إن أمير المؤمنين بعث إليّ بالولاية فأشير عليّ فقالت: إن علمت في نفوسة أفضل منك فتقدمت فستكون خشبة في جهنم، وإن علمت ليس فيهم أفضل منك فتأخرت فستكون خشبة في جهنم فقال: أما في أمور الرجال فلا أعلم فيهم مثلي فرجع إلى المشايخ فقبل الدخول في أمورهم فلما ولّوه قالوا: سيروا نزور وقاية أفضل من عمائمنا فلما ولي الأمور أحسن السيرة وعدل في القضية وساس الرعية وصحب الأشياخ ورضي به أهل الخير مثل أبي زكريا الذي هو الجبل والجبل أبو زكريا وأبي مرداس وأبي الحسن الأبدلاني وغيرهم ممن يكثر عددهم فلما سمع خلف بولايته اشمخّر واستكبر وشنّ

الغارات على المسلمين ومن كان في حيز أبي عبيدة وأرسل إليه أبو عبيدة يكف عن فعله فأبى فأرسل إلى الإمام أن يأذن له في دفاعه فأجابه بأن يلاطفه ويلاينه إلا إن فاجأه فليدفعه فمكثوا كذلك حتى مات الإمام وهم على حالهم ثم إن المسلمين بتيهت اجتمعوا بعد موت الإمام واتفقوا على أن يولوا ابنه أفلح فقدموه من يومهم لعلمهم بصلاح أحواله في أيام أبيه وكثرة علمه وقوة نفسه وشجاعته وسيأتي الكلام عليه، فلما بلغ موت الإمام وتولية ابنه أفلح خلفاً أنف وانحاز من معه إلى ناحية تيمتى وما يليها من المشرق وزاد في الفساد على فعله فكتب أبو عبيدة أفلح يستأذنه في دفاعه فأجابه أن يلاطفه كما أجابه أبوه من قبل فلج خلف وتمادى في العتو والفساد فقتل الأنفس ونهب الأموال وقتل بعض أصحابه غلطاً فأخصب الله جهته استدراجاً وأجذب جهة عبيدة فمال الناس إلى خلف طلباً لأخصب الله جهته استدرجاً وإخلاصاً إلى الأرض والدنيا فلما رأى كثرة من معه وتعجب بعساكره خرج بها يريد أبا عبيدة ومن معه من المسلمين لعلمه بقتلهم وأن يستأصل شأفتهم ويذهب شوكتهم فلما سمع به أبو عبيدة خرج من الجبل فعسكر بعيداً من الجبل وتهياً لدفاعه فأرسل خلف إخوته ومواليه في نحو أربعمئة فارس ولم يشعر بهم أبو عبيدة حتى غشوه نهاراً. فأمر أبو عبيدة أصحابه بالكف حتى يعلموا ما يريدون فغاروا على أذرف قرية هناك فنهبوا الأموال وقتلوا الأنفس وقيل قتلوا نحو عشرة فأمر أبو عبيدة أصحابه بمناجزتهم لما أبصر بغيتهم وعتوهم فهزمهم الله تعالى وقتل منهم كثيراً فأمرهم بالكف عن أتباعهم وأحسن فيهم السيرة فرجع خلف إلى تيميتي ورجع أبو عبيدة إلى أجنان وكتب إلى خلف أن نزعت يدك من الطاعة فكن في حيزك وأكون في حيزي فما بال الحرب فأبى وتمادى في شن الغارات ونهب الأموال وقتل الأنفس وما قدروا عليه من الفساد ثم أقام على ذلك نحو سنة

فخرج بعسكره يريد أبا عبيدة ومن معه من المسلمين فعسكر أبو عبيدة بعيداً من الجبل في قلة لكنهم أهل بصائر يموتون على ما أبصروا وقيل عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وعسكر خلف في أربعين ألفاً وقيل عدد من مع أبي عبيدة سبعمائة والله أعلم وأعجبت خلفاً كثرة عساكره وغفل أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلما قرب أرسل رجلين إلى أبي عبيدة يخلع ولاية الإمام أفلح ويثبت ولايته قال أبو عبيدة لهما لما أخبراه بالرسالة أيخلع بغير سبب وحدث يستحق به خلع طاعته واحتج عليهم بطاعة السمع للإمام عبد الوهاب ورد ما ادعوه من انقطاع الحوزات بذلك فقالوا إن لم تجبه نخاف إراقة الدماء فقال إراقة الدماء أهون من عدم القيام بأمر الله ودينه فقالوا إراقة الدماء أعظم ورد مقاتلتهم بفعل أهل النهر والنخيلة وأبى بلال وعبد الله بن يحيى وغيرهم فرجع الرسولان فأخبراه برأي أبي عبيدة فأمر عسكره بالتهيؤ للقتال وثبت الصفوف فأتى أبا عبيدة رجل نكاري مّمن تقدم ذكرهم في أخبار عبد الوهاب رحمته الله وهم الذين قاتلوا مع ابن فندين فقال له لا طاقة لك اليوم بخلف وعساكره ولا حاجة لك في لقائه فحلف أبو عبيدة بالله بكل لغة يحسنها من عربية وبربرية وكانمية وغيرها لأقاتلهم ولو لم ألقاه إلا بسيفي هذا وضرب بيده على قائم السيف ثم تقدم إليه رجل مّمن كان مع خلف حين تدانا العسكران فقال آوِ إلى الجبل بأصحابك فإن كانت لكم الدائرة أدركتم ما رجوتم وإن كانت عليكم كنتم في حصن من عدوكم فقال أبو عبيدة لأصحابه نصيحة الله نزعها من عدوّه فأمر أصحابه أن يسندوا إلى الجبل فلما تنحى أبو عبيدة إلى الجبل ظنّ خلف أن بهم ذلاً وخوفاً فغشاهم بعساكره فتنحى أبو عبيدة واستتر واغتسل وصلى ركعتين فدعا الله تعالى وقال يا من لم أعرض عنه منذ استقبلت أمره أعطني دابرهم اليوم ثم إن أهل شروس أقبلوا يريدون خلفاً شاكين بالسلاح فقال

أبو عبيدة حين أبصرهم هيجوا فينا حرارة الخوف فلا أعدمهم الله ذلك فبقي فيهم ذلك إلى يومنا هذا (فخطب) الناس ورغبهم في الجهاد فقال أطمع الجنة لمن مات تائباً في هذه الواقعة إلا من كان على فراش حرام أو قتل نفساً أو غصب مالا وقد تقدم مثلها لأبي الخطاب وأيضاً لأبي مرداس، فقام إليه رجلان من أهل ابدلان فأقرا بالثلاثة فأمرهم برفع أنفسهما عن الأموال والفروج وليقودا أنفسهما فلم يجدا الوليين فقال لهما قائلاً بنفسي غيركما ففعلا فماتا فحمد لهما ذلك ثم خرج من عسكر خلف عبيد بن سيدي بين رجلين من أصحابه يطلبون المبارزة وكان عبيد ممتن يدعي النسك والتقوى قبل ذلك وكان يحمل أحمال القمح والكباش للمشايخ قبل ذلك فخرج إليهم أبو عبيدة بنفسه وأبو مرداس والعباس بن أيوب فلم يمهل العباس بصاحبه أن قتله وأبو عبيدة كافأ صاحبه وأبو مرداس لقي مشقة فكرّ العباس على صاحب أبي مرداس وهوى أبو عبيدة بنفسه حين رأى الشيخ في شدة منه فضربه فرمى بركبته ثم أبان رأسه بضربة فقال إلى النار فقال الرأس بعدما طار وبئس المصير فقال جسداً أدعو له بالجنة زماناً تأكله النار إنا لله وإنا إليه راجعون، فلما نظر أبو مرداس إلى ضربة العباس قال ضربة فتى لا أكلت معصمه النار واشتهر أن رجلاً من أصحاب أبي عبيدة قذف بحربة فوقعت برجل فخرجت منه وركزت خلفه وجعلوا مصلى فيه وهو معروف فأسرع القتل فيهم فانهزموا فتبعهم أبو عبيدة حتى خرجوا من حوزته وأحسن السيرة ثم إن الناس رجعوا بعد انهزام خلف ورجع من أصحابه من أظهر التوبة فقبلهم أبو عبيدة إلا من أتى منهم الأمر عمداً وأتاه سائد الفرسطائي فقال تبت يا أبا عبيدة قال له إن لم يسدد بعد يا بن تجميت يعني باب التوبة وهو ممتن أتى الأمر عمداً واسمه يوسف بن سادين أي اسم سائد والله أعلم وكان سائد ومنيب بن إسماعيل بن درار الغدامسي وأبو يوسف حجاج بن وفتين ممتن مال إلى

خلف فأعطى لحجاج شقة فأتى أهله فأراد الدخول فقالت له امرأته من عندك يا بائع دينه فوقف في الباب إلى الصبح إحدى رجله داخل الباب والأخرى خارج الباب يميز بين الحق والباطل بين أبي عبيدة وخلف فظهر له أن خلفاً على خطأ وأبو عبيدة على حق فتاب ورجع إلى أبي عبيدة وكان أبو يوسف بعد ذلك من أفضل الشيوخ فلما أوهن الله شوكة خلف وأظهر الإسلام واستقامت الأمور وحسنت الأيام وذهب الجور وقام العدل فبلغ الخبر المشرق والمغرب فكتب أبو عيسى الخراساني رسالة مع جماعة المسلمين إلى أهل المغرب يوصونهم بالحق وأتباعه ومنايذة الباطل واطراحه والاقتراء بمن قبلهم من السلف الصالح ثم ذكروا سماتهم بما بلغهم من هلاك من هلك قبلهم من أهل دين المسلمين وخلافهم أئمة الهدى ثم ذكروا أن عبد الوهاب مضى على الرضى من المسلمين والاستقامة على الدين لا ينقم عليه أحد من أهل الخير عندنا وعندكم سيرته سيرة من مضى من أئمة الهدى في حكمه وحره وقسمه ودينه وقد أدركنا أبا أيوب وائل بن أيوب وغيره من الأشياخ ومن بعده أبا محبوباً سفيان بن الرحيل وهم راضون عنه واستعمل السمع فكان على طريقته من العدل والاستقامة ثم ابتلي القوم بعد ذلك فنسأل الله ربنا أن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن وبلغنا أن أهل تلك القرية استعملوا خلفاً على غير رضا من عبد الوهاب وإجازته وينبغي لهم إذ أنكر الأمر ولم يجزه أن يسمعوا له ويطيعوه ويخلعوا من خلع ويتنهبوا إلى رأيه وطاعته واجبة عليهم فمن شاقه وبغى عليه فهو عندنا كافر ضال حتى يرجع ويتوب ويستغفر الله مما صنع ثم كان بعد عبد الوهاب أفلح ابنه حفظه الله عمل بالسنة وقسم بالسوية وعدل في الرعية لا ينقم عليه أحد قبلنا وقبلكم في حكم ولا قسم متعنا الله بحياته فخالف خلف وأصحابه وأبوا إلا رأيهم وقد فسرنا لهم ولكم معالم ديننا ورأي المسلمين انتهى مختصراً.

قال أبو زكريا لما أتى الرسولان إلى أبي عبيدة وأخبراه بتعظيم الدماء وقبول ولاية خلف وخلع أفلح وأجابهم واحتج عليهم قال لهما فإذا كان عندكما إراقة الدماء أعظم من القيام بدين الله فعلى من يقتل الناس ارجعا إلى صاحبكما وقولا له إن هذا يوم الخميس فإذا كان غداً يوم الجمعة إن شاء الله نصوم إن شاء الله وأطلع أنا وخلف وأبو المنيب إلى شعبة الجبل فنبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وأن يحكم بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين، هذا والخيل باسطة أكفها على قرى أبي عبيدة وتقدم رجل من عسكر خلف إلى رجل في طرف صف أبي عبيدة فقال لصاحبنا ما أوقفكم فقال لنذكر الله فقال ما بال السلاح قال لندافع في سبيل الله قال من تدفعون قال من بغى علينا وخالف أمر الله فقال آخر من عسكر أبي عبيدة لصاحبه مالك أأنت له قال طمعاً في الصلح وحسم الشر وكانت الواقعة عشية الخميس لثلاث عشرة خلت من رجب عام إحدى وعشرين ومائتين، فلما التحم القتال نظر أبو عبيدة إلى العباس بن أيوب يضرب في أعراض الخيل ويكشفها يميناً وشمالاً قد حمى الميمنة والقلب والميسرة فقال صار في عيني كالعقاب معصماً لأكلته النار، وقد تقدم أن أبا مرداس دعا له فأخذت فيه دعوة الشيخين وكان أبو عبيدة شديد الشكيمة قوي العريكة لا تأخذه في الله لومة لائم ومن شدته في الأمر والنهي أن الإمام لما قدم نفوسة أهمل الرعاة الكراع في الأشجار فأتاه أبو عبيدة فقال إنه الرعاة عن المضرة إن لم تعرف فقد علمناك وإلا فصل بيننا هذا «يعني السيف» فسأل الإمام عنه من يكون ف قيل له أبو عبيدة فقال صدق الشيوخ هو مثلهم أو خير منهم تفكر قول الشيوخ بتيهرت إذ سألهم هل تركتم في الجبل مثلكم فقالوا أبو عبيدة مثلنا أو خير منا وقيل عين اجناون تدور على اثني عشر ألف زيتونة وسمع ليلة عند قيامه إلى الصلاة صوت التفليق في الغابة فتوضأ فلما

دخل المسجد جعلوا له موضعاً فقال لا أرجع تبت إلى الله أيها الشيوخ سمعت تكسيراً في الغابة ولا تيبس الغابة إلا بتضييع الحق، وكان في مسجده سبعون شيخاً كلهم من أهل ولايته إلا ابن زور وهو الذي احتال على التفليق في الغابة لرشوة أخذها وهي مائة دينار.

[عبد الخالق الفزاني]

ومنهم عبد الخالق الفزاني وكان في المنزلة العليا عالماً وعملاً وورعاً وتقى قال أبو مرداس لا أعرف إلا الإمام ووزيره وهذا الفزاني يعني عبد الخالق وإنما أعرفه بكتابه وقيل كتب إليه أبو مرداس يسأله عن دواء مرض الريح وأن يدعو الله لأهل الجبل أن يغنيهم فأجابه بأن مثلك يا أبا مرداس إنما يكون سؤاله عن دواء الذنوب وأجابه عن الثانية ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ فقال أبو مرداس لقد ردني هذا الفزاني أعض الأصابع إلى الموت.

[عبد القهار بن خلف]

ومن مشايخنا بفزان عبد القهار بن خلف رحمته الله وكان عالماً ورعاً مفتياً وكان من فتياه أن الابن لا يتزوج ربيبة الأب وأنه مكروه ويروى ذلك عن جابر بن زيد ثم تزوج ربيبة أبيه وسأله بعض إخوانه عن سبب رجوعه عن قول جابر فأخبره بأنه ارتحل ليلة شباهه إلى زريعة حين انهزم إبراهيم ووزبون بعساكرهما فأكثر عليه الناس في شأن هذه الجارية فقال لعل الخيرة في ذلك وإن كل أمر سهلت أسبابه ففيه الخيرة وكل أمر ضاقت مذاهبه وانغلقت أبوابه وتعسرت أسبابه فالخيرة في تركه فاستخرت الله عند النوم بأن قلت اللهم إنك قد ترى ما قد انفتح من أبواب هذه الجارية وسهل من أسبابها فإني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم رب إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا

أقدر وأنت علام الغيوب أسألك أن تأخذ بناصيتي في أمر هذه الجارية إلى خير ولا تكلني إلى نفسي ولا تذرني وهوي فأكون مخطئاً وأنت تعلم قدرها في نفسي أنه صغير وغايتي لو كانت الخيرة في تركها وأنت تعلم كراهيتي لها غير أنني فيما اختبرت أن كل أمر سهلت لي أسبابه وانفتحت لي أبوابه إن فيه الخيرة والعلم علم التجارب فإن كانت لي فيها الخيرة لديني ودنياي وآخرتي ومعيشتي وعاقبة أمري فيسرها لي وإلا فحلّ بيني وبينها وارزقني الاستسلام لأمرك والرضا بقضائك وإن كان منك في هذا أمر يا رب فأرني ذلك في المنام على يد النبي ﷺ وحفظني ما يقول الرسول حتى لا أنساه ولما تعلق بي النوم رأيت النبي ﷺ قادماً مع أربعة من أولياء الجارية غير أنهم ليسوا بالأولياء الذين أعرف وبينهم قدر عشر خطى فقال لهم ﷺ إن جبريل بعثني إليكم أن تزوجوا فلانة لفلان ثم قعد فقال إن جبريل بعثني إليكم أن زوجوا فلاناً فلانة أو قال فلانة فلاناً وعلمت في النوم أنها رؤيا وتمنيت لو أنها طالت ثم استيقظت وقد حفظت ذلك فقلت ما بعد هذا من البصائر لقوم يوقنون ما بعد جبريل والنبي ﷺ من ازدياد بيان فتزوجتها اتباعاً لما جاء من السبب وكان كثير النصح لوزبون بن الحسن وكان قائماً هو وإبراهيم بن أسد بن أظن بفزان من أهل الدعوة والله أعلم..

[إدريس الفزاني]

ومنهم الشيخ إدريس الفزاني وكتب جناو بن فتى المديوني إلى عبد القهار بن خلف يرغبه في القدوم عليه لدراسة كتب أبي عبيدة لعل الله أن يحيي بك أهل هذه الدعوة وأحب تعجيل ذلك لأنني على آخر أيامي واقترب أجلي ثم قال فليكن معك ما تستطرفه من كتب أخينا إدريس أكرمه الله وأعانه ووفقه بالتوبة والازدياد مما طلب.

[جناو بن فتى المديوني]

ومنهم أبو الحسن جناو بن فتى المديوني كان من أهل التحقيق وممن يتحرى ويروم التحقيق وإليه المرجع في الحكم الخفي الدقيق وهو مفتي واطلعت له على أجوبة لعبد القهار وأظن أنه أستاذه وأخذ منه لأنه يدعوه إلى الأخذ عند إمكان الزمان ويرغبه في ذلك وعلى أجوبة لأبي بكر بن أسدين وأجوبة لأبي يوسف وزبون بن الحسن.

ومنهم بكار بن محمد الفزاني واطلعت له على مسائل نقلت من كتابه ونظراؤهم كثيرون.. ثم:

من الطبقة الذين من بعدهم

[أفلح بن عبد الوهاب]

الإمام التقي العدل السمي العالم الأنجح أمير المؤمنين أفلح بن عبد الوهاب الذي تمسك بالحجة البيضاء والصراط الأفيح، بويع في اليوم الذي مات فيه أبوه وذلك أن المسلمين بتيهت خافوا من حولهم من كثرة العدو فبادروا إلى البيعة من يومهم وقد اختبروه من قبل، قال أبو زكريا وكان ميمون الناصية سكن الله به البلاد ووقى به الفساد وكان أبوه نظر إليه يوماً وهو يقاتل وأحسن فقال إنه يصلح للأمر، قال ابن الصغير أخذ بالعزم والحزم ولم يطعن عليه في أحكامه ولا صدقاته ولا أعشاره ومما امتحنوه به أن نفوسة شرعوا يأكلون بليل وهو ماسك لهم مصباحاً يستضيئون به فناوله بعضهم لقمة من طعام فجعل المصباح على ركبته فأخذها بيديه معاً كالملوك فنظر بعضهم إلى بعض فظنّ أنهم يختبرونه فقال أعوذ بالله من ظنكم يا مشايخ ومما امتحن به أن مات بعض قضاة أبيه فاجتمع إليه الأخيار أن يولي عليهم من يستحق فقال اجتمعوا واختاروا من يصلح وأخبروني أكرهه فاتفق رأيهم على محكم الهواري فأكرهه على القضاء وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق وغيرها والاحتساب على الفساد وكان في الحلم والشجاعة والقوة والعدل ما قد اشتهر وتقدم ما فعل يوم

قيام ابن فندين على أهل المدينة والإمام عبد الوهاب غائب فوقف أفلح على باب المدينة فمنع جميع من أراد الولوج حتى فني ترسه فأخذ أحد شقّي باب المدينة يتقي به فلم يطق جماعة من الناس رده بعد ذلك وتقدم قتاله الواصلة مع أيوب بن العباس وأيهما زاد على صاحبه بقتيل واحد وتقدم أنه ضرب ابن فندين على مفرق رأسه وعليه بيضتان فشقه نصفين فوقع السيف بعتبة الباب السفلى فظن أنه لم يزل ناشباً برأسه فقال ما أقصح رأسك، قال أبو زكريا بلغنا عنه أنه قعد بين يديه أربع حلق قبل بلوغه يتعلمون منه فنون العلم يعني الفقه والأصول والنحو وغير ذلك قال أبو زكريا وكان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفاسير وفنون الدين والرد على المخالفين وعلم اللغة والنجوم والإعراب والفصاحة، قال وقال بعضهم معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر ولهم تواليف حسنة وذكروا للإمام عبد الرحمن تفسير كتاب الله واطلعت للإمام عبد الوهاب على أجوبة في الفقه والأحكام وأصول الدين وكذا للإمام أفلح قال أبو زكريا بلغ أفلح في علم الغبار والنجامة مبلغاً عظيماً وقعد ليلة مع أخته فتذاكرا ما أول ما يذبح غداً في السوق إن شاء الله فقال أفلح بقرة صفراء في بطنها عجل أغر قالت الأخت ذلك البياض في طرف ذنبه وكان الأمر كما قالوا والله أعلم، وطالت دولة أفلح في عدل وسكون ولم يكثر الحرب في أيامه وطعن عليه نفاث بن نصر في قلة محاربته المسودة وما هو فيه من خفض العيش وله في ذلك رسائل اطلعت على بعضها وسيأتي الكلام على نفاث إن شاء الله، وكان أخوه أبو العباس غير ناقص في العلم والتقى لكنه فتى ولا كذلك..

[محكم الهواري]

ومنهم محكم الهواري قاضيه وكان في الطبقة العليا علماً وتقياً قال ابن الصغير لما قال قدموا أخياركم ثم أعلموني به حتى أجبره أجمعوا على محكم الهواري الساكن بجبل أوراس فأخبروه أنهم ارتضوه لدينهم ودنياهم ولخاصتهم وعامتهم فقال أفلح هو كما ذكرتم في ورعه ودينه لكن نشأ في بادية لا يعرف لذي القدر قدره ولا لذي الفضل فضله قالوا لا نرضى لقضائنا غيره وأشدهم على أفلح في توليته أخوه أبو العباس فلما رأهم لا يرضون غيره قال أرسلوا إليه فخرج الرسول بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: (أما بعد)، فإنه نزل بالمسلمين أمر لا غنى به عن حضورك وهم منتظرون قدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين ربك عن الحقوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأي المسلمين على ما فيه الصلاح فلما بلغه الرسول توجه إليهم ونزل بالجامع فأخبروه ما يريدون وأنه إن تخلف فقد أعان على كل فرج يوطأ حراماً وكل دم يسفك بغير حق وكل مال يؤكل لا من حلّ فاعتلّ أن الحق مرّ ولا يقبل إلا بكره وأنكم أبناء النعم وغيري أصلح بكم فأبوا فقال شاوروا الإمام قالوا قد فعلنا فقبلها ونزل بدار القضاء وسار فيهم السيرة التي أملوها فيه، فبينما هو في ذلك فتنازع أبو العباس بن عبد الوهاب وصهر لأفلح في أرض فارتفعا إليه فسبق أبو العباس فجلس معه في سقيفة الدار وأدنى مجلسه وحادثه فخرجت جارية القاضي فاستسقاها فوصل الخصم ورأى بعض ذلك فوقع في نفسه أن خصمه بجنب القاضي يحادثه ويستسقي وأنا ملقى على باب الدار لا يلتفت إليّ فلاحت من القاضي ندرة فرآه فقال ما حاجتك قال: جئت خصماً لأبي

العباس فوجدته جالساً إلى جانبك فجلست هنا فأغضبه ذلك فقال لأبي العباس تأتيني خصماً وتجلس إلى جنبي وتستسقي جاريتي يا غلام خذ بيد أبي العباس وأجلسه مكان خصمه ولا يبرح وخذ بيد خصمه وأجلسه إلى جنبي وأمر الجارية فلتسقه ففعل الغلام ثم إن أبا العباس بعد انصرافه شكاه إلى أفلح فقال: قد أعلمتك بهذا ولكن الصواب ما فعل ولو فعل غيره كان مدهاناً فاتصل فعله بوجوه الأباضية فأعجبهم فاستحسنوه...

[أبو يونس وسيم النفوسي]

ومنهم أبو يونس وسيم النفوسي التمزيني، قال أبو زكريا إن الإمام استعمل على قنطرة أبا يونس وسيم وما ولاها فأحسن السيرة وسبب خروجه من جبل نفوسة إلى قنطرة أن خدمه إذا احتطبن من مساقى أرباع الناس تركن الحفر من غير تسوية فيمكن الماء عند مجيء المطر فخشي التباغات فولى قنطرة فأحسن السيرة وعدل في القضية وأحسن إلى الرعية وربما اطلع على أشرف موضع حيث يسمعه الأقصى والأدنى فينادي لا فرار من الصدقة والفار من الصدقة يؤدي ويكرر ذلك وتمادى على ولايته وعدله إلى أن مات مرضياً حميداً.

[مدمان الهرطلي]

ومنهم مدمان الهرطلي كان شيخاً تقياً وقافاً وفي سير نفوسة إن مدمان الهرطلي كان قاضياً أو عاملاً للإمام عبد الوهاب رحمه الله فأراد الإمام تجربته فبعث إليه بكتابين في أحدهما عزله فإن امتثل وقبل دفع له الآخر وفيه تقريره فلما قرأ الأول قال رحم الله الإمام علم ضعفي وقصوري عن هذا الأمر فكتب بعزلي فلما رفع إليه الثاني قال رحم الله الإمام علم أن

لا أحد يحلني من هذا الأمر فاستقامت حالته أولاً وآخرأً ومن توقفه أن استمسك رجل بآخر مدّعيأً أنه باع له بقرة لا أسنان للفك الأعلى من فيها وهل هذا من عيوبها فقال حتى أسأل فشكوه إلى الإمام إذ استعمل عليهم من لا يعلم أن ليس للبقرة الأسنان العليا فقال الإمام كيف حكم قالوا قال حتى أسأل قال إنما استعملته لتوقفه .

[العباس بن أيوب]

ومنهم العباس بن أيوب وكان عاملاً للإمام أفلح على جبل نفوسة بل على ما أدركه مما حوله من البلاد وتقدم أن أهل المشرق اختاروا من الجبل ثلاثة رجال ثم اختاروا أبا زكريا التوكيتي وأما أبو مرداس فنفسى كالغزال وأما العباس فنعم الفتى وفي السير اصطحب أبو مرداس والعباس وجماعة معهما فجازوا في طريقهم بموضع قطعه الماء فجاز العباس الجرف ولم يطق أبو مرداس الجواز فوقف فقال للعباس لا نقدر أن نثبت مثلك ولا نريد مخالفتك بأن نتسهل فرجع العباس وقال تبت إلى الله يا أبا مرداس ثم تسهل وتسهلوا معه فقال أبو مرداس إن سلكت الطريق أو صعدت مع الحائط فلا بد من سلوكها ولا نخالفها فإن خالفناها لن نرجع إليها أبداً لأن العباس ولي أمرهم ويرى أتباعه ولو في سلوك الطريق وفيها لما أوقف خلف العباس بفاغيس وكان خلف في كثرة فخاف بعض المسلمين فأتى أبا مرداس فأخبره فقال لا أخاف على عسكر فيه أبو الحسن الأبدلاني فأتى أبا الحسن فقال له لا أخاف على عسكر فيه أبو مرداس فلما حمى الوطيس واشتد القتال قال أبو مرداس أطمع لمن مات هنا الجنة إلآ من قتل نفساً أو كان على فراش حرام أو غصب مالاً وتقدم مثلها ومخرجها غير مرة ولما طال القتال أتى أبو مرداس العباس فقال له : تبت إلى الله فإن الباطل لا يقف للحق أكثر من

هذا فقال العباس تبت إلى الله فأنهزم خلف وقيل قال ماذا فعل العباس ولكن عدت الحرب رجالها ومن يفعل هكذا فنزل بنفسه للقتال فانهزم القوم فقال أبو مرداس للناس ارجعوا عن طلبهم فقال له رجل أين لالت يعني طرف نفوسة لأنهم في الحيز بعد فقال نسيت لالت فاتبعوهم حتى خرجوا حيز لالت فلما رجعوا أقبلوا يهنتون العباس على ما أعطاه الله من النصر والظفر فقال لهم هنتوا أبا مرداس وأبا الحسن اللذين لم يناما ليلهما يدعوان ربهما ويرغبانه فلما رجع العباس إلى معسكره ترجل وأقبل يعزي الشيوخ في أقاربهم الذين ماتوا مع خلف وقال أجركم الله في مصابكم في إخوانكم فقالوا يا عباس ليسوا بإخواننا ولكنهم أرحامنا وإنما إخواننا أنتم وفي السير أن زوجة أبي مرداس قالت له رزقكم الله الجنة فقال لها إنما يستأهل الجنة توفيق بن أيوب يعني العباس الذي لم يخلع الدرع من عنقه من يوم إلى يوم فوجد صدى الحديد في فيه وبه أصبنا أنا وأنت مسجدنا ولقد بلغنا أن العباس خرج إلى بني يفرن بعسكره فخشي أبو مرداس على العسكر أن يضعف فخلى بالعباس فقال له إرجع فأبى فقال إن لم ترجع صحت في العسكر فيفترقوا عليك فجمع العباس الناس فخطبهم فقال نفذ الزاد وضعف الكراع فارجعوا حتى إذا سمت الدواب وجدنا الزاد رجعنا إلى عدونا وخرج إلى جهادهم مرة أخرى فقال له إرجع فأبى فقال أبو مرداس ما أجن مهاصر الذي يطلب رجلاً مثله ويترك ربه فدعا الله فأنزل عليهم ماء غدقاً فتفرق العسكر يريدون منازلهم فقال أبو مرداس للعباس ارددهم الآن إن قدرت وخرج إلى قتالهم مرة ثم فقد أبا مهاصر وأبا زكريا التوكيتي فخشي أن يكون رجوعهما لحدث فقفا أثرهما فوجدتهما عند أم الخطاب في اغرميمان ووجدته بخط عمنا يحيى ابن أبي العز في كتاب السير في أغرم اينان بهمزة بعد ميم ونون قبل ألف ويجوز أن يكون من نقل حركة الهمزة إلى

الساكن قبلها ومعناه بالميم قصر النفس في مجلس الذكر فقال لم رجعتما قالا كراهة لمعان السيوف وأنت على المنهاج فقال اتركا لمعان السيوف لمن يطيقه فأخذت أم الخطاب لحم الشاة التي ذبحت للشيخين فجعلته في خرج العباس فقالت للشيخين كيفكما الجلبان..

[أبو مهاصر الأفطمانى]

ومنهم أبو مهاصر الأفطمانى رحمته الله واسمه موسى بن جعفر قال أبو العباس شيخ النسك والتبتل والمكرم بالدعاء المستجاب المتقبل رفض شهوات النفس فباعها وفاز بأسمى المنازل واستوجب الرقى في درجات الأفاضل قال حدث جماعة من المشايخ أن أبا مهاصر خرج سنة من السنين في أوان الربيع إلى البادية هو وعمروس بن فتح رحمهما الله فلبثوا أياماً على غير ماء فأخذوا يتيممون للصلوات فتكدّرت نفس أبي مهاصر فقال قلوب يربو عليها الشحم ما سمت ووجوه تعلوها الغبرة قلت سلامة الدين مع أهل الوبر إنما الدين في المدر والله لا يجعل بنا أن نترك الدين لاتباع شهواتنا وإني لا أخاف أن نكون ممن عاب الله ﷻ بقوله ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ⁽¹⁾ فرد عليه عمروس بأن قال ليس في ذلك ما تخافه لقد أباح الله التيمم لعدم الماء وأباح الضرب في الأرض لطلب الفضل وابتغاء الرزق حيث قال ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ⁽²⁾ وقال ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ ⁽³⁾ وقال ﴿فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ⁽⁴⁾ فلم يقنع ذلك أبا مهاصر فرجع إلى منزله

(1) سورة مريم، الآية: 59.

(2) سورة الجمعة، الآية: 10.

(3) سورة المائدة، الآية: 43.

(4) سورة المائدة، الآية: 6.

فاستصحب معه من تحف البادية فلما بلغ قسمها بين الأقارب والجيران والفقراء ومن تجب مواصلته فأعطى ليهودي فقال اللهم لا تنساه من رحمتك كما لم ينسني قال أبو مهاصر ذلك ما ابتغي عندك قال أبو العباس لعله إنما أراد ما يعطفه ويلين قلبه ويدخله الإسلام وإلا فأبو مهاصر لا يجهل قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽¹⁾ قلت إنما يريدون ما يجده عند الله لأن الله أمر بذلك إذا كان جاراً أو قريباً أو فقيراً ذا حاجة قال أبو العباس جمع الصبيان وأعطاهم ثم أعطى لهرة معهم وقيل جروة فاحتفلوا يدعون الله له ولقد شوهدت الهرة عند احتفالهم شائلة يدها معهم على هيئة الداعي إلى الله تعالى فيما ذكره فقال لمن شاهد من ذلك ما شاهد إن الله خلق الرأفة وأسكنها قلوب المؤمنين وخلق القسوة والجفوة وأسكنها قلوب الكافرين قال أبو العباس وجواب أبي مهاصر قد حكى عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال أبو العباس قال أبو نوح وحدث غير واحد من أصحابنا أن أبا مهاصر كانت له أتان حج عليها سبع مرات وعادته إذا خرج متوجهاً إلى الحج له مصلى يدعو الله عنده ويصلي فيه فتنهق أتاناه فإذا رجع من الحج قصده فيدعو ويصلي ثم تنهق فيعلم أهل المنزل بانفصاله وبرجوعه وربما ضحك عوامهم وجهالهم فيقول لهم أبو مهاصر تضحكون من نهاق أتان أقامت الحجة عليكم، وخرج مرة إلى مصلاه الذي بالشيعان أو غيره فمرّ بظبية ولدت في الطريق وهي ترضع طلالها ففرت منه حين أبصرته فقال لها: ارجعي يا مسكينة أنا موسى بن جعفر فرجعت فقال لها ولدت في الطريق فيضرك الناس فأخذ ولدها حتى أبعدته من الطريق فتركه لها وذكر غير واحد أنه سمع نقنقة ضفدع فنظر

(1) سورة المجادلة، الآية: 22.

إلى فيه فأبصر علة متعلقة به فقال افتح فاك ففتح الضفدع فاه فنزعها منه فقال له: كادت أن تقتلك يا مسكين.

وفي كتاب السير ذكر عن أبي مهاصر حين يبنى مسجد امسراتن يحمل الخبز في الفخار من منزله فيجدونه سخناً وأنه أخذ قصبتيين من سقفها فقال لهم لا أعطيتهما بأربعين ديناراً قصبتي وقصبة تلولي ومر مرة على جماعة أهل دجى أو زعرارة راكباً حمارته ومعها جحش يتبعها فقالوا ليتيم لو طلبته لأعطاكه فقام اليتيم فطلبه عند أبي مهاصر فأعطاه له فسار بحمارته وامتنعت من السير من أجل ولدها فأخذوا خليفة لليتيم فاشتراه منه بدينارين وفقد دنانير فسأل زعرارياً بات عنده عنها فقال هي عندكم وكم عددها قال أربعة فأعطاه له فرجع إلى بيته فقالت زوجته أنا حملتها فرد الزعراري ما أخذ منه فقال ما حملك على ما صنعت فقال: إذا سمعت الناس يصدقوك ويكذبونني ومصلاه بأشبيعان يتوضأ ويصلي فيه الظهر وبينه وبين المنزل اثني عشر ميلاً وأعطى ليلة قرى أضياف باتوا عنده وأعطى لكلبتهم فقال إذا أكلتم فادعوا لي وانصرف إلى بعض أموره فلما قاموا يدعون له وقفت الكلبة على رجليها رافعة يديها تعوي معهم وأعطى بغلة لقوم غرباً اشتكى بعضهم قلة الظهر ومشقة المرض فحمل عليه فقال أين أردته قال يوم القيامة فلقوا أخاه بأفريقيا فتمسك بالبغل قالوا أعطاه لنا أبو مهاصر قال كيف قالوا قال آخذه يوم اللقاء قال هذا من كلام أخي وقال له أبو القاسم البغطوري إذا رأيت المصباح على مغلق بيتي فسر إليّ فإذا رأى ذلك سار وأكل مع الأضياف ويحضر المجلس وبينهما أزيد من سبعة أميال وذكر أنه فطن بامرأة حاملة لا زوج لها فراعها فراها يوماً آوت إلى خربة فتبعها فقال تكون الغلبة ويكون الرقاد فوضعت حملها وهياً لها ما يحتاج إليه مثلها قالت وجدني أدبر كيف أصنع به فسلمه الله بقول الشيخ وفي حفطي باع وكيل يتيم زيتونة

بأربعة دنانير لرجل محاباة فبلغه الخبر فأنكر ذلك وأفسده ثم إنه أعطاه من جناه فباع بأحد عشر ديناراً أو أطعم اليتيم من الباقي سنة وكذا أيضاً جاز على بستان رجل أسقط ما أثمر كرمه أما من قلة المطر أو لعدم التذكير قبل أوان إدراكها فقال لصاحبه لِمَ لَمْ تأخذ ما وقع من أشجارك قال لا حاجة لي فيه قال له أتأذن لي في أخذه قال خذه فأخذه أبو مهاصر وجعله في وعاء فتمادى الجذب وعظم القحط وأسنت الناس فالتمس الطعام فلم يوجد فأتى صاحب البستان الشيخ يلتمس ما يأخذ منه قال له ليس معي إلا كرموس غير منضج فاشتره منه بالبستان ورضي بالصفقة وخدم أبو مهاصر البستان واخضرّ وآتى أكله ضعفين فلما أነع جاز عليه بئعه وتعجّب من حسنه وحمرة ثماره فأتى الشيخ فقال له الشيخ اجنِ بستانك إنما أعطيتك ما فرطت فيه من ثمرة أشجارك.

[يحيى بن موليت]

ومنهـم يحيى بن موليت ابن خالة أبي مهاصر ورفيقه في طريق الحج وصنوه في الدين والعبادة وروي أنهما حجاً معاً في مرات مات يحيى في آخرهن وقال إذ حضره الموت وقف علي وقيل أُدخل الجنة من أي باب شئت يا بن موليت وروي أن أبا مهاصر قال يا يحيى إياك أن تعاتب سارت إذا أعطت شيئاً فإني لا أعاتب تلوّلاً ولو أعطت جملاً بحمله.

[أبو نصر التميمي]

ومنهـم أبو نصر التميمي من فضلاء جبل نفوسة علماً وعملاً وزهداً وقيل زار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفاث وقيل من فتنة خلف وحضر مع العباس بفاغيس وكان إذ ذاك ضرير البصر فنزل إلى القتال فقال اللهم لا أبصر ما أتقي ولا ما أضرب فلم تقع به ضربة ولم

تخط له ضربة، وفي سير نفوسة مات على ختم الأذان فبلغ أبا مرداس موته فقال مات هذا التمصصي موة الأنبياء ومات أبو مرداس على ما قيل حين فرغ من غسل رجله من الوضوء رحمة الله عليهما .

[إبراهيم بن عزيز]

ومنهم إبراهيم بن عزيز وهو من البيض والبيض في جبل نفوسة أربعة هذا وأبو القاسم الملوثائي وماطوس بن ماطوس وأبو بكر الغفسي وآهم طلبة الشيخ ورسفلاس مونر بن مادت وفي السير إذا اجتمع الأشياخ قدموا إبراهيم بن عزيز أن يصلي بهم لفضله وورعه ويقرأ قل هو الله أحد من رثة بلسانه وكان أبو محمد الدرفي يقول قل هو الله أحد من إبراهيم خير من تلاوتكم أهل جادو .

[ابنا منيب]

ومنهم ابنا منيب وكان لهما سبق في العلم والعمل وذكر فيما أظن أبو الربيع أنهما شيخان فقيهان من نفوسة صالحين أبو يعقوب وأبو يوسف ومن شدة تحفظهما وكثرة ورعهما أنهما يترافقان إلى تيهرت وغيرها وإذا كان طريقهم على وارجلان لا يدخلانها بل ينزلان ظاهر المدينة حذاراً منه وشفقة على أنفسهما من الاختلاف والشقاق وبيعثان من يقضي لهما حوائجهما وكان ذلك دأبهما سائرين وراجعين ولهما أخبار وذكر .

[وكيل بن دراج]

ومنهم وكيل بن دراج عامل الإمام عبد الوهاب على قصصة النفوسي كذا نسبه من قيد مشايخ أهل الدعوة وهو من بني يحلف .

[محمد وأبو عمر وآخرون]

ومنهم الإخوان محمد وأبو عمر وابنا أبي المنيب إسماعيل ابن درار الغدامسي وهم بني تناوث وأيوب ولد محمد وقد تقدمت أخبار إسماعيل وأنه من حملة العلم عن أبي عبيدة وأما منيب بن إسماعيل وحجاج بن وافيتين الوغوي ويوسف بن سادي فقد مالوا إلى خلف فتاب حجاج وتقدم خبره .

ومنهم سلام بن عمرو اللواتي عامل الإمام عبد الوهاب على سرت ونواحيها . ومنهم مبال بن يوسف عامل الإمام أفلح على نفزاوه وأبوه وزيره وهو أيضاً لواتي . ومنهم سلمة بن قطفة عامل الإمام عبد الوهاب على قابس ونواحيها . ومنهم محمد بن إسحاق الخزري عامل الإمام عبد الوهاب على نفزاوه . ومنهم جaron بن القمري عامل الإمام عبد الوهاب وصهره وهو زناتي . ومنهم نهدي بن عاصم الزناتي عامل الإمام عبد الوهاب . ومنهم بيران بيا من بني يزمتن المزاتي عامل الإمام عبد الوهاب .

[بيب بن زلغين]

ومنهم بيب بن زلغين بورك له في الحركتين التقى والدنيا وكان سخياً فاضلاً وذكر الشيخ إسماعيل ابن الشيخ بيدير أنه اصطحب مع رجل فلقيا عجوزاً وقد اجتهدت جوعاً فاستطعمتهما ولم يكن معهما سوى رغيف فظن صاحبه بنصيبه فأخذ نصف رغيف وهو نصيبه فأعطاه لها فقالت قسم الله لك بين الدارين فوسع الله عليه دنياه ورجونا له في الآخرة أكثر، وقيل كان له بعد ذلك ثلاثون ألف ناقة وثلاثمائة ألف شاة واثنني عشر ألف حماراً وإذا جاءه العامل وقت الصدقة قال للرعاة اختاروا خيار الإبل فغيبوها فيأمر العامل بأخذها وقيل ذهب له جمال

فقام في طلبها فمر بعجوز رحل عنها الناس فقال: لِمَ أقمت فاشتكت بقلّة الظهر فأعطاها نجية فقال أين أردّه قال يوم اللقاء فسألت العجوز عن يوم اللقاء فأخبرت أنّه يوم القيامة فتحوّل إلى ظل شجرة فنام فلم يوقظه إلّا جماله يأكلن من الشجرة وأخذ منها واحداً غير ذلول فجعل له رسناً فركبه فسهله الله له وفي الخبر مر إلى غنمه حتى وصل إلى الحي فنزل مقابل خيمة فنادت امرأة لأخرى ادخلي الضيف فصاحب المال لا يريد أن يبيت الضيف بلا عشاء فردت عليها الأخرى أدخليه أنت فبادرت فأدخلته فلما قدم وفيهم من يعرفه وكانوا جميعاً عبيداً له فأعتق المدخلة وزوجها وأوهب لهما ما بأيديهما من المال وملكهما الأخرى وزوجها استحساناً لفعلها وقولها وقدم إليه ثلاثة نفر يبتغون معروفه فقالت له امرأته سلهم عن حوائجهم كي يبيتوا على سرور فسألهم فقال أحدهم أبتغي صوفاً والثاني أبتغي جملاً والثالث أبتغي ما أحلب فقضى حوائجهم فقال صاحب الجمل رزقك الله الجنة فقال ليس هذا جمل الجنة وكان المعطى أولاً بكرأ خياراً فأعطاه جملاً أحسن منه وقيل صادفه طالب حاجة يغربل جدياً لم يتم فأعرض عن الطلب ففطن فقال ما جاءت حاجتك فذكرها له فقضاها وقال إنما أفعل ما ترى لأقضي حاجتك وحاجة غيرك وكفاك في غاية مدحه قول الإمام عبد الوهاب رحمته الله لولا أنا ومحمد بن جرنبي وببيب بن زلغين لخرب بيت مال المسلمين أنا بالذهب ومحمد بن جرنبي بالحرث وابن زلغين بالأنعام وقال أيضاً ما قام هذا الدين إلّا بسيف نفوسة وأموال مزاته.

[أبو عثمان المزاتي]

ومنهم أبو عثمان المزاتي الساكن من جبل نفوسة بقرية دجى قال أبو العباس ذو الإيثار والسخاء وكرامات الأولياء المفزوع إليه في

استجابة الدعاء المقصود في الشدة والرخاء سلك في النسك والزهد
انهج المسالك وتحرى جهده ما يبعده من المهالك، قال أبو العباس ومن
كراماته أن مجاعة وقعت بجبل نفوسة وعنده غرفة موسوقة شعيراً وخرج
يوماً يستقي ولم يجد على الماء إلا ذئباً فقال له لم أجد على الماء غيرك
فأمسك لي فم السقاء يا آفة الغنم فأنطق الله الذئب فقال: أنا ساع في
تحصيل معيشتي ولم أدخر الشعير لحولي مثلك يا أبا عثمان فأقبل فأدخل
رأسه بين علاقتي السقاء فأمسك بفيه فم السقا فملاً أبو عثمان سقاه
ومضى الذئب وألهم أن ذلك تنبيه من الله ﷻ فعمد إلى الغرفة فتصدّق
بها جميعاً. قال أبو العباس أمحل الجبل على ما ذكر وكان لأبي عثمان
بستان جفّت أغصانه وتساقطت ثماره وأوراقه وقالت امرأته لابن لها سر
إلى والدك فقل له يدعو الله أن يسقي بستاننا فقد هلك فلما أبصر الصبي
أقبل قال له قبل أن يتكلم أبعثتك أمك لأستقي الله للبستان فقال نعم
فدعا ربه فأرسل سحابة على بستان الشيخ فسقته فأنعم واخضرّ فجاز به
رجل فتعجب من نضارته وحسن اخضراره فأخذه بالعين فأذبل فعاد إلى
تساقط الورق فبلغ أبا عثمان ذلك فقال اللهم أمته فريداً بلا وصية فقيل
دخل مغارة لأخذ طفل وهوى الطين فسقط عليه سقفها فمات وقيل حمل
غداء الحصادين فوجد ميتاً بالطريق وقد كتب وصيته في التراب فنسفها
الريح وهذان الخبران ذكرهما غير أبي العباس أيضاً وأسند الروايات إلى
أبي الربيع وأبي سهل وأبي نوح أعني هذين الخبرين وغيرهما من
كرامات أبي عثمان وذكر أن منزو بنت أبي عثمان اجتمعت مع امرأتين
بجبل نفوسة وأفضى بهن الحديث إلى أن تمتّ منزو أن تتزوج رجلاً فظاً
غليظاً فيحملني ما يعجز عنه مثلي ويكلفني من خدمته فوق طاقتي
ويؤذيني بأنواع من سوء العشرة فأطيعه على ذلك وأصبر على أذاه لعل
الله يرحمني بذلك فقضى الله أمنيته أن تزوجها رجل من قومها فركب

جملاً وجاز على نسوة فقال إن كانت منزو فيكن فلا إذن لها في المقام
 بعدي وكانت فيهن فارتدت رداءها وسارت في أثر بعلمها حافية راجلة
 فحفيت حتى إذا رفعت رجلاً ظهر الدم في موضع القدم وإذا نزلت
 للمبات بادرت به بردائها توسده له وكان ذلك دأبه ودأبها حتى وصل وطنه
 فبنى لها بيتاً نبذه عن الناس وكان يسيء وتحسن ثم تزوج عليها امرأة
 فازداد سوء العشرة والذي يبدو منها من الصبر والطاعة في زيادة فمرت
 بها قافلة يوماً لنفوسة فسمعها بعضهم وهي تقول ألا أحد يزور في الله
 فيذهب عنا غم النفوس ويزيل الوحشة فلما بلغوا نفوسة تذكروا الحديث
 ففطن له الشيخ أبو زكريا يحيى بن يونس السدراي رحمته الله فعلم أنه كلام
 ابنة الشيخ أبي عثمان فساروا في جماعة من مشايخ الجبل ومعهم أبو
 عثمان فلما وصلوها وجدوها متفضلة في قميص تصلح خيمتها خارجاً
 من الخيمة فقال لها أبو زكريا إني لأختار أن أجد جنازتك خارجة ولا
 أراك خارج بيتك متفضلة فاستتابها وتابت مما كان منها فمكثوا عندها
 ثلاثاً فأرادوا الانصراف فرغبت إليهم أن يقيموا عندها ثلاثاً أخرى ففعلوا
 فلما اجتمعوا لوداعها عند الانصراف قالت لأبي زكريا انصب لي قدمك
 ها هنا لأذكركم بها فتذهب عني الوحشة ففعل فأكفأت عليه قدحاً فدعت
 له أن يرويه الله يوم القيامة فقال أبو عثمان احتسبي واصبري وقد سبق
 القضاء وأرجو من الله أن لا تنصرم عشرة أيام إلا أن يموت من يموت
 ويفرج الله عليك وينقطع ما تجدينه من النصب فودعوها فلما كان اليوم
 العاشر أورد بعلمها إبله على بئر لهم فسقط دلوه في البئر فانحدر إليه ومنع
 غلمانهم من النزول لما سبق في علم الله فلما شدها قال احملوني فرفعوه
 إلى أن حاذ الحفير في البئر فإذا قد رصد له حنش أعظم ما يقدر فاغراً
 فاه تبيض عيناه فناداهم أنزلوني فأنزلوه فرجع الحنش في غارة ثم قال
 لهم ارفعوني فرفعوه فلما وازى أيضاً موضعه برز فاغراً فاه فقال أنزلوني

فكان أمره بين ارفعوني أنزلوني فلما أيس قال ارفعوني فالتقمه ودخل إلى مغارته فلم يسمعوا له إلاّ قضقضة عظامه وهو آخر العهد به ذكر القصة أبو العباس وغيره، وتمنت الثانية من النساء أن يأوي إليها ملاً من المسلمين في ليلة مطر وبرد وقد بلهم القطر وتمكّن منهم البرد وضربهم الجوع فأعالج لهم ما أزيل به عنهم ما بهم لعل الله يرحمني بذلك فأعطيت ما تمت، وتمنت الثالثة أن لو وقعت بين قوم جهّال أذكّهم وأعلمهم أمر دينهم لعل الله أن يرحمني فأعطيت ما تمت، وذكر أبو العباس وغيره عن الشيخ أبي نوح أن منزو لما جلبها الزوج الفاجر تسير معه حتى إذا نزل فرشت له وعالجت طعاماً لعشائه ثم تقوم تصلي بقية الليل إلى أن يطلع الفجر فكذا دأبه ودأبها حتى بلغا وفي السير أن ثلاث نسوة زرن تزعزعات فتمنين فأعطين ما تمنين، وذكر أبو العباس وغيره أن تكفى بنت أبي عثمان زارته فصحبها في الرجوع وهي على أتان فأصابها مطر وخشيت بلل الثياب وفساد الزينة وقيل وقت هداها إلى زوجها فاشتكت إلى أبيها فساد زينتها وبلل ثيابها بالمطر وحال الصغر والعروس معلوم فدعا الله أن يحفظ عليها زينتها وعدم فساد ثيابها وأن يسترها فلم يبتل بقدرة الله شيء من ثيابها وابتلّ أبو عثمان وثيابه وأتانه وما ركبت عليه تكفى وما ذلك على الله بعزيز ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وفي السير دخل عليه رجل في غاره فوجد رؤوساً كثيرة مختلفات الألوان فسأله عن ذلك فقال أبو عثمان سمعت أن من ذبح لإخوانه في الله شاة فله من الأجر على عدد ذلك اللون من ذلك اللون لو ذبحه ولذلك أخالف بين الألوان وفيها أنه يتعبّد في ليلة من الليالي في مصلاه المعروف فوقه به لسان فقال كل واحد منهما لصاحبه أضرب فضرباه فوقعت ضربة كل واحد منهما بصاحبه فأصبحا ميّتين في موضعهما فوقاه الله شرهما، وفيها أنه أودع غنمه الجبل حين سافر إلى الحج فلم يضرهن

سبع ولا لص حتى رجع وقيل إذا طلعت إليها اللصوص وقد أبصروها لم يجدوها ولما طلع إليها وجدها لم ينقص منها شيء ووجد أثر الذئب حواليتها وفيها أن أبا مهاصر لما عزم على الارتحال إلى الحج في بعض سفراته إليه أتاه أبو عثمان قال أسافر معك أيها الشيخ قال له لا استطاعة لك فارجع فقال أبو عثمان منكراً لقوله أنبقى بعدك لعلنا نرعى الغنم أو الإبل فلما رآه عازماً رجع إلى زوجته فقال زيديني شيئاً فأعطته حليها فتسابق الناس إلى طعامه وحمله ثم ملوه لطول الطريق فرجع إلى أبي مهاصر فكفله وكان يمسك في المسير بأذنان الإبل وقالت له النساء دع الإبل تمشي فاتفقت كلمتهن فدعا عليهن فسلط الله على النسوان سيلاً مات فيه ثلثمائة عجوز ولم يرجع منهن إلا امرأة أجابته حين دعا عليهن فلامه المشايخ على ذلك فصام لذلك سنة وكان كثير الزيارة لإخوانه خصوصاً أبا مهاصر بل هو خاص به وأهدى له مرة قلة سمن فأطعمها له في خبز القمح لكثرة ما يغشاه فقال له أبو مهاصر إنك خير البرابر أكلت خبز القمح .

[أبو عامر التصراري]

ومنهم الشيخ أبو عامر التصراري من الاثني عشر شيخاً المعلومين بإجابة الدعاء في جبل نفوسة وفي السير كانت له امرأة يقال لها أمة الواحد وكانت صالحة متقية حزيمة لأمر الدنيا والآخرة مشهورة بذلك وكانت شابة بتندميره صالحة منعت نفسها من التزويج كل الامتناع فاستعانت عليها أمها بجماعة من المشايخ فيهم أبو عامر التصراري فلما كلموها وألحوا عليها قالت لا أفعل إلا بشرط أن أختار من شئت منكم فأذنوا لها فاختارت أبا عامر فجلبها إلى داره في حينه فقال لأمة الواحد قومي إلى أختك فنزليها فنزلتها مع النسوة اللائي ينزلن العروس فهيتت

لهم ما يصلح للعروس إلاّ البخور ورمّت به من تحت الباب حين تذكرته فقامت بهما وبأموورهما وأشغالهما وأرسلت إليها زينب اللالوتية في أمر أظهرته لو أمكن لنا أن نستّر قبورنا بين القبور لفعلنا فتابت مما وقع منها وفي السير رأت الشيطان مرتين في يوم واحد حملت حمزة حطب على رأسها فوسوس لها أن أبا عامر تغدا مع زوجته وجعلا لك لقمتك في البرمة فرمت الحمزة لتزيد فيها الحطب إذ علمت أن ذلك من الشيطان فخرج من الحمزة مثل القط وهو يصيح فلما بلغت الدار وجدت الأمر كما وسوس فانتقع لونها وتغيّر حالها فعرف أبو عامر أن ذلك من الشيطان فأخذ بكمها وهزّها فقال أخرج عدو الله من جسد طاهر فخرج من كمها كالقط وهو يصيح خارجاً من باب البيت وفيها أنها تبكر فتجني التين صباحاً بارداً ليأكل الشيخ وزوجته ثم تعود فتجني فتنشر وفيها اجتمع المشايخ في تنين أن در كل موضع فقالت لأبي عامر احضر أنت وزوجك المجلس وأنا أكفيكما مؤنة الصبي ابن الضارة والبقرة ثم أرسلت إليهما اجتهدا فيما أنتما فيه من الخير وقال أبو عامر للمشايخ إن لم تكن الضرائر مثل ما عندي فقد غبنتم فقال المشايخ لولا من أمة الواحد لانكشفت أنت وتوزينك وفيها أن لها أختين تزوجتا بتصيليت فولدتا غلامين معاً فزارتهما مع أبي عامر فلما بلغا إليهما نظر أبو عامر إلى الصبيين فقال إنهما يكونان نفعاً للإسلام وهذا أفضل من هذا وكان أحدهما أبا ميمون والآخر أبا حمزة لوأباً أعني لوأب بن يوسف وسيأتي مناقب كل واحد منهما إن شاء الله .

[أبو خليل]

ومنهم أبو خليل صال من أهل دركل رحمة الله عليه وأكثر المؤلفون من أخباره وذكر كراماته وأعظمها ما ذكره الأكثريون بل صار

في المكتب والسير والسُّنة المحدثين كالتواتر أن أبا خليل لما حضرته الوفاة اجتمعت إليه الأشياخ والعباد وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا كيف لا نبكي ومصيبة الإسلام فيك وفي فقدك أعظم كل رزية وأشنع كل مصيبة قال لهم كيف حالي عندكم؟ قالوا: خير حال، عبدت ربك العمر الطويل، وتعلمت وعلمت العلم والسير والخلق الكريم. قال أتشهدون لي بذلك عند الله قالوا نعم، فقال: اكتبوها هنا فكتبوها فقال إذا مت فاجعلوها بيني وبين كفني ففعلوا كما أمرهم فلما دفنوه وسدوا قبره ودمسوه فوقفوا يخطون عليه الخطة للحريم فإذا كتابهم الذي فيه شهادتهم موضوعة على القبر فقرأوه فإذا فيه كما هو عندكم كذلك هو عندنا قيل مات عن مائة سنة وقيل مائة وعشرين وفي السير أنه يقول للطلبة اتوا المجالس يا كسلاء فقد حضرها من حضرها ما بينه وبين قابس وما بينه وبين فزان حتى وقع قطاع الطريق عليه فجرحوه سبعة عشر جرحاً فدخل مغارة مكث فيها أربعين يوماً ما أكل ولا شرب إلا ما رأى في منامه أنه أطعم وسقي فخرج وقد نظر بدنه نظرة لم يرها قط فظنوا أن الرجل هو أبو خليل وفي السير وكان من قادات المسلمين وكان يمضي إلى المسجد يمكث فيه ما شاء الله يصلي ثم يرجع مسرعاً فقالت له امرأته لم تفعل ذلك يا شيخ فقال لها للنفس إقبال وإدبار فإذا وجد الرجل في نفسه إقبالا اغتنم واجتهد وإذا لم يجد ذلك في نفسه تمسك بالفرائض وأداها حتى ينشط لثلا يمل، وروي عنه أنه تكلف أنواعاً من العبادات عجز عنها غيره وذلك أنه ربما جعل ليله أجمع ركعة واحدة وربما جعله سجدة واحدة وكان من العلماء الذين جرت عليهم نسبة الدين بالمغرب من نفوسة وغيره وذكر أبو عمرو السوفي في إسناده أبو عمرو وعن أبي العباس عن أبي الربيع سليمان بن يخلف عن أبي عبد الله محمد بن بكر عن أبي زكريا فصيل عن والده أبي مسور عن أبي معروف عن أبي

ذرابان بن وسيم عن أبي خليل عن أبي المنيب محمد ابن يانس عن حملة العلم عن أبي عبدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن عمر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العالمين وأما نفوسة فذكر الشيخ البغطوري أنه أخذ الدين عن الشيخين الفقيهين التقيين أبي محمد عبد الله بن محمد المجدولي وأبي يحيى توفيق بن يحيى الجنائني وعن داود بن هارون وعن داود بن يوسف عن أبي زكريا يحيى الجنائني عن أبي الربيع سليمان بن موسى عن يحيى بن سفيان وعن البشر بن محمد وعن وجدليش بن في عن أبي يحيى يوسف بن زيد وعن أبي نصر عن أبي محمد يصليتين بن محمد عن أبي هارون الجلالني عن أبي القاسم البغطوري عن أبان عن أبي خليل ومن أخباره أن ابناً له مات مقتولاً فأتته المشايخ بقاتله يلتمسون الفضل والعفو فلما جنّ الليل قتله واستعان عليه بغيره فلما أصبحوا طلبوه فقال قتلته فغضبوا وعابوا عليه ثلاث خصال تركه للأفضل الذي هو العفو واستعانه بمن ليس له في الدم شيء وخان في وديعته فأجاب بأن لو أخذت بالأفضل وعفوت فإذا كبر أولاده وقتلوه كانوا جانين فيقتلون فيه والاستعانة على شاة عيد بغير من يضحى بها جائز والوديعة إذا ثبتت أنها مال المودع عنده جاز له التصرف من غير إذن المودع وقال لأبان بعد ما كبر هل على مثلي صوم قال إذا لم تقدر فأطعم مسكيناً قال لم تأت بها وقال له ليس عليك صوم أصلاً قال الآن جئت بها يا أبان.

[والي العهد]

ومنهم والي العهد وكان من أهل العلم والدين والورع واليقين وفي السير أنه من أهل مرجس من قرى نفوسة وقيل إنه باحث يوماً أبا المنيب محمد بن يانس فارتفع بهما البحث إلى أن قال أحدهما يا فنفان وقال

الآخر يا كنان فافترقا على حرج فقال والي العهد لزوجته في اليوم الثالث ناوليني عكازي لثلاث تحل علي الرواية لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث فإذا أبو المنيب استأذن عليه فقال له مثلك الذي يوافق مثل هذا يا ابن يانس .

[أبو ذر صدوق الفرستائي]

ومنهم أبو ذر صدوق الفرستائي ممّن أخذ العلم عن أبي مرداس وجازت عليه نسبة الدين وفي السير قال أبو مرداس حين يتعلم عنده قولوا لأبي ذر ينصف من نفسه وإلا فلا يطلع إلى الجبل ولم يذكر فيما ينصف وفيها قال أبو ذر أي شيء تركت لك يا دنيائي أتيمم لصلاة الضحى بحد مورت .

[سعد بن أبي يونس]

ومنهم سعد بن أبي يونس عامل الإمام عبد الوهاب على قنطرار وفي السير أن أبا القاسم الفرستائي زار أبا محمد سعد بن يونس في تبجي فلما حضر وقت الصلاة نزلوا ليغتسلوا في العين فألفوه مسدوداً حوضه وناس يعومون فيه فقال أبو محمد ضرونا وضروا أنفسهم ونزلوا إلى ماء آخر فلما رجعوا وجدوا موضع السد يرشح قال أبو محمد لولا من الرشح لنجسوا وبخست ثيابهم وقال أبو زكريا أرسل أبو يونس وسيم ابن سعيد ابنه سعداً إلى تيهرت ليتعلم العلم ومعه نفاث بن نصر فتعلما عند الإمام فلما بلغا من العلوم ما أراد الله أراد الرجوع إلى بلدهما وذلك وقت موت أبي يونس عامل الإمام على قنطراة وتقدمت أخباره فاختر الإمام أفلح سعداً لأحكام الناس وقدمه في موضع أبيه وكتب بذلك كتاباً وطبعه وأمرهما أن لا يقرأه حتى يصلا بلدهما فاستخف نفاث

إثره ببعض الطريق ففك الختام على حين غفلة من سعد ليطلع على ما فيه ومن المقدم منهما فلما وجد سعداً مقدماً حملة الحسد وحب الرياسة أن أظهر الطعن في الإمام فأرسل إليه أن يأتيه ويوضح له ما انتقم عليه فما استحقّ التوبة فتاب ورجع وإلاّ فإيه وقد اطلعت على بعض كتب الإمام إلى المشايخ في شأنه وقد أكثروا الكتب إلى الإمام في شأنه ثم إنه خاف فانتقل إلى المشرق ثم أتى بغداد وله فيها أخبار في شدة الحفظ وكثرة العلم وحمله لديوان جابر إلى المغرب وبقي سعد أميراً عدلاً متقياً وقيل إن سعداً بنى داراً وكان الباني نفائاً وكان بناء عظيماً وإذا اجتمعت الناس لحوائجهم إلى سعد خشي أن يظنوا به أنه رضي على نفاث فيقول في ذلك الملامى متى تترك ضلالك وكفرك يا نفاث فيقول معاذ الله أن أكفر يا شيخ وفي حفطي يقول ليس الشتم بعبادة يا شيخ فإذا خلا سعد يقول ليس هذا جزاء من يخدمك ولكن جزاؤه الخبز واللحم وسعد ممّن كره الغدو إلى مانو لقتال ابن الأغلب وقال له بعضهم لم ترد الموت في سبيل الله واشتقت شداخ قنطرة قال ﷺ ليس بي ما يقول لكن خفت أن تذبح البقرة ويتبعها الولد يعني نفوسة وقنطرة.

[أبو ذرaban بن وسيم الويغوي]

ومنهم أبو ذرaban بن وسيم الويغوي من العلماء العاملين وكان عاملاً على جبل نفوسة قال أدركنا الناس الذين هم الناس أحاديثهم ذكر الله ومعانقتهم بالموّدة والصحبة والمحبة وبقيت حتى صحبت ناساً أحاديثهم الدنيا وزيارتهم الحوائج ومعانقتهم بالنطاح وجاءته ابنته زائرة فأمطرت السماء فقال بيتي قالت إنما أذن لي في الزيارة لا في المبيت فقال سيري في حفظ الله وستره فمضت والليل مقبل والمطر هائل والبلد شاسع فوصلت وقد حفظها الله ولم تقع عليها قطرة ومثلها لأبي عثمان

فجازت بقوم بسقيفة جمعهم المطر إليها أو ساباط فتعجبوا من قدرة الله تعالى وكيف حفظها الله وذكر أبو الربيع أن ذنباً أذاه في بستان له فدعا عليه فأصبح منتفخاً في البستان وفي السير أن أبان أخذ العلم بعد أن كبر والسبب الحامل له أنه مرض هو وأخ له صالح فرقدا في بيت أبان عند بابه وكان الناس يغشونهما زائرين فيقولون لأبان كيف حالك يا مسكين فيجب إن عاش أبان جعل للدنيا جزاءها إن شاء الله ثم يدخلون إلى أخيه أبي عبد الله فيحدثونه بل يقولون ذلك لأبان عند خروجهم والله أعلم فقام من مرضه ذلك فاجتهد في طلب العلم فتعلم عند أبي خليل الدرشلي وكان يعمل شغله إلى آخر النهار ثم ينزل إلى درشل فيجتهد ليلته ثم إذا حضر مجلس الصباح طلع إلى ويغوا وحفظ مرة سبعين مسألة فطلع فنسي أربعاً فرجع فلما رآه أبو خليل قال نسيت كذا وكذا فعدهن فقال من أخبرك قال يعرف الراعي النفورة من غنمه وقال له أبو خليل أفت للناس بالرخص لكل زمان نذير وأنت نذير زمانك وقعد أبان والمشايخ في خباء مرض فيه العبيد الجدرى ونزل المطر فأول قطرة وقعت من الخباء على عمامة أبان ولم يشتغل بذلك وسأل عن من حلف لامرأته بطلاقها لا زوج ابنته لمن أحبا ولا كرها فقال زوجها ممّن لا تعرف وله مسائل في الفقه كثيرة واختلف هو والمشايخ في ولاية الخاص في زمان الإمام فقال بوجوبها وأبوا فدخلوا داره وأتى بسلاحه فنظر إلى العباس فقال: لم تنظر إليّ. قال: أفأنت شعاع الشمس حتى لا أنظر إليك، وقيل قال ذلك لأبي عبيدة وهو الصحيح فقال له العباس عمّن أخذتها قال عمّن أوجب علينا إمارتك يعني الإمام فرجعوا إلى قوله ومر على العباس وابن يزيد قاعدين يتحدثان حتى كادت عمامة العباس تصل عمامة ابن يزيد فانتهره فلما تولى بعد العباس قعد في ذلك الموضع مع ابن يزيد يتحدثان حتى كادت عمامته تمسح عمامة ابن يزيد فتذكر كلامه للعباس فقال رحم

الله العباس ولما ولّوه بعد العباس دعا الله لأن يمكث فيها أكثر من سبعة أيام فإن جاز فلا يتجاوز سبعة أشهر فإن جاز فدون سبعة أعوام فمكث أقل من سبعة أشهر وكان له مجلس علم عند امرأة صالحة فقيهة فخطبها وتزوجها فأتى إليها كالعادة فاستأذن فأذنت له فقال تزوجتك من وليك وعقدت نكاحك فأغلقت الباب فقالت كنت تدخل بأمانتك ففتحنّا لك والآن صرت مدعيّاً فإن آتيت بيّنة رضيّا بك زوجاً وإلاّ فأنصرف وقيل قالت له إنك أمين وقد احتجت إلى الأمانة ولو كنت أباناً وهي زوجته بهلولة وسألها مرة عن النسوان اللائي يغشين بيته للتعليم والإفادة فقالت فلانة على الزيادة في الخير فقال زيدي الزيت والفتيلة وفلانة تكون عند جماعتين قال اغلقي الباب في وجهها وفي السير قال له أستاذة وشيخه أبو خليل ثلاث يصلحن لدنياك وأخراك لا بأس أن تستخدم العبيد بالليل إذا لم تستقص خدمتهم بالنهار ومن اتفق على عمل الربا وفسخ ذلك بلسانه وتاب أجزأه وإن قدرت أن لا يصلك الموت إلاّ في غرس الشجر فافعل ودخل عليه يهودي وهو غضبان فقال مثلك لا يغضب على أمر الدنيا فوطن نفسك على أن لا ترى فيها ما يسرك وكن كمن قدم بضاعته إلى بلد يريد اللّحوق بها وقيل كان وقت التعلّم على أبي خليل يتعلم معه ابن مؤنسة وكان أبو خليل يحتفل وينحفز ويتهياً ويستوي إذا دخل أبان وإذا دخل ابن مؤنسة عكس استخفافاً به فلامه بعض قريائه بأن الناس قالوا في ذلك فقال إن أبان يتعلم الله وابن مؤنسة يتعلم ليؤذي به وكان الأمر كما تفرس وتقدم مثلها لشيخه محمد بن يانس حين يتعلم أبو خليل وعمرو بن يانس عنده وكانت زوجته بهلولة ممّن وافقه وطابقه علماً وعملاً وحسن عشرة.

وفي بلده بعده غزاة، أمة، وقيل عنها قبل أن تجلب من السودان إذا أكلت الدم قاءته ولا يثبت في بطنها فلما جلبها مشتريها جعلها قبل

أن تسلم في سلسلة مع العبيد خشية الإباق فإذا سمعت القراءة قعدت على نفسها وبركت على ركبتها واستمعت وأسلمت فاشتراها رجل من أهل ويغوا فكان دأبها أن تخدم مولاهما بالنهار فإذا نام ونام عياله انصرفت فتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير في تنورزيرف وجدتها بخط عمنا يحيى بن أبي العز براء بين واو وزاء بعدها ياء وراء وفاء وبينهما نيف وعشرون ميلاً أكثره صعود وهبوط وعقاب وجبال فإذا انقضى المجلس رجعت فتأتي مصلى لها في كهف معلوم فتصلي وتجد مصباحين يقدان لها فإذا كان آخر الليل أتت أهلها فأيقظتهم للصلاة ففطن لها سيدها فأعتقها وتمادت على فعلها وتجد بعد العتق مصباحاً واحداً.

[أبو الحسن التويغتي]

ومنهم أبو الحسن التويغتي وهو من السادات الأخيار جمع علماً وفقهاً وعمل بهما وحجّ على أتان له سبع مرار وكلما قدمت نهقت فيضحكوا فيقول ما أضحككم وقد أقامت عليكم الحجّة وفي السير إذا أصبح أشرف على الجبل فيقول هل من ماء يا وارد فيقولون نعم فيحمد الله ويتلو ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾⁽¹⁾ الآية. وضجر الورد من سؤاله فأجابوه يوماً بلا فنظروا إلى البئر وقد غار ويبس ولم يبصروا إلا صلصلة الطين.

[أبو يوسف حجاج الويغوي]

ومنهم أبو يوسف حجاج الويغوي وفي السير كان رجلاً صالحاً وله امرأتان وتكلف تمام العدل بينهما وفي البلد بئران أحدهما أطيّب وأقلّ

(1) سورة الملك، الآية: 30.

ماء فإن وجد فيها ما يكفيهما أخذ منها وإلا أخذ من الأخرى وإذا أراد أن يكسبهما أخذ شقتين فيخلطهما ثم يكسبهما، وفي السير تلف له أربعمئة دينار فقام إلى الصلاة ولم تخطر بباله حتى استكمل صلاته وفيها دخل أندر اليتيم فسافر إلى الحج فوجد في كرزيته حبة شعير فحفظها حتى رجع فأعطاهما له وفيها أرسل أمته تستسقي فاستبطأها فخرج في طلبها فوجدها استراحت وأخذها النوم وجعل سراويله تحت رأسها وأخذ القربة خشية أن تستوحش من فقد القربة فلما استيقظت وفقدت القربة وعرفت السراويل قالت هذا فعل سيدي رزقه الله الجنة وفيها عزل نفسه في بيت خشية الميل وقال لامراتيه من أحب منكما أن تأتيني فلتفعل في نوبتها.

[أبو زجمين]

ومنهم أبو زجمين وقيل ويسجمين وهو الصحيح وسيأتي أنه في زمان أبي عامر من ذرية عاصم فانظره هناك ذكر بعض أصحابنا أن شدة وقعت بجبل نفوسة وجذباً وبلاء وقحطاً حتى أضرّ الناس وماتوا جوعاً وتصوح النبات فصار هشيماً فأرسل وزجمين إلى عاصم السدراتي ولده يدعو الله ويرغبه أن يغيث أهل الجبل ويرسل عليهم رحمته فلما بلغه قال له ارجع لم تأتنا الرحمة بعد ولم أر لها علامة فرجع وأخبر والده بما قال له فلم يزداد الأمر إلا ضيقاً ثم أرسله بعد مدة فوجد في غنم عاصم مرضاً فقال نعم الآن جاءتنا الرحمة فدعا الله لأهل الجبل فرجع ولم يصل أباه إلا والأودية هرير والأتلاع شرير وقد دفع له عراق لحم نضيج يرفعه لأبيه من تلك الغنم فدفعه لوالده فقال له على ما أفطرت قال على عروق الأشجار وقشورها وجذور النبات قال له والده لو أكلت منه نزعنت من الولاية وهو من تاغرويت وسيأتي في مناقب أبي عامر مثلها ثم تولى

بعد الإمام أفلح ابنه أبو بكر ثم أبو القيثان محمد بن أفلح بتسليم أخيه له إذ كان وقت وفاة الإمام أفلح محمد بالمشرق.

فلما اجتمعت الكلمة بعد اختلافها على محمد بن أفلح لعلمه وورعه كان أول شيء نظر فيه التماس قاض عدل يصلح لأن يقلّد أمور الإسلام فأشاروا عليه بتقديم الشيخ التقي العالم النقي محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وكان وقافاً شديداً في دين الله حازماً لقمع المظالم والمناهي آمراً بالمعروف ثم عزل نفسه لمنكر بلغه بعد أن أحسن السيرة وأظهر الحق وتجرّدت نفوسة الجبل لإصلاح الأسواق وقمع الفساق لأن نفاقهم نجم مدة الفتنة وظهر فسادهم وعظم ضررهم يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويقىمون منار الحق فأصلح الله الفساد على أيديهم حتى عاقبوا القصاب على نفخ الشاة ومنعوا الحمال على دابته أن يحمل عليها فوق طاقتها وانقطعت مادة الفتنة وعمرت المساجد وكانت خلافته نحو الأربعين وعمره نحو المائة قال ابن الصغير رأيته يوماً بمصلى الجنائزية ينتظر فراغ دفن جنازة من وجوه الناس أبيض اللحية والرأس ربعة وضعت له وسادة من جلد قال كان إذا جلس لا يتكلم أحد في مجلسه إلا أن تكون ظلامه ترفع قال وكان زاهداً ورعاً سكيناً وإذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم وله سارية تعرف به يجلس إليها وجمع العلم والعمل وألف كتباً كثيرة قال أبو زكريا إن محمد بن أفلح اجتمع المسلمون فولوه على أنفسهم ولم يكن منهم في توليته اختلاف وبلغ في العدل والفضل غاية عظيمة وكانت نفوسة لا تعدل بولايته إلا ولاية جده عبد الرحمن رضي الله عنهما وكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله طائفة يقرؤون وطائفة يصلون وطائفة يتحدثون في فنون العلم وكان حسن السيرة أورع من في زمانه وله في

الرد على المخالفين كتب كثيرة ومات عام أحد وثمانين ومائتين ووجد في تركته من العين سبعة عشر ديناراً وبلغ في العلم مبلغاً عظيماً وألف كتباً كثيرة ووضع في الاستطاعة أربعين كتاباً وحدها وقد تقدم أن بيتهم بلغ في العلم مبلغاً عظيماً وذكر عن أبيه أفلح أنه قعد عليه قبل بلوغ الحلم ثلاث حلق يتعلمون فنون العلم من الكلام واللغة والفقه وأن الإمام عبد الوهاب أخته خزانة كتب نظرها فما استفاد منها إلا ثلاث مسائل لكثرة علمه ومكث الإمام أفلح ما تقدم في الولاية قيل لم يعد خطبة عيد ولا جمعة ومع ذلك أراد قبل الولاية السفر للتجارة فسأله أبوه فتوقف في مسألة فمنعه خشية أن يدخل عليهم الربا، وأخبار أبي اليقظان كثيرة واقتصرنا على هذا.

[عيسى بن فرناس]

ومنهم عيسى بن فرناس النفوسي وكان من أروع الناس وكان أبو اليقظان محمد إذا جلس قبالة نصب عينيه على ما حكى ابن الصغير. ومنهم محمود بن بكر وكان أخص الناس بأبي اليقظان.

[عبد الله بن اللمطي]

ومنهم عبد الله بن اللمطي وكان الشيخان غاية في علم الكلام وكانا يردان على الفرق وينقضان مقالات المبتدعة وألفا كتباً في ذلك قال ابن الصغير وقد جمع بين الأباضية والمعتزلة للمناظرة نادى زعيم المعتزلة عبد الله اللمطي فأجابه قال هل تقدر وتستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان لست فيه قال: لا قال هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان أنت فيه قال: لا. قال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لست فيه قال: إذا شئت.

[أبو عبيدة الأعرج]

ومنهم أبو عبيدة الأعرج وكان غاية في العلم والعمل والورع والأدب قال ابن الصغير فيما نقل عنه كلهم مقرّون له بالفضل معترفون له بالعلم والحلم وإذا اختلفوا في مسألة في الكلام والفقه صدروا عن رأيه، قال جالسته مراراً فما رأيت في سود الرأس أخشع لله تعالى منه وكان لا يجمعه مع أبي اليقظان إلّا المسجد الجامع قال حدثني أحمد بن بشر أن أبا اليقظان ضرب سراحه لأمر أراده وبرز بنفسه وعلم الناس بخروجه فخرج إليه القرّاء والفقهاء وضربوا أخبيتهم حوله حاشا أبا عبيدة فبينما الناس ذات يوم إذ أقبل أبو عبيدة فقالوا هذا أبو عبيدة جاء إما مسلماً أو مفتقداً فأعلموا بقدمه أبا اليقظان فلما دخل عليه رحب به ورفع درجته وأدنى منزلته ومكانه فقال أمسلماً أو مفتقداً فقال لا مسلماً ولا مفتقداً ولكن جارة لي خرج ابنها البارحة لطلب معاش له ولها فأخذه صاحب الحرم فحبسه فأتتني أمه شاكية فأردت إطلاقه فأمر بإطلاق من حبس تلك الليلة إجلالاً لأبي عبيدة ثم سلم وانصرف فعجب الحاضرون من صدقه وتركه التصنّع وإظهاره على لسانه ما أسر في قلبه قلت: إنما ذلك فيمن أخذ تأديباً إلّا من عليه حد من حدود الله قال: وكان عالماً بالكلام والفقه واللغة والنحو والوثائق وكان مع الديانة والعلم حسن الأدب وكان أهل المغرب كلهم مشغوفين به ويرسلون إليه بركة أموالهم يصرفها حيث شاء من سجالمة وغيرها ومن ورعه وتقشفه أن خديمه أبا سابق علف ليلة فرسه من بيت المال فأعلمه فقال ما هذا يا أبا سابق وحلف لا قام ولا أكل ولا شرب حتى ترد في بيت المال فنزع أبو سابق عن الفرس وكمل ما نقص من أكل الفرس من ماله ورده من حينه فما برح حتى رجع أبو سابق فأعلمه فقال الآن أحسنت.

[أبو منصور النفوسي]

ومنهم أبو منصور النفوسي عامله على نفوسة وطرابلس واسمه الياس من أهل تندنميرة قرية من قرى نفوسة وكان في ابتدائه قال في السير من أهل الجملة فنزل مرة إلى تيجي فالتقى بأبي مرداس مهاصر حافي الرجل قد أدماها الشجر والحجر في سنة قحط وشدة فأعطاه نعليه قال أبو مرداس نزع الله منك يا فتى ما لا يرضى ورد فيك ما يرضى قال أبو منصور فحسست حين دعا بما غشيني فوقع في نفسه التعلق بالمراتب العالية من العلم والعمل ببركة الشيخ وقد تقدم وكان بعد أن تولى أمور المسلمين إذا خرج لقتال العدو ويركب بغلة ولا يتقي نبلاً ولا ضربة على نفسه ولا على مركوبه ولا تقع به ولم يهزم له جيش ولم تنكس له راية وخرج مرة في طلب ولد خلف وقد هرب إلى زواغة وكان على مذهب أبيه ونزل عليهم بريموا فاجتمع رأيهم على قتاله ومدافعة ومنع ولد خلف منه فقال شيخ من شيوخ بني يهراسن يسمى أبا سلمة هل لكم أن تتركوا ريموا وتحصنوا بجزيرة جربة أو ترسلوا إلى الإمام بتيهت يخرجكم من عمالة نفوسة ويفرد لكم عاملاً أو تدفعوا صاحبكم إلى نفوسة وأنا كفيل لكم أن لا يتجاوزوا فيه الحق وحكم الله فسفهاوا رأيهم فقام فاجتمع أمرهم على لقاء أبي منصور فلما أبلغهم ناصبوه الحرب فهزمهم الله وقتل منهم بشراً كثيراً فدخل ولد خلف إلى جربة فتحصن ببعض قصورها ثم أرشى من نزل عنده فدفعه لأبي منصور وسجنه ثم وقعت مسألة وهي قطع الرجل في الحد فسأله من أين يقطع فقال دون العاقب ثم تاب ورجع وفي حفطي يسمى الطيب بن الخبيث بن الطيب وذكر ابن الرقيق أن أبا العباس ابن طولون نقل من بيت مال مصر مائة حمل ذهباً وأراد المغرب وتلقاه ابن قرهب صاحب طرابلس فهزمه وقتل من رجاله ومن

على أسر منهم ودخل ابن قرهب طرابلس وتحصّن بها وحاصره ابن طولون ثلاثة وأربعين يوماً واستغاث أهل طرابلس بأبي منصور النفوسي فقام محتسباً وكان خارج طرابلس رعيته فلاقاه أبو منصور في اثني عشر ألفاً فهزم الله ابن طولون وقتل أكثر أصحابه ولم يأخذ من أموال ابن طولون شيئاً تورعاً عنها وزهداً في الدنيا إلا رجلاً واحداً أخذ حملاً وستأتي قصته .

[عمروس بن فتح المساكني]

ومنهم عمروس بن فتح المساكني النفوسي قاضي أبي منصور الياس قال أبو العباس بحر العلم الزاخر بل حاز كل المفخر وحاز قصب السبق وإن كان في السن متأخراً كان ضابطاً حافظاً محتاطاً محافظاً قال أبو العباس لم تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلم ولم يلهه التبخر في العلم عمّا تعيّن عليه من مصادرة تلك الهموم لازم الدرس والاجتهاد ثم رابط على الجهاد قال أبو العباس له مصنفات في الفروع والعقائد قال أبو الربيع عن الشيخ أبي محمد عبد الله عن أبي محمد ماكس بن الخير رحمهما الله أن عمروساً عالمًا غاية زمانه وبلغنا أنه هم وعزم أن يفرز مسائل الفروع فيبين ما استخرج من الكتاب وما استنبط من السنة وما كان من الإجماع فيرد كل شيء إلى أصله قال أبو العباس وصرف إلى ذلك وجه العناية حتى يكون تأليفه طرازاً لما صنّف في علوم الشرائع وأعجلته المنية قال أبو الربيع وأبو العباس اختصم إليه رجلان في مجلس الحكم بمحضر أبي منصور فأدلى الطالب بالحجة فاسترده المطلوب الجواب فسكت فأعاد وسكت ثم أعاد فلم يفعل فاستبان له لدده فقام إليه فركله برجله ورمحه فقال الجلساء عجلت على الرجل فجمع أصابعه فقال كم هذه قالوا خمسة قال أهذه عجلة حيث لم

يبتدؤوا بالعدد من الواحد ثم قال لأبي منصور إن لم تأذن لي بثلاث
فخذ خاتمك عني يا الياس قتل مانع الحق والطاعن في دين المسلمين
والدالّ على عوراتهم وفي السير خرج أبو منصور إلى قوم سمع أنهم
أكلوا عيراً فاشتبه عليه الأمر بين أهل العير والقاطعين عليهم فأرسل إلى
عرموس أن يسرع إليه فلما أتاه سأل أهل العير عن صفة أمتعتهم وسأل
الآخرين فتميز له الحق وذكر ذلك أبو العباس وأبو الربيع وذكر أبو
الربيع وأبو العباس أنه قال لإلياس هؤلاء أصحاب الرفقة وهؤلاء
أضيافك يكنى بذلك عن حبسهم والإنكال بهم قال أبو العباس وأبو
الربيع جلس معه ذات مرة داود بن ياجرين وماطوس رحمهم الله فتحدثوا
حتى جرى بينهم ذكر أهل الصدق والكذب وذكروا أهل شروس فقال
الشيخان أهل شروس لا يكذبون فأظهر عمروس إجازة شهادة كل
شروسي فعاتباه على ذلك فقال: إنما حكمت بشهادتكما إذ زكيتهماهم.
قالا لا نريد ذلك فتوقف عن الحكم بشهادة غير المعلومين بالعدل والتقوى
قال أبو العباس عمروس أجل من أن يتجاوز إلى هذا القدر أو ينسب إليه
هذا التهاون ولعله أظهر لهما ذلك تجازفاً إذ برياً من الكذب جميع أهل
البلد جملة لا تفصيلاً وتأدّب أن يوجههما بالمناقضة فسلك معها طريقاً
يرجعان فيه إلى الصواب من غير تخطئة ولا توبيخ وهذه جملة فضائل
وذكر أبو الربيع وأبو العباس وذكر في السير أن عمروساً وأصحابه قدموا
مكة حجاجاً فدخلوا على محمد بن محبوب في مجلس من أصحابه
فسلموا ورحب بهم وأدنى مجلسهم تعظيماً للجنس فلما تبوأوا للمذاكرة
سأله عمروس عن مسألة فقال ابن محبوب إن كان أبو حفص في شيء
من هذا البلد فهذا السؤال منه فقالوا له هو السائل فرفع ابن محبوب
مجلسه وزاد في دنوّه فجعل عمروس يسأله في مسائل الدماء وأكثر فقال
ابن محبوب هذا من مكنون العلم فلا يعلن به في قوم جهّال فقال

عمروس لأصحابه احفظوا السؤال أحفظ لكم الجواب فلما قدموا نفوسه قال عمروس هلموا ما تكفلتم قالوا لم يبق معنا إلا قولك احفظوا السؤال أحفظ لكم الجواب فقام بهما جميعاً سؤالاً وجواباً وفي السير سأله رجل بمحضر أبي مهاصر عمّن أخذ من مال ابن طيلون خرجاً فتاب ولم يعلم له صاحباً قال تسأل عن مولاه فإن أعيالك أمره فتصدّق به فغضب أبو مهاصر فقال: لا أقعد في مجلس يفتى فيه بمثل هذا قال عمروس إن أردت أن تقعد فاقعد فإن من شأن المسلمين أن لا يؤسوا أحداً من رحمة الله وفيها وسمع بموت أبي مهاصر وقد لبس إحدى نعليه وذهل عن لبس الأخرى فمسكها في يده ذهولاً وتفجعاً وتفضيلاً لما سمع فما أدركهم إلا وقد دفنوه فتمرّغ على القبر، فقال كما أمنت لك يا أخي يعني من المصائب الدينية فقال الجهال استراح منه وتأولوه للأمور الدنيوية أعني جهال أفاطمان بلد أبي مهاصر ولما وفد أبو غانم بشر بن غانم الخراساني على الإمام عبد الوهاب ومعه مدوّنته المشهورة في الفقه التي رواها عن تلامذة أبي عبيدة وجاز على جبل نفوسة واستودع عمروساً نسخة منها وأخذ في نسخها وأخته تملي عليه ويلازم الموضع حتى تدركه الشمس فينتقل حرصاً في إحياء العلم فما رجع بشر إلا وقد استكمل نسخها وهو في اثني عشر جزءاً فوجد نقطة حبر على بعض الكراريس فقال سرقت هذه قال سماني سارق العلم فلما وقع ما وقع بتيهت وأحرقت كتبها بقيت نسخة عمروس ينتفع بها الأباضية ولولاها ل بقي أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه وذلك ببركة عمروس وحسن نيته ويمنه وكتب وصيته في كتاب ودفعها لورثته فأمرهم أن يعملوا بمضمونه وأنا خصيكم بين يديّ الله وذلك أظن عند خروجه إلى مانو للقاء العدو وفيه استشهد ﷺ وقال أبو العباس وأبو الربيع أن أم عمروس أوصت إليه في المهد واستخلفته فلما كبر وقضى وصية أمه وجد

فيها الحج فسأل هل يتولاها ليدعو لها أم لا فلم يجد من يتولاها به إلا امرأة فتولاها بها فحج عنها وكان المسلمون من أهل جبل نفوسة أكثر الناس حجاً وأزكاهم نهجاً وأنهم يحجون بالنساء والذرية وذكر أنه ولد في ركب واحد ثلثمائة صبي ذكوراً ولهذا قالوا من حج عن غير متوليه فهو هالك، انتهى كلام أبي الربيع، وفي السير أن لأبي ميمون مثلها كما تقف عليها إن شاء الله وذكر أبو زكريا وأبو الربيع وأبو العباس أن عمروساً لما وقعت الهزيمة بمانو استشهد هناك قال أبو زكريا إن عمروسا يحمي على الناس ويذود عنهم وكان على فرس سابق ولم يقدروا له على شيء فاتخذوا حبلاً اضطروه إليها فعضر فأخذه أسيراً فسأله عدو الله إبراهيم بن الأغلب أمير المسودة أن يطلبه العفو فقال كلمة لا تسمعها مني أبداً ولكن أسألك أن لا تعريني من سراويلي فقطعوه بمقراض الحديد فلما بلغوا الأكحل استشهد وفي السير حمى ساقه الناس على فرس سابق فأخذه بالحبال وطلبوه أن يرجع عما هو عليه فيتركوه قال تلك كلمة لا أقولها حتى ألحق بالله فقطعوا يديه إلى المرفقين فمات شهيداً رحمة الله عليه وفي السير مكث بالمغرب يتعلم عشرين سنة فلما قدم قال له أخوه لو رأيت أجراً في فدادينك قال له مجيباً لو رأيت أجراً يتعلموا دينك وكانت أخته عالمة وحضرت وقعة مانو فأخذت أسيرة في عدة نساء فخافت عليهن الفساد من الفساق فأمرت أن تستخلف كل واحدة على نفسها من يزوجه لمن أرادها بسوء وبعث إليه بعض الأشياخ من المتكلمين من أهل فزان أن يؤلف له كتاباً في الأصول فكتب إليه الكتاب المعروف بالعروسي وكتب إليه رسالة فلما رآه الفزاني وهو الذي وضع الكتابين المعروفين بأصول الكلام قال النفوسي أقوى مني وفيها خرج مع أبي مهاصر وكانوا يستقون بالماء على بغلته من الجبل قال إن دمت عليها لا ينفعها أكل الربيع فتركوها وتيمموا

للصلاة وتقدم رجوع أبي مهاصر وفيها نزع من القضاء من غير حدث فطلبوه الرجوع فأبى والسبب أن عبداً اشتكى مولاه فقال اصطلع مع مولاك وكان أبو مهاصر حاضراً فقال أعط له حقه من مولاه نزعك الله من ذلك المكان ورد فيه غيرك فنفذت دعوته وروي أن له عبداً نصرانياً فاستخبره ماذا يبلغ فيهم فقال قلة الذواقة من الطرفة.

[سدرات بن إبراهيم المساكني]

ومنهم سدرات بن إبراهيم المساكني النفوسي وكان شيخاً عالماً متقياً وفي السير سئل عن امرأة وضعت ولداً وبقي آخر في بطنها هل تأكل في رمضان نهائراً قال نعم، فقال بعض الأشياخ نعس الشيخ فقالت أخت عمروس إن نعس لم ينعس علمه وكلامه وجدناها تأكل إذا انشقت المبولة فكيف بهذه وفي منزلة امرأة صالحة ولدت صبياً على فقر وقلة لباس فتنام في شق ثوب وابنها في شق سنة فإذا أصبح ذهبت إلى ماء بعيد عن البلد فتغسل بعض الثوب ثم تلبس ما غسلت وتغسل الباقي كذلك شتاء وصيفاً وصبرت على ذلك فسمع بذلك ابن خليل فأرسل إليها بثوب فوسع الله عليه من هناك.

[أبو مسور يصليتن النفوسي]

ومنهم أبو مسور يصليتن النفوسي الأدوناطي قال أبو الربيع هذا الشيخ عظيم القدر في الإسلام عالم ورع قال أبو العباس أحد الشيوخ المجتهدين في أفعال البر المخلصين في العلانية والسر وعمر حتى بلغ الغاية في السن والهرم وكان في زمان الإمام عبد الوهاب وعاش بعده وكان يقول عشت حتى لم أجد في الإمام ما أريده ولا في نفسي ولا في الإخوان ولا في الأولاد ولا في القبيلة فادعوا الله أن

يريحني مما أنا فيه قال أبو نوح لعله لما ضعف جسمه وقلّ ما بيده وقصر عن ما كان يسدي من الصلاة وفقد ما أدرك في ريعان الشباب لأمه أولئك على ما فقدوا من عرفه وقد كتم ما أصابه احتساباً وقال أبو الربيع وأبو العباس وفي كتاب السير إن ابنته سألته عن بعض مسائل الحيض ووصفت له ما ولت من ذلك قال ألا تستحيين قالت أخشى إن استحييت منك أن يمقتني الله يوم القيامة فأنته الشيخ فقال لا يمقتك الله يا بنيتي قال أبو العباس وكانت عظيمة القدر في الإسلام قال أبو مسور يوماً المسلمون أفضل من أقوالهم وقالت هي أقوالهم أفضل لأن المسلمين يفنون وتبقى أقوالهم إلا أن تريد فضل الأجسام على الأعراض وإلا فالعلم أفضل المخلوقات ونشرا ثيابهما يوماً من غسل فقال الشيخ تمنيت أن الله طهر قلبي مثل تنقية الثياب وصفائها قالت تمنيت أن يكون تطهير قلبي بيدي فأطهره كهذه الثياب ثم أرسله إلى مولاه قال إنك أبلغ مني ولو في الأمانى ومن كلامه إذا كانت الفتنة لزمنا أيدينا وألسنتنا وأعينا ووكلنا أمر قلوبنا إلى الله وقال من أفسد شيئاً من الحيوان عليه شراؤه وفي السير أنه يضرب رجلاً بالسياط قدام مسجد منزله فأبصر رجلاً يمشي في المقبرة على بعد فقال لا أخرج حق الأحياء حتى أخرج حق الأموات فأوتي به فضربه والأول بين الأعواد ثم أكمل له وأتم له ما يستحق وهذا من تمام عدلهم رحمهم الله وفيها وجدوا منبواً بالمسجد فاجتمع الناس في أمره فقال إما نختار له أفضل من الحجر الذي هو فيه فتولى أمره فإذا أعطي ما لا يدّخر وكان له قيمة أو لم تكن أخذه بالقيمة نفعاً للمنبوذ فقبل له إن مال اليتيم نار يا عمي فكان بعد ذلك يتركه حتى يفسد فيرمى به وقال لابنته أزوجك لمن له عليك سبعون حقاً فقالت أردّها إلى ثلاث إن دعا أجبت وأن أمر امتثلت وإن نهى تركت ونحو هذا.

[أبو ميمون وآخرون]

ومنهم أبو ميمون وابن خالته أبو حمزة لوأب بن يوسف وتقدم التنبيه عليهما في التعريف بأبي عامر ومن أخبارهما إذا زار أحدهما الآخر مكث عنده من يوم إلى يوم يتذاكران العلم ويتعاونان على العبادة وينشرحان في أمر الإسلام وكانا أخوين في الله وزارت امرأة من أهل المنزل أبا حمزة فألفته ساجداً فانتظرت قيامه فاستبطته فذهبت إلى أدوناط فأنت مجلس أبي مسور حتى افترق فزارت في أدوناط من زارت ثم رجعت إلى أبي حمزة فوجدته ساجداً كما كان وعيناه تذرفان بالدموع وفي السير لما حضرت الوفاة أم أبي ميمون استخلفته على وصيتها وهو في المهد فأنفذها إلّا الحج فسأل هل هي من أهل الولاية فوجد ولايتها عند امرأة واحدة فسأل هل يتولاها بها فلم يفت له بها وعندهم من حج عن غير متولي هالك فسافر إلى المشرق فدخل على عبد الله بن عباد المصري فسأله فرخص له فحج عنها وتقدم التعريف بابن عباد وأنه امتنع عن أكل اللحم لأنه يأكل أشجار الناس وفي السير ارتحل أبو ميمون من قحط وشدة وقعت بالجبل ومعه ودیعة لرجل شروسي فنزل بأفريقيا فأدركه المستودع ووجده من تمام الحاجة يطبخ مية فقال ودیعتي فأعطائها له وهي مائة دينار فقال له أبو ميمون لا يحلّ لك أكل ما تطبخ فسأله ما يحل لأبي ميمون من المطاعم ولا يحلّ له فأخبره فأعطى للشيخ عشرين ديناراً فقال لزوجته أم يحيى أهرقي ما في البرمة فحفرت له ودفنته فعصم الله بفضلہ الشيخ والعجوز من أكلها وخطب عليه أبان أم يحيى وقال لها سأخطبك على رجل قائم بأمر آخرته كسلان لأمر دنياه، وانكسرت ساقية ماء إلى غاره فإن قضی الله عليك بتزويجه فصلاحها عليك فقضى الله بينهما بالزواج فجلبها فلما نزل من الجبل فنظرت إليه من القبة من فوق

الجبل فاستصغرت شأنه فتذاكروا في الطريق العلوم فمكثوا من يوم إلى يوم قالت فما طلعوا إلى الجبل إلا وهو أعظم الناس في عيني قالت وجدت عليه أربعين ديناراً ديناً فقضاها الله عليه بعمل يديها وقيل تعمل عذيلة ثياب في سنتها وقيل تقدم رجل يصلي بالناس وهو لا يستحق التقديم فقالت له اخرج من المحراب يا رجل سوء لثلا يأتيك من السماء أكثر مما يأتيك من الأرض فحبذته فكانت تحتذر منه خوفاً من شره فالتفتة في مضيق يوماً فحسّ منها الخوف والحذر فقال جوزي كما أمكنك ولولاك لهلكنا رزقك الله الجنة وكانت حزيمة لأمر الأخرى وأمور الدنيا ومن كثرة حفظها أنها سمعت رجلاً في طريق الحج ينشد قصيدة ثمانين بيتاً فحفظتها كلها وناقتها امرأة من أهل منزلها فسمعت بأن شوال قد استهلّ فلما أصبحت قدمت حلاوة لعيالها فقالت أمتها خفت أن يكون لطبقك ربح تفوح قالت كلوا لو دعا بالهلال غراب أو أمة مثقوبة الشفة فبلغ الخبر أم يحيى فقالت ما أخذنا ديننا بالغراب ولا بالأمة ففضحهما الله بفعلها. وزارهما أبان أعنيها وأبا ميمون وكان يوم مطر فوجدها تصلح الساقية التي ذكر لها حين خطبها فرأته فتذاكرا فتبسما فتعاونوا على إصلاحها فلما قضى الله لأبي ميمون بالاستشهاد شيعته حين خرج قالت ادع الله أن يكتب سلامتك قال ذلك عقد فرغ منه ولكن ادع الله أن يجعلك زوجة لي في الجنة فلما استشهد بقيت بعده كهفاً للإسلام ومأوى للأخيار فكانوا يجتمعون عندها عزابة أمسين في ليلة الجمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة وتفقدت أبا يوسف ابن منيب ليلة فلاقته بعد ذلك فقالت أكفر بعد إيمان يا زكريا فاعتذر أنه اشتغل بغسل ثيابه من نجس باجلازن وأبو يوسف بن منيب وأخوه بل بنو منيب دار علم وعمل وزهد في الدنيا ورغبة فيما يبقى ومن العجائب من مؤلف أخبار علماء نفوسة ومناقبهم كيف ترك الكلام على كرامات بني منيب مع

شهرتهم في الإسلام وأعجب منه ترك ذكر بني العباس وأكد في العجب غفلة أخبار أبي زكريا والجميع في حوزة واحدة ولعله ألف وضاع حين الجمع للكتاب والقرطاس الذي فيه مناقبهم فذهل عنه وغفل وتقدم التنبيه عليهم فيما مضى بالاختصار.

[شاكرة العرارية]

وكانت شاكرة العرارية من أهل أثره تقرأ على أم يحيى فروت من أطعم مسلماً مقدار ما يقع على الضرس يعطى له اثنان وعشرون سهماً ونصف في الجنة ولو أعطي أهل الدنيا ذلك النصف لوسعهم من أول الدنيا إلى آخرها فلم تفسر من أي شيء يطعمه وتختلف عليها سنة أن لا رجعت تفكرت وعزمت حين اللقاء على السؤال لماذا وتذهل حين الاجتماع فتفكرت يوماً وهي خارجة من بيتها وهي تقول لماذا حتى بلغت أم يحيى قالت لماذا قالت من أطيب طعام من ماله قالت ومن أعلمك أن السؤال على ذلك قالت أم يحيى علمت حين لم أفسره أنه بقي في نفسك وفي السير أن كتاب الخليل الصالح أول ما وقع بالجبل عند بعض أهل أمسين فمنع من إعطائه للنسخ فأخذته بل عرضه عليها مرة فقالت من أراد أن ينسخ فليأت.

[أبو القاسم سدرات بن الحسن]

ومنهم أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري النفوسي بقية الحافظين واعتماد أهل الدنيا والدين بل كان من الراسخين أخذ العلم من منبعه وسقاه كل عطشان من مستحقه أضاء كل حالك من أرجاء الجبل بعد إظلامه وأحياه بعد انطماسه تعلم عند أبان بويغوا وكان يسبق أبان إلى المسجد فسبقه أبان ليلة فخرج ينظر ففاجأه فقال: ما أبطاك.

قال: اغتسلت على فوجز. وكان يسير في كل ليلة من بغيره ثم يرجع إلى ويغو في ليلته فيصلي مع أبان ولم يفقده سنة إلا مرة وهي المنبه عليها، وقيل قعد يفتي بعد وقعة مانو ثلاثة أيام بلياليها وقيل يوم وليلة وهو يقول الكبير عيب وهو يومئذ له من العمر مائة وعشرون سنة وعاش بعدها يعلم الناس ثلاثين سنة وكان الحاكم أبا محمد عبد الله بن الخير وسيأتي التعريف به إن شاء الله تعالى وقالت له التلامذة أنكتب عنك ما سمعنا قال اكتبوا ولو بأقلام النحاس صمت إذن نسيت ما سمعت منذ أربع سنين وافتقد ابنه بمانو فأتاه رجل بخبره فقال لزوجة ولده إن صدقته كما صدقته فاعتدي وقال فقدت بمانو ثلاثمائة متولى ولا سيما شيبة الدجى وميال الأتلجامي وجانا التلجامي التنزغتي وهو أخ له من الرضاة وختم ابنه المجلس والمعلم فقال ليس لنا من ثواب مجلسنا شيء ثم ختم مرة أخرى مع أبي يحيى بن ماطوس فقال لنا نصفه ثم ختم مع ابن ماطوس رجل صالح فقال لنا جميعه ودعاه رجل من أهل تمنكرت يبيت عنده فالتقيا يهودياً فقال له التمكنرتي مرحباً فقال أبو القاسم لا رحب الله بك إلى ثلاث فرجع عنه وتركه وقال لأبي محمد عبد الله بعد مانو أحكم بأن المرأة هي القاعدة فيما ينسب إلى النساء وورثة الزوج هم القاعدة فيما ينسب إلى الرجل والمأخوذ به قبل ذلك أن الباقي من الأزواج هو القاعدة في الكل فتوقف أبو محمد فقال أبو القاسم أعتقد أنني أكثر منك علماً وأكبر سنأ قال: نعم. قال لترجعن إلى هذا القول وإلا لم أسلم عليك أبداً، فرجع إليه وتزوج آخر عمره امرأة سوء كانت تؤذيه وأسرفت عليه فبلغه الضرر مع الكبير، قال فدخل عليه المشايخ زائرين وعليهم حسن اللباس ومعه ابنة أخيه من الرضاة جانا التنزغتي فقالت شيخكم يصوم على الحسو وأتم على ما رأى من حسن الهيئة فجمعوا له دراهم أعطوها لها وأنفقتها على الشيخ كيف لا يعرف

فحسنت حالة الشيخ وإذا أرادت أن تطعمه أورت أنها تغلي قمله فيجعل رأسه بين ركبتيها ففطنت زوجته بعد زمان فلما ظنت أنه يأكل أخذته من رجله فرمت به تحت الدكان فقال رددت العيال إلى بطنك فكانت حاله معها إلى أن مات فحضرت نساء جنازته فسألناها عن مسألة فقالت للأمة ما كان يفعل فيها مولاك قالت: لا تعرفيها أنت فكيف أنا أعرف.

[عبد الله بن الخير]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن الخير وذكر أبو الربيع أن عبد الله بن الخير عالم كبير يضرب به المثل يقال من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير وهو نفوسي من تونزيرف قال أبو العباس شيخ التقى والإخلاص المتحري مسالك الخلاص وكان عالماً فاضلاً أثيراً كانت الأمثال تضرب به يقال من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير وذكر أبو الربيع وأبو العباس أن سعالاً أصابه فقليل التصبح بالفطور على لبن ناقة دواء وعند أفلاح ناقة فجعل يأتيه كل صباح فرأى يوماً زيتاً على أصل زيتونة فسأله عنه فقال أفلاح غدائي قدّم ملثوثاً بزيت في إناء مشعوب بحديد فأصاب يدي حديده فرفعتها فإذا الدم فأكفيتها فقال أخطأت ولعل الدم لم يسـل إلا بعد أن رفعت يدك وكانت العلماء تقول إذا توجّه النجس من تسعة وتسعين وجهاً والطهارة من وجه واحد غلبت الطهارة النجس، وما جعل الله علينا في الدين من حرج، ثم قال لأفلاح إذا أخذت الرهن فقل هذا الرهن في يدي إلى آخر حقي أساوم قبل الأجل وأبيع بعد الأجل وليس لي ما أصابته الآفات ولا ينفسخ باستنفاعي ولا يكون سخرياً، وكان أهل الجبل لا يقدمون للصلاة إلاّ التقى الأسن العالم اقتداء بالسنة وكان يصلي بهم

فثقل سمعه فكان يجهر في صلاة النهار حتى يسمع من خلفه فقال له يحيى بن يونس ما تسعنا الصلاة خلفك وأنت لم تكلف إلا ما تسمع فقال له لم أكلف سماعك يا ابن يونس فزاد في الضعف والهزم والكبر وكان يجلس جلوس قومنا فقال أيضاً ما حال صلاتنا خلفك يا شيخ وترك التقدم قيل مات على مائة وعشرين وأخذ العلم عن أبان بن وسيم وفي السير لم يبق من المشايخ بعد مانو إلا هو وأبو القاسم البغطوري وعلق زاده لنية السير إلى تعليم العلم وهو الحاكم والقاضي بين الناس، وزاره أبو القاسم في أيام حصاد الزراع فلم يؤذن خشية أن يهلك الناس إن لم يحضروا فقال أبو القاسم إذن فإن لم يحضروا فأهلكهم الله، وقال ثلاثة من الكبائر تبديلك سنتك وقتالك أهل صفقتك وخروجك من ملتك، وكان يأتي أبا القاسم إلى منزله بعد مانو فيحكم هناك فيتعاونوا وموضعهما مشهور هناك، وفي منزله امرأة صالحة تسمى مكنا تزوجت رجلاً من أهل تيرى واشترطت عليه سُكنى منزلها فطلب موضعه فلم ترد أن تعصيه فدخل بها المفاوز حتى إذا بلغت منزله اجتمع عليها مع الغربة فقد الأخوان في الله وسوء البعولة ثم تزوج عليها وتركها كالمعلقة وسار إليها يحيى بن يونس ونزعت به الوحشة فأقام عندها ما شاء الله ودعت له وجعل قدمه على رملة في إناء لتتسلى بأثره عند تحريك الهموم فيزول بعض ما بها ثم ساقته المقادير إلى أن نزل بئراً فإذا بثعبان عظيم فوق رأسه فعلم من أين أوتي فأوتي بقطيفة فالتفت بها فما نفع من سخط الله شيء وتقدم مثلها لمنزوا ابنة أبي عثمان والحكاية واحدة إلا أن هذه أبسط قليلاً وذكر هذه في السير وهي أولى لأنه أقعد بوطنه منهم وذكر الأولى أبو الربيع عن أشياخه وأبو العباس ويجوز أن تكون القضيتان مختلفتين.

[يحيى بن يونس السدراتي]

ومنهم يحيى بن يونس السدراتي الوزري بلدأ، النفوس وطناً، قال أبو العباس كان من أهل الورع والزهد وممّن أخذ نفسه بالجهد والجهد وذكر أبو الربيع وأبو العباس أن أبا زكريا عادته أن يوصل بين المغرب والعشاء بالصلاة ثم إذا صلى العشاء تنفل بما كان ينتفل به ثم يوتر ثم يحتاط لجميع الصلوات فهذا دأبه وعادته ﷺ وذكر أبو الربيع وأبو العباس أنه زار أم زكار وكانت من الصالحين المجتهدين فوجدها هالكة جوعاً وليس بها إلا رمق فخرج من ماذر إلى رنابرت عند أبي كبت وكان عالماً متمولاً ردتاً بخيلاً فأخبر بخبر العجوز وعنده لبن فأبى أن يعطيه شيئاً من اللبن فعالج لها حسواً وقد انطبقت أسنانها من شدة الجوع فما زال حتى أدخل الحسو إلى بطنها فلما أفاقت قالت من ذا الذي من الموت بالجوع نجاني نجا الله عظامه من النار فلما قعدت قالت مستجمي أغتسل للصلاة وفي السير أن الذي أتاها يحيى بن موليت الدرفي ووجد بابها ردة عليه التراب وكانت عادة الجائع في ذلك الزمان يغلق بعض بابها ويترك الباقي وكان أبو كبت يبغضها من إنكارها عليه رديء أفعاله فسمع أهل ويغوا بخبرها فجمعوا لها شيئاً فبورك في رزقهم إلى يومنا هذا كذا في السير وهم أعرف ببلادهم ومشايخهم وكان أبو محمد الدرفي يقول لولا يحيى بن موليت لهلك أهل جادو ومضى أبو كبت إلى الحج وافتقرت العامة إلى علمه لكثرتهم ويتزاحمون عليه للسؤال حتى كانت الرماح على رأسه لكثرتها كالقصب فسأله رجل لالوتي عن نازلة فقال له وأنتم يا مذبذبون يا أهل لالت فأتى اللالوتي شيخهم فأخبره فقال ادنوني منه فقال مالك جعلتنا مذبذبين أرى الله المسلمين منك كما أرى منك فجعل الناس ينفضون عنه حتى بقي وحيداً بدعوة الشيخ ومن رديء

أفعاله أن سألته امرأة ليقوم حليها للزكاة فقال أقومه عليك لابسة له فخرجت فقال المشايخ قتلها في عطش الإسلام أحرمه الله إياها وولت هاربة، ومنها أن تلاميذه حصدوا يوماً زرعه فلما قضوا قال ارجعوا إلى أهاليكم وكلوا.

[مصلوكن التائب]

ومنهم مصلوكن التائب من أهل أمر ساون كان سخي الكف قد قلّ من لم يأكل طعامه من فقهاء الجبل وأشياخهم وكان كثيراً ما يغشى زورغ الأرجانية زائراً ونزل يوماً إلى أجلازن فغسل ثيابه واشتوى شاة فجعلها في سفرة فدعا الله أن يغفر ذنوبه وأن يجعل له آية لذلك ثم قال وعلامة ذلك أن أجد كلب زورغ ميتاً أو غائباً وزوجها عند الضارة وأنه أول ما تأكل هذه البضعة لعضو من الشاة فجعل ذلك العضو أسفل السفرة فطلع ليلاً فسأل عن الكلب فقالت مات بالأمس وعن الزوج قالت عند الضارة ففتحت السفرة فأخرجت ما فيها فأول ما ابتدأت بأكل ذلك العضو فقال الحمد لله قالت لعل الدعوة مشتركة قال نعم. وكانت زورغ في زمان امتلاء الجبل بالإسلام فيه كالرمانه وقالت الناس من شدة ورعها ومن كثرة عبادتها ومن قوتها في الأمر والنهي النصف عليها كثير والثلاث قليل، ومن كرامتها إذا رفعوا فراشها في الصيف وجدوا تحته ثلجاً وأرضت زوجها وضارتها وأمتها فكانوا يدعون لها بالجنة وذكر أن أختاً لزوجها مرضت فأراد الرحيل إلى الربيع وما أمكنه أن يقول لإحدى امرأته اقеди تمرضين أختي وارتحل بالأخرى، وارتجى الخير عند زورغ فقال لها لي عندك حاجة قالت كل حاجة قالت كل حاجة لك مقضية إلا تمريض أختك فلا أرتحل وأتركها فقال: رزقك الله الجنة وتلك أعظم حاجتي وكان يريد نقل شيء من التراب وقد عيا فقال لها

عليه فقالت نقلته بالبقرة فقال رزقك الله الجنة وفي السير وخدمت أخت زوجها سنة لم تخلع طوقها من عنقها فماتت فخلعت ثوبها لتنام وتستريح فلما وضعت جنبها على الأرض سمعت طائراً قد وقع على درب دارها يقول يا زورغ طريق الجنة بخلاف الهوا فأيقظت ضارتها لتسمع فقال ما تريدن إلى من لا تحبه الملائكة يا زورغ وقال أمرت أن أيقظ رجلاً في ليلتي في وادي أزلجم فقامت مبادرة إلى الصلاة وتحيز زوجها وقد أتى بشيء من الطيب فقالت اقصد عند الضارة قال رزقك الله الجنة، وفيها زارتها نساء من ايجيطال بل وجواري ثم زارتها نساء من ابديلان فلم يردن الجواري أن يرينهن ولا أن يعلمن بمكانهن فدعت الله أن يردهن فرجعن بعدما بلغن والمسافة قرب ستة أميال ثم قلن على إحداهن تكثري أمها عتابها إذا قصرت في عمل الصوف فدعت لها ولم تعاتبها بعد ذلك وبقين عندها إلى قرب المغرب والموضع بعيد فدعت الله أن يطوي لهن الأرض فجزن على أرجان وقد أخذ الناس الماء لوضوء المغرب وكذا أمر ساون ثم جزن على تميجار كذلك ثم جزن على أدوناظ كذلك فبلغن منزلهن والناس في حال الوضوء وعرضت على مصلوكن قراءتها فقال لا صلاة لك من اللحن ثم عرضت على أبان وقد زارها فلقنها ولم تطق تقويم لسانها فقال أعجبني اعجن الله عظامك في الجنة فرخص لها بعد أن تحيرت.

[أبو زيد البصغورتي]

ومنهم أبو زيد البصغورتي وكان من المعدودين في إجابة الدعاء وله زوجة سوء مسرفة إذا قال لها أحمر الفجر قالت حمّر الله عينيك بالسم دعني أرقد فقالت له ليلة إحملني الآن إلى أهلي فحملها على حمار فلما بلغوا أهلها إلّا وفاضت روحها ووجدوا ثعباناً قد طوّقت

عنقها فحفروا لها قبراً فإذا ثعبان ثم حفروا ثانياً كذلك ثم ثالثاً كذلك فقال له أبو زيد أمرنا وأمرت فدعنا نتمثل ما أمرنا ثم إفعل ما أمرت فتنحى حتى وضعوها فنزل على صدرها وردوا عليها التراب كذلك.

[بو الليث الجناوني]

ومنهم أبو الليث الجناوني وكان رجلاً صالحاً عابداً وقيل ليس بنفوسي بل بربري لكنه يسكن اجناون قالت له زوجته يوماً انتقص لبن بقرتنا فقال ناوليني عكازي لا يقع هذا إلا من ضعف الحق فطلع إلى جادو فوجد أبا منصور يضرب رجلاً أتى فيه كتاب من تيمنتي وعمروس وجماعة من الأشياخ حاضرون فقالوا له ارجه ها هنا لموضع في المجلس فقال حتى أعلم على ما يضرب الرجل فأخبروه فقال بسواد في قرطاس تضرب الناس يا الياس فقال له ما نفعل يا شيخ قال ترده إلى السجن وابعث الأمناء فإن صح ذلك عنه فانفذ وإلا فقاصصه من نفسه في ضربه فبعثوا الأمناء فلم يصح عند ذلك وتبين أن الفاعل غيره فأخرجوه وقاصصه.

[أبو معبد الجناوني]

ومنهم أبو معبد الجناوني جمع بين العلم والعمل والورع تعلم العلم بالمغرب عند سعد بن أبي يونس بقنطرار فقدم إلى تندباس فوجد أمة تستقي فطلبها أن تجعل الماء في وعائه قالت له أستخدم أموال الناس يا جاهل فرجع إلى التعلم فمكث عشرين سنة والله أعلم، فلما ودع شيخه للانصراف قال اجعلني في حل قلت لأمتك وقد آتتني بمعيشتي ناوليني الإبريق قال الشيخ السوداء أم البيضاء قال: لا أعرف منهما السوداء من البيضاء من كثرة غضه لبصره فلما أشرف على اجناون في

رجوعه قال لو ماتوا جميعاً وفصلوا أعضاءهم لأورثتهم بعضهم من بعض جميعاً من كثرة علمه وهو سعيد بن يونس وأفلح بن العباس وغيرهم ممن نهى عن المسير إلى مانو وقيل له قد فزع البغال فقال لم يفزع البغال ولكن ينزل ويموت وترجع وتكون شيخ زمانك فلا أحياني الله إلى ذلك الوقت.

[أبو يحيى زكريا الأرجاني]

ومنهم أبو يحيى زكريا الأرجاني القاضي العادل العالم الكامل الإمام الفاضل جمع علماً وعملاً وورعاً، وفي السير لما قدم نفوسة حاكماً أو إماماً مدافعاً أخذت أمه وأخته تبكيان يقولان احرقوك واشووك وكانتا صالحتين وتولد عنده ولد فجمع اليهود له أربعين ديناراً فقالوا خذها خرساً لولدك فقال لو قدرت أن أصونكم لأخذت الجزية فأبى أن يقبلها وأطعمهم عنباً وانصرفوا قالوا ما رأينا مثل هذا البلاد لا يطمع سلطانها في أموال الناس فأخذوا في اشتراء الربع وفيها اشترى مشايخ اجناون لحماً فشووه وجعلوا له قسماً بينهم فحملة بعض وأخبره فانتهره وقال لم يتجاسر غيرك على ذلك واسمه ضمام فرده وفيها وإذا جلس للحكم يقول اللهم اعطِ الحق لذي الحق ولا حجة لمحتج إذا احتجّ بلا حق وفيها وأتاه يهودي تاجر فألفاه خلط دقيقاً بالماء فعجنه ليأكله نياً من غير طبخ فمدّ له قبضة فقال كلها طيبة قال اليهودي المترف فأكلتها فما أكلت أطيب منها. وفيها: وفي أيامه لا يجتمع في سوق جادو أهل زمور وطميسة بل لهؤلاء يوم وللآخرين يوم فصادف تاسع المحرم يوم طرميسة فتشفع أهل زمور بأبي زكريا أن يتركوا لهم الدخول ليقضوا حوائج عاشوراء ولو عشية فأبوا وصمموا وتكلموا بكلام رديء فقضى الله بينهم بحرب مات فيه كثير من طرمية وانهزموا لاستخفافهم بحق الله

ولاستخفافهم بحق الأشياخ وفيها غارت كتامة على الجزيرة فخرج إليهم فهزمهم الله وخرج إليهم مرة أخرى في قرب تركت فهزمهم الله وفيها ضرب ومات ضربه رجل من أصحابه قيل من تبين بكر كان قد أخرج منه الحق فسأله من ضربه فقال لا أترك لولدي ما يؤذيه وكتامة جند أبي عبيد الله وفي السير يجلس للقضاء بين الناس في جادو إلى آخر النهار ويرجع إلى أهله ويستريح سبع مرار بينه وبين أرجان والمسافة غير بعيدة وقيل ثلاثاً من الضعف والعياء والجوع ﷺ ولنذكر ابنه وإن تراخى زمانه عن وقته وفي السير أن أبا زكريا بن أبي يحيى قد ولّوه أمور المسلمين وقد نزعوا أبا عبد الله بن أبي عمر من غير حدث فخرجوا إلى المسودة في الأشهر الحرام فهزموا ومات خلق كثير وهناك مات أبو عيسى الدرفي في عدّة من المشايخ وضرب أبو زكريا، ضربه رجل من طرميسة من أصحابه فلما حضرته الوفاة قالوا من ترى لنا بعدك قال زيد بن أفضيت رأيته يتعلم مسائل الأحكام وقالت أم زوجته لابتنها لما أراد أن يجلبها أبو زكريا خذي بما افتأت لك الوازن أعني أم أبي زكريا إلّا في ثلاث مسائل أخذتها من ابن مغطير عبد الحميد الجناوني لا تشربي نبذ الدباء ولا تجعلني الحناء ليديك إلى الرسغين ولا تغتسلي إذا مضى ثلاثة أيام من وقت حيضك.

[أبو عيسى]

ومنهم أبو عيسى وقد مات شهيداً كما تقدم ومن كلامه أن قال لزوجة أبي زكريا كلامي كله علم، من سوء العلامة أن تعقب المرأة المنافق مكان الزوج المسلم ومن علامة الخير أن تعقب الصالح مكان الطالح فأعقبت أبا زكريا ابن أبي عبد الله مكان أبي زكريا بن أبي زكريا.

[لواب بن سلام]

ومنهم الشيخ الإمام الداعي إلى معالم الإسلام المنبه على مشاعر الحلال والحرام لواب بن سلام أوتي الحكمة صغيراً فدام على منهاجها إلى أن صار كبيراً وفي السير وجد لواب بن سلام أهل اغرميتان يلعبون في المبارك فردهم إلى المساجد ويؤذن وهو طفل وإذا قيل له أقم الصلاة قال الطفل لا يقيم الصلاة وإذا قيل له تقدم تصلي قال الطفل لا يؤم وإذا قيل إرجع في وسط الصف قال الطفل لا يتوسط الصف وتعلم العلم من أبي كبة من أهل تنكنيص فلما ظهر من أبي كبة ما تقدم ذكره امتنع لواب من الفتوى خشية الإثم إذ لا يميّز ما أخذ من الثقة وغيره وهو أحد الأئمة العشرة الذين ذكر أبو يعقوب في كتاب الدليل لأهل العقول وأسند إلى كل واحد مسألة، ومسألة لواب أنه ليس على الإنسان شيء مما يسبق إلى ذهنه من الوسواس في صفة الله من كونه محدوداً وعلى العرش أو على صفة كذا وإذا جوارح ما لم يقطع للشهادة على الله أنه كذلك ويجزم باعتقاد ذلك بدليل أنه ﷺ سأل رجل إن في النفس أشياء أريد أن أسألك عنها وودت أني لو مت قبلها لكان أحب إليّ فقال له ﷺ كلنا يجد ذلك وحديث ابن مسعود تلك برازخ الإيمان وحديث زوجة جابر حين سألت مجاهداً قالت إنه يخطر ببالي بعد حبيبي أشياء وددت لو متّ قبلها لكان أحب إليّ قال ليس عليك من ذلك شيء.

[أبو يحيى تكسنيث]

ومنهم أبو يحيى تكسنيث وكان موفقاً صغيراً في المهد وحين بلغ الأشد وقوي على الاجتهاد والجهد ومن أعجب كراماته أن أمه نصرانية لا يرضع لها ثدياً إذا شربت خمرأ وذوقت محرماً وبقره أم أمان ومن كراماتها أنها رأت ليلة القدر وهي في مصلاها المعروف وأبصرت ذنباً

في ناحية اشفى كذا وجدته بخط عمنا يحيى ابن أبي العز بغير همز قبل الشين ومن كراماتها أعارت ثوباً ملكاً لها لامرأة بغير إذن الزوج فأراد ضربها على ذلك بعمود فأولته ظهرها وانتظرت وقوع العمود بظهرها فاستبطأته فالتفتت فإذا هو ميت ومنه أن امرأة كلفتها امرأ عليها في فعله ضرر فمضت لحاجة لها فسقطت من جبل فتقطعت قطعاً فنسأل الله العصمة مما يوصلنا إلى عقوق أوليائه .

[أبو الشعثاء]

ومنهم أبو الشعثاء المعدود في المستجابين بين الدعاء الجامع بين العلم والعمل والورع المخلص في السراء والضراء من كراماته أنه دخل عليه ابن أخته أبو يونس التميدالي في مسجده فنظر إلى سقف المسجد قد انفتح ورأى السماء فلما تحقق هذه الكرامة قال ادع الله لهذا الجبل يا خالي أن لا يعلوه سيف المسودة إلى يوم القيامة فقال الآخر مثل ذلك وقال أبو يونس كنت أصلي في مسجدنا فدخل عليه رجل فقال له صلّ قاعداً يا شيخ وكان إذ قام من السجود أخذ عكازه فقالوا له بماذا أجبتك فقال اشتغلت بنفسي واشتغل بنفسه ثم وجدوا ريحة المسك في روث دابته وقال أبو الشعثاء لأهل بلده سنتوت لا ألقى الله منكم من ظلمكم خيراً ولا ألقاكم ممن ظلمتم خيراً ومن شدة ورعه أن دعاه رجل إلى طعام وده به فلما غسل تذكر أن له عليه شهادة فأبى من الأكل فقال وهبته لك فأبى فقال تركت شهادتي فأبى فقال تركت ذلك المال فأبى أجمع ثم بعد ذلك أعطى لذلك الرجل دراهم يعمل له طعاماً مثل ذلك الطعام فلما صنعه دخل الشيخ ونزع الغطاء وقال كله أنت وعيالك فخرج وقال إنما أفسدت مالك بسبيي وخرج مرة إلى المرج فحرث ثم حصد إذ طاب الزرع ودرس وحمل الحب على جملة فتلقاه رجل ببعض الطريق

وآدعى أنه من أهل المرج فقال تعلم يا رب أنا لم نجعل أحداً في حلّ فسمعه الشيخ وقال لولده نوخ الجمل ثم فرغاً ما في الحمل وانصرفا وقيل إن نساء من أهل تدينة يحضرن مجلسه ليلاً ومعهن أولادهن فإذا تفرّق المجلس رجعن إلى منازلهن وهذه كرامة له ولهن لأن المسافة أزيد من أربعة وعشرين ميلاً ومن كراماته أنه يصلي في مصلاه وتصلي بصلاته امرأته امرأة صالحة من مصلاها من ناحية تارديت وبينهما بعد وفيها أن أم الخطاب حلفت بعق رقيقها أن لا تتزوج أخا زوجها ثم قلب الله قلبها فقبل لها المخرج أن تهيب ممالكك ثم تتزوجي ففعلت فرد عليها فأخبرت أبا الشعثاء بقضيتها فقال أتخادعين من خلق الخداع يا أم الخطاب وكانت صالحة فدخلت الدار فوجدت الجواري ينسجن فقال إنكن معتقات فقمي من الفرح فلم تزد واحدة منهن خيطاً وهن ثلاثة عشر جارية.

[أبو صالح سدرات]

ومنهم أبو صالح سدرات من أهل أغل وكان صالحاً متقياً متحرياً وكان منفرداً في منزله ليس فيه كثرة الأشياخ ولا الفقهاء فخاطب نفسه أؤذن وأقيم الصلاة وأتقدم بالناس وأحضر الشهادة يا سدرات فلا أسكن بلداً أنا فيها كذا فانتقل إلى أبي محمد التغرمني وعلق وضوءه يوماً بخص أبي محمد فأخذه من خارج من فرحه من غير استئذان فعاتبه أبو محمد على ذلك فتاب.

[أبو إسحاق الأشارني]

ومنهم أبو إسحاق الأشارني وكان عالماً ورعاً شديداً في الأمر والنهي ممّن لا تأخذه في الله لومة لائم قال لأهل منزله أشارن اضمّنوا

لي أربعاً أضمن لكم أربعاً الصلاة والآذان وحفظ الخط وتعليم القرآن
يسلم مسافركم وينمو رزقكم وتطفأ نار الحرب عنكم ويرتفع القحط وإذا
رجع من حوائجه أتى المسجد فإذا لم يجد أحداً دخله يقول ما هذا يا
أهل أشارن صرتم أشارن ومن كراماته خرج هو وزوجته حفصة سائراً
إلى الجزيرة وصاحبهما أسد ولبوة أحدهما يحاذيهما يمنة والآخر ذات
الشمال إلى أن وصلا وكان يقول لأن أتردى من فوق جبل خير من أن
أقول لا أفعل شيئاً ثم أفعله وكان أبو محمد التغرميني حاكماً وكان يطلب
الخصماء الحل فقال له أبو هارون هذا أمر لا تصلح له ولا يصلح لك
الحق بيتك وجرتك يعني يشتغل بأمر صلاته قال له رزقك الله الجنة فرجع
أبو إسحاق وكان قوياً في دين الله فسجن يوماً أبا زكار من أهل أغرم اينان
وهو صهر أبي محمد التغرميني فسجنه في مسجد امسراتن تأديباً عن رعي
غنمه في الخط فنزلت عليه جنازة فتشفع بأبي محمد إلى أبي إسحاق يتركه
ينزل إلى تموحط يغتسل ويرجع فأبى له قال أبو محمد أما يجد الرجل
يقض ما عليه فاصطحب الشيخان راجعين إلى منازلهما فلما بلغا أشارن
والعادة أن يبیت عند آل أبي إسحاق لأن بلده لم يزل شاطراً فأرادت
الحمارة العادة وفي نفس أبي محمد من رد شفاعته فأبى لها فقال أبو
إسحاق دع الحمارة تذهب حيث عرفت رزقك الله الجنة بابها مثل ما بين
السماء والأرض وقد ذكر له عذره بأنه لو أراد أرسل بعض موالیه أو خدمه
فأتاه بالماء فذهب معه فلما دخلا الدار أتى أبو إسحاق بطبق فيه أنواع من
الثمار فأكلا قال له أطعمك الله من ثمار الجنة.

[أبو محمد التغرميني]

ومنهم أبو محمد عبيدة بن زارود التغرميني وشهرته في العلم
والعمل والورع وإجابة الدعاء كافية عن التعريف وفي السير أرسل جرتة

إلى ابن خالته عبيدة بن محمد يطلب الماء للوضوء فلم يعطه فوقف ودعا الله بباب بيته فملاً قلته من الميزاب من ماء المطر وفيها عملت ثلاثاً يشبهن الفضول وثلاثاً يشبهن الكذب أعطي حماراً يركب عليه ومن عادتهم رحمهم الله لا يضربون الدواب إلا يسيراً فاستحسن سيره فقال ما أحسنه قالوا نعم هو لليتيم فتزل ومرّ على جنان تيناً فعزم على الشيخ أن يأكل فاستحسن فقال ما أحسن تين هذا الجنان قال نعم انكسرت عليه ساقه ليتيم فخرج وأتى من الأكل وقال لأمة لقيها ما أحسنك إن عرفت توحيدك فتعلقت به أن يعلمها توحيدها لأنه لو لم يسأل لم يقع في محذور واللائي يشبهن الكذب أبصر ذنباً فقال لرفيقه هل رأيت هذا الذئب ولم يدر أذكر أم أنثى وقال لصبي يبكي هذه أمك أقبلت ونفرت بغلته وأخذ مخلاة يدعوها بها لترجع وليس في المخلاة شيء فناهيك من شيخ معمر هذه سقطاته تجنب الكبائر والصغائر حتى عدّ على نفسه هذه وله زوجتان إحداهما تؤذيه والأخرى صالحة عملت له مرة طعاماً فاشتغل بالصلاة فأكلت من الطعام فقال لأم زعرور عملت طعاماً جيداً فقالت أم زعرور نعم لعلها تعني أن الطعام جيد وكانت تكثر من شتم أم زعرور وتسكت عنها وتقول إياك أشتم وتجيئها فلك سكت وكانت من عباد الله الصالحين وكذا الشيخ أبو إسحاق ممّن ابتلي بزوجة سوء وكانت تضربه ويحتمل ذلك لله وكانت أم زعرور عالمة ورعة شديدة في دين الله وهي من ايحيطال خرج أهلها في الشدة فطلبتها أم يحيى تكون عندها لما أراد الله بها من الخير فتعلمت عندها فقدم أخوها فخرجت إليه وسلمت عليه فقالت لها أم يحيى إذا جاء إخوانك المنافقون تعانقيهم وإذا جاء إخوانك المؤمنون دخلت الخزانة فتأبى إلى الله وقدم أبو محمد التغرمني زائراً أم يحيى يوماً فأخبرته بشأنها ورغبته فيها فخرجت لتستسقي من الجب فأخذ إناء وتبعها لتملأ له إناءه فطلبها فملأت له فرجع ولم يرض فأخبر

العجوز فقالت لعلك صادفت غيرها والأمر كذلك فخرجت مرة فصادفها أبو محمد فطلب الماء فلم تعطه حتى ملأت جرّتها قبل ثم ملأت جرة العجوز ثم أعطته الماء ثالثاً فاستحسن حيث عملت بالعلم لأجل الصلاة فسألها هل لله مزرعة يا جارية قالت نعم، قال وهل له من يحرثها، قالت نعم، قال وهل له من يحصد ما نبت فيها وهل له مخازن، قالت نعم، قالت المزرعة الدنيا والحراثون الناس والحصاد الموت والمخازن الجنة والنار فخطبها إلى عمها فاجتمع رأي أهل المنزل أن لا تخرج من منزلهم ورجع الشيخ إلى الدعاء والرغبة إلى الله فأجاب الله دعاءه والجارية قالت لا أتزوج غيره فتزوجها لأنها قالت لا أتزوج إلا من أحب عمي وعمها قال لا أزوجها إلا من أرادت فأرادته وقال لها أبو محمد يوماً فإني سمعت من نظر إلى الفجر فله من الأجر كمن رمى بخمسين نبلة يوم بدر فقالت أنت راعيه ثم قالت له سمعت كمن رمى بسبعين قال الزيادة من عندك أبدأ زادك الله من أعمال البر وما نزلا عن فراشهما قط إلا وتحاللا لئلا يبقى على أحدهما من حقوق الزوجية شيء فنسيا مرة فتذكر بعد أن خرج وتذكرت فخرجت في أثره فألفته راجعاً فتحاللا ولما أراد أخرج ابنته لأبي زكار احتاجت إلى الشورى والشيخ زاهد في الدنيا وتحير فصار أمره خروجاً ودخولاً وكانت أم زعرور حزيمة للدنيا والآخرة. فأخرجت متاعاً كثيراً فكلما أخرجت شيئاً قال لنا فتقول نعم فيقول رزقك الله الجنة وسألتها امرأة من أهل أغرم اينان عن موسى بن جانا من بلدها أتاها وقال قد تزوجتك من وليك فصدقته فلما حملت أنكر فقالت لها بشس ما صنعت أنت وموسى ودعت ربها إن كان فعل هذا أن لا يخرج من الدنيا سالماً وأنت أم زعرور الشيخ وأخبرته وهو يتوضأ فقال بشس ما فعلا وأسأل الله أن يغفر ذنوبي وإن فعل موسى ذلك أن لا يخرج من الدنيا سالماً فما لبث إلا يسيراً فجاءه أمر الله

فمات وحضره الموت صار شبه ثعبان فخرج من إحدى ثقبه الأنف ويدخل في الأخرى حتى مات على تلك الحال فانتظروه أن ينقطع فأدخلوه في قبره كذلك نعوذ بالله من ذنوب عاقبتها البوار ولأبي محمد أربعة أولاد زعرور وأبو عبد الله عالم صالح قدوة وهو ابن ضارة أم زعرور توزين تلميذ أبي عبيدة البغطوري وموسى وفي السير خرج أبو عبد الله أفضل أهل زمانه وهو ابن المرأة السوء وتخلفت أم زعرور بعد أمه فأخذ متاع أمه فباعه لثلاثا تلبسه ضارتها وربما وقع بينه وبين أم زعرور كلام فيقول أقوم لثلاثا أكون رجلاً سوءاً وتكوني امرأة سوء ومن دعاء أم زعرور له ولولدها رزق الله زعروراً الخير تعني ولدها ورزق أبا عبد الله محمد الجنة وكان مساعداً لأبيه صغيراً وكبيراً فإذا أراد أن يأكل قال ادع أخاك زعروراً ليأكل فيدعوه خشية أن يصل الشيخ الدرك في ذلك من شأن العدالة وكان زعرور صالحاً، ومما أفتت به أنه ليس بيننا وبين مخالفينا أمر ولا نهى وفيمن حلف لامرأته بطلاقها أن تخبره بما أكلت من التمر وقد ألفت نوى ما أكلت في البحر وانعدم ولم تدر عدده أنه تخبره وتعدّ مما تيقنت أنه أقل عدداً مما أكلت حتى تتيقن أنه أكثر مما أكلت فتكون قد أخبرته بذلك العدد فيما أخبرت لأنها لا بد أن توافقه ومن عود نفسه صيام يوم معلوم فنسي أن يبيت الصيام من الليل إن له أن يجدد النية ولو بعدما أصبح ومن قال من النساء ولم تدر بحملها لغيرها اطلعي فوق ظهري فأسقطت أن لا شيء عليهما إذا لم يعلما بالحمل وسألتها امرأة من أهل اغرم اينان وهي تفلي لها القمل عن امرأة من أي وقت تحسب المرأة إذا رأت طهراً أو حيضاً قالت تحسب ذلك اليوم ولو بعد طلوع الشمس والمشايخ ما رأت بعد طلوعها لا تحسب ذلك اليوم وكذا في العدة وأجل البيع والإجارة وجميع الأحكام ولأبي عبد الله ولدان وراع يدعو الله ﷻ الجنة فغارت صنهاجه على

تغرمين فخرجوا إلى القتال وسأل الراعي الشيخ أنه جهاد فقال سبيل الله وابناه خرجا بثوبين جديدين فماتوا جميعاً فصبر فإذا سأل عن خبر موتهما يقول إذا انفتح الكيس ذهب ما فيه يعني الذكر يذهب الأجر وكشف السيل عن الراعي بعد زمان فوجد كما هو لم يغيره الزمان ولا المكان ولما مات أبو عبد الله وحملوه خرج طائران أبيضان فوق أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فلما دفنوه وقع أحدهما عند رأسه من القبر والآخر عند رجله وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

[أبو يالدس]

ومنهم أبو يالدس وكان ورعاً قوياً في دين الله وزاره المشايخ ورد وجهه إلى الحائط فقال له المشايخ أوصنا قال عليكم بالآثار عليكم بالآثار إلى ثلاث وهو تغرميني.

[أبو يعقوب]

ومنهم أبو يعقوب وكان واسطة العقد وإنسان العين علم علماً عمل به ولا تأخذه في الله لومة لائم في ذات ربه أرسل إليه أبو زكريا، والمشايخ من جادو فرجع الرسول فقال مشغول عن المجيء قال ابن جنون لمثل هؤلاء يمسك الزمان شيخ قال أبو محمد خصيب اسكت أبو يعقوب خير منك ومني ومن أهل الجبل وجمع أهل نفوسة ما لا يدارون به عن الجبل عامل المسودة ولم يجدوا من يحمله فحمله أبو يعقوب فلما دخل عليه قال بعض أهل مجلسه ما وجدوا من يرسلوا إلا هذا الوجه تحقيراً لأبي يعقوب فنظر إليه أبو يعقوب نظرة فرد بصره ثم ضربه الله بما شاء فانتفخ بطنه حتى أن القاعد عند رجله لا يرى القاعد عند رأسه فانشق فطار فرته إلى السقف يعني الخباء وأراد أبو زكريا أن يرجع

من جادو إلى تدمير فقال أبو يعقوب إن أمور الناس لم تنقض بعد فاشتكى بالقلة وأنه أراد أن يلتمس للعيال نفقة فقال الشيخ أبو يعقوب لأهل تغرمين بخبر الشيخ فجمعوا له خمسة وعشرين حملاً من طعام فحملوها له إلى منزله وتولى أبو يعقوب الحكومة وفي السير كان حاكماً ورعاً شديداً في الأمر والنهي وكتب إليه أبو الربيع كل نفسك بمكيال العلم وزنها بميزان الورع وخذ لها منها وخذ لما في يديك وتخاصم إليه رجلان فوجب على أحدهما اليمين قال خصمه حلفه لي فاشتغل عنه بحفر مواضع الغرس فكرر عليه واشتغل فغضب ثم رجع وقد انحلّ مع صاحبه فقال له الشيخ لو حلفته لحلف كاذباً وضاع مالك فشكر له غفلته وأتاه رجل بنميمة فقال فلان لا يقول هذا بل هو منك فقطع عن نفسه النمائ وامتنع سنة بعض الكبراء من أن يخرج منه الحق وأوكل أمره إلى الله فتتابع عليه المصائب فعلم من أين أوتي فألقى بنفسه إليه وطلبه أن يخرج منه الحق فأبى وقال قد وكلت الحق الذي فيك لمن هو أقوى مني وهو أشدّ بأساً وأشدّ تنكياً وقالت أم زيد لأم زعرور شيعيني أفيدك ثلاثاً قال أبو محمد شيعيها ولو ندفنك بادبيرن وهو اسم موضع وفيه مصلى أبي محمد الذي أبصرت أم زعرور خلف أبي محمد وهو يصلي فيه صفوفاً شبه رجال عليهم ثياب بيض فلما شيعتها قالت من شيع أخاه في الله كتبت له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ولا ينبغي للمسلم أن يبقى بغير صديق يفشي إليه سره ويشاركه معه همومه فإن لم يجده من الرجال اتخذه من النساء والعكس للنساء وإذا اتفق رجلان على نكاح ولية ثم رجع الخاطب أو المخطوب إليه من غير ألم بعدما فشا أمرهما فلا يلقي خيراً ولا يجد بركة.

[أبو عمران موسى الأندوموني]

ومنهم أبو عمران موسى الأندوموني التغرميني من الأذلة على المؤمنين الأعزة على المنافقين كان ورعاً لكنه غليظ على الفجار وصنع لهم رجل طعاماً فقال كلوا فالله الذي أخرجه من هذا الرجل السوء والرجل واقف فجعل لهم الزيت وأدخله رجل يطعمه فخرج لحاجة فشم رائحة الخمر فوجد الخوابي مملؤات فكسرها فخرج وتبعه صاحب البيت بعد أن رجع يريد أذاه فأعطاه دعوة سوء ومنعه الله من شره ووجد غنماً تحت زيتونة في الخط فأخذ يطردهن حتى أدركه العطش من شدة الحر فوقع صريعاً فسقاه صاحب الغنم وكان يتبعه بدلو من ماء فكثر خيره ونما ماله من هناك وبقيت تلك البركة في ذريته قال في السير إلى يومنا هذا ولقي أبا داؤد الدرفي في بعض الطرق فتنحى عن الطريق فتبعه حتى أدركه فسلم عليه ثم قال أخبرني بشيء من كرامات جدي قال له جدك يركب حمارته وتركب هذا الأحمر العينين جز من هناك وأجوز من بعدك يعني أنه يفارقه فاعتذر بتغير الزمان واختلاف الأحوال عما كانت عند جده وكانت عجوز باندمون قتل ولداها فقطعاً قطعاً فرزقها الله الصبر فجمعت أعضاء كل واحد منفردة وكفنتها بعد أن أعيأ الناس كيف يصنعون ومن كراماته أنه مسح بجرح ودعا فدمل وبرأ ويأتي خبره في التعريف بأبي زكريا.

[أبو حيان التمسiantي]

ومنهم أبو حيان من أهل تمسيانت ويسمى ضيف أم أبي محمد التغرميني وذكر في السير أنه بات عند أم أبي محمد وهو طفل إذ ذاك قال فحملت له الماء فوجدته يتمعك في التراب وهو يقول اليوم ثم اليوم اليوم يتزوّد من له في نفسه حاجة قولك سيكتب عملك سيرفع خيره لك

وشره عليك لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وحفظه أبو محمد مع صغره ويذكره لطلبته ويقول أخبركم بكلام ضيف أُمي ومن كلام أبي عبد الله بن أبي محمد من يعمل للآخرة يصب الدنيا والآخرة ومن يعمل للدنيا يصب الدنيا ومن يعمل للمروءة يقه الله مصارع السوء ومن يعمل لما يقال فلا يزن له عند الله ولو مثقال عنق الذرة.

[أبو محمد القنطاري]

ومنهم أبو محمد القنطاري كان مستجاب الدعاء وكان دأبه طاعة ربه ومصالح عباده قيل إنه يسير إلى جادو فيصلح طريق الجبل فإذا انتصف النهار ذهب إلى جادو والمسافة بينهما قرب أربعة وعشرين ميلاً أعني طريق جبل تالكيت يسوي ما صعب وتوعر منه فوصل مرة إلى منزل اصغوا فوجد سبعة من أوغادهم فقالوا لا نتركك تسير حتى تغني لنا وهم لا يعرفونه بل حتى ترقص فلما أيس من خيرهم وأنه لا بد مما طلبوا أن يفعلوه وأراد أن يدرك الصلاة في مسجد امسراتن والمسافة بعيدة فحرك رجله وهز منكبيه وضربوا له الكف ودعا عليهم على تجبرهم بكلام بالبربرية أن يعجل الله انتقامهم فجاز غير بعيد فوقع شر بينهم فقتل بعضهم بعضاً ولم ينجح واحد منهم في ساعته والموضع إلى يومنا معروف نعوذ بالله من سخطه، ومن كراماته أن أثر قدميه على صخرة وقوفه لأذانه بحيال مسجدهم إلى يومنا هذا قاله في السير ووقعت شدة وقحط فخرج أهل منزله إلى أفريقيا فخرج بناته معهم فسار ما شاء الله فنظر إلى ضعفه وضعف بناته وبعد السفر فرجع وقال أتكلم على الله وأرد الحاجة إليه وهو المطعم في موضعي وغيره وهو كلام بالبربرية فما بقي إلا يسيراً حتى أغاثه الله بالمطر وكان إذا أمسى أغاثهم الله بدود غزلان فتمتلىء عليهم الدار فيحلبن بناته حاجتهم ثم يخرجن فهكذا دأبهن

وتواترت الأمطار وخصبت البلاد وإذا اشتهد بناته لحماً اختار تيساً منها فيذبحه لهن فأنبت الله الزرع من غير بذر فوجد تسعين مودى شعيراً مما حصد من ريعه فحصد لأهل بلده مزارعهم وخزنه لهم فسمعوا بالخصب ورجعوا فأعطى لكل واحد منهم متاعه فكان منه بذره وطعامهم.

[أبو يحيى الأرذالي]

ومنهم أبو يحيى الأرذالي رحمه الله وزوجه أم الخطاب وسبب تزوجه لها أراد صرم العنب فأرسل إلى نصراني كان يقضي له حوائجه ليأكل العنب فأتاه وعياله وبناته وكنّ بدور الخدور فأبصرهن الشيخ فقال أعندكم هذا الجمال قال نعم، وإن جاز في دينكم زوجتك واحدة منهن، قال نعم. قال اختر فاختر أم الخطاب فلما دخل بها وكانت كاملة العقل قال لها اختاري الإسلام أو الرجوع إلى أهلك وكان الخروج عندهم عن الزوج حراماً يعني في دين النصارى واختارت الإسلام على الرجوع فاغتسلت وأسلمت فلما أصبحت أتتها أمها فقالت مرادي بقاؤك على دينك وإذا تركته فكوني أفضل أهل دينك فأخذت بقول أمها فثمرت عن ساق الاجتهاد فأثرت ما ينجيها يوم المعاد ووافقت الشيخ فسمعت مرة قراءة في دارها ثم سمعتها الليلة الثانية في البيت واللييلة الثالثة في أذنها قرأ لها سورة البقرة وآل عمران وأصبحت وقد حفظتهما فعرضتهما على الشيخ فاستحسنها فقال هذه ليس بقراءة أهل الأرض وجاز عليها أبو ميمون فلم يجدها فأخبرت فتبعته وقد لتت دقيماً بماء فلما اقتربت منه تنحنحت ففتحها إلى زيتونة بحيال قصر شماخ فأعطته ذلك فوجد فيه سبع قبضات فقال سبعة أشراف وسبع كذا وسبع نوب وسبع قبضات وسبع درجات فدعوا الله ربهما وتوادعا وافترقا فلما جن الليل فنامت فأتاها آت في المنام ففسّر لها قول أبي ميمون سبعة أشراف مشت إليه وسبع كذا

صعدت وسبع نوب لم يأكل فيها شيئاً وسبع قبضات وجد في الطعام وسبع درجات تعطى في الجنة.

[أبو القاسم موضين التغريسي]

ومنهم أبو القاسم موضين التغريسي وكان ذا كرامات ومن أعظمها إذا رفع إليه طعام فيه ريبة انغلق فاه ومثله في ذلك أبو داود كما يأتي فصانه الله بمنه من كل ريبة وزاره أبو موسى الدجي فسأله عن علامات آخر الزمان قال جاءتك يا ولدي قال هل أدركت شيئاً من الماضين قال مروا مروا وذكر بعض الساعين في الأرض فساداً أنه قال إعرف المؤمن بفرسي إذا أطلقته على أبي القاسم فلا يقربه ولا يدنو منه فلا أطيع الغارة عليه وروي عنه أنه يقع الحمام على رأسه.

[أبو يعقوب التدينتي]

ومنهم أبو يعقوب من أهل تدينت وكان فاضلاً ونعس من العياء على المحراث فأتاه آت فمسك شيئاً من ناصيته فقال قم يا يوسف اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ورأى رسول الله ﷺ في النوم ليلة تمام أربعمئة فقال له الليلة تمام أربعمئة فقلت نعم، قال من عرف الله فليته وروي عن أم زيد أنها رفعت من بيتها ليلاً وهي نائمة مع زوجها على الفراش فانفرج البيت حتى وصلوا بها إلى وزان مصلاها المعروف فقال بعضهم لبعض قد استقبلت فقال نعم فوضعوها قالوا من صلى في هذا الموضع ركعتين كمن صلاها بمكة وكانت حازمة فعقدت في الشجر الذي يليها عقداً لئلا يذهب عنها الموضع فردوها إلى بيتها وإلى فراشها فلما أصبحت ذهبت حتى وجدت علامتها فبنت هناك مصلاها المعروف وشاهدوا بركته وإجابة دعوته فيما

قيل والله أعلم ونابها دينار من الخفارة ولم تجد مخرجاً فذهبت إلى أخيها في الله أبي محمد التغرميني فاشتغلت عن العبادة فغار الأعرابي يومه ذلك في تمزدا فضرب فسقط ميتاً فأراح الله منه العجوز وعجن حارس التين لامرأة صالحة قفة تينها إذ امتنعت منه وقد راودها عن نفسها فشكته إلى ربها فنزلت عليه نار فأحرقتة .

[أبو الفضل الجرامي]

ومنهم أبو الفضل الجرامي بن الشيخ سهل وكلاهما فايق وفي ميدان العلم والعمل سابق سأل أبو الفضل عن القرآن فقال أعن الخالق أو عن المخلوق تسألوني فقال السلطان جوهرة في تليس وسئل أبوه عن إحدى سبع لا تكون الدنيا مع عدمها فتلا عليه من أول الشمس ونزل بعض أشياخ قومنا جادو وهو قوي في العلوم فقال له أبو الفضل بعد محاورة ما بيننا وبينكم كفاه المتقدمون ولكن أن أسأل بعض المعتزلة هل كلف الله الكافر الإيمان في حال كفره قال نعم، قال أبو الفضل هل كلفه ما لا يستطيع أو لا فيلزم على الأول الاستطاعة قبل الفعل وعلى الثاني تكليف المحال فحار ولم يجد جواباً واسمه أبو إسحاق فقال لأبي الفضل أوهمت السامعين أن عندك جواباً قال نعم، قال: كلفه ما لا يستطيع لا اشتغاله بالكفر لا لزمانة أو غيرها وكانت أم جلددين تزوجت شيخاً من أشياخ العلم وله بنات وكنّ يؤذنها يأخذن الدقيق ويرددن التربة البيضاء موضعه ويأخذن اللبن ويرددن الماء فإذا قال الشيخ لم يكون في لبنك الماء؟ فتقول كذلك قدر الله وتأخذ الدقيق فتجعله في آنية وتصب عليه الماء فترسب التربة وتأخذ الدقيق من فوق فضعت واصفرت من إذائهن ولم تخبر أباهن بشيء من ذلك ثم متن جميعاً فأراحها الله منهن وبقيت بغير ولد واستحيي الشيخ أن يتزوج عليها واستحيت منه أن يبقى

بغير ولد فرغبت إلى ربها فأجيب دعاؤها فسمع هاتفاً يبشرها فولدت أربعة ذكور متتابعين متّعها الله بهم زماناً ثم ماتوا جميعاً وزارها المشايخ فقالت بيتوا فإن لم تبيتوا إلا لتأكلوا فلا تبيتوا يا من يزيل الوحشة عمّن لا يعرفهم فإذا عرفهم زادوه وحشة واشتكت من الذنوب فقال لها الزواغي حب المسلمين يخرج العبد من الذنوب كما تكشف الشاة من جلدها وكما ينزع الشعر من الزيت وسألت ربها أن لا تموت حتى ترى أم زعرور وزيتون تغرمين وأن يصلي عليها أبو محمد إذا ماتت فقضى الله أن ارتحل أهلها للربيع حتى بلغوا تغرمين فمضت ابنتا ابنها إلى تغرمين يطحنان فصادفتا بيت أم زعرور فأخذتا في الطحن والعجوز مشغولة بالعبادة فقالتا فيما بينهما إن هذه العجوز مثل جدتنا فسمعتهما فسألتهما فأخبرتاهما عن أم جلدين فخرجت إليها زائرة فقالت لها أم زعرور ادعي الله فقالت بل ادعي أنتِ فإنني استحييت من ربي قد سألته ثلاثاً تعني أن ترى أم زعرور وترى زيتون تغرمين وأن يصلي عليها أبو محمد قالت أم زعرور ادعي أنا أم زعرور وهذه تغرمين فدعت الله فرجعت أم زعرور فأخبرت أبا محمد فخرج ليزورها فوجدها ماتت فصلّى عليها وكانت أم جلدين أول عمرها إذا سمعت صوت الدف تحرك قلبها فدعت الله فلم تسمع دفاً حتى ماتت وللعجائز بالجبل وغيره شأن عظيم.

[أبو عبد الله فضل]

ومنهم أبو عبد الله فضل مسكنه غربي مدينة القيروان وسط سوق الأحد حارة أبي محرز يخرج إلى المرج بالسبخة إلى إخوانه من هواره وزناتة كورة قريبة من سبعة منازل يتعلمون منه العلم في مساجد عدّة عامرة قال ابن سلام بن عمرو وهو عالم مفت بالقيروان يعني إذا رجع من التعليم قعد للفتيا ببلده بالقيروان.

[سعيد الحدائي]

ومنهم الإمام الشهير الفقيه الكبير سعيد الحدائي وكان فقيهاً عالمياً مفتياً بالقيروان وكان ذا مال وجاه قال ابن سلام بن عمرو من فقهاءنا بالقيروان رجل يسمى سعيد الحدائي وهو الذي رد مقالة عبد الله يزيد في الحجة قال أبو عمار قال سعيد الحدائي إن حجة رسول الله قامت على الناس وأحسنتم فولاه القضاء وولى بيت المال عبد الرحمن بن صواب النفوسي وولى الشرطة زكار لأنه ذو نصيحة وهيبة وإبراهيم بن مسكين لأنه ذو صلابة في الحق وقد كانت حروب فسدت بها البلد وفسد أهلها وأظهروا المنكر وكثر الفسق والزنى وشرب الخمر جهاراً فلما تولى الرجلان الشرطة قطعاً ذلك في أسرع وقت وأقرب زمان فكسروا الخوابي في كل دار عظم قدرها أو صغر وفر المفسدون إلى الجبال وشرذ الآشرون إلى الأطراف والأودية ونفياً قطاع الطرق وردعا السراق ردعاً شديداً وحملاً الناس على العدل والسييل ولم ينقم على أبي حاتم شيء إلا أنه ضرب مرة على الظنة لا غير وكانت له خطباء قال ابن الصغير وشهدت له خطباً كثيرة أولهم ابن أبي إدريس والثاني أحمد والثالث أبو العباس والرابع عثمان بن الصفار والخامس أحمد بن المنصور وكان الرستميون أهل علم وفصاحة وذكر عن الإمام أفلح أنه لم يعد خطبة قط لجمعة ولا لعيد أو لغيرهما وقد تقدم التعريف بهم من ذلك.

[أبو معروف ويار بن جواد]

ومنهم أبو معروف ويار بن جواد رحمهما الله قال أبو العباس ناهيك بأبي معروف في الآثار والمعروف والموصوف بدراسة العلوم المعروف قال وله في النوازل والأسئلة المعضلات أجوبة كاشفة أشكال المشكلات قال أبو العباس وأبو الربيع دخل رجل على أبي معروف في

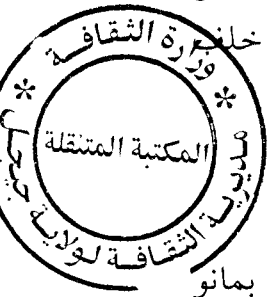
مرضه الذي مات فيه فسأله عن ستة نفر دخلوا على مريض ثلاثة رجال وثلاث نسوة فقالوا له اوصي فقال بماذا اوصي ومالي ورثتموه أسداساً لكل واحد سدس فأجاب بأنه رجل له أم وأختان لأم وثلاثة بنو عم فتزوج كل رجل امرأة فالمال بينهم أسداس واستمسك زوج عمه في نفقة ابنة عمه معها إلى أبي منصور الياس فقال أبو معروف اردد إلى ابنة عمي وهي كبيرة فقال أبو منصور لأن فعلت لأكلن بك فساق ويغو وأتى أبا معروف يتيم فشكاه بأن سيف أبيه في يد الطواف أعطاه له زوج أختي فأرسل الشيخ أبو معروف إلى الطواف فقال ساوم بنصيب الأخت من السيف ففعل فلم يجد من يشتريه وقيل اشترى جناناً وباعه ولم يره وعيب عليه ذلك وأهدى أمير القيروان سيفاً لأهل الجبل ومراده اختلاف رأيهم فاختلفوا فبعضهم أمر برده وهو أولى بريته وبعضهم قال ذلك عون له على باطله وقال بعضهم اكسروه وادفنوه وقال بعضهم امسكوه فإن عطايا الملوك جائزة ومن هؤلاء أبو معروف فأصيب ببصره قال ابن ماطوس الحمد لله الذي جعله له في دنياه ولم يجعله له في آخرته وبعث إلى الشيخ عبد الحميد الفزاني أن يرسل إليه دواء لعينه قال عجباً لهذا الشيخ أعطاه الله شفاء الذنوب فأراد ما يزيله قال أبو معروف حين بلغه قوله جعلني كالصبي أرضع لإيهامي فمراد الفزاني أجر المصيبة ومما تكتسب العين من الإثم ومراد أبي معروف ما يكسب من الخير بالبصر وكان يتجر فإذا وزن غيره زاد له خروبة وإذا أخذ نقص خروبة فأوصى بعشرين ديناراً لحوطة الميزان ودخلت المشايخ على أمه لتوصي فقالت فيما أكثر الوصية قالوا في الكفارة فأوصت بثلاثمائة كفارة فأنفذها أبو معروف عنها ورمى رجل طائراً فوقعت برجل قتله فاخصمها لأبي معروف فأخذ القاتل منهم فقال أولياؤه لم يعتمد فقال اصبروا وإلاّ دفعته ليقتل وأنتم تنظرون وقال خصماؤهم ادفعه لنا لأنه قاتل ولينا ظلماً فقال اصبروا وإلاّ

تركته ولا تجدون إليه سبيلاً وحكم بينهم بالدية وإنما قال لهم ذلك لأن في المسألة اختلافاً وسرقت بغلته فوجدت بمصر فأخذ المشايخ له خليفة فاستمسك بمن هي عنده وشهد له من حضر فحكم له بها ومن عادته إذا جاز على أغصان الأشجار التي زادت حتى منعت السابلة فيكسرهما ويرمي بها إلى بستان صاحبها وكان يوماً يعمل عملاً في جنانه لا بساً سراويل لا غير فدخل عليه تلميذه أبو مسور فلما رآه كذلك أخرجه إلى الخطة فقال تبت فأراد لومه بعد ذلك قال ليس لك ذلك بعد التوبة وهذا منهم رحمهم الله من إحياء السير والورع والحذر وجاز يوماً وتلاميذه على فدان فيه أشجار التين البغطوري فأدخل الشيخ الطلبة فأكلوا بالدلالة فالتقى بصاحب الفدان فأخبره ليسرّه بذلك فقال قد صادفتم وقت جنايتها فأمر أبو معروف فأوقروا بغلته تيناً وأرسل بها إلى البغطوري فأمر خادمه أن يصبها في داره.

[ماطوس بن هارون]

ومنهم ماطوس بن هارون وماطوس بن ماطوس وكلاهما قد سبق في ميدان العلم والعمل وشمر عن ساق الجد وحسر عن ساعد الاجتهاد وتجنب الكسل وكان ابن هارون ذا بنات واحتاج لما ينوبهن فأرسل معه عامل اليتيمة ثلاثمائة دينار إلى أبي منصور فأتاه فقال له عليها وأنه محتاج إليها ولا يعطيها له فأساغها له ودخل داره جار له يسوي في المطر الماء فقال له ليس لك عندي ماء وجاز على تدمير فأشلى عليه سفهاؤها الكلاب ونزل إلى بلده شروس ودخل بيته وعليه ثوب جديد وجعل يتقلب من شدة الغيظ وهو يقول لو كان لجهنم بابان أدخل من أحدهما وأخرج من الآخر لشفيت غيظي ولم يعلم أحداً خشية الفتنة بين القبائل حتى تقطع القميص من كثرة التقلب ورأى رؤيا أنه لبس جبة من

قصب فعبرت بأنه يموت شهيداً فاستشهد بمانو ﷺ وهو ممّن شد في الخروج إليه لأجل رؤياه فضرب بها وخرج أمعاه فمسكها بيده وقاتل بالأخرى حتى استشهد وقال له بعض أصحابه حين ضرب إلى هذا توصلونا قال هذا الذي نتمناه زماناً وهو خير من الرجوع إلى الاغتسال بالماء البارد بالأسحار ووقعت فتنة بين شروس وتندميرت فخرج الماطوسان من شروس خشية ما يلحقهما من الإثم فقال يوماً ابن هارون لابن ماطوس أين تريد أن ينهدم الحائط لقال لا أبالي أين وقع لسلامة قلبه وقال ابن هارون وأنا كذلك وإذا كان لا بد فلينهدم إليهم وكان ابن ماطوس اختصّ بكمال الصبر وكثرة الكرامات وإجابة الدعاء وهو من الاثني عشر المشهورين بإجابة الدعاء ومن صبره أنه ابتلي بامرأة سوء وكان يوماً يحدث امرأته فألقت على عمامته رماداً وما زاد إلا الحمد والشكر وأخذت يوماً ابنه وضربت به الحائط فخرج دماغه وما فعل إلا الصبر وإذا قيل له طلقها قال لا أريد أن يبتلي بها أحد غيري ومن أعلى كراماته أنه إذا كان يسير بالليل من المسجد وأراد دخول بيته سبقه عمود من النور بين يديه ومدحه رجل بذلك فقال الشيطان يرفع إلى حيث يمكنه من خلع ثيبي الشفافة وأمام فنسأل الله العصمة منه وكانت امرأته تقول له سبقك جنك.



[شبيبة الدجى النفوسي]

ومنهم شبيبة الدجى النفوسي وتقدم أن أبا القاسم قال فقدت بمانو ثلاثمائة متولياً ولا شبيبة في دجى وميال في اتلجام وجنا في تنزغت وهو صاحب اللواء في وقعة مانو فقال أفلح بن العباس أثبت البند في الأرض يا شبيبة فأبى ثم أعاد عليه فقال مسكته عند أبيك وجدك ولم يأمرأ بذلك سآحفر له حفر الله لك فلما أثبت البند في الأرض انصرف أفلح وترك المسلمين يقعون حوله خشية أن يولوا الدبر واللواء قائم فصصره بعض

أهل البصائر فانهزم الباقون ولم يكره موت المشايخ لأنهم أكرهوه على الخروج ومسجد دجى له .

[جنا التنزعتي]

وأما جنا التنزعتي وهو أخ لأبي القاسم من الرضاعة كان في التقى والزهد والشهرة في الخير بمكان وكفاك ذكر أبي القاسم له في الثلاثة الذين خصص من الألوف ومن الثلاثمائة الذين هم في ولايته وله بنات مشهورات في طرق الخير حتى قيل فيهن بنات جانا في الإسلام في جبل نفوسة كالغرايب البيض .

وكذا ميال أيضاً والثلاثة غاية في العبادة والشجاعة والتقوى واستشهدوا جميعاً بمانو وتقدم أن المشايخ حين دخلوا على أبي القاسم زائرين قالت لهم إحدى بنات جانا ما قالت وجمعوا ما جمعوا وجعلوه بيدها تنفقه على عمها سرّاً لعلمهم بأنها غاية في ذلك وكفى التنبيه على القاضي عبد الله والخازن عبد الرحمن وعلى الخطباء عن إعادة التعريف بهم ثانياً وفي أيام يوسف كانت وقعة مانو التي فل بها حد سيف نفوسة على يد أفلح ابن العباس وذلك أن نفوسة بلغت في العلم والتقوى والعدل والورع مبلغاً عظيماً يكاد أن يكون حاكبه كاذباً وهابهم من بالمشرق والمغرب ولذا قال الإمام عبد الوهاب رحمه الله إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاته وقد تقدم هذا وكان إبراهيم بن أحمد من بني الأغلب والي بني العباس على أفريقيا وكان ظالماً جائراً فقدم طرابلس ولعله أفسد فاجتمع رأي أكثر نفوسة على ملاقاته فأبى لهم أميرهم أفلح ابن العباس وسعد بن يونس عامل قنطرة ومعبد الجنائني وعزم من رغب في الجهاد وإظهار المعروف ودين الله لتكون كلمة الله هي العليا، قال ابن الرقيق وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين تحرك إبراهيم بن أحمد

يريد محاربة ابن طولون وأمر بالحشد فلما اجتمع له ما يريد خرج من تونس لعشر خلون من المحرم فأقام برقادة إلى سبع بقين من صفر ثم خرج بجمع من معه فاعترضه أهل نفوسة في جمع عظيم وذلك في النصف من ربيع الأول فكان بينهم قتال عظيم فقتل من جنده جماعة من الرؤساء وغيرهم ثم انهزم أهل نفوسة وكان في أيام المعتضد فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً وتطارح منهم في البحر بشر كثير وقتلهم فيه حتى غلبت حمرة الدم على الماء قال أبو زكريا قال بعضهم لبعض دعوا هذا الرجل ولا تتعرضوا له بشيء فأبى جمهور الناس منهم سعيد بن أبي يونس حتى قال بعضهم اشتقت شداخ قنطرة لم ترد الموت في سبيل الله قال خفت على البقرة فيتبعها عجلها يعني بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطرة فكان الأمر كما ظن وتقدم كراهة معبد لذلك في التعريف به وكراهة أفلح فلاقوه بقصر مانو على ساحل البحر فاقتتلوا قتالاً لم ير مثله في ذلك الزمان فبارز رجل من المخالفين يريد من يقابله فكل من خرج إليه قتل فخرج إليه أفلح بنفسه واشتد القتال فأمر أفلح شبيبة الدجي صاحب البند أن يثبت في الأرض فأبى ثم أمره ثانياً فأبى فقال لم يأمرني أبوك ولا جدك بإثباته والحفر له سأحفر له حفر الله لك وكان أفلح قد أضمر للأشياخ إيجاس سوء لأنهم أكرهوه إلى الخروج فلما حفر للبند انصرف وتركهم وبقي أهل البصائر لأنه لا يجوز لهم أن يولوا الأدبار والبند قائم فصرعه بعض أهل الخير فمات اثنا عشر ألفاً ومن العلماء أربعمائة وحمل منهم أسرى ثمانين عالماً وفيها مات أبو ميمون وعمروس وماطوس وشبيبة وجانا وميال ومعبد وغيرهم من الأشياخ وكانت في الإسلام فلة لم تترقع إلى يومنا هذا وتقدم أن عمروساً حمى الناس على فرس سابق فجعل له حبال فعثر فرسه فأسروه فقالوا إرجع عن الذي كنت عليه نطلقك واستعف نعف عنك فقال تلك كلمة لا أقولها حتى ألحق

بالله وكان يقرض بمقاريض الحديد من يديه حتى بلغوا به المرفق فمات شهيداً حميداً رحمة الله عليه وجزاز عدو الله إلى طرابلس وفيها ابن عمه فقتله وأراد الزيادة فتفرّق عنه جمعه ورجع إلى إفريقية وفي سنة أربع وثمانين أخرج ابنه العباس إلى حَيَز نفوسة في شهر رجب فقتل من وجد في الأطراف واستباح النساء وحمل ثلاثين أسيراً قتلهم إبراهيم بعد أن قدموا عليه وأوتي بنفر من أهل نفوسة فأمر بقتلهم وقدم رجل منهم وكان أحسنهم منظراً فقال أظنك معلم القوم وإمامهم قال لست كذلك قال ما تقول فيّ قال ما عسى أن أقول فاسق ظالم سفاك لدماء المسلمين أبعدك الله فاستشاط إبراهيم غيظاً فقال والله لأقتلنك قتلة لم أقتل بها أحداً من أصحابك قال إن كان الأمر لك ستفعل ما قلت فزاده حنقاً فقال ومن يمنعك منّي فأذن المؤذن فقام فصلّى بأصحابه فألقى الله في قلبه أن يطلقه فتركه ليعلم أن الأمر لله لا له عدو الله واستأصل من قدر عليه من قنطرة فصَحّ ما ذكر لهم سعد بن أبي يونس ثم فعل بأهل نفزاة كذلك في المرتين وذكر أبو زكريا أن الصفيين لما افترقا بمانو حدث غير واحد من أصحابنا أن رجلاً من عسكر الفاسق لما جنه الليل أقبل ليحمل أخاه من المعركة فيدفعه نظر بعد أن حمل أخاه على بغل له شبه سلوقي في القتلى فسمعه يقول كبروا يا أهل الجنة فكبرت نفوسة ومن معها ثم قال انبحوا يا كلاب النار فنبحت قتلى المسودة فنبح أخوه من بين يديه على سرج الدابة فألقاه إلى الأرض فهرب وتقدّمت حكاية الذي صلب أبا يحيى طالب الحق وما رأى له من البراهين وكذا صالب عروة بن أديّة وبراهين قتلى مكة مع أبي حمزة المختار ووقعة مانو بعد وقعة ابن نور أحمد بأهل عمان وقد خرج عليهم من البحرين عام ثمانين ومائتين وكان عاملاً للمعتضد وخليفة أهل عمان عزان بن تميم قال المسعودي إمامهم يومئذ الصلت بن مالك والصحيح أن الصلت عمر إماماً لم يعمره غيره

بعمان من الأئمة فلما كبر عزل من غير جرحه واغتنم ذلك موسى بن موسى وبائع لراشد بن النظر إماماً وفي الناس بقية فاحتالوا حتى عزلوه وباعوا عزاناً وخرج عليهم أحمد بن بور وقتل عزاناً وخلقاً كثيراً حمل رؤوس بعضهم إلى بغداد فابتلى الله المعتضد بأن أظهر له شخصاً في داره بالليل تارة بحربة فيطعن بعض غلمانه فيقتله وتارة تاجراً فجمع الأطباء والمنجمين والمعزمين وأصحاب الخواص فما صنعوا شيئاً وكذلك ابتلى الله ابن الأغلب واستحال طبعه وغلب عليه سوء المزاج فتغير عقله وساءت حالته وأسرف في قتل أصحابه وأولاده وبناته وكتابه وحجابه وانهمك في الشر وسقط له منديل من يد بعض جواريه فأصابه خادم فقتله وقتل بسببه ثلاثمائة خادم وقتل ابنه المكنى بأبي الأغلب صبراً بين يديه وقتل ثمانية إخوة صبراً كانوا من رجاله وقتل يوماً ست عشرة بنتاً قال ابن الرقيق وأتى بأمور لم يأت بها أحد قبله ولم يتقدمه إلى مثلها ملك واتخذ الأحداث حتى جمع أربعاً وستين حدثاً وجعل لكل واحد منهم فراشاً ومرقداً وملحفاً وبلغه عن بعضهم أمر فقتلهم جميعاً منهم من ضرب بعمود من حديد فطار دماغه وكان يحرق منهم كل يوم خمسة أو ستة حتى أتى على آخرهم وأدخل بعضهم الحمام فسدّ عليهم وماتوا من حينهم وقتل ندماء وطبيبه وقتل كتابه وحجابه وسجن بعض كتابه واستعطفه على نفسه وفي جملة أن الملوك إذا ما استرحموا رحموا فأجابه أن الملوك إذا ما استرحموا قتلوا فقتله وألجأه وابل المطر إلى مسجد قرية فسقط بعضه وخشي من سقوط الباقي عليه وعلى أصحابه فخرجوا ووقفوا في المطر فأبصرهم فتى فأنزلهم وأحسن بما قدر وبات بأحسن مبات وكان زمان التين فأدخلهم بستاناً له وأطعمهم ما أرادوا فأمر به فضرب ضرباً وجيعاً وكانت له عبيد صقالبة فرمى ببعضهم من أعلى القصر وبعضهم أدخلهم بيتاً وبنى عليهم ليموتوا جوعاً فوجدوا في

البيت سيفاً فقتلهم واحد منهم ثم قتل نفسه وحزن لذلك إذ لم يموتوا جوعاً وقتل صاحب الديوان وشريكه لا لأمر عظيم بأن قطع يدي أحدهما ورجليه وحمل رأسه إلى صاحبه فقال له إن لك خدمة وقديم صحبة وأقتلك قتلة مريحة قال ما خنت لك عهداً منذ توليت وأمر بضرب عنقه وقتل ابنه أبا عقال إذ قال لأخيه إن أبي زال عقله وقتل جواريه وبناته فمنهن من خنق ومنهن من بنى عليها حتى ماتت جوعاً وله أفعال غير هذا واضطرب أمره ثم أظهر التوبة وأراد الحج ثم رجع غازياً إلى صقلية فمات بها طريداً ملعوناً ولم تبق أيامهم بعد ذلك إلا قليلاً حتى أباد ملكهم وأهلكهم وأزال الأمر من أيديهم وفي ذلك عام ستة وتسعين ومائتين وجعل الله سبب وهن شوكتهم أن إبراهيم قتل رجاله خصوصاً من برقادة فنازلهم بنفسه وحاربهم وبارزهم فلم يقدر لهم على شيء ثم أظهر أنه عفا عنهم ثم خلع عليهم ثم اجتمع عنده نحو ألف منهم فأحاط بهم وقتلوا عن أنفسهم قتالاً شديداً ثم قتلهم جميعاً وقتل غلمان الصقالبة ثم اشترى العبيد السودان مكانهم فبلغت عدّتهم مائة ألف وقتل وزيره أحمد بن أبي إسحاق وكاتبه رجاء بن محمد فدمرهم الله وأوهن شوكتهم وسلط عليهم كتامة مع بني عبيد الله .

[أبو بكر بن يوسف النفوسي]

ومنهم أبو بكر بن يوسف النفوسي وكان عالماً فقيهاً مستجاب الدعاء قال أبو زكريا ذكر لإبراهيم بن أحمد أن من علماء الأباضية أبا بكر بن يوسف فوجه إليه من أخذه فطلبهم أن يصلي ركعتين ففعلوا فدعا ربه أني مظلوم فبعث الله ريحاً وظلمة فحالت بينهم وبين الشيخ وكان مكفوف البصر فأخذ ابنه بيده فنجاه الله مما مكروا .

[ابن يكوب]

ومنهم ابن يكوب وكان عالماً قال أبو زكريا أخذه إبراهيم بن أحمد في ثمانين عالماً فحملهم إلى القيروان وكان مقطوع العرقوب فاستأذن أصحابه في الهروب فأذنوا له فهرب فنجاه الله من شره وقتل سائر أصحابه ومنهم داود بن ياجر بن ياجر بن رأيت بخط بعضهم ياكرب بالكاف قال أبو العباس هما شيخا نسك وزهد واجتهاد في العبادة وجد وقد ذكر أنهما خرجا سنة من السنين إلى البادية في أوان الربيع وكانا متوافقين مترافقين فلما عزموا على الافتراق أو قبل أن يفترقا قال ياكرب يا داود أوصني قال لا تستنج بيمينك ولا تنزل أهلك إلا في موضع الذراء والسترة ولا تسكن أزواجك في بيت واحد وتقدم أنه حضر مجلس القضاء هو وماطوس عند عمرو بن عمرو عند التعريف به.

[أبو عمر ميمون بن محمد]

ومنهم ميمون بن محمد أبو عمر وأبو الفضل سهل وكلاهما في الفضل والتوفيق فايق وفي ميدان الرضا والعدل سابق وبالحكمة وفنون العلم ناطق أما أبو عمر فكان حاكماً وشديداً في الأمر والنهي وفي السير سمع بمجلس الخمر في الفحص على ستة أميال من شروس وشروس أم قرى نفوسة وجادو مدينتهم فكسر آيتهم وأراق شرابهم وفيها جاز عليه ركب التكرور قدم من بلاد السودان فجمعوا له أربعمئة دينار فأبى من أخذها وأمر بإغلاق الأسواق والبروز إلى التكرور من أجل الانتفاع بالبيع والشراء فطلب التكرور رؤية أبي عمر لما سمعوا عنه من العدل ودلوا عليه فسلموا وكان مع أبي الربيع سليمان بن هارون فلما ملأ أعينهم وأفئدتهم علماً وأدباً وحياء وأبى من أخذ المال تورعاً سألوا عن اسمه لاشتهاره بالكنية فقبل ميمون قالوا ميمون أي طابق اللفظ المعنى

وناسب وكان ميمون الناصية على نفوسة مدة ولايته وأنه رجع يوماً من جادو فسمع بجيش عظيم للمسودة على الطريق وأراد السير معه لأنه محجة الأوائل وطريق الأشياخ ولم يرد أن يخالفها فلما نام أصحابه قصد غار تكيت فبات فيه يعبد ربه ويرغب إليه فلما أصبح أتاه خبر انصرافهم فسار مع طريق الماضين ومن عادتهم أنهم لا يخالفون طريق السلف ولو في المشي فلاقى يوماً أبا سليمان التندميميرتي فنزل عن فرسه إجلالاً له فقال ابنه من هذا يا أبتى قال أو ما تعرفه هذا الذي أنزل الحمل عن ظهره فحملته وما زال حتى طرحه عن ظهره فلاموه فقال عسى من الله توبة نصوح قبل موتي ولو بسنة أو بشهر أو بجمعة أو بيوم ولو بساعة ولو عند الغرغرة وضعف حين كان في الأمور حتى لم يطق الصلاة واقفاً للهرم فلما ترك الأمور قوي واشتدّ قال كأنما حط عني حمل وحبس جانياً في بيته مغلولاً فقام أبو عمر بليل فتوضاً للصلاة ففك الجاني وثاقه وأخذ سكيناً فضرب أبا عمر وجرحه فقام إليه ونزع من يده السكين وشدوا وثاقه ولم ينتصف لنفسه وكان الحاكم إذ ذاك غيره فلما أصبح حملة المشايخ إلى الحاكم قال الحاكم كدت أن تعمي الإسلام يا عدو الله وروي أنه إذا أراد أن يحكم أخذ يرتعد كالسعفة وإذا قال الخصم أعطني حقي جعل يبكي خوفاً من الميل عن الحق.

[أبو الفضل سهل]

وأما أبو الفضل سهل لما تولى أدرك الناس في ذل من المسودة وزناة والعرب وواحد من أولئك يقدم على عشرة من نفوسة لما ملأوا قلوبهم من الرعب فلم يبرح حتى عكسها وصار النفوسي يقدم على عشرة من أهل البادية ورفع الجور عن نفوسة وخرج مرة إلى طلب زناة ونزل الأبراج فلما قرب من العدو ضرب خيمته فدخلها يرغب إلى ربه وأرعى

أطناها فانتشب الحرب فهزم الله زناته وشتتهم ووقع فساد بمدينة غدامس وهي على سبع أو ثمانى مراحل من نفوسة وخرج إليهم يصلح فسادهم فاتفق رأي المشايخ في رده فلما بلغه الرسل أبصروا رايات أو أعلاماً فوق رأسه وعلموا أن ذلك برهان من الله فتركوه ولم يردوه فلما بلغ غدامس ناصبوه وقاتلوه فهزمهم الله وأزال الحدث وأصلح الفساد.

[أبو صالح الدركلي النفوسي]

ومنهم أبو صالح الدركلي النفوسي وكان من أهل الخير والعلم والاجتهاد أخذ العلم من معدنه أبي خليل وأفاد به أهله واشتهر عنه أنه وجد امرأة على الماء تسمى العافية وحملت قرية على خادم وحاذرت ثيابها مما يقطر خشية ما يصل ثوب الخادم فرخص لها ولو نجس ثوب الخادم وزادها أن تربط الجديان والخرفان وبلل الجدي يوم ولادته ولبن امرأة حلبت في ليلة مطيرة شاة وقت ولادتها في جملة الغنم وغبار البيت النجس والكس والماء الذي يطير من البئر يغرف منه ماء السنة والماء السائل حول البئر ليس شيء منها ينجس وكذا الطين المعجون بالماء النجس إذا جفّ وأن الوضوء لا ينتقض ممّن سلك دمنة الغنم ليلة المطر وقال اختلفت أنا وفقهاء الجبل في مسائل تمام العدة ابتداء الاغتسال من الحيضة الثالثة قالوا تمامها تمام الغسل وإذا أبطأت عنها الحيضة الثالثة فلا تنقض عدّتها حتى ترى الحيضة الثالثة وقلت تتربص عاماً ثم تتزوج وإن من أجبر على نفقة زوجته يقال له أنفق وإن طلق انحلت وقلت أقول له أنفق أو طلق.

[سليمان بن ماطوس الشروسي وآخرون]

ومنهم أبو يحيى سليمان بن ماطوس الشروسي النفوسي وأبو

هارون الجلالمي موسى بن يونس النفوسي وأبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي ثلاثتهم أضأوا الأرض شرقاً ومغرباً بعد ما أشرفت شمس العدل والدين على الأفول بمصيبة مانو فانتعش بهم الدين وأحيا الله بهم قلوب الجاهلين كانوا بدوراً بين الفراقد وكلهم مطلباً للناشد وفي السير أن ابن ماطوس حاكماً على شروس فحرضه أبو هارون الجلالمي صنوه في التقى وقرينه في العلم على تأثير الحق فقال إن لم تقدر على الغائية فأت ما دونها وضرب له مثلاً فقال ابن ماطوس أجرك الله إنما حسبت أن لم أقدر على الكل تركت الكل وشاع علمه وفتياه في البلدان شرقاً ومغرباً وذكر أبو زكريا يحيى الجناوني عن أبي محمد ورسفلاس عن أبيه عن أبي يحيى الفرستائي أنه قال اجتمعت مع بعض العلماء بناحية زويلة فقال إن فتوى ابن ماطوس كلها حسنة إلا أنه لا يرى الشفعة لیتيم ولا لغائب قال أبو يحيى فلما قدمت آتيت ابن ماطوس فأخبرته فقال قل له ذلك تعطيل الحقوق يا جاهل قال أبو العباس وغيره إن أبا صالح وأبا موسى ومن معهم من التلامذة أقاموا عند ابن ماطوس ما شاء الله يقرؤون العلم ثم انتقلوا إلى أفريقيا إلى سلام ليك منها فدرسوا فيه الكتب زماناً ثم رجعوا يعرضون على ابن ماطوس ويصححون ما قرأوا في تلك المدة فالتقوا ببيكر بن أبي بكر بنفزاوة وصحبهم فساروا إلى وقت صلاة الظهر فسألهم رجل صحبتهم ولم يخرج من أميال بلده أيصلي تماماً أم قصراً قال الجميع تمام إلا بكر قال إن نويت السفر فصلّ قصراً ومروا بامرأة تغسل صوف شاة ميتة قال الجميع لا تطهر بالغسل بل حتى تترب في سبعة مواضع بسبعة أقضية ثم تغسل بعد فقال بكر اغسلي صوفك كما تغسلين غيره ومن تيمم ويده نجسة فقد طهرت ونجس التراب وقال بعدم نجاسة التراب قالوا أين ذهب النجس قال ذهب بين الضربات فلما بلغوا الشيخ أعلموه بالمسائل وقول بكر فيها قال لهم الفرستائي عالم يعني

بكرأ وصححو في ستة أشهر جميع ما قرأوا من شدة اجتهدهم قال أبو العباس هذه بمناقب بكر أشبه وأنكر على بعض من يرد عليه لما بلغه أن بعض يأخذون الصدقات ثم يردون منها عن من أخذها منه وأنكر ذلك وقال ذلك مما لا يرضاه الله تعالى وقدم رجل ليلاً من أهل بلده وأراد الخروج ليلاً فصنعت له امرأته طعاماً وكانت حزيمة فأحضرت لطعام ابن ماطوس فحملت من وطء زوجها فقليل فيها فقالت من زوجي قدم ليلاً وعند ابن ماطوس الخبر الصحيح فأتته فذكرت له فأنسى فذرت فلم يتذكر فرجعت مقهورة فإذا جنها الليل أخذت في الدعاء وتقول يا ملائكة السحر ذكروا ابن ماطوس فقام ذات ليلة ليصلي فتذكر فلما أصبح أمر بضرب الطبل فلما اجتمع الناس أخبرهم بصدقها ومجيء زوجها لها ليلاً قال البغطوري إن ابن ماطوس قد أتى بعد أبي القاسم وبورك في علمه فبلغت فتواه شرقاً ومغرباً وهو أحد فروع مانو.

[أبو هارون الجالامي]

وأما أبو هارون الجالامي فقال البغطوري جذور مانو أبو القاسم وعبد الله بن الخير وفروعه أبو هارون الجالامي وابن ماطوس وأبو زكريا يحيى بن يونس الفرستائي ومن يتأماه أبو يحيى زكريا الفرستائي قال وقال الشيخ أبو محمد بن محمد إن أبا هارون كان يتعلم عند أبي القاسم ثلاثين سنة الأصول والحجة والمناظرة ويقول إن الفقه علم العجائز وتعلقت به العلوم مما أعطاه الله من الفهم قال قال فيه ابن ماطوس لو علم الناس ما ينفعهم لازدحموا عند باب داره كما يزدحمون عند باب دار أبي عبيدة بالبصرة وكان حزيناً لديناه وأخراه وهو أفضل من تعلم عند أبي القاسم وكان غراساً للشجر وذكر أنه يحيا من أشجار التين ثلاثمائة مدياً وأظن أنه مائة وخمسون وسقاً والمودى بحوزتنا نحو

ثلثي الوسق وكان من القادة في الدين يطعم مائة لعياله ومن يأمنه ومائة للأضياف وأبناء السبيل ومائة لتلامذته ومن يتعلم وكان في ابتدائه يعمل شغله في ربه إلى العشية فيمضي إلى الشيخ أبي القاسم يتعلم ثم يدرس ثم يرجع مصباحاً شغله وذلك دأبه وأخذ العلم منه جماعة كبيرة وفي السير قال أبو القاسم البغطوري يحيي الله الدين بهذين ابن يونس وابن يونس لا سيما هذا يعني أبا هارون فخرجما مما تفرس، وكان واسع الدنيا تاجر أسفار جمع مالاً أنفقه في الطاعة وأكثر من شراء الربع وضاف عنده الشيخ عبد الله بن الخير بالجزيرة حين حصروا بها ف وقعت صيحة على شأن غارة فخرج أبو هارون ثم رجع يسأل الشيخ كيف يفعلون إن أدركوا أحداً فقال إن قتلوا الأنفس وحازوا الأموال خاصة فاقصدوا أموالكم فإن حالوا بينكم وبينها فقاتلوهم وضيع رجل زكاة غنمه سنيماً فحمل زاده يتعلم مسألته والتقى مع الشيخ ولم يعرفه فأخبره بقصته ولماذا جاء إليه فأجابه عمّا سأل بأن يعطى عمّا في يده وكان أكثر مما عنده قبل على جميع السنين الماضية فرجع وقال صدق الناس العالم كالحوض من جاء استقى وكان عنده أجير دمري استعمل الورع ويجعل ثوب صلاته في المزود فاطمأنت نفس الشيخ إليه ثم سرق بقرة الشيخ وفي السير قال له ابن زرقون ما رأيت مثلك يا موسى أو خيراً منك.

[ابن زرقون]

وأما ابن زرقون فقال أبو زكريا كان قادة أي إماماً يقتدى به وهو من نفوسة تاديوت وبها مولده ومسكنه قال أبو زكريا وحدثني بعض أصحابنا أنه أدرك ديوانه وكتبه بقرية تاديوت وقد بلغ من العلوم ما لم يبلغه كثير وتعلم هو وأبو يزيد بسجلماسة وكانوا يومئذ من أهل الدعوة وأستاذهم ابن الجمع وكان من مشايخ المسلمين أقبل من المشرق تاجراً

غزير العلم فنزل توزر فخدمه أبو الربيع فاخبره في أمور كثيرة فالفاه حاذقاً فاستخبر يوماً تمام تنبيهه وتوقّد نفسه فقال له إنك فطين ولم يظهر الياء وأوراه أنه فطين ففهم ما أراد فأجابه بأنه غير منزلق فنام يوماً فغطاه قال الزيت خير مورياً بجزيت خيراً فأجابه بأنه يصلح للخبز فانتقل إلى سجلماسة وانتقل معه ومكث معه سنين فتعلم عنده فنون العلم فحضره الموت هناك وأوصى بكتبه لأبي الربيع ورجع إلى قسطلية واشتھر في العلوم واضطربت قسطلية كلها من أجله واختلف أهل سجلماسة بعدما خرج من عندهم في مسألة كادوا يقتتلون عليها فاتفق رأيهم على أن يرسلوا أميين إلى أبي الربيع فيعملوا بما يجيبهم به فأدركه الرسولان فأجابهم فأخذوا بما قال واصطلحوا وبات ليلة وضل هو وأبو يزيد بعض أهل الدعوة فلم يحسنوا قراهما ومرّ ببعض النكار وأحسنوا إنزالهما وذلك سبب هلاك أبي يزيد فقال لأبي الربيع ألا ترى ما بين الطائفتين فهل لك في الرجوع إلى مذهبهم فقال أبو الربيع أأخلد إلى الأرض لهوأي فرجع أبو يزيد نكاريّاً وهم فرقة من الأباضية اتبعوا في الكلام عبد الله يزيد ويأخذون في الفقه بقول ابن عبد العزيز وأبي المؤرج وحاتم بن منصور وشعيب وخلافهم إنكار إمامة عبد الوهاب وقد تقدم الكلام عليهم هناك، ودخل مرة إلى أفريقيا فوجدها تغيّرت واستولت مشايخ النكار عليهم فأصلح ذلك أجمع وردها إلى الحق ودخل مرة نحضا فيه سبعة أسرة لكل شيخ من مستاوة سرير يجلس عليه فقال له واحد منهم ها هنا يا أبا الربيع فقصدته فلما تمكن من الاستواء عثر فوقع على المستاوي ولكزه بمرفقه حتى كاد أن يكسره قال كدت أن أكسرك ثم ناظروه فغلبهم وحضر غداءهم فخرجوا وانتقلوا من غير أكل وتبعهم في أحياء أفريقيا حتى نفى جميع من يميل إلى مذهبهم وأصلح البلاد ﷺ وتوجّه إلى الجبل وكان أبو القاسم يوالي نفاثاً قبل إحداثه ما أحدث ولم

تقم عليه عنده بيّنة يقطع بها عسره فيتبرأ منه وبقي على حاله قال لهم أبو الربيع شيخكم يوالي نفائاً وأنتم توالون شيخكم فكلكم نفائيون وسألته امرأة عن البراءة من مستاوة قال كلهم في البراءة ومستاوة هم النكار وقد تقدم الكلام على نفاث ومخالفته للإمام أفلح وطلب خرقة إلى العجوز يرقع بها ثوبه فأعطته فقالت إنها بخسة فقطع منها طرفاً وقال خذي بخسك ورقع بالباقي وطلب مرة ماءً فأعطته عجوز فقالت اشرب قليلاً فاستوعب ما في الإناء قالت ألم أقل لك إشرب قليلاً قال إنما شربت قليلاً تأول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾. ورأى تبرجاً بنساء قصطالية فقال ما أكثر إماء أهل هذا البلد فحسبهن على غير الحرائر وعيب عليه الفتيا بالرخص فقال بيني وبينكم النسيان ووطىء برحله شيئاً رطباً فقال ما أكثر طعام أهل هذا البلد ثم وجد طعاماً ومَرَّ على غدير ماء في فصل الشتاء ومعه عالمان آخران متقيان وكان وقت صلاة فلم يتوضأ خشية الضرر من البرد وغسل أحد الآخرين يديه وتوضأ الآخر فأخذه شدة البرد فوقع فلفه صاحبه في ثيابه وحمله وقال له تهون على نفسك أن تتيمم لصلاة واحدة فتيمم الآن لصلوات. قال أبو العباس أرى أبا الربيع أفقه الثلاثة في المسألة وسيأتي تمام أخباره مع أبي الخطاب وغيره.

[أبو الخطاب]

ومنهم أبو الخطاب وسيل ابن سنتين الزواغي رحمه الله تعالى قال أبو العباس مذكور في من أفنى بدنه في العبادة وماله في الصدقة موسوم بسيمة الصلاح وسمته معدود في ديوان علماء وقته لا بطيئاً في السباق ولا قاصراً عن اللحاق وجاز ابن زرقون على ريصو فوجد بها أربع فرق من الأباضية مستاوة أتباع عبد الله بن يزيد والخلفية أتباع خلف بن السمح والنفاثية أتباع نفاث بن نصر وأهل الدعوة وذلك في أيام أبي

الخطاب وسئل فأمر القضاء والأحكام لأبي الخطاب والفتيا للنكار وهم مستأوف وإمامة رمضان للخلفية والأذان للنفاثية ووقف أبو الربيع على حلقتهم والنكاري يفتي فألقى لمن يليه مسألة يسأل عنها ولعلمهم لا يعرفونه فسأل المفتي فتعجب من ترتيب السؤال وحسنه ولم يطق جوابه فقال أبو الربيع أجب الرجل قال النكاري أجبه أنت ولعله ظن أن السؤال أعطال فأجابه أبو الربيع فزاده أسئلة أجاب فيها من غير توقف فرجع السؤال إليه وسقط النكاري ثم إن بعض أهل الدعوة سأل عن النكار والخلفية والنفاثية وهم حضور قال كفار فنظر بعضهم إلى بعض ففترقوا وأبو الخطاب غائب وأخبر بما وقع وأنه عجل على القوم فقال أبو الخطاب كلا إنه فصل لكم دينكم وعاتب على أبي الخطاب نفوسة الجبل وعاتبوه في استفتائه النكاري والتزامه الأمر ليقظان وتخريمه الأرامل واليتامى للظلمة وتقديمه خلفياً فلما بلغه بكى وقال الحمد لله الذي جعل لي إخواناً يعاتبوني على ما بلغهم مني من التقصير قبل يوم القيامة فأجابهم بأني لا أحكم بما به يفتى وإنما أحكم بعلمي والتزامي الأمر ليقظان إنما التزمته احتساباً لله لا ليقظان وأمر اليتامى والأرامل أن يداروا عن أنفسهم ولم أقدم خلفياً إنما أصلي فريضتي ثم أقول له أتصلي وقال أبو زكريا فيما بلغه عن بعض أهل القيروان والله أعلم إن كان من أهل الدعوة ومن غيرهم كان عنده من العلم أن من بنى مسجداً في ناصروت فهو مسلم عند الله فخرج إلى الموضع ليبنى فيه المسجد فوجد أبا الخطاب بناء وهو مسجده المعروف وأتاه رجل لا يعرفه فقال لي عليك دينار قال لا أعرفك فألح في الطلب فأعطاه ما طلب خشية الخصومة وسأله بعض أغنياء بني يهراسن أن يعطي زكاته أخاه فقيراً قال ادعه فدعاه فقال تب إلى الله فتأب قال اعطه زكاتك قال للآخذ ألبسناك ثوباً وهو لباس التقوى فإن تعرّيت منه فلا قتلك إلاّ الجوع فنزعه بعد

فبقي أثر الفقر في ذريته وأخذت فيه دعوة الشيخ وقالت امرأة من ذرية أبي الخطاب المعافري حين مات أبو الخطاب مات الحق وبقيتم يا زواغة بطون كالأخرجة وعمائم كالأبرقة ونعال سلجماسية وأحكام متعوجة .

[أبو أيوب]

ومنهم أبو أيوب صنو أبي الخطاب في التقى وإجابة الدعاء والعلم والسخاء خرج هو وأبو الخطاب يوماً في بعض حاجتهما فأدركهما الليل فأبصرا ليلة القدر فاجتهد أبو الخطاب في الدعاء لأمر آخرته وأبو أيوب يدعو أن يصيب دنيا سبباً للجنة فأنكر عليه أبو الخطاب أن هذا مقام عظيم أتعرض فيه للدنيا فقال أبو أيوب إن لم أصب بها الجنة فلا رزقيها الله ومسكنهما ريصو وبسط الله الرزق والدنيا على أبي أيوب وقيل إذا جمع زرعه للدرس رآه من بجربة وأطلق يده للنفقة للوارد والصادر ونزلت به غير ليمتاروا ففتح لهم مطمورة فلما اكتالوا قال لابنه أنزل وانظر ما فعلت المطمورة قال له قمحها قمح الجنة فتصدق بما فيها وابتدأ بأهل العير وأتته نفوسة الجبل في سنة شديدة القحط فرأى على وجوههم لباس الجوع فأنزلهم وأنفق عليهم مما أعطاه الله وكان يذبح لهم كبشاً غداء وعشاء كبشاً شهراً وما يمولهم من الطعام فسمعوا برخص الطعام بجربة فأرادوها ليمتاروا فمنعهم وكان الرسول بينهم أبا مسور وأطلق دواب الأشياخ في الأندر تأكل قالوا كيف يصنع بالزكاة فلما حضر الكيل أخرج العاشر والتاسع والثامن والسابع والسادس للزكاة وذلك النصف فامتاروا جميعاً من زكاته وكان معهم أبو يعقوب الدمري ومعه ابنه وقال اجعلوا للصبي سهماً قالوا إن كان متول لك قال يبيت عندي الليلة يريد يختبره فلما أصبح قال توليته وخرج في جماعة يريدون

زيارة الجبل فينما هم في السير إذ أبصروا شخصاً ظنوه عدواً ونزلوا عن دوابهم من البغال فتعلقوا بالوعر فكمنوا بالوعر فلما جنَّهم الليل وتيقنوا أن يبيتوا تلك الليلة طاوين قال عندي ألف قفيز من طعام وما يلوته زيتاً وأنا أبيت بغير عشاء خيار ما يدّخر المرء التقى وكان الشبح عيراً فعلقوا دواب الشيوخ فساقوها .

[أبو محمد الدرفي]

ومنهم أبو محمد الدرفي قال أبو العباس اسمه ملي وفي كتاب السير اسمه زيد بن فصيت فإما أن يكون ملي لقباً وإما شيخ آخر اسمه ملي قال أبو العباس هو ممّن يعزى إلى الورع والصلاح وممّن ضرب في الدراسة بالقдах وأديرت عليه من راح المذاكرة أقдах وذكر أن رجلاً دعاه إلى طعام فذاكره بشهادة له فقال إرفع طعامك لأن لك عليّ شهادة فقال كل وأشهدك أنني تركت لغريمي مالي عليه من حق بشهادتك فانصرف وأحضر أبو محمد قمحاً صالحاً واستدعى الرجل المذكور فقال خذ الطعام واصرفه فيمن ترى محتاجاً واحتاط بذلك لما أتلف بسببه من الطعام وتقدم مثلها لأبي الشعثاء الزنتوتي وبعضهم يكتبه بالسين وللشيخ ابن إبراهيم مثلها كما سيأتي وفي السير كان عالماً زاهداً في الدنيا وكان حاكماً على أهل جادوا وركب حمارته ذات يوم فبركت فأخذ يصفق نعليه عند أذنيها وذهب أصحابه ولم تقم فقال بعض أصحابه ما أظن إلاّ حمارته بركت فرجع فضربها فقامت والورع منع الشيخ من ضربها وإن نصر بن أكبت مقدم فساطو أقدم على الشيخ وهناك معتق صالح اسمه نصر قدم أيضاً فقال الشيخ للمعتق إرجع يا أبا حبيب هنا فظن ابن أكبت يريد أن يرضي موضع مستوٍ يا شيخ قال لم أعنك وإنما أعني المعتق وما أنت فارجع في الجحيم قال استحق المعتق ما فعلت به يا شيخ ووقعت

فتنة فإذا جاز على جماعة فساطو قال لم اجتمعتم يا جماعة سوء وكان مقدمهم ابن أكبت يحذرهم من أن يجيبه أحد فأجابه يوماً أخوه ليستقيم لك المشي ولحمارتك قال الشيخ لا يستقيم مشي ومشي حمارتي إلا بك عسى الله أن يقتلك ويصطلحوا قال ابن أكبت لأخيه احذر أهل زمر من الشيخ فوقعت لي فيك يا بن أخي فكان الأمر كذلك فقتلوه واصطلحوا وازداد عند ابنه أبي يحيى يوسف ولد قال أخذنا في التوسع وسمّوه سليمان لعله يسلم من دهره وقيل عنه يجتنبه الخصماء خوفاً من عقوقه وارتآه مسكين وهو يأكل شواء اشتراه فأعطاه ما يشتري به شواء وقال إنما اشتريت هذا لآكله لنفسي وكان ابنه أبو يحيى لا يصلي فزار أبا محمد شيخ من تميمجار فقال له أبو محمد بت عندي يا شيخ فقال لا أفعل وابنك لا يصلي فانصرف فجعل أبو محمد حبلاً في عنق ولده وحمله إلى السجن وقال ما وجد لي عيب إلا أنك لا تصلي فاختر إما الصلاة أو دوام السجن أو تركب جملاً ولا أراك أبداً فاختر الصلاة فأخذ يرأي بها زماناً ثم تاب ورجع إلى الله بقلبه فأحسن وضوءه وأقبل إلى المسجد وجاز على أترابه كان إذا جاز عليهم قبل قالوا على وجه الهزء به هذا فلان أراد أن يصلي فما قالوا شيئاً يومهم استحياء منه حين أقبل فأراه الله عبرة التوبة من ساعته فهابوه وألبسه الله ثوب الوقار وغشي عليه في مرضه الذي مات فيه وهو بدار بني أبي عبد الله بسوق جادو فحملوه يبتغون منزله حتى بلغوا ماطس فأفاق فقال أين تريدون بي قالوا منزلك، قال ردوني وجدتموني في الجهاد وموضع الرباط فحملتموني فردوه ومات بدار بني أبي عبد الله ودفن قبلة الدار فلما جنّ الليل قال الشيخ أبو زكريا اللالوتي فخرجت لأرى قبر الشيخ فلما قربت رأيت صفوفاً من الرجال مصطفة حول القبر بيض الثياب.

[أبو يحيى]

وأما ابنه أبو يحيى فأخذ العلم من أبي محمد الكباوي وكان من أعلم أهل زمانه واستفتى أبو محمد الدرقي أبا محمد الكباوي في المرأة إذ فادت زوجها وقام من موضعه فقبل فرخص الأفداء وفي من حلف لامرأته أن لا تعطي مفتاح الجب فأرتها لمن حملها وقالت لا أعطيها لك إلاّ حنث وفيمن حلف لزوجها أن يأكل بالزيت وتأكل بغير زيت وهو مختلط فرخص إذا أكل من موضع تأخر فيه المغرف حين الأثراد وكان زمانهم قليل الزيت ويجعلون الزيت على المغرف وكان أبو يحيى متفنناً في العلوم وعارفاً بالنجوم وتولى بعد أبيه حكومة جادو وتخاصم إليه اثنان أحدهما سرق زيتون الآخر فأبى أن يقرّ قال أبو يحيى قم خذه من موضع كذا وكان مطيعاً لوالده قال ما يشق عليّ شيء أكثر من أن يقول أطعمني لحماً لذيذاً فأبادر بنفسي فأذبح شاة وأسلخها وأهيئها بنفسي، وفي السير أن أبا محمد الآخرة دون الدنيا وأبو يحيى يوسف بن أبي محمد الدنيا والآخرة وسليمان أبو داود بن أبي يحيى الدنيا دون الآخرة قال أبو يحيى أخذت العلم بالقصعة وفرقته بالأقداح يشير إلى كثرة فهمه وقلة فهم غيره وقطع قاطع على امرأة عفيفة من أرجمان فحملت منه فشاورت عجوزاً في أمرها فقالت اقعدي عند الحبس حتى إذا رأيت من خرج إلى حاجة الإنسان فتواري عن المنزل فتعلقي به ففعلت فخرج أبو يحيى حتى إذا دار من الشعبة خلف أبي طين فتعلقت به فقال إذا ولدت فقولِي هو لفلان فولدت صبية فقالت هي لفلان فأرسل إليها بجميع ما يحتاج إليه مثلها ف وقعت البركة في أرزاقهم من هناك.

[أبو داود سليمان]

وأما أبو داود سليمان وأبو عبد الله محمد بن أبي يحيى فكانا حاكمين في أهل زمرور قال أبو محمد يحب نفوسة ويبغض جماعة منهم

وابنه أبو يحيى يحب الجميع وأبو داود بعكس جده وكان أبو محمد إذا قام من مجلس القضاء أكل ما حضر وأبو يحيى يأكل ما خبزوا وربما استطرف وأبو داود يأكل اللحم والقمح وتمر فزان في أكثر أوقاته وكانت أيام أبي داود مباركة على نفوسة بدعوة الشيخ رحمته الله وقالوا ما جازت أيام أبو داود على نفوسة قط، وفي أيام أبي يحيى هدم قصر أدرف استحشد له مجدول بن يوسف الطريسي ألف فارس من زناتة وأخذ العلم عن يحيى بشر كثير منهم أبو يوسف وجدليش بن فيّ وأبو سهل وغيرهم.

[يعقوب بن سيلوس الطرفي]

ومنهم أبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي رحمه الله تعالى قال أبو العباس العالم الفقيه الفاطن النبيه اليقظان الذكي ذو الجهادين الأكبر والأصغر والاجتهادين المصلى والدفتري الورع الزكي وكانت قراءته على الأئمة بتاهرت وقال له ابنه أوصني فقال ما أراك تقبل يا بن الردية فتردد في ذلك ثلاثة أيام فلما رأى جده قال لا يكن ندبك الناس إلى الخير أوكد من ندبك نفسك ولا يكن غيرك أسبق إلى الحرث منك وكن للناس كالميزاب وكالسيل للأدران وكالسمار للماء، وقصده رجل من دمر في مجاعة يطلب ما يتبلغ به قال له عرفني بأرخص ما في السوق فأعلمه برخص الجمال فأقرضه الشيخ أربعة وعشرين ديناراً من وديعة فاشترى ثلاثة جمال فأحسن رعيها ومرعاها فحسنت حالها فأمره ببيع أحدها فباعه بأربعة وعشرين ديناراً فجاء صاحب الوديعة فردّها له الشيخ فباع الثاني فاشترى به ما حمل على الثالث فرجع إلى أهله على أحسن حال والشيخ لم يتسلّف إلّا بإذن صاحبها فتلك عادة وكان قاضياً ولا يمنعه القضاء من فعل أشغاله لقوة ذكائه وقلة كبره وهو النهاية في الفتيا بوارجلان وله مصلى معروف بإجابة الدعاء.

[أبو سهل الفارسي]

ومنهم أبو سهل الفارسي رحمته الله قال أبو العباس غلبت عليه هذه العزوة الفارسية وليس بفارسي وإنما هو نفوسي ولا شك أن أمه رستمية من بيت الإمامة فغلب نسبها عليه واشتهر وقيل بل هو رستمي أباً وأماً وأن أباه بعض ولد ميمون بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليهم قال أبو العباس الغالب من أحواله إهمال الدمع والتلهف على فائت ليس له رجوع فجعل هجيره مراثي الدين وأهله والبكاء عليه بوابل الدمع وطله فدونت الدواوين من كلامه قال وعن أبي زكريا يحيى بن أبي بكر أن رجلاً من العرب من موالي لواتة قنطار يسمى سعيداً طلع إلى البادية فانتهى إلى موضع أبي سهل بمرسا الخرز وقيل بمرسا الدجاج بجزائر بني مزغنان قال فأكرمه وسأله عن أهل الدعوة فدون لهم اثني عشر كتاباً وعظاً وتذكيراً وتخويفاً نظماً بلغة البربر وكان يحسنها إذ هو ترجمان الإمام أفلح والإمام يوسف وفيه جمل من تواريخ أهل الدعوة فاختلس النكار شطرها فاحترق الباقي حين أخذت قلعة بني درجين ولم يبق إلا ما حفظ من ذلك فجمع ما تحصل في الصدور فكان أربعة وعشرين باباً وقبره بالموضع المذكور يزار وربما قال القائل انطلقوا بنا إلى قبر النادب دينه .

[أبو محمد جمال المزاتي]

ومنهم أبو محمد جمال المزاتي المدوني رحمته الله قال أبو العباس هو بقية الأسلاف المثلى في سيرهم حين التلاف أقام المرفض إذا أراد أن ينقضي قال وهو من السباق في العلم والعمل والندى وقارض في أيامه رجل رجلاً فبينما هو في تجارته إذ ورد تفسير هود بن محكم فاشتره لنفسه لكن من مال القراض قال لصاحب المال لك رأس مالك عندي

وقال صاحب المال الكتاب لي ولك نصيبك من الربح فتعصب قوم كل واحد له فأتى أبو محمد ففتح الكتاب فإذا في وسطه ورقتان غير مكتوبتين فقسمه بينهما نصفين وقال من أراد نسخ النصف الآخر فليفعل وقيل الناسخ تفرس أنه يقسم فيبيض موضع القطع فاصطلحوا ووقعت مجاعة وفي جوار أبي محمد رجل أضر الجوع عياله وله إبل ولم يتركه الشح المطاع أن ينحر منها ناقة فقام الشيخ إلى خيارها فنحرها للعيال بغير إذن فلما أصبحوا غارت عليهم غارة أكسحت إبل الرجل فلولا الله بلطفه ألهم الشيخ لماتوا جوعاً قتل فتبلغوا بشحم تلك الناقة ولحمها وسدوا فاقتهم تلك السنة الشديدة وخرج عامل الظلمة إلى قبيلة وهم أهل مواشي وقال كلما بت ضاعفت عليكم الطلب فلم يكثرثوا بقوله حماقة وخرقاً لا قدرة وعزاً فقال أبو محمد للعامل أمنعهم من أن يسرحوا مواشيهم حتى يعطوك ففعل وفعلوا فطعن الجهال في فعله بأنه عون للظلمة على الظلم فقال إذ بلغت مقالتهم على العالم أن ينظر للجاهل ويدله على ما فيه سلامة دينه ودنياه وكان يصلي بجماعة أكثرها أهل خلاف ممن يرى القنوت وكان يقنت بأي القرآن وقيل الفاعل لذلك فتوح وتوجه مشايخ أفريقيا إلى طرابلس واتفقوا أنهم لا يتكلمون إلا بقول واحد في المسألة فدخلوا جربة فحضر شيوخها مجلساً جمعهم فوق الكلام على الثياب التي صنعت مما أنبت الأرض فقال الجميع لا تطهر إلا بالغسل إذا نجست وقال أبو محمد تطهر بما به تطهر الأرض فنبهه بعض أصحابه على ما وقع من الاتفاق فأبى من الرجوع وكان أبو مسور حاضراً فقال العالم مثل الأجلد إذا حلق ضرب قال أبو العباس إنما نبه بعض أصحابه وأعلمه بأن اتفاهم هو الصواب وصحبه إلى الحج الشيخان مطكداسن وعبد الله بن الأمير ومعه اثنا عشر جملاً فدعا يوماً

الشيخ مطكدا سن يعينه على ارتحالها قال ليس ذلك من شأني قال وما شأنك إذا قال الدواة والقلم وحسبك أني كتبت أحد عشر كتاباً في عشرة أيام فلما بلغوا مدين رأى أبو محمد رجلاً يطفف الكيل فلطمه قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين فرفع المضروب رأسه فقال فينا والله نزلت يا مغربي وإنما نبهه أبو محمد بالآية لذلك لما قضوا مناسكهم ورجعوا إلى بلادهم جاء لتهنئتهم الشيوخ فقال الشيخ عبد الله بن مانوج للشيخ عبد الله بن الأمير لعلك أصبت في سفرك بشيء قال قد سلمني الله وعافاني قال ابن مانوج أود لو احتسبت بشيء تصاب به فأصبح له أحد عشر جملاً موتى أراد ابن مانوج قولاً له ﷺ «من يرد الله به خيراً يصب منه» وقصد أن يوفر الله أجره.

[فتوح بن أبي حاجب الوسلاتي]

ومنهم الشيخ فتوح بن أبي حاجب الوسلاتي المراتي وذكر عنه أن مخالفاً طعن في دين الوهبة بمسمع منه فغضب وقال ليس ها هنا أحد من أولاد المشومات فسمعه جماعة من شباب مزاتة وفتاكهم ممن يغضب لغضبه فتسوروا ليلاً على الرجل داره وخنقوه حتى مات فرموا به في الزقاق وذلك ببعض قرى الزاب فلما أصبح ونظره الناس ولم يجدوا به جرحاً قالوا والله ما قتله إلا الملائكة ثم مرّ الفاعلون بالشيخ بعد عام فقالوا يا شيخ هل هنا أحد من أولاد المشومات أو لا؟ يذكرونه فعلتهم فأثنى عليهم وشكر فعلهم وآذاه ذئب في بحيرة فقوص فدعا عليه فأصبح فيها ميتاً وسرق له فقوص فجعله السارق في زق ماء حملة على ظهره فلما توسط مجمع الناس وقع وانقطع السقاء ففضحه الله وهي بعد امرأة سرقته مراراً فلما تمادت دعا عليها.

[سحنون بن أيوب]

ومنهم سحنون بن أيوب هو في العلوم آية وأما في الكلام فغاية اغتراف من بحر علمه جماعة واقتبس من نور هداه قوم قادة منهم أبو القاسم وأبو خزر وغيرهما ممن يكثرون عددهم قال أبو العباس فقيه أوانه وعميد مكانه وكان من الأئمة الثقات علقت عنه الفتاوى والمسائل في كثير من النوازل وله آثار محفوظة في جهة طرابلس.

[أبو عامر السدراتي]

ومنهم أبو عامر السدراتي وكان عالماً ورعاً زاهداً عاملاً وفي السير أراد شروس فأوصته أم سحنون ليقضي لها حوائجها فقال: لا تكلي إليّ حوائجك فإن الدنيا عندي لا تساوي جناح ذباب فقالت أظن أن ليس لنا عمل يوزن عند الله فقال مسكينة ظنت أن الأعمال توزن وإنما توزن القلوب، وقدم مرة من الصحراء حتى بلغ رأس الجبل فقال له ابنه أحملك أم أحمل أمي قال: إحمل أمك فحمل أمه على ظهره إلى منزله فوجد أبا عامر سبقهما وهو قبل ذلك لا يقدر على المشي وبعث حماره مرة إلى أفريقيا يمتار الزيت فأصيب العير التي رافقته فأخبر فقال حماري سالم إلى ليلة من الليالي فقال قوموا حطوا عن الحمار حملة فإذا به على الباب واقف، ونام مرة في غاره فسمع نداء عليه فخرج فلم يجد أحداً فرجع فوجد صخرة وقعت من سقف الغار في مكانه ولولا مَنْ وفضل الله لكانت القاضية وكان أبو عامر يبعث حماره إلى الجبل يرعى فيقول عند الرواح اذهبوا إلى موضع كذا فأتوا به مرة قال أذهبوا إلى موضع كذا فأتوا ببردعته قد مات بل قد أكله الضبع وبعض بنيه يخالط أهل زناتة في البيع والشراء فجعل وليمة وأبوه أمر بتجنب طعامه فكره أن يأكل الناس ولا يأكل أبوه فاصطاد ظبياً فقدموه له عند الإفطار فقبل له من عند ابنك قال نحوه ما جاء من يونس فهو مؤنس فأرسلها مثلاً.

[أبو ويسجمين]

ومنهم الشيخ التقي الأفضل الحاكم الأعدل أبو ويسجمين من أهل تاغرويت وفي السير أن أبا عامر السدراتي أرسل ابنه أبا حسان إلى الشيخ أبي ويسجمين أن يدعو الله له أن يرزقه الجنة فإني سمعت عنه أنه يخرج الحق كما أنزله الله وذلك أنه بلغه أنه استمسك رجل بآخر عنده أنه خوِّفه فأقرّ الآخر بذلك فأخرج الشيخ حزمة السياط قدماه ثم اشتغل بوظائف الصلاة فلما صلى أمره أن يتزّر فتقدم وأخذ سوطاً من تلك السياط فهزّه كهيئة من يعرض للضرب فتركه وأخذ غيره حتى أتى على الحزمة فقال له تبت قال له تبت يا شيخ لا أعود فقال المدّعي أعطني منه حقي قال خوفاً فخوفته فسار أبو حسان بوصية أبيه أبي عامر فأخبره فقال فما نحن حتى نطلب الجنة لأبي عامر تحقيراً لنفسه وهضماً لها عن مراتب الكمال ثم دعا له فأعطاه تمرات قال بلغها لأبيك يفطر عليها وقل له يدعو لي بالجنة ويات أبو حسان في رجوعه بالصحراء لبعد المكان فلما بلغ أباه وأخبره بالخبر قال أين بتّ قال في الفحص قال على ما أفطرت قال على بقلة الزباح قال الشيخ لو أنك أكلت التمرات لم تفلح أبداً وسمعه رجل يقول رب لم كان مالي مثل مال النصراني لا تصيبه الآفات ثم جاءه بعد ذلك وهو مسرور فقال له إنك تفرح لي مات لي سبع من الإبل جيفاً.

[أبو حسان بن أبي عامر]

ومنهم أبو حسان بن أبي عامر المتقدم قيل ينسبان إلى عاصم السدراتي ودخل على الأشياخ بتلات فوقعت بينهم مباحثة في مسألة خطأوه فيها قالوا تب إلى الله من قولك وفيهم أبو عيسى الدرفي وكان أبو يحيى الفرسطائي ساكناً ونصرته عجوز ثم تكلم أبو يحيى فقال لأبي

حسان تب إلى الله فتاب فقال أبو عيسى للعجوز التي قوت قوله هل توليت أبا حسان قالت نعم، قال: هل تدعين له بالجنة، قالت نعم. قال هل تدعين أن يشاركك معه في المنزل في الجنة قالت نعم. قال توبي إلى الله ليس للعبد أن يدعو بالمشاركة إلا مع المعصوم. قالت من تكن يا فتى كي أنسب إليك ديني قال قد امتلأت من دين ابن أبي عامر وحضر أبو حسان مجلس أبي سارون الجلامي في شروس فسأله فيمن عظم في الصلاة واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فأجابه بأن الثلاثة هي السنة وفي الأربع والاثنتين قولان والنقض في الواحدة والخمسة وسأله في الذي أخر يديه عن ركبته في السجود وقدمهما على رأسه أو وسطهما أو ساواهما بالرأس فأجابه النقص في التقديم والتأخير والخلاف في المساواة والمعمول التوسط فقال ما تقول في جالب الخدم ففسرني واحدة فأنت بأولاد سود مثل الزيتون قال يلزمونه فضحك بعض من حضر فغضب أبو حسان وقام وقال الضحك في المجالس فانتهر أبو هارون الضاحك ولما حضرته الوفاة أوصى بثمانين ديناراً قالوا لماذا قال للنار السوداء وكانت العجوز تبر كانت جدة الشيوخ من عباد الله الصالحين وإليها هربت البنت الصالحة البصيرة حين ظهر حملها وقصتها أنها من أهل تاغرويت وكانت عمياء فغلبت على نفسها فحملت وخافت من أخيها فهربت حتى أتت العجوز فولدت عندها غلاماً فاحتال أخوها حتى رأى العجوز ليلة اشتغلت ببعض ما يهمها فدخل فوجدها تطحن فذبحها فخرج فدخلت العجوز فوجدتها مذبوحة وولدها يرضعها فدفنوها فرآها بعض الصالحين في الليلة المقبلة في المنام قالت له قل لأخي ما ترجمته بالعربية فليضرب ذو الفعل سوء وجدت منازل بنيت باللولؤ وهو شعر له وزن بلغة البرابر واسم ولدها وزال عاش فتعلم القرآن والعلم وصار شيخاً إماماً وقدوة وعلماً يهتدى به وولد له ولد سماه عيسى قال

الشيخ أبو محمد الشيخ عيسى والشيخ أبو الربيع اليوجلاني ليس عندهما من كلام الدنيا شيء إلا الاشتغال بطاعة الله تعالى حتى لحقا بالله تعالى وتاغرويت مدينة قريبة من لالت تحتها وجلاء أهلها زناته واجتمع فيها في أيام أبي ويسجيمان سبعون شيخاً أصحاب القلنسوات وأكثر أهلها ذهبوا إلى وارجلان وكان رجل من أهل لالت قوياً في دين الله وجعل الناس يوكلونه على إنفاذ وصاياهم وكان لا يتربص ولا ينتظر في إنفاذها ويأتيه أهل تاغرويت فيعطيههم فإذا قال أحد منهم عيالي كذا صدقه وإذا قال وصاني فلان أن آخذ له وعياله كذا صدقه وأعطاه على ذلك الحساب.

[أبو أحمد ومحمد بن بصير]

ومنهم التقيان الورعان العاملان الذائبان في طاعة الرحمن ومعصية الشيطان أبو أحمد ومحمد بن بصير اللالوتيان النفوسيان وفي السير أعاد أبو أحمد صلاة سنة في ليلة واحدة وذكر لأم زورغ ذلك أيضاً وهذا الشيخ بورك فيه وله فضائل قالوا ما دخلنا على محمد بن بصير قط إلا أوصانا أن نحفظ من الشيطان بأربع فإذا فعلتم تركتموه كالخاية التي لا عرى لها عند الرغبة والشهوة وعند الغضب والرهبة.

[يحيى بن سفيان اللالوتي]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي النفوسي وكان من المعمرين وكان حاكماً عادلاً وعالماً فاضلاً وفي السير سافر إلى الحج ومرّ في طريقه برجل يسقي الماء ويسألهم عن أسمائهم فاستسقاها فسقاها وسأله عن اسمه قال يحيى بن سفيان فانصرف الساقى فقيل له لم تركت السقي قال رأيت في المنام أني أسقي رجلاً من أهل الجنة اسمه يحيى

بن سفيان وظفرت به واصطحب مع قوم من المخالفين وكان هو الذي يصلي بهم جميعاً وكان يحصد الزرع فاحتاج إلى ما يحمل عليه فأتاه جاره بجمله يحمل عليه فأبى له وانتهره ثم بعد موت الشيخ حصد ابنه في ذلك المكان فاحتاج أيضاً إلى ما يحمل عليه فأتى جاره يطلب جملة قال له أردت أن أحمل شبكتي ثم أحمل أنت بعدي فغضب ابن الشيخ حيث لم يؤثر بالتقديم فقال صاحب الجمل إن ذا لمن العجب الشيخ يغضب علينا إذ آثرناه على أنفسنا وابنه يهددنا إذ لم نؤثره وأتاه أبو الربيع يتعلم عنده فأخذ يفتي بالرخص في مجلسه قال أبو الربيع هذا كثير قال أبو زكريا إن لم ترد فقم فقام أبو الربيع فقال أبو زكريا للتلامذة ردوه إن لم يفهم هو فلا يفهم غيره فوجدوه راجعاً قد بدا له وحضر مع المشايخ يضربون رجلين خففوا على أحدهما وثقلوا على الآخر فقال خففتم على هذا غلظ الله عليه شددتم على الآخر خفف الله عليه فكر الضرب على الذين خففوا عليه فمات وكان نفوسياً وسلم الله الآخر وأنزل الأشياخ رجلاً من أهل تارديت في السجن فأراد أهله إخراجه من غير رضا المشايخ قال أبو زكريا اتركوه يخرج لا نفعهم الله به فلم ينتفع به أهله بل أخذت الدعوة في الجميع فرأى بعد ذلك غلاماً عليه ثياب حسنة وبرنوس أحمر وهو على فرس فقال من والد هذا قالوا من أهل اندامر يعنون قبيلة الذي أخرج من السجن قال أو بقي من أولاد فلان أحد إلى الآن جدد فنسي التوبة ثم مات الفتى بعد ذلك بقليل فنعوذ بالله من عقوق أوليائه وباته المشايخ فأكثر عليهم اللحم دون الطعام واستعذر وباتوه تارة أخرى فأطعمهم الطعام والزيت فلم يستعذر فذكر له ذلك فقال لا عذر مع الطعام والزيت وأخذ منه العلم بشر كثير وأخذ عن أبي محمد خصيب التميمصي وعن أبي عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي .

[محمد بن جلداسن اللالوتي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي النفوسي وكان بحر العلم الزاخر وإمام الحكام الفاخر قيل له في بعض أحكامك ضعف قال أقعدوا على طريق الخطابة فإن رأيتم معهم عوداً يابساً فصدقتم إن ضيعت شيئاً من الحق وكان بشروس في يوم مطر فمشى بخفيه حتى دخل المسجد فتقدم وصلى بالناس بهما وللإمام أفلح ما يقرب منها وذلك أن بعض علماء تيهرت دخله الشك فأدركه يوماً يحاذر ما يطير إليه من طين الأزقة وذلك في أثر مطر فحرك الإمام فرسه متعمداً فأطار عليه من الطين الذي يحاذر منه فلما بلغ المسجد قدمه بثيابه فصلّى بالناس وزال عنه الشك وقال رجل لابن جلداسن حين تقدم بخفيه إن متولي الناس مثل اللبن يغيره أدنى ما يقع به فترك مثل ذلك من هناك وكانت أم سحنون اللالوتية من أفضل عجوز بالجبل وسار المشايخ لزيارتها فلما قربوا أتاهم خبر حدث وقع بجادو فرجعوا إلّا أبا هارون فلما وصلها أخبرها قالت يا أخي خشيت أن أكون ممّن قيل فيهم إذا زارت الأخيار فاسقاً سدّ الملائكة عليهم الفجوج وإذا زار الأشرار صالحاً قيدتهم الملائكة وقالت للشيخ ماطوس بن ماطوس رضي الله عنهم ما زوجتك قال ليست بشيء فرأتها بعد ذلك فقالت قلت ليست بشيء وهي كالشحم المغموس في الدم بارعة الجمال قال ما أنتن من لم يتق الله وقد تقدم شيء من أخباره.

[أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي شيخ العلم والتحقيق وقدوة أهل التقى والتوفيق وفي السير مات وهو ابن سبع وعشرين سنة وقد جازت عليه نسبة الدين خرج أيام الربيع هو وتلاميذه فصادفهم بنو

تيجن يمشون بين الخصوص فقتلوهم جميعاً وكتب أبو يحيى الفرسطائي إلى أهل جادو المؤمنون تتكافأ دماؤهم بلغنا أن تسعة رهط من بني تيجن يفسدون في الأرض ولا يصلحون قتلوا أبا الربيع يعني لهم إن قدروا على أحد منهم قتلوه وأخذ العلم عنه كثير منهم أبو محمد خصيب بن إبراهيم التميمي وأخذ هو عن أبي هارون الجلامي موسى بن يونس وقد تقدم ذكره ولالت موضع الأشياخ والعلم.

[زار بن يونس النفستي]

ومنهم أبو نصر زار بن يونس النفستي النفوسي من الأئمة الأخيار والقادة الأبرار وفي السير قال أبو نصر الكلام كله لغو إلا مسألة في الخير واستعاذه من الشر وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وفيها أتاه أبو سهل البشر بن محمد يتعلم عنده فحضر المجلس فسمعه يقول لن ينجو من علماء آخر الزمان إلا قدر ما يسلم من المصاييح اللاتي رفعت من بيت إلى بيت في يوم ريح فلما أصبح أتى الشيخ للوداع قال له ما السبب قال سمعتك وما ذكرت من قلة من ينجو من العلماء قال أبو نصر إذا كان هذا شأن العلماء فكيف بنجاة غيرهم بل الجهال دود لا يفلت منهم أحد ولما حضرت الوفاة أبا نصر أخذ يبكي قيل ما يبكيك قال خوفاً من الفتيا قلت دار من دور نفوسة لم يدخلها فتياي.

[أبو غلبون النفوسي وأبو محمد بن المطا النفوسيان]

ومنهم أبو غلبون النفوسي وأبو محمد بن المطا النفوسي الأمللي كانا عالمين عاملين صالحين كان أبو غلبون يقرأ في منزله وتقرأ معه ابنته من بيتها من الجانب الآخر من الوادي ورأى ليلة القدر فأضاءت الأرض

فأبصر ذئباً بموضع بعيد يكاد أن لا يبصر فيه بالنهار وفي السير أن أبا المطا شديد الورع فطلق امرأته فقال من قال الآن يتبين ورعه يعني أن صدقات النساء ثلاثة أرباع ما عند الزوج من الربع هل ينصف نفسه فيعطيهما ثلاثة أرباع الأصل فأنصف من نفسه وأعطاهما حقها وأم الربع موضعها بقرب موضعه كانت مأوى للأخيار وكهفاً للأبرار وسيأتي ذكرها مع ذكر أبي حسان خيار بني ملال الفرستائي.

[أبو عبيدة الثلاثي]

ومنهم أبو محمد عبيدة الثلاثي النفوسي وفي السير كان شيخاً وذكر من سخائه أن وقع بنفوسة قحط وشدة فأخذ ينفق أهل بلده ما شاء الله من الدهر وقال لهم من أراد أن يأخذ نصف صاع لغدائه ونصف صاع لعشائه من أي نوع شاء من شعير أو تمر أو تين ومن ورعه أن أرسل ناقته ترعى وديعة عند العرب فحملت فلما ولدت رد لهم الولد ومن حزمه قالوا غرس ثلاثمائة كرمة بيده وأوصت عجوزاً بعد أن عجزتا عن الزيارة والالتقاء وقد كانتا تلتقيان بموضع بين بلديهما تتذكران وتذكران الله ثم تفترقان فلما عجزتا أوصت إحداهما إلى الأخرى لا تتركي نصيبك وحظك من الأمر والنهي لأن من أحيا نصيبه منهما كمن أحيا المسلمين من مخه ومن ترك ذلك كمن قتلهم وباع سهمه من الجنة إحداهما من أكرارين والأخرى من توغرمت ومن عادة أهل الجبل الاجتماع والتزاور في الله خصوصاً أهل ولون وكان اجتماعهم على ما يصلح الإسلام وأموره يخرجون الحق ممّن كان عليه حتى إذا نزع أحد بقلة الشاس من أصلها أدبوه وفي يوم جمعة يتزاورون يختلفون في الطرق بين سائر وراجع مثل النمل وتبيض الجبال من كثرتهم.

[أبو هارون التملوشائي]

ومنهم الشيخ السمي العالم التقي أبو هارون التملوشائي وابنه أبو الربيع وصنوه في العلم والتقي لا في النسب أبو يوسف خلاص وكان أبو هارون صائم الدهر مع علم كثير وورع قوي وأخذ العلم عن أبي محمد خصيب بن إبراهيم التميمي وكان سبب ابتداء فتياه أن أبا محمد لما عجز بالكبر على المسير نزل الأشياخ إلى أجناون وفيهم أبو زكريا بن أبي عبد الله وأبو هارون فلما قعد المجلس قال أبو زكريا لأبي هارون أفت فتقدم من هناك يفتي وسبب انتقاله إلى أبنابن كان يزور عجوزاً فيه فلما رجعت له الأمور وكان قد استحسن المنزل وقت الزيارة فانتقل إليه فبنى فيه مسجداً وفي السير فصار كهفاً ومأوى لأهل الإسلام وله امرأة سالحة من خيار المسلمين ورعاً ودينياً ولا ولد له معها وكلمه المشايخ أن يتزوج أخرى قال: لا أتزوج إلا امرأة سالحة ورعة وأمر زوجته يوماً تجعل له الماء في آنيته للوضوء فلما أخذت في الصب حاذرت ما يطير عليها من جرة الشيخ فاهتم بالتزويج عليها من هناك فالتمسوا له امرأة تصلح له فلم يجدوا إلا ابنة العجوز جدة الشيوخ تبركانت السدراتية وقد تقدم الكلام على بعض أمورها فخطبوها وجلبوها فلما قربت من المنزل أتى أبو يوسف من أهل تَنْفُخَسَتْ زوجته الأولى فوافق سماعها الخبر ذلك الوقت وقد أخذت الماء للوضوء وأخذتها الرعدة جزعاً من الضارة حتى تحرك الماء في الجرة من شدة الاضطراب فقال لها صَبَّرَك الله وهداك وأعطاك ما يقوم به الإسلام وهو شعر بالبربرية فأجاب الله دعاء الشيخ وزال عنها ما بها ولم يبق بها شيء فأنزلت ضارتها مع من أنزلها فولدت للشيخ أبا زكريا يحيى مات على أربع وعشرين سنة، همه آخرته، وقد جمع جميع خصال الخير، وفي

السير قال: لا أبالي بالموت متى نزل بي لقوة استعداده له، وقال ما علمت أنني قارفت إثماً قط إلا مرة وجدت دابة في الظل فأخرجتها إلى الشمس فقعدت في موضعها، وكان كثير الوضوء للصلاة حتى أتلّف عضواً من أعضائه بالبرد فشددوا عليه بأن النار أولى بذلك العضو لأنه أهلكه بالجور عليه بالماء البارد فبلغ فيه ذلك فتحير فقال له الشيخ وافي بن عمار العضو الذي أهلك في طاعة ربه الجنة أولى به، وكان يقول ماذا وجدت في عمي وافي، والثاني أبو الربيع، والثالث إبراهيم دنيأوي، والرابع محمد لا يصلح للدنيا ولا للدين عكس أبي الربيع، وكان الشيخ أبو هارون يصوم الدهر ولا يفطر إلا العيدين ويصوم أيام التشريق يكون ممن يسكن بير الفلق وانتهى عن صومها وحجر عليها الفتيا بذلك، وكانت أم داود عالمة ورعة خاشية لله خاشعة، كانت مرة تصلي فابتلاها الله بأن دخل حنش تحتها دخل من كمها وخرج من الكم الآخر ولم تنقض صلاتها، وفي السير أنه أنفذ وصية أمه ثلاث مرات ثم رآها في المنام فقالت له: اغسل هذا الموضع من ثوبي فقد طلبت أخاك بهلول أن يغسله فأبى، فسأل فقيل له ليهودي على أمك شيء من الشعر طلب أخاك وأبى أن يعطيه فقضاه الشيخ، وجاز على قبر أمه فوجد عليه جلباناً نابتاً فسأل فقيل لامرأة عليها شيء من جلبان وإذا نعس في مجلس العلم وأرادوا إزالة النوم عنه ذكروا الموت فيزول عنه ما به من السنة، ويأخذ في وصف شدائده فكلموه في شراء الأصل لأولاده قال من يتبع منهم طريق الهدى لا يعدم من الله خيراً ومن نبذه وراء ظهره فلا أعدهم الله جوعاً، ودعا الله أن يجعل رزق ولده وذريه فيها بين لالت وتغرمين أعني جبل نفوسة، وبات ميتون فأرسل بغلته إلى أم ماطوس لينزل عندها فردتها ثم أرسلت إليها بعد فأخذتها فلما التقيا عند العشاء اعتذرت بأن زوجها غائب حين بعث بها فلما جاء استأذنته فأذن لها واسمها عافية

فلما أكلما ما قضى لهما اشتغلا بالعبادة، وقيل قالت له أبو حسان خير منك قليل المؤنة كثير الفائدة وأنت كثير المؤنة بتلاميذك وأصحابك حتى لا نصل إلى حضور المجلس، ورخص لرجل أن يصلي قائماً ويده مقطوعة.

[أبو الربيع بن أبي هارون]

وأما ابنه أبو الربيع فوحيد العصر وفريد الدهر غلب عليه الشيخ فصار علماً عليه، وفي السير كان سخي الكف عالماً شديداً في الأمر والنهي أخذ العلم عن أبي يحيى زكريا بن سفيان اللالوتي وأبي سهل البشر بن محمد التندنميرتي وأبي يوسف وجد ليش بن فتى اليجلاني وأخذ عنه بشر كثير وسافر إلى الحج مع الأشياخ وغيرهم فترافقوا رجلين رجلين فطال الطريق واقتربوا إلا إياه وأبا يعقوب الساكن بتملشايت قال: لولا أنه يحتملني لافترقنا وهذه بمناقب أبي يعقوب أولى، وإذا سئل أهل الركب عن من عالمكم فيقولون أبو الربيع وأبو عبد الله الدرفي، وعابدهم أبو موسى من أهل دجى، وسخيم زكريا بن عمار الشروسي، وقيل تسلفوا منه ثلاثمائة دينار فلما رجعوا طلبوه أن يأخذها فأبى، قال: لا آخذ سلف الحج وإذا سألوا من أفضلكم فيقولون أبو يعقوب البرني رفيق أبي الربيع المتقدم الذكر وطبخت لهم امرأة في طريقهم طعاماً وأدامته بخل فقالت كلوا طيباً له خمسة عشر يوماً فاتفقوا أن لا يصدقوها فأكلوا، واشتهر طلوع هلال شوال فأكل بعض منازل نفوسة وأمسك بعض يريدون العدالة فخرج ليكسر على من تمادى على الصوم حتى بلغ جادو ليغير هذا الحدث، وصام مرة رمضان في جادو واجتهد في العبادة والقراءة فقال لأبي عمرو حجر عليهم أن لا يناموا بالليل ومن كسر الحجر فالسجن أولى، وتصدق تلك المرة بمائة دينار هناك واستحق عنده

بعض أهل أكرين الأدب فحمل السلسلة في عنقه فطلبوه أن ينزعها فقال لو أمكن لي أن أترك رباط يوسف بن عبد الله بمائة دينار لأعطيها ولكن الحق أولى، وصادف بعض تلاميذه جماعة من أهل تندنميرت يلعبون العرس بالدف فأراد كسرهما فامتنعوا فلما بلغ الشيخ أخبره وسار إليهم وأنزلهم في السجن، وأكرمه وأصحابه رجل فامتنع بعض تلاميذه من الأكل تورعاً فغضب عليه أبو الربيع وقال لأبي محمد عبد الله التميمي فليلق بيته وهو رديف الشيخ على البغلة وقال له أبو محمد إن لم تأثم أنت فلا يأثم هو فطأطأ الشيخ رأسه حتى قرب قربوس السرج، وعادته إذا صلى العشاء الآخرة وأكمل ورده جعل للطلبة المجلس هوناً من الليل ثم ينصرف إلى داره ومعه محمد بن زكريا البغطوري ومحمد بن يفون فيقرأ عليه أحدهما حتى يفتري ثم يقرأ الآخر إلى آخر الليل وذلك إن كتباً أتمته من فزان وضعف عن النظر والقراءة بالكبر ثم يقوم من المجلس مشغلاً بصلاته فإذا أذن وصلى صلاة الفجر أخذ في القراءة حتى تطلع الشمس ثم يجعل لهم المجلس فإذا افترقوا جلس للقضاء بين الناس إلى الزوال فيقوم فيشتغل بأمر الصلاة، ولذلك قال بعض لا ندري متى ينام، واجتمع المشايخ بدار بني عبد الله فتذاكروا عيوبهم وقال أبو الربيع لم أترك شيئاً لعقت القضيب والورق ثم قال لله عليّ ألا آخذ الزكاة وأرسل إلى أولاده في أبنائين أن يشتروا الشعبة بأربعمائة دينار ويبيعوها من غيرهم فحملوا له الأربعمائة فتصدق بها، وتسوق جادو حين يتعلم عند أبي محمد ورسفلاس فأعطى هناك أربعة دنانير فاشترا بها ثوراً فأتى به إلى الشيخ والطلبة فذبحه لهم فأكلوه وقدم هو وأبو عمرو بغطورة فنزلوا منهم خمسة وعشرين في السجن فعاتب أبا عمرو على التفريط قال: لم يبلغوا إلي شيئاً من ذلك فسألهم وسكتوا، قال لهم: يا جماعة سوء، وقدم أيضاً جادو ومعه أبو عمرو وأبو موسى الدجي فطلبوا أبا داود

الدرفي يسير معهم فهجموا على داود بن تيتيس قاتل جلددين بن فلاوسن فأخذوه فنزلوه في الحبس فمروا بالشيخ أبي يوسف بن فيّ فأخبروه فقال داود بن تيتيس في السجن: أعتقوني يا أولادي ثم أخرجوه بعد فضربوه حتى مات، وكان يختلف إليه رجل من أهل زمرور ليجعل لهم حاكماً منهم وقال: إلى متى يطلعن نساء بني زمرور عقبة تالكيت وكان الحاكم يومئذ أبو يعقوب التغرميني وقد تقدم ذكره، قال أبو الربيع: اصبر على هذه السنة فسافر الرجل فمات فأراح الله منه الشيخ، وإذا استقبل شهر رمضان أرسل إلى الشيخ طاهر ابن يوسف والعجائز وفيهن أم ماطوس فيصومون عنده فبينما الشيخ طاهر جالس تحت درج الآذان وهم في القراءة فتكلم بعض من في المجلس قال طاهر: رأيت كهيئة الرجال قاموا من المجلس بيض الثياب حين تكلم، وأدب رجلاً من أهل أبطال فرصده عند باب داره بليل فخرج الشيخ فأراد ضربه فبيست يده فلما ذهب الشيخ انطلقت يده فرجع فأراد ثانياً فبيست فلما دخل انطلقت واعترف بعد ذلك إلى الشيخ فسأله الحل.

[أبو يوسف]

وأما أبو يوسف فكان ممن يؤثر ما يبقى وإن بلغت به الحاجة إلى ما يفنى وله الحظ الأوفر من العلم والتقى وفي السير قعد يوماً مع أبي هارون موسى وكان لهما ابنان يلعبان بين أيديهما فدعيا ربهما أن يجعلهما ذخراً للآخرة لشدة محبتهما لهما فلم يلبثا إلا قليلاً حتى جاء أبو يوسف أبا هارون مسروراً بإجابة دعائه بوفاة ولده فحضراه ودفناه ثم مات بعد ذلك هارون ولد أبي هارون ولم يصبر كصبر أبي يوسف حتى قال: يقدر الله أن يرزقنا الجنة بغير موت هارون فرأى أبو يوسف بعد ذلك رؤيا قيل له أبو يوسف في عليين قال وصاحبني قيل له وصاحبك

أيضاً قال له علامة ذلك إن شئت أن تطر فطر وإن شئت أن تنظر إلى بدنك فانظر قال: فنظرت إلى جسدي أبيض كالنجم وله ضوء.

[أبو يعقوب البدني]

ومنهم أبو يعقوب البدني نسباً والملشادي داراً من أكابر الأشياخ ومن يؤثر ذوي السكينة على الزماخ وتقدم تمام صبره حين رافق أبا الربيع إلى الحج وتقدم أنه أفضل من حضر الركب من أولى العلم والعمل، وفي السير إذا اجتمعت الشيوخ قدموه للصلاة وأين من يقدمون في ذلك الزمان؟ وكان يلبس الثياب الحسنة فقليل له في ذلك فأشار إلى قلبه وضميره.

[أبو محمد الكباوي]

ومنهم أبو محمد الكباوي واسمه يصلتين وغلبت عليه الكنية ابن محمد أخذ العلم عن أبي هارون موسى بن يونس الجلامي وكان ربيبه وأخذ عنه خلق كثير، منهم أبو نصر زار بن يوسف التفستي وأبو يحيى يوسف بن زيد الدرفي وقد تقدم الكلام عليهما وأبو محمد هو الذي رمته أمه في صغره برغيف وقطعة لحم وقالت له الحق أهلك فقال لها أبو هارون بمثل هذا يضرب الحبيب حبيبه، وعليه قال أبو هارون لأبي علي الكباوي فراستي فيه يكون خيراً منك فكان الأمر كذلك، وفي السير تصدق بماله وعلمه وصحته لأنه نحيل الجسم ضعيفه وكان الناس يتسابقون أن يقبل منهم الزكاة وله علامة قدر عولته لعامته فإذا بلغ العلامة سد المصب وأبى من القبول ويقول لا تجعلوا لي ما يضرنى، ومر به رجل ينزع الحجارة من الأصل وقال بنفسك يا شيخ قال لم يكن ذلك رغبة وحرصاً على الدنيا لكن سمعت أن من رفع حجراً واحداً من

الأصل فله ألف حسنة، وكان أبو زكريا بن أبي عبد الله يأتيه يستفتيه حتى جعل طريقاً في الجبل فلما مات حضر جنازته قال: السلام عليك يا كباوي الآن صرت كسائر المنازل.

[أبو محمد ونتين الوريوري]

ومنهم أبو محمد ونتين الوريوري شيخ الحلم والتحقيق والحائز قصب السبق في البحث والتدقيق سأل أبو نصير زار بن يوسف أبا محمد الكباوي وتقدم أنه أستاذه وشيخه عن امرأة رأت ثلاث علقات كل يوم علقه وأجابه بأن ذلك يكون وقتاً للحيض، ثم جاز على أبي محمد ونتين الوريوري فسأله أيضاً عنها وكان وقت مقيله وأخبر بجواب الكباوي فلبس ثيابه ومضى من حينه مبادراً حتى أتاه فقال: ما تقول فيمن وقعت من أنفه علقه دم ينتقض وضوؤه؟ قال: لا قال، وإن وقعت أخرى؟ فقال: لا قال، فإن وقعت ثالثة؟ قال: تب أيها الشيخ، وكانوا رحمهم الله يسارعون إلى الخيرات من إنكار غير الصواب وقبول الحق والسداد.

[خيران بن ملال الفرستائي]

ومنهم أبو حسان خيران بن ملال الفرستائي ممن تكشف عن قبح الدنيا فلم يخطبها واطلع على غدرها وحذر منها وشمر عن ساق الجد أن يحاربها، وذكر عنه أنه يمسح في الاستجمار بعد زوال الأثر بسبعين حجراً وقال: لو أخذت الحجر الآخر من الحجار التي مسحت بها لم أبال أن أصلي به، وعادته التنقل في المنازل لإحياء الدين وتقوية الضعفاء وتعليم الجهال وتنبيه الغفال، وربما مكث في ذلك زماناً لا يرجع إلى أهله وتحضر العجائز والنساء مجالسه ويحملن الصوف ويعملنها فنهاهن عن عمل شغل الدنيا في مجالس العلم فتأخرن فرخص

لهن رغبة في إتيانهن، وشدد في لباس الوقاية على النساء حتى ظننت أن أراها معلقات في الصدر فلم يمثلن، وقال انفض ما تعلق بي من حوائج البيت إذا أردت الخروج كالبراغيث فإذا رجعت رجعت، وفي السير أنه قال لم أبدل مع من سار إلى الحج إلا حجة الفريضة، وقال لأصحابه على طعام صنع لهم لوجه الله كلوا فإن كنا أهلاً له عند الله فنحن أهل لأكثر منه وإن كنا على غير ذلك فسواء علينا أكلنا أو تركنا، وشيع أبا الخطاب وسيل بن سبتين وفي بعضها ستين حين سافر إلى الحج حتى نزل بجبل أجريجن فقال لأبي الخطاب: أوصني: قال أوصيك بتقوى الله يا خيران فتوادعا وافترقا، ثم رجع أبو الخطاب وقال: تذكرت كلمات لو لم أتذكرهن إلا بعدما حال الماء بيني وبينك لرجعت عليك بقيام الليل صل ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وصم يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، وتصدق بصدقة على مسكين ليوم عسير وحج حجة مبرورة تحط عنك عظام الأمور، قلت هذا من كلام أبي ذر، وقيل مرفوع، وكان كثيراً ما يمكث عند أم الربيع الوريورية وكانت سخية مأوى للأخيار وربما أقام زماناً من الدهر ويجعل للناس المجلس عندها وأظله عيد الأضحى مرة وهو عندها وأرسلت إلى بيته بشاة وجمعت جميع ما يحتاج إليه في العيد فأرسلت به إلى بيته مع الشاة وقد عول أن يضحي عندها وما عنده ما يذهب إليه فقالت: بادر أهلك وولدك وكل عندهم العيد ولا علم عنده فلما وصل وجد كل شيء يحتاج إليه قد هبىء له وهذه بمناقب أم الربيع أولى.

[أبو القاسم الفرستائي]

ومنهم أبو القاسم الفرستائي وابنه أبو يحيى فكلاهما نصيبه في المجالس على الرحب وعانقا السواري في الليالي مع النشاط والنقب،

وفي السير أن أبا القاسم نزل إلى تيجي لزيارة أبي محمد سعد بن يونس فلما حضر وقت الصلاة نزلا ليغتسلا للصلاة فوجدا قوماً يعومون في الحوض فانتقلا إلى عين أخرى فلما توضيا ورجعا وجدا موضع المغالق يرشح بالماء قال أبو محمد: لولا من هذا الرشح لنجسوا ونجست ثيابهم، ورأت زوجته في النوم أولادها على قصعة من عسل يلعبون منها غير واحد فخرج هو وذريته لا خير فيهم وحسنت حالة الباقيين، ولما أراد أبو يحيى قراءة العلم أتى ابن ماطوس في شروس ولم يجد مسكناً على كبر البلد فقال: ما أوسع شروس وما أضيقتها، قال له ابن ماطوس أدلك على من عرفه الناس تزاحموا على باب كباب أبي عبيدة بالبصرة يعني أبا هارون الجلالي فرجع وتعلم عنده، وكلفه إخوته أن يعمل معهم الشغل قال: أي شغل ثقل عليكم قالوا مؤنة جملين فأخذهما وجعلهما في مغارة على طريقه وسد عليهما إلا موضع يرمى لهما منه ما يأكلان، وكان ينزع للحشيش في غدوه ورواحه إلى المجلس ويرمى لهما فلما أراد إخراجهما أخرجهما بعد أن هدم من كثرة سمنهما فأخذ العلم عن أبي هارون وأخذ عنه خلق كثير، منهم أبو محمد خصيب بن إبراهيم واسم أبي يحيى زكريا بن يونس وأول مسألة أخذ من أبي هارون قال: سألته إني رعت ولم أغسل أنفي وتوضأت قال: نجست ونجست، ثيابك وكان أبو حسان حاضراً فسأله عني قال: ولد أبي القاسم قال: أرجع يا ولد خليلي فرخص لي أن تجزيني الضربتان الأولتان لغسل الدم والثالثة للوضوء، وسافر مع أبيه وأمه إلى الحج، ثم حج مرة ثانية فطاف بالبيت فلما تم أخذ رجل بيده فأخرجه من الناس فسأله عن علي فقال فارس المسلمين قاتل المشركين وابن عم رسول رب العالمين، وله فضائل قال: فضائحه أكثر من فضائله فسأله عن شيوخ الجبل كأنه معهم نشأ فسألني عن أبي معروف قلت مات، قال ثلثة لا تنجبر إلى يوم

القيامة فمر بي إلى أصحابه فإذا أحدهم مريض وهم يختلفون عليه في حوائجه كالنحل، وهم تسعة وثلاثون رجلاً وراودوني أن يتموا بي ويخرجون شراة فاعتلتت بأمي فلما رجع عابته المشايخ وقالوا وجدت باب الجنة مفتوحاً ورجعت ثم رجع فأخبر بأنهم استتموا بامرأة فخرجوا فقاتلوا زماناً ثم قتلوا، وأبو يحيى من يتامى مانو وفروعه يحيى بن يونس وسليمان بن ماطوس وأبو هارون وجذوره أبو القاسم وأبو محمد ونحوهما، ومن ورع أبي القاسم أن أرسل بعض ولده إلى مديانه فسقاه لبناً فأعطاه درهماً ثمن لبنه وأخذ من آخر ديناراً وافياً وله عليه ناقص فرد له ما بينهما وأبى من إمساك ما بينهما، وسافر أبو يحيى إلى بلاد السودان فألقى ملكهم ناحل الجسم ضعيف القوى قال له: ما بك؟ قال: خوف الموت، قال أبو القاسم: فأخبرته عن الله وصفاته سبحانه والجنة والنار والحساب وما أعد الله للمطيع والعاصي فكذبني وقال له لو صح عندك ما تقول لما بلغت إلينا لطلب الدنيا فما زلت أذكر نعم الله وآلائه حتى أسلم وحسن إسلامه، وقد أعطى قوة وقد قيل ينقل التراب من خلفه إذا عزق سبع ثيران ومات في قافلة رجل فرسطاوي، وفي القافلة أبو يحيى وأبو هارون فأخذ أهل الرفقة خليفة لمال الميت فأتى أبا يحيى أستاذه وشيخه مسروراً حيث لم يكن خليفة قال له: إنك قد وحلت إذا وإنما نجونا بحضورك فرجع مبادراً إلى رحل الميت فإذا الخليفة بادر طبخ عصبان الميت في برمته فنزع الرحل منه وباع البرمة بما فيها.

[أبو سليمان داود التبرستي]

ومنهم أبو سليمان داود التبرستي وفي السير كان رجل ورع ذو براهين وكان أهل تبرست على التلاشي والدبران من زمان أبي مرداس إلى زمانه لعدم وفاقهم أبا مرداس فعلموا من أين أوتوا فعظموا منزلة أبي

سليمان وساعفوه ووافقوا خلقه فيما يأمر أو ينهى فظهرت عليهم بركاته وأثرها من هناك، وقيل إذا أوتي بطعام فيه شبهة انغلق فاه، وفي السير أرسل إليه أبو الربيع بلحم ليأكله فلما أراد أكله انغلق فاه فبحثوا عن اللحم فإذا في أصله خبث، وحمل بذراً يحرقه بحماره يؤمه فأدركته أهل المنزل بعشر من الدواب فحرثوا يومهم فرد من البذر، وعلف رجل تيسين فذبح الأول فأعطى الشيخ منه ثم قال يوماً ما يقول الضاجر لغنمه: يا مال السحت، فذبح الثاني فأعطاه فلم يقبل قال: لِمَ؟ قال: سمعتك تقول يا مال السحت وله وعظ وكلام ومناقب وعبادة واجتهاد وكرامات.

[أبو محمد التميمي]

ومنها أبو محمد التميمي كان من الراسخين في العلم وممن ظنت عليه الدنيا إذ أعرض عن خطبتها بما وجد، ورأى بعض الأسياف في النوم أن من أخذ مسألة عن أبي محمد التميمي كمن أخذها عن ربه، وفي السير ما مات حتى وصلته الضيعة وقال له ابنه: اشتر لنا الربع قال: ناولني الماء اغسل يدي فغسلهما في إناء فقال: كيف أشترى لك من قبل هذا الوسخ؟ يعني أنه زكاة، وفي السير ربما أخذ في سنته ألف مد شعيراً فلا يدور الحول إلا وهو يأخذ الدين والمود بعرف يفرن اثنا عشر روية، ويقول: يا ليتني سلمت منها رأساً برأس وكان أبو عبد الله محمد بن جنون يقهر المشايخ لا يسكت لأحد منهم إلا أبا محمد التميمي لا يطيق أن يجيبه وتصدق بجبته على من احتاجها، فقالت امرأته من عراك فما مكث إلا يسيراً فأوتي بحمل طعام وعليه جبة جديدة فتأسف على رجوعها في الدنيا، قال له ابنه: ليست بكيس قال: الكياسة يا بني عدوة الإسلام، وسار إلى لالت ليتعلم عند أبي الربيع سليمان بن

هارون فجاز على معلم الصبيان بتنومات قال: أين تريد؟ قال: لالت للتعلم قال: نعم ما طلبت، الدنيا ظلمة والعلم فيها دليل، ركعتان من عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة، عبادة الجاهل كسير حمار الطاحونة يدور ولا يبرح، ووصلت إليه الحاجة في آخر عمره فأرسل إلى جادو ليطلب الصلة لأنه موضع اجتماع المشايخ ثم بدا له بعد أن ذهب الرسول وأراد الصبر والتوكل فلقى الرسول أبا عبد الله محمد بن جنون فأخبره قال: إنا لله وإنا إليه راجعون لي مال ومثل هذا الشيخ الذي هو جرثومة من جراثيم الإسلام تصل إليه الضيعة فوجد في جيبه أحد وعشرين ديناراً فأعطاهها له. قال: إن نفدت فارجع إلي ولا تخبر أحداً ولم يخبر أحداً من تلقاء نفسه فلما رجع وأخبر الشيخ بالقصة أعطى الرجل منها دينارين فقال: وجدني الشيخ في حاجة لا يعلمها إلا الله، فكان أبو محمد بعد ذلك يقول إن كنت على شيء فلا يقول فيّ محمد أبو عبد الله ابن جنون إلا خيراً، فما فرغت إلا وفارق الشيخ الدنيا، فجهزه الزعراري ومن هناك كثر ماله وبورك في اكتسابه، فلام ابن جنون أهل تمصمص على تضييعهم التكفين، وأنزله رجلاً صالحاً من أهل تملشايت في قبره فأراهما الله من آياته عبداً إن قال أحدها لصاحبه ترى مثل ما رأيت؟ قال: نعم كأني واقف بقنة أيالين «اسم جبل» إذا وقفت عليه لا يرد بصرك شيء لإشرافه، قال الآخر وأنا مثل ذلك وفاحت رائحة من قبره لم يشمأ أحسن منها قال أحدهما: يكفيننا في صحة مذهبنا هذا، وتقدم أن أبا محمد خصيب بن إبراهيم إنه أخذ العلم من أبي يحيى زكريا بن يونس الفرسطائي وأبي الربيع سليمان بن هارون اللالوتي وأخذ عنه جماعة منهم أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي وتقدم التعريف به.

[أبو محمد عيسى بن محمد الملوشائي]

ومنهم الشيخ الحائز من التقوى النصيب الأجلز والحظ الأكمل
ومن الكرامات القسم الأوفر والسهم الأعظم الأزكى أبو محمد عيسى
بن محمد الملوشائي النفوسي، وفي السير كان صاحب براهين مستجاب
الدعاء وكان فقيراً صابراً يجوز الناس عليه بالتين وهو يخدم نفسه بيده
فيعرضون عليه أن يأكل فيقول الأشجار محمرة بالتين، فيخدم في فدانه
بزج رمحه حتى يحمي النهار ثم يأكل لقلة ما بذات اليد، وقال له ولده
يوماً وقد أتاه بغدائه: أمي قالت: لك ادع الله أن يسقي فداديننا قال: ما
أكثر رغبتك ورغبة أمك في الدنيا، فتوضأ وصلى ركعتين فدعا الله فقال:
اخرج البقرة وآلة الحرث فإذا بالسماء قد فتح الله أبواب رحمته بالماء
فامتألت فدادينه دون غيره من الجيران، وكان يخدم يوماً في فدادينه
فبلغه ألم الجوع فقال: رب العبد إذا جاع استطعم مولاه وأنا عبدك
جعت فأطعمني فنظر إلى السماء فإذا موائد متتابعات نحوه فخر ساجداً،
قال: رب اجعله ذخراً للآخرة فصعدت راجعات، وسافر إلى درج بغير
زاد وكان يطعمه رجل من أهل منزله فعيى جملة وتأخر عن الرفقة فنزع
عنه رحله وحويته فمسح أبو محمد على ظهره وتكلم ودعا ما شاء الله
ورد عليه حويته ورحله، فكان أول القافلة فلما وصلوا باعوا ما معهم
ولم يترك الشيخ رفيقه يبيع، ثم دخلت عليهم قافلة يطلبون الزيت وباع
وربح ربحاً كثيراً، وسافر يريد أفريقية وحده فسمع ببعض الطريق صوت
الأسد بقربه فرقد فنزع نفسه فأتاه فشم قلب الشيخ وقبض بقدمه ثم رد
فمه إلى قلبه ثلاث مرات فلم يجبه حساً فانصرف، فلما بعد قام الشيخ
ومضى على طريقه وكان قوياً إذا أجر نفسه للحصاد تسابقت الأجراء
جنبه لكثرة حصاده، وعزق فدادينه بزج رمحه وغرسها ويحفظ الغرس

بالماء ومن مر من أهل فرسطاء إلى السوق يشرب ويتوضأ للصلاة، ويختتم القرآن كل يوم وهو يعمل أشغاله، وبات تمنكرت فخرج الناس من المسجد وهم لا يعرفونه فاستفتح يقرأ وكان حسن الصوت فرجعوا وأتوه بطعام فأبى أن يأكل قال: لو كان طعامهم لله لكان قبل.

[عيسى بن زرعة النفوسي]

ومنهم أبو موسى عيسى بن زرعة النفوسي الملوشائي كان سخي الكف تعلم العلم في داره لكثرة من يغشاه من المشايخ ويمكنون عنده، ومن عجائبه أن لازم الفراش مرضاً مدة دهره إلا أوقات الصلاة فيزول عنه ما به فيصلي قائماً ثم يعود إلى حاله وفتح كوة من بيته تقابل موضع قعوده ونومه يعطي منها الفقراء.

[أبو محمد عطية الله الملوشائي]

ومنهم أبو محمد عطية الله الملوشائي وكان برأ تقياً مشهوراً في الخبر نقياً وهو صاحب الرؤيا المشهورة في الكتب رواها غير واحد قال: رأيت رسول الله في المنام، قال لي: اختاركم الله على سائر الأديان يعني المذاهب، فقلت: ربح البيع يا رسول الله لا نقيلاً ولا نستقيلاً، ورآه بعض الشيوخ قاعداً في مجلس عظيم وأهل المجلس يسألونه عليه السلام وفي مقدمة المجلس أبو محمد عبد الله بن محمد المجدولي وأبو يوسف الأمليلي وأبو يوسف الأرجاني ومقام رسول الله مشرف عليهم في هيئة حسنة وتحت ثلاث درجات، قال: فجزت وسط المجلس وهمتي الوصول إلى رسول الله ﷺ فمسكني أهل المجلس ولم أشغل بهم فجزت حتى وصلت الدرجة الأولى أو الثانية فمسكوني فسألت رسول الله ﷺ عن هذا الدين فقال: أنتم خير الأديان.

[زيديت بنت عبد الله]

وكانت زيديت بنت عبد الله الملوшائية قاعدة مع النساء وقد اجتمعن لعمل الصوف وأخذن يغنين فوعظتهن وزجرتهن وذكرتهن أمر المعاد والحساب والقبر والموت بكلام بالبرية له وزن وحلاوة.

[الهيل]

وأما الهيل فخرجت لتعمل الصوف عند مجمعهن فسمعت هاتفاً ولم تر شخصاً وقد أمرها بالرجوع إلى بيتها ونبهها ما في ذلك من الخير، وكانت يتامى بجانبها وطبخت رأساً لعشاء أهل بيتها وعودت اليتامى صلتها ولم يحضر العشاء حتى ظنت أن اليتامى قد نامت فأرادت أن تحفظ سهمهم إلى الصبح فهتف بها ونبهها أنهم ينظرونها فحملت لهم سهمهم فأدركتهم يقتسمون ما تأتيهم به فأعطتهم ذلك كما قسموه أولاً.

[أم ماطوس]

وأما أم ماطوس فحقها أن تذكر مع شيخها أبي محمد خصيب وكانت بكراً وأرادت العلم وبلدها جاراصرا فإذا جنها الليل ونام الناس أخذت مزراقاً في يدها وذهبت إلى أبي محمد التمصصي فتحضر مجلس فإذا افترق رجعت وتجعل مزراقها في زيتونة فسمع أخوها وصار يغلق عليها وينام على الباب فكانت تتركه حتى ينام فتفتح وتغلق خلفها فإذا رجعت دخلت وأغلقت ثم تزوجت بعد ذلك في أميتيون قالت: أعطاني أبو محمد أصلاً لمسائل الحيض انتسب داخل الستين واترك خارج الستين يوماً، ومرت إلى تندوزيغ لتحضر المجلس فولدت بنتاً فإذا ثقلت عليها قالت: الست ولدت في المجلس فترك ذلك، وذهبت مرة ليلاً إلى أجانون لتحضر المجلس وبينهما قرب عشرة أميال ومعها أمتها

ورأت أمامها جماعة كأنما عليهم ثياب بيض، ومكث عندها كوز زيت سنة تجعل منه بأصابعها لطعام ابنتها ودامت على الصيام خمسين سنة متتابعات .

[أبو عمرو التندنميرتي]

ومنهم أبو عبد الله بن أبي عمرو بن أبي منصور الياس التندنميرتي وابنه أبو زكريا وكلاهما حكم عدل وفيصل في القضاء فحل، أما أبو عبد الله فلم الشعث وكشف اللبث ورتق الفتوق ورقع الخروق، وفي السير اختصم إليه قوم في أرض تلفت حدودها فاصطحب معهم إليها فبينما هو يمشي فيها إذ وقع سيفه قال: أحفروا موضع سقوطه فإذا التخوم، وفيها وعزلوه نفوسة من غير حدث فولوا مكانه أبا زكريا الأرجاني فخرجوا إلى قتال المسودة في الأشهر الحرم فانهزموا ومات جماعة من الأشياخ منهم أبو عيسى الدرفي وتقدم الكلام على ذلك في التعريف بأبي زكريا ثم اجتمعت نفوسة إليه ليردوه قال: لولا خفت أن أكون كمن قتل نفوسة مرة أخرى ما رجعت في أموركم أبداً.

[أبو زكريا التندنميرتي]

وأما أبو زكريا فاستصلح الفاسد ورد الشارد وقمع المعاند وجبر الكسير وأعان الفقير وسد الثغور وأبرم الأمور، وفي السير تولى أمور نفوسة ستين وقيل سبعين سنة ولا ينام كل ليلة حتى يميز نفوسة كلها من يستحق الأدب أو المواساة ومن له الحق أو عليه خوف التقصير أو خشية العبي في الجواب يوم الحساب إذ كل راع مسؤول عن رعيته ولم تر معه نفوسة نكبة، وإليه هرب أبو خزر بن أبي تميم كما سيأتي إن شاء الله، ومن شدة ورعه وضبطه لنفسه وقمعه شهوته إنه جاز ببعض المنازل

فأعطاه بعضهم عدة كباش لعشائه قال: لو كلفت حمل قرونها ما قدرت فكيف بحملها جميعاً يوم القيامة، وتخاصم إليه رجل وامرأة على فدان وكان أبو يوسف الأجفري حاضراً وهما من بلده قال له: ما تقول يا أبا يوسف قال: إن جزت على المرأة أسلم وأسأل لها العون وإن أطعمتني أكلت وإت مررت على الرجل فيه لا أسلم ولا أسأل العون له ولا آكل إن أطعمني، قال أبو زكريا للخصم اسمع ما يقول الشيخ يا أبا فلان قال: مالي يا شيخ؟ قال: اسمع يا فلان ما يقول الشيخ قال: مالي؟ قال: يا مرعون إن ذهبت إليه لأجعلهن في جنبك يعني الشياط، قال أبو زكريا: إذا أرسلني أبي إلى نخل أبي موسى فأتيه بتمرها ولا آكل ولا أعطي وإذا أرسلت عيسى ولدي فيأكل ويحمل إلى أقاربه بافطمسان وإنما سماه بأبي موسى العرب بعد أبي زكريا، والمؤلف أراد تبين الموضع بشهرته اليوم ومن حزمه وكراماته إنه أخبر أن رجلاً من أهل أجنان جانيا بات أهله فهجم عليه صبيحة العيد بعد أن صلى الصبح في مسجد أجنان فلما فرغوا من الصلاة تكلم خادم الشيخ أبي زكريا للعزابة فأخبرهم الخبر فقاموا فلما أخذوه أمر من يرفعه إلى السجن فطلبوه النزول فأعتل بأن أهل أملن ينتظرونه ليصلي بهم العيد وبينهما قرب أربعين ميلاً وأكثر واشتهر فيما بين الطلبة إنه أدرك وقت الضحى وصلى بهم وإنه قال: رأيت الأرض تطوى تحت فرسه وإنهم يقولون سهل فرسه بالصليعاء وسمعوه من مصلاهم وبين الموضعين أميال كثيرة والله أعلم، وذكر له جانيا بات ويفات فهجم عليه مع أصحابه وحملهم وجعلهم طريقاً وضرب أبا زكريا فأخذها عنه رجل بنفسه فجرح قال أبو زكريا: يقال في المثل أحبك لا مثل نفسي وهذا أحبني فوق نفسه، وقال لموسى الأدمومني وكان حاضراً ادع الله أن يفرج عنه فدعا الله ومسح الجرح بيده فبرأ بإذن الله وذلك بكرامات موسى أولى وتقدم التعريف به، وأبصر

الرجل من أهل شروس يسير بفرسه خارج الطريق ويهدم جسور الناس قال هؤلاء الذين نسرج معهم كمن نسرج إليهم يعني كلهم على الباطل وقال به أبو محمد الدرفي إذا نزلت عليك مسألة فأستفت إما أبا يحيى الفرستائي وأما أبا محمد الكباوي فأحكم بما اتفقا عليه وقف إذا اختلفا فكان يستفتيهما فأكثر عليه أبو يحيى الأقاويل فاعتمد على أبي محمد فلما مات وشهد جنازته قال: سلام عليك يا كباوي فاستفتى بعده أبا محمد خصيباً، وقال له مرة عندي تأتي بمثل هذا قال أبو زكريا: افت حيث كانت الرجال لا تسأل عنك، وكاتبه محمد بن جنون فكلمه المشايخ عليه فقال: ما تنكرون علي ما حكمت بشهادته قط، فإذا استقصوا عليه قال: لا حاجة لي بأموركم، وقتل ولد أبي الحسن بن علي الشروسي رجلاً فكلم المشايخ أبا علي في شأنه فلم يطاوعهم في القود منه فلم يلبث إلا قليلاً فمات بإذن الله، ثم إن عاملاً من قواد أهل القيروان أتى نفوسة يطلب منهم ألف دينار فألتمس أبو زكريا في نفوسة فلم يقدروا على أكثر من مائتي دينار فأتى بها أبا الحسن بن علي وقت نزوعه لباسه لأن يقبل فدعاه فخرج في رداء فلما أبصر الشيخ استحيى وأراد الرجوع واللباس فعزم عليه أن لا يرجع فقال: لم أجد في الجبل إلا هذا فإن قدرت لهم على شيء فافعل فنزل إلى العامل فأخبره بمكانه، فقال لوزيره: ما يسترنا منه وما أتى به قال: أتى بمائتي دينار وأردها له تستر منه ففعل، فردها أبو الحسن إلى أبي زكريا قال: حينئذ لم أطعكم في قتل ولده وكلته إلى الله فكفانا مؤنته ولو أطلعكم لنزل إلى المسودة، وربما كان منه بعض ما نكره لكن نفع الآن، ومن تعففه وصبره أن امرأته أرسلت إليه وهو بشروس أن يرسل إليها بشيء من زيت لتضيء به على مولود زيد عنده وتطعمه ورد الرسول وقال: تستصبح بالخطب، فسمع رجل فأرسل ببطة زيت إلى زوجة الشيخ فوسع الله عليه وعلى ذريته من

بعده من هناك، قال له ابن ومار: من ترى لنا ولنفوسة بعدك؟ قال: ما تجرأ أن يسألني عن هذا أحد غيرك قال: قد فعلت فأخبرني، قال أبو زكريا اللالوتي يبلغ مثل ما أبلغ أو أكثر ولكن منزله في الطرف، وأبو يعقوب البغطوري مثل ذلك لكن نفوسة يأبون أن تتقدم قبيلته ولكن عيسى أن أراد يعوّط يعني أبا داود سليمان ابن أبي يحيى يوسف بن أبي محمد زيد الدرفي ذلك فلما مات بلغت مقالته أبا داود فقدمه، ومرض الشيخ أبو زكريا في جادو فرفعوه في محمل نحو بلده فلما بلغ تمزدا أفاق فسأل عن المكان فأخبر فقال: حطوني فمرض هناك حتى مات وقبره هناك رحمة الله عليه وله أخبار كثيرة وكرامات جلية.

[أبو موسى]

وقدموا مكانه أبا موسى عيسى وكان تقياً من ذوي الحفظ والأخطار وأولي الشرف والأقدار حكم فعدل وقضى ففصل، وفي السير تخاصم إليه رجل ويهودي عن ثمن دابة أعطاها الرجل اليهودي فباعها وجحده فسبق الدعوى فتكلم واشتغل الشيخ بالأحكام وأعاد واشتغل عنه ثم التفت الشيخ إلى الويغوي وهو صاحب الدابة فقال: هل لك عند اليهودي شيء؟ قال: نعم فأخبره بالقضية فقال علي بالسلسلة فاعترف وأعطاه ماله ولعل الشيخ قد علم مثلها لليهودي أو عنده الخبر ممن يثق به، وضرب رجلاً فتألم ولم يصبر فقال أبو موسى: بلغتك حرارتها يا عدو الله قال المضروب: أو لم تذقها؟ قال: ذقتها وكانت لي رشداً وصلاًحاً، وذكر عن أبي زكريا عن خاله إسحاق بن إبراهيم أن داود بن علي ترتب عليه الحق بين يدي أبي موسى فأعرض ونأى بجانبه وثنى عطفه تكبراً وقام، وقال أبو موسى: ردوه فلم يجد من يقدر على ذلك ثم رجع وحده فقال: رجعت بثلاث اتركه سنة يتبعها كل متكبر وإن تواضع مثلي

لمثلکم لا یزیده إلا رفعة وعزاً، وإن نفوسة ولدت غیری فخذوا منی الحق فالتمس من یتطیق یضربه فلم یجد فقام أبو موسى بنفسه فجلده فقال: تعلم ربی لو کان رضاك فی نزع نفسی لنزعتها ومات داود بعد ذلك وترك ابناً صغیراً، فاجتمعت نفوسة فی أمر دهمهم عظیم یلتمسون دفعه وذهب علیهم هوناً من اللیل یتشاورون فرجع ابنه إلى داره وکان له عبد کبیر السن فقال: لم تأخرت عن عشاءک؟ فأخبره قال العبد: أدركت من قبلك من المشایخ إذا نزل بهم ما أهمهم من الظلمة اجتمعوا فینقون بلدانهم من المظالم، وأخرجوا الحق ممن کان فیہ وعملوا المعروف وواسوا الضعفاء فمتی ما فعلوا ذلك كشف الله عنهم ما یحذرون، فرجع الفتی فأخبر الجماعة والمشاىخ فبادروا صباحاً إلى ما قال العبد وكشف الله عنهم ما منه حذروا وتقدم أن مثلها لعبد التمنکرتی.

[ولید بن جرطوم]

ومنهم ولید بن جرطوم ووهبلی التندنمیریان کلاهما علی الخیر وثاب وعن طریق الشر تاب وفي سبیل الخیرات أواب، وفي السیر قال ابن جرطوم: لا يؤدي حق حصیری إذا بات عندي إلا أبو عمرو الشروسی، وتقدم التعریف به وأبو موسى من أهل دجی وسیأتی یعنی أنهما یصلیان اللیل أجمع لا ینامان.

[وهبلی التندنمیری]

وأما وهبلی کان أول عمره لا یبالی فی أخذ الأموال خفیة فاستعانت امرأته بنساء یغزلن معها فأتاهن بتین فلما أبصرت زوجته التین ولم تعرفه تین أشجاره وطئت برجلیها القفة عجنأ فرمت بها خارجاً فانكسرت نفسه وبادر من حیثه فغسل ثیابه وجلس یتفکر ما أكل بالباطل

من أموال الناس ويخط كل دينار خطة فإذا هي سبعة عشر ديناراً، وهو يبكي على ما فرط في جنب الله فوجد بكل خطة ديناراً، فشاور المشايخ في دفعها قالوا ذلك رزق ساقه الله إليك، وبقي ثمن كبش ليهودي سافر إلى المشرق فأرسل به مع الحجاج فصادفوه بحول الله خارجاً من مصر إلى نحو الشام فأخبر بالتوبة وأعطى الثمن فقال متعجباً: تاب وهبلي قالوا: نعم وكررها ثلاث ثم قال: اشترؤا له بها عمامة ولو لم تصادفوني لما رأيتموني إلى يوم القيامة وقد كانت الدراهم سقطت قبل بليل فلقطت ولم يضع منها شيء، وهذه كلها من علامات القبول ثم تمادى في عبادة ربه حتى لقيه.

[أبو يوسف الأجفري]

ومنهم أبو يوسف الأجفري وكان متقدم السابقين في الخيرات خصوصاً في الحسنات اللاتي يذهبن السيئات، وفي السير أبو يوسف إذا كان الشيوخ في منزله قدموه فيصلي بهم وتقدم حكم أبي زكريا في إثبات كون القاعدة المرأة لزوجها في الفدان الذي تخاصما عليه بخبره كناية لا تصريحاً وجعلها لها ولعل لأبي زكريا علماً فيه وكلامه صح.

[أبو سليمان التندنميرتي]

ومنهم أبو سليمان التندنميرتي وتقدم أنه ترك الحكومة وتولى موضعه أبو عمرو الشروسي.

[أبو عبد الله محمد بن جنون الشروسي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن جنون الشروسي الطود الفاخر والبحر الزاخر إليه المفزع في عظام الأمور وعند توقع المحذور، وكان كاتب

أبي زكريا، وفي السير وقع بينه وبين أخيه كلام فقال مدرار: يا عالم فاجر فأجابه يا عابد جاهل لا تعرف كيف تتوضأ قال مدرار: فرجعت إلى مسائل وضوئي فما أحستها كما قال، وكتب ملوك أفريقية إلى نفوسة يهددونهم فمما كتبوا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فأجابهم ابن جنون بكتاب تضمن ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْوَلَدَيْنِ﴾ (١١) ثُمَّ تُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ ورأى بعض رؤيا أن قوماً علقوا من ألسنتهم ف قيل له هؤلاء الذين يغتابون ابن جنون، وتقدم إن أبا محمد خصيباً قال: إن كنت على شيء فلا يقول أحد في محمد بن جنون إلا خيراً، وقيل إنه يقبل الهدايا وما يعطي لأنه ليس بشاهد ولا حاكم لما تقدم إن أبا زكريا قال: لم أعمل بشهادته قط فعاتبه المشايخ على أخذه، قال: إن كنت آخذ ضربه الله سكة في وجهي في الدنيا، وقيل رأى بعضهم ذلك في وجهه ويجعل عليها وقاية والله أعلم، وقيل أتاه ابن أخي أبي يعقوب التغرميني وناولته عكازه ومع العكاز صرة لأن عمه أوصى له بكثير ولعل بعضاً أراد نقض الوصية فأخبر ابن جنون بقصته قال: إذا تفرق المجلس فتكلم فلما كان عند تفرق المجلس قال ابن جنون فمثل أبي يعقوب يكسر قوله يا شيخ يعني أبا زكريا، وهو الحاكم فلم يتكلم أحد بعد ابن جنون والله أعلم، ومثل ابن جنون لا يهمل التعريف به لكثرة فضائله، وكان ابن جنون يدعو أبا علي أسيان التمنكرتي من غير أن يكتنيه وأراد الأشياء يوماً ابن جنون لأمر عندهم، قال أبو علي أدعوه لكم فجعل يقول يا محمد بن جنون من غير أن يكتنيه، وأراد أبو زكريا والمشايخ معه جادو وباتوا بتمنكرت وكان ابن جنون سميناً وأرادوا به شدة الحر فلما صلوا الصبح أخذوا في العلم

(1) سورة التكاثر آية 3، 4.

(2) سورة المرسلات آية 16، 17، 18.

والأسئلة ففطن ما أرادوا فخرج وركب فرس أبي زكريا خوف الحدث بالطريق من بعض القطاع والفساد فلما بلغ أفاطمان قال الشيخ: يقلكم وأصحابه فبردوا لهم البيوت وهيئوا لهم الغداء والأشياخ كلما قال لهم أبو زكريا قوموا لثلا يشتد عليكم الحر قالوا لم يزل، فلما أرادوا المسير التمسوا ابن جنون فلم يجدوه ولا فرس الشيخ وترك بغلته فأرادوا أمراً فوقعوا فيه فبلغوا أفاطمان في أشد الحر وقد هبى لهم ما يحتاجون إليه، ولما حضرته الوفاة قال: طلقت امرأتي قبل هذا فاجتمع المشايخ على قضيته قال أبو زكريا ابن جنون حاكم على الرجال فكيف بالنساء ففسر القبيلة بأنه قبل قوله طلقت فأجمعوا أن لها الإرث وعدتها عدة المطلقة.

[أبو علي أسيان التمنكرتي]

ومنهم أبو علي أسيان التمنكرتي وهو من المشايخ المذكورين ومن العلماء العاملين وهو في زمان أبي زكريا وهو الذي دعا ابن جنون ولم يكنه.

[خيار التمنكرتي]

ومنهم السيّد الطاهر الزكي الزاهر خيار التمنكرتي، وفي السير من ورده لا ينام حتى يقرأ سورة الإخلاص أربعمائة مرة، فاشتغل مرة بعرس ابنه فأدركه العيا ونسي أن يقرأ حتى وضع ثيابه للنوم فأبى له السأم والملل والعيا من القراءة فجاهدها وقرأ ورده فلما أتمه انفرج سقف البيت وهو يرى فأبصر النجوم فرفع رأسه للتعجب من قدرة ربه فسقطت قطرة ماء ما أخطأت فمه بل لسانه قال ما أكلت ولا شربت بعد ذلك إلا وأعقت حلاوة تلك القطرة في فمي، وفي مرضه الذي مات فيه يأتونه بالشهوات والحلوات فيقول في فمي ما هو ألد من هذا فغشى عليه فلما حضره الموت انطقه الله تعالى فقال: إياكم والحقيرات، إياكم والحييف، إياكم والانتقام من أحد، إياكم جعلت لك ولم تجعل لي، فإني رأيت

موضِعاً الحبة فيه خير من القيراط والقيراط خير من الدينار والدينار خير من الدنيا بما فيها فما نطق بعدها، وزار المشايخ بعض أشياخ تمنكرت فلم يجدوه فأرسلوا إليه من وجده يعزق فقال شيخ يزوره الأشياخ فيعزق، فسار معه إلى المشايخ ولم يجبه بشيء فصافحهم وأدخلهم البيت، وقدم إليهم شيئاً فلما أكلوا قال احكموا بيني وبين هذا لو لم اعمل شغلي لم أجد ما أقدم لكم.

[أبو أيوب التمنكرتي]

ومنهم أبو أيوب التمنكرتي كان تعلم من العلوم فنوناً كثيرة وعمل بها مع تجنبه للصغيرة من الذنوب والكبيرة وفي السير زارته المشايخ فأطعمهم بيسياً مركباً من العسل والزيت وغيرهما من الأطعمة فقال: لم أرد الفخر وإنما اتخذته لأستعين به على الوضوء، ومن عادته إذا برز إلى موضع تدركه فيه الصلاة حمل مرجله فيسخن الماء إن أدرك وقت الصلاة، وزاره المشايخ بعد الهرم الخرف في رمضان وفيهم أبو الربيع بن أبي هارون فقال لهم: أتأكلون؟ فلما خرجوا قال بعضهم فيه: قال أبو الربيع اسكت فوالله ما أعرف اليوم في الجبل أروع منه وأتى سائل امرأة من أهل تمنكرت وهي تغربل في ضوء القمر فأعطته دقيقتاً أخطلته بماء فأبصرت خلقاً عظيماً فأخبرت به فلما أصبحوا لم يجدوا له إلا أثر قدم واحد في الخط وجعلوا عنده مصلى، وكان بعض أشياخهم يجتمع بشيخ من أهل شروس كل جمعة في مسجد أجلمم ويتذاكران ويذكران الله ويحمل تيناً يأكلانه، فحمل الشروسي مرة عنجته فقال له: دعنا نأكل ما كنا نأكل فأكلا التين وتركاهما على صخرة وكان أبو أيوب عالماً بالنجوم.

[أبو عبد الله الويغويان]

ومنهم أبو عبد الله الويغويان الكبير حاكم على أهل ويغو والصغير ولكنه أرسخ وأكبر في درجة العلم وأبو الشعثاء ابن البغطورية الشروسي حاكم فيهم فوق حرب بين أهل ويغو وأهل شروس فقال أبو محمد خصيب إنما جزاء محمد يعني أبا عبد الله ومؤمن يعني أبا الشعثاء السجن حيث لم يخرجوا من البلدين وقت الفتنة وبلغ الخبر أبا عبد الله محمد فقال: أنا على الطريق فليأت أبو الشعثاء يسير إلى الحبس وكان واسع الخلق ولأبي عبد الله ديناران على يتيم وأبو عبد الله الصغير وكيل اليتيم وعرف بأحدهما فدفعه له وأراد الآخر فقال: يكفيك ما أعطيتك بعد وكان أعلم منه.

[وارسفلاسان بن مهدي]

ومنهم وارسفلاسان بن مهدي وابن عبد الله فكلاهما علامة في العلم والتقى، أما ابن مهدي فإمام ابن إمام لأن أباه كان من كبراء العلماء بل ممن أخذ عن أبي يحيى الفرسطائي بل حاز قصب السبق بين النظراء فلما توفي أبوه ركب بغلته وأتى شروس فسأله بعض عن مسألة فلم يحسنها قال له آخر لو سألت عنها بغلة أبيك أجابتك عنها، أو صاحبه الذي قال له ذلك فانكسرت لذلك نفسه، ودخل قصر ولم، وفيه خزانة نفوسة فمكث فيه اثني عشرة سنة يدرس العلم، ووقع حرب بين أهل ويغو بلده وأهل شروس سبعة أعوام، ومكث في داره يدرس ديوان أبيه ولا يرى خارجاً إلا إلى حاجة الإنسان فقام في العلم، وجربه المشايخ بكثرة الأسئلة في المشكلات وغيرها فما وجدوا عنده خطأ فأخذ عنه بشر كثير، ويروي كتب أبيه عن أبي يحيى الفرسطائي، وروي البغطوري عن أبي محمد بن محمد عن أبي الشعثاء البغطوري إنه قال لو لم يعلم أبو محمد وارسفلاس إلا المسائل التي يروي عن أبيه عن أبي

يحيى الفرستائي لكفاه، وألف تلك المسائل أبو الربيع بن هارون قال البغطوري قال أبو محمد إذا التقى أهل شروس وأهل ويغو فلا يخرج أبو محمد وارسفلاس إلا لحاجة الإنسان، وأرسل أبو محمد وارسفلاس إلى أبي زكريا بن أبي عبد الله وهو في غف سوف بمسائل هل يغسل الرجل يده في القصعة وهل يرمي الكمام التين إذا أكله؟ ورخص له فيها وهل يرجع اليمين إذا قال لي على أبيك؟ قال: لا يرجع اليمين، وإذا قال لأبي على أبيك ففيها قولان، وكفى هذا في علو مرتبة أبيه في العلم عن التعريف به.

[وارسفلاس بن عبد الله]

وأما وارسفلاس بن عبد الله فكان من العلماء المسلمين ومن الفقهاء المشهورين وليس مهدي هذا هو صاحب الإمام لأن ذلك مات عام ستة وتسعين ومائة وهذا في القرن الرابع.

[مهدي الويغوي]

ومنهم مهدي المتكلم الويغوي وليس هو بالمهدي صاحب الإمام ولا مهدي الذي في زمان أبي زكريا بل هو آخر في القرن الثالث، وفي السير وغيرها واللفظ للسير وبلغنا أن جماعة اجتمعوا في موضع يسمى «تُنَيْنُ اَزْدَرُشَلْ» في طلب العلم وفيهم أبو نصر من تمصمص وهو المفتي والمجيب وفيهم نفث بن نصر وكان يلقي عليهم مشكلات المسائل وربما عسر جوابها عن أبي نصر ومن معه ثم أتى عمروس ومهدي فسكت نفث، فقال أبو نصر الآن جاء السلوقان اللذان يحرزان الحي، وأما جروة أبي نصر فتنبح على الغنم وتقدمت الحكاية وتقدم أن لو سلم منهما أحمد بن الحسين ونفث وسليمان الغراء لردوا جميع الناس على مذاهبهم.

[أبو العباس وجندوز التمنكرتيان]

ومنهم أبو العباس وجندوز التمنكرتيان من المسلمين في زمرة المتقين ومن المذكورين في حملة العلم العاملين.

[أبو عبد الله البغطوري]

ومنهم أبو عبد الله البغطوري وكان فاضلاً تقياً عالماً من الأسياف المشار إليهم المتصدر للفتيا بينهم في تلك المدة، وفي الأثر تزوج امرأة في الشدة في دجى ولكل واحد منهما مال فباع عبد نفسه واشترى آخر فأكل ما بينهما فادعت المرأة أن لها فيه وشهدت فقهاء دجى أنه باع عبد نفسه واشترى بثمنه آخر وأكل ما بينهما ولم يستغلا في تلك السنين من أرباعهما شيئاً، قال الشيخ أبو الربيع ليس لها في العبد شيء وأسألوا أبا عبد الله البغطوري فسأله فقال لها في العبد نصيبها حين كان لها الأصل.

[أبو عبيدة جلدین البغطوري]

ومنهم أبو عبيدة جلدین البغطوري وكان عالماً متفتناً أخذ العلم من أبي عبد الله بن جلداسن اللالوتي وكان أبو عبد الله يمكث بشروس أربعة أشهر في أيام ابن ماطوس وهو حاكم على أهل لالت وابن ماطوس على أهل شروس ويتخاصم الناس إليه بين يدي ابن ماطوس، ويقول لابن ماطوس أردت أن أتعلم أنا أيضاً، وكان جلدین البغطوري أبو عبيدة يتعلم عنده، له من الدنيا الحظ الأوكس ومن العلم والعبادة الأوفر ومن الصبر النصيب الأكمل ومن القناعة السهم الأجل وكان أيام التعلم لا يأكل الشيء السخون إلا من يوم إلى يوم أي كل جمعة مرة وطعامه في سائر الأيام يبيل الشعير بالماء ويصره فيأكله عند الفطور، وفي أيام الربيع يختار وقت وضوئه موضعاً خصيباً نقياً من الأنجاس قد نبت فيه الخبيز

فيقصده عند الفطور وأبو عبد الله وسائر أصحابه يأكلون أنواع الأطعمة عند أهل شروس قال: فإذا دخلوا بالجفان فيعظم ويشتد رائحة الطعام فتتيق النفس فلا الشيخ يدعوني إلى الأكل ولا أهل المنزل يهتدون، ويبقى كذلك فإذا كملت الجمعة صعد إلى أهله في بغطورة فيأكل، وكان الشيخ أبو الربيع إذا ذكر هذا الحديث تأسف وكان مدار المجلس عليه فاغتسل من جنابة واشتد عليه البرد وسكت وضعف المجلس والبحث والسؤال، فقال الشيخ أبو عبد الله: هل هاهنا جلدتين؟ فأجابه: بنعم، واعتل على سكوته بالبرد فقال: تعلمت وحضرت ما حضرت وليس معك ما يمنعك من الاغتسال حتى كدت أن تهلك نفسك كاد أن يكون جلدتين جلدينة، فصار بعد ذلك أعلم أهل زمانه، ومن يشار إليه بالأصابع ويدخر له المشكلات ليوضحها، وأخذ عنه خلق كثير وكثيراً ما ينزل بأصحابه الذين يتعلمون عنده إلى الجام عند أبي يعقوب فيمكث عنده شهراً فأتاه يوماً هناك أبو يوسف التنزغتي فقال: يا أبا يوسف لنا هنا شهر وما رأيتك فقد استغنيت بعد فقال: ما استغني عنك يا شيخ وقد أدركت من لم ندركه.

[أبو يعقوب البغطوري]

ومنهم أبو يعقوب البغطوري، وفي السير كان ورعاً سخي الكف وفيها أبدل باب داره ليتمكن من إدخال مزارق الأضياف لكثرتها، وفيها، وذكر أنه أتاه ثمانون فارساً في الشدة والقحط بعد أن أطعم جماعة من الأضياف باتوه وذلك ليلاً وأعطى وية شعير لعلف كل فرس، وأتى ليلة من المسجد في الشدة فوجد حول باب داره سبعة وعشرين رجلاً من أهل دمر فدخل فخلط لهم دقيقاً بالماء فأعطى لكل واحد قبضة ثم قضى الله أن ولي أحدهم إمارة قابس وإذا حدثهم بحديث الشيخ يقول ما أكلت

ألذّ من تلك القبضة مع ما تصرف على من أنواع الأطعمة والحلاوات ولو يقبل مني المال لأغنيته وذريته، وضاعت له أربعمائة دينار فاجتمع الناس لهذا الأمر وقالوا: لا نصبر لمثل هذا وأن يلتبس عند كل من اتهم به فسمع قائلاً يقول: عجباً لأهل هذا الزمان إذا ذهب لهم شيء إلى الآخرة أرادوا رده إلى الدنيا، فقال أبو يعقوب تفرقوا واتركوا عنكم هذا، وزار أبا موسى عيسى بن زرعة التلمشايتي فمرض هناك فجعل الناس يغشونه عايدين له فضر من رقد عنده فحملوه إلى منزله فزارته آسية عائدة من أهل ويغو فرأت في النوم أن لا مطمع فيه للحياة ورأت له الجنة كما وصفها المسلمون وكانت من الصالحين فأخبر بالبشارة فقال: من جاء إهضاماً لنفسه وإشفاقاً عليها ولم يقض له بحج وشاور الفقهاء في أمر الحج وحضره جماعة من الأسيّاح فقال أبو محمد وارسفلاسل وهو أصغر المشايخ يومئذ أرى أن تحج وردة حياً وتنفق على ثانية وتوصي بثالثة فما زاد أحد كلاماً على ما قال.

[أبو يوسف مجدول النفوسي]

ومنهم أبو يوسف مجدول النفوسي ذو البصيرة النافذة والعزيمة الناصبة وجمع مع العلم والتقى المال والدنيا له منها الحظ الوافر ومن الدين النصيب الأوفى والسهم الأزكى أخذ العلم من معدنيه وشربه من منبعه أبي محمد الكباوي وأبي محمد الدرقي، أقام مع الكباوي خمسة عشر عاماً فقضى نحبّه وتوفى أجله فانتقل إلى الدرقي فصحبه تسع عشرة سنة وأقام يقرأ بعدها ولد له خليل ثمان عشرة سنة وطلبوه للإقراء والتعليم بعد أن قرأ وتعلم، فقال: أنا محب في مالي أراد القيام به، وذكر أنه قال لو تمادت الشدة عشرين سنة أو ثلاثين سنة لم أبال فيها لعيالي ولا لحيواني لما ادخر لكل نوع ما يليق به، وعنه من لم يتعلم

عند أبي محمد الكباوي ولا عند أبي محمد الدرفي من أين له ما يفتي به وأرسلته امرأة بمسألة إلى أبي محمد الكباوي سقطت لها جمرة على رأس يتيم فجعلتها أمه في حل فهل يجزيها ذلك ويجزي الأم؟ فرخص لهما إذا قعدت الأم عليه وتنفعه أكثر من ذلك وستأتي المسألة بعد إن شاء الله وكان كثير السؤال لشيخه أبي محمد الدرفي فقال له مرة: ليس لك يا مجدول هم إلا السؤال.

[أبو يعقوب الأتلاجامي]

ومنهم الشيخان الفاضلان العالمان أبو يعقوب وأبو موسى من أهل أتلجَام أما أبو يعقوب فكان غنياً يمكث عنده أبو عبيدة شهراً في بعض الأوقات هو وأصحابه وهو مع ذلك من العلماء المشار إليهم.

[أبو موسى الأتلاجامي]

وأما أبو موسى فمن شدة ورعه وكثرة تحفظه إذا أراد أن يحرث الأصل استأذن زوجه لكونه أصدقها بعضه ولم تقبضه بعد وتقول يا شيخ أולם أجعلك في حل بعد ويقول لها جرت اليوم على كرمتنا يا فلانة محمرة بالتين وتقول إلى متى يا شيخ وقد جعلتك في حل فيقول خشيت تغير قلبك.

[أبو القاسم التملوشايتي]

ومنهم أبو القاسم التملوشايتي وقد تقدم إنه من البيض وكان من أورع الناس وأزهدهم في الدنيا وختم له بخواتم الصالحين وفي السير إنه مات في السجود وذلك غاية المقصود وأقوى علامة أن قبل عمله المعبود.

[أبو بكر الغفسوفي]

ومنهم أبو بكر الغفسوفي وتقدم أنه من البيض وكان ورعاً حاذقاً لدينه من البله في دنياه وكان يربط حماره إلى قرب الزرع فيحول وجهه إلى الجهة التي ليس فيها زرع فإذا قيل حمارك يضر الزرع فيقول: حولت وجهه إلى غير الزرع وذلك مبلغ علمه ولا يلتفت بقدره الله إلى الزرع.

ومنهم أبو موسى الدجى النفوسي وكان من عباد الله الصالحين الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله المحافظين، وفي السير كان عابداً شديداً في الأمر والنهي ولقي رجلاً ساق شاة يريد ذبحها فدخل بها الخط فردّه قال: أردت ذبحها؟ قال: لا تجوز بها فذبحها الرجل هناك قال له الشيخ: يا رجل سييء، وروي عنه لما أراد السفر إلى الحج رأى في منامه بعد أن هبىء أموره وقضى تباعته قائلاً يقول له أتمضي إلى الحج وأنت غتاب فتفكرت فلم أعلم أحداً اغتبه إلا أبا داود سليمان بن أبي يحيى يوسف بن أبي محمد زيد الدرفي فطلبته فجعلني في حل فقال: الصدر الذي فيه بغضك أكلته النار، وقدم أبو الربيع دجى ذات مرة فقال له أبو موسى: أهل دجى رجالهم ونسأؤهم يستحقون السجن إلا محمد أو أمه يعني ابنه وزوجته ووقع ابنه في صهريج وطلع سالماً فهنأه الناس بسلامة ولده فقال لولده: ولا يظلم ربك أحداً يا ولدي.

[أبو أيوب حسن الجادوي]

ومنهم أبو أيوب حسن الجادوي النفوسي كان ورعاً تقياً مشهوراً في طريق الخير، وفي السير كان خليفة يقيم فقام به وأحسن تربيته وقيل اشترى له طوقاً من ورق وخرصاً من ذهب وإذا انكسر غصن من زيتونه باعه هذا لعلمه أن الله يعلم المفسد من المصلح.

[أبو القاسم التغريسي]

ومنهم أبو القاسم التغريسي وكان من عباد الله الصالحين المتحرين المتحرزين، وفي السير سأل هل يتولى البشر بن محمد؟ فقال: توليت المسلمين وقيل له: هل توليت أبا يوسف وجدليش بن في؟ قال: توليت المسلمين وقيل له: توليت أبا أيوب حسن؟ قال: توليته وادعوا له بالجنة انظر ﷺ لم يظهر ولايتهما إلا في الجملة مع شهرتهما في الخير والمعروف والصالح قلت لعله أراد أن يهضم لهما أنفسهما خشية العجب كما فعل أبو سليمان الأنري وغيره من الأشياء.

[أبو يوسف وجدليش]

ومنهم أبو يوسف وجدليش ابن في كان عالماً وعاملاً وأمراً وناهماً شديد الشكيمة في حق الله لين العريكة في حق نفسه، وفي السير حضر ليلاً المجلس في دار بني أبي عبد الله فلما افترق المجلس خرج إلى بيته فرصد له جماعة من فساطوا وجرحوه سبعة عشر جرحاً ودافع عن نفسه وأبى أن يتكلم خشية الحرب ووقود النار للفتنة ومات تلك الليلة من فساطوا أربعون رجلاً: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾⁽¹⁾ ما بين لسيع عقرب أو لديغ حية ودعاه بعض التجار فأعطاه زكاة ماله في بيته وأغلق الباب دونه ومراده أن يقبلها ويردها عليه أو بعضها، فلما قضاها له وحازها رد يده على قائم سيفه وخرج مع الحائط وحج بها، وفي السير وذكر عنه أنه سمع الناس في عرفات منادياً حين مات ينادي في الهوى مات وجدليش بن في مات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر بعض أصحابنا إنه مات يوم عرفة وفيه سمع النداء وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن شاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة، وفي عصره أحدثوا ذلك لدخول الريبة وطن طرابلس أتاه بعض

(1) سورة الأحزاب آية 25.

أهل أثير فاستأذنه أن يبيع غنماً فقال: من تكن؟ قال: ولد فلان قال: هي عندكم تاليد؟ قال: نعم فأذن له وأتاه آخر من أغل فاستأذنه قال من تكن؟ قال: ولد فلان قال: أفي سوق جادو تبيع حرام أبيك فقام إليه ففر وتبعه إلى ماطس ثم رجع عنه، ومن اجتهاده حين يتعلم أنه يخرط الزيتون ولوحه معلق بين عينيه يقرأ فيه وأخذ العلم عن بشر كثير منهم أبو الربيع سليمان بن موسى ومنهم أبو سهل البشر بن محمد التندنميرتي وأبي يوسف بن زيد الدرفي ومن أبي نصر زار بن يوسف التفستي وجازت عليه نسبة الدين وأخذ عنه بشر كثير، قال البغطوري روى لي ثقة أنه أخذ عنه شيخ ممن أفاق في العلوم وتفقه وذلك من بركته وحسن نيته، وفي السير كان عالماً وكانت عنده حلقة وكان لا يأخذ الزكاة وكان تاجراً، وسيرته وعادته إذا صلى الفجر واستفتح مضى لشغل دنياه فيرجع إلى القابلة فيقبل وإذا قرب وقت الظهر قام وتوضأ ولبس ثوبين أي قميصين معقودتين بطوق واحد وعمامة حسنة وكساء سجلماسية ثم يذهب إلى مسجد أمسراتن بجادو فيؤذن ويصلي ولا يزال في الصلاة والعبادة إلى العصر فيؤذن ويصلي ثم يعمل المجلس لتلاميذه إلى المغرب فيصلي ثم إلى العشاء الآخر أعني العتمة فالله أعلم إن كان له ورد وعبادة بعدها ثم يرقد ثم يقوم آخر الليل فيشتغل بالعبادة إلى أن يصلي الصبح وكان ربما سبقه رجل قال في السير من أهل أغل وقال البغطوري من أهل سنتون إلى الأذان في مسجد امسراتن فأعطاه الشيخ ديناراً فترك ذلك ومسجد أمسراتن لجميع نفوسة وإذا دخل رمضان أعطى طلبته وعزابة تمر جرمة يفطرون عليها وكان يعطيهم صرر الدراهم من زكاته وأخذ طلبته أمة لأهل فساطوا ليخرجوا منها الحق فنزعوها منهم وزحموهم وعاتبهم إذ لم يشاوروه قال: ولو شاورتموني لأمرت أبا داود بن أبي يحيى فيأخذها.

[عبيدة بن أفلح الججلاني]

ومنهـم أبو محمد عبيدة بن أفلح الججلاني وكان عالماً سخياً قليل تعلم العلم في بيته لكثرة من يغشاه من المشايخ ويقيمون عنده وربما مكث عنده بعضهم أربعة أشهر أو ستة وكان يكثر الإقامة عنده أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي وكان يطعمهم من خالص ماله وقيل يعرف الخوف على وجهه، وذكر بعض أصحابنا أن ثلاثة تتغير وجوههم من خشية الله أبو محمد عبيدة بن أفلح الججلاني وأبو أيوب حسن الجادوي وأبو زكريا بن هارون الشروسي.

[أبو الربيع الججلاني]

ومنهـم أبو الربيع الججلاني وكان عالماً عاملاً حافظاً محافظاً لا يشتغل إلا بما يعنيه وقد أخذ العلم من الشيخ أبي الربيع، وفي السير إن أبا الربيع الججلاني وأبا موسى عيسى بن وزال ليس معهما من كلام الدنيا شيء إلا الاشتغال بطاعة الله وفيما يعنيهـم حتى لحقاً بالله وكذا ذكر البغطوري ثم قال فهذان وأمثالهما الناس.

[أبو عبد الله بن يدويسن]

ومنهـم أبو عبد الله بن يدويسن وكان تقياً مشهوراً في الخير وسرق في صغره درهماً لرجل فكان بعد يطلبه الحل ويقول: سرقت لك درهماً فجعله في حل ثم بعد ذلك كلما رآه طلبه وكان الرجل يلوذ عن وجهه استحياء.

[أبو علي النفوسي]

ومنهـم الشيخ التقي العالم السخي الفاضل أبو علي النفوسي من فساطوا كان كهفاً للأبرار ومأوى للأخيار وربما مكث عنده المشايخ

زماناً من الدهر خصوصاً أبا الخير الزواغي، وفي السير يذبح كل يوم شاة للأضياف فكلمه المشايخ أن يترك ذلك فشاور أبا الخير فقال له: زد الخير يا أبا علي فصار يذبح شاتين كل يوم، ومن غيره وقعت شدة فنزل بعض المشايخ على الشيخ أبي علي وكان كثير المال من الحيوان وغيره وكان يجعل لهم على القصعة شاة للغداء وشاة للعشاء فلبثوا كذلك ما شاء الله فقالوا للشيخ أبي الخير: كلم صاحبك أن يترك اللحم عن إحدى النوبتين فكلمه فقال أبو علي: إيش ترى؟ قال: زد في الخير فصار يجعل على القصعة شاتين للغداء ومثلها للعشاء فقال المشايخ: أرسلناك لتتقص نوبة فأمرت بالزيادة قال: استشارني فنصحتة وقال لأبي الخير: أقاسمك مالي فخذ نصفه قال: ما أريد بمالك يا أبا علي.

[أبو الخير توزين الزواغي]

ومنهم أبو الخير توزين الزواغي كان عارفاً فضل طاعة ربه فحافظ عليها فحفظه الله من كل رذيلة أن يرتكبها وهمته تنقية نفسه من أدناسها فسدده الله إلى المعالي فارتكبها خشي ربه فكفاه واقتصر على ما أمره ونهاه، وذكر بعض أصحابنا أن تمصولت مولى للمعز بن باديس كان فاجراً جائراً جباراً عنيداً عنيفاً جعل على أبي الخير مائة دينار وليس له مال فأتى خليله أبا علي الفساطوي المتقدم فقال: اطلب لي الصلة من مشايخ نفوسة وأهل المعروف لثلا يعنف علي هذا الجبار قال أبو علي: لا أتشفع لك في المائة دينار وهي عندي فأعطاه المائة دينار فأعطاه أبو الخير لتمصولت فلما أمسى صارت البيت عليه ثعابين وأحناشاً فدعا من حينه شرطته فدعوا أبا الخير بعد أن التمسوه في موضعه فلم يجدوه ودلوا عليه بأنه يتعبد بالساحل وله علامة يعرف بها وهو العطاس فرد له المائة دينار، وفي السير أن المسودة يستدون بلاد الزواغي ويتركون لأبي الخير

ما ينويه ثم قال لهم أهل الغش والحسد لا نؤدي عنه فرجع عليه الطالب فحاسبه على ما ترك له فوجد ذلك مائة دينار، فلم يجد ما يعطي فطلع إلى الجبل فسلفها له أبو علي الفساطوي فأعطاهما له، فلما جن الليل تقلبت تلك الدنانير عقارب وأشفق منها ودخله الرعب فأرسل إلى أبي الخير فقال: احمل دنانيرك عني فلما أراد أخذها عادت دنانير كما كانت أولاً بإذن الله فردها إلى أبي علي فأبى من أخذها وقال: قد وهبتها لك ثم تصدق بها أبو الخير، وقيل إذا كان في بلده زواغة لبس الطاق وإذا طلع إلى الجبل لبس عباءة، وعادته التردد بين الجبل وزواغة طالعاً نازلاً لا يحمل معه زاداً، وفي السير ذكر ابن أخته قال: سافرت معه فإذا كان وقت العشاء قيل لنا اغسلوا أيديكم فإذا غسلنا وضع بين أيدينا طعاماً فنأكل فإذا بلغ وقت الغذاء كذلك ولا نرى شخصاً وإذا كنا في المجلس للسؤال فيقع السؤال فيجيب الشيخ ولا نرى شخصاً كذلك حتى نفترق وذكر أن من عادته إذا نزل إلى زواغة وضع حديداً في كوة فإذا صدأ قال: قلبي كذلك صدأ فيطلع إلى الجبل ليصقله يعني بالمذاكرة ولقاء الأخوان في الله، ومضى مرة بالليل وهو في الجبل وله مصلى معلوم إليه فتبعه أبو علي فإذا به يصلي ونور نازل من السماء على المصلي أي مقابل المصلي فقصده فإذا هو يصلي ويعطس وتلك عادته في الصلاة، وفي السير قدم أبو الخير ليلاً فنظر إلى الوضوء بالمصلي الأسفل الذي لأبي عبدة باجناون فقصده فلما قرب فإذا معتقة تصلي وحولها جماعة شبه رجال عليهم ثياب بيض فقالوا له: دونك فتأخر حتى أكملت وسلمت فطلب الماء ليشرب فناولته وشرب اللبن ثم طلب الماء ليتوضأ قالت: توضأ من الإناء الذي شربت منه فتوضأ بماء ثم رأى في المنام أنها تكون زوجته فوجد لها زوجاً ثم مات والله أعلم، فتزوجت آخر، وتحير من ذلك وبلغ فيه ثم قضى الله فتزوجها بعد ذلك وقال له

بعض: أشكو إليك من قلب قاس وعقل لا يفهم ولسان لا يسأل وبدن لا يخشع ويد لا تعطي ورجل لا تزور، فأجابه إن دواء ست بست بمحبة المسلمين وزيارتهم ونحيل جسمك بالصيام وعليك بقيام الليل والتضرع عند السحر وقراءة القرآن لما عند الله، وذكر أنه مرض فزاره ابن أبي زكريا قال: كيف حالك؟ قال: بخير قال: أما أنت يا شيخ فقد قدمت لنفسك ما لا تخاف عليها أراد من العمل الصالح فقال له: يا ولدي أخاف على المخزن أن يأكله السوس.

[يزيتن بن ياسين الجنائني]

ومنهم أبو موسى يزيتن بن ياسين الجنائني، وفي السير كان تائباً زاهداً في الدنيا ورعاً سخيّاً وقيل أكثر صدقاته في السر، وفي السير أدرك رجلاً في صب فدادينه فأراد عزابتهم أن يحبسوه فغضب وحلف بعق رقبة لئن حبستموه لما أكلت ثمار تلك الفدادين ما دمت حياً فتركوه لا يريد أن ينتصر لنفسه وانكسرت غرفته وأخذ السراق ما فيها فلما نظر إليها كذلك قال: الحمد لله الذي كان هذا منكم ولم يكن منا، وقال البغطوري أبو موسى مستجاب الدعاء.

[أبو الخير توزين الجنائني]

ومنهم أبو الخير توزين الجنائني كان عالماً متفنناً أخذ العلم من أبي يحيى يوسف بن زيد الدرفي وأخذت فيه دعوة أبي الخير الزواغي وذلك أنه بات أجنائون عند بعض أهلها فازداد عنده مولود سموه باسمه وطلبوا أبا الخير فدعا له فقال: أسأل الله ربي أن يفهمه دينه فكان أفضل أهل زمانه وتخاصم مستاوي مع رجل استمسك به عند سرغين الجنائني فكان سلفاً أسلفه في غير ذلك البلد فألزمه سرغين الدفع فشكاه

المستأوي إلى أبي الخير وكلاهما أخذ من أبي يحيى فكلمه أبو الخير قال سرغين: كذا حفظتها من أبي يحيى قال أبو الخير: لعلك سمعت ذلك في الدين قال: نعم قال: حكمها مختلف فرجع عن حكمه.

[ابن معبد الجناوني]

ومنهم معبد أو ابن معبد الجناوني تعلم العلم بالمغرب وهو غير ابن معبد الذي تعلم عند سعد بن أبي يونس لأن ذلك مات بمانو وهذا بعد ذلك في زمان بني عبيد الله وذكر البغطوري أن الشيخ أستاذ ابن معبد خرج في الدولة فجعل لهم أبو تميم الضيافة فأكلوا ولم يأكل ابن معبد وأبو تميم جالس ينظر ثم أعاد لهم ولم يأكل فبلغه غايته الجوع فقال لنفسه: أتيت للتعلم فأكل الشيخ والتلاميذ وهو أعلم مني فما يمنعني من الأكل فأعاد لهم اليوم الثالث فأكل معهم فلما خرجوا قال له أبو تميم: أكلت؟ قال: نعم قال أبو تميم: والله ما هذا بمالي وكانت يومئذ علماء الأباضية كثيرة بالقيروان.

[أبو سليمان البطريسي]

ومنهم أبو سليمان البطريسي وكان عالماً شديداً الشكيمة في الأمر والنهي ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ذكر مغر بن محمد البغطوري أن ابن فلاوس أحد الشطار يدخل في الفنادق ويأخذ أولاد اليهود ولا يردهم حتى يغدونهم ودخوله من فسحة غير مبنية طلبوا إلى صاحبها أن يترك لهم يبنوها فأبى وبذلوا له مالاً على ذلك فأبى وامتنع كل الامتناع واشتكوا لابن نصر وقالوا: نعطيك أربعين ديناراً إن سببت لنا في بنائها وقال: لا آخذ ولا نخادعكم ولا نأخذ طمعكم حتى تبني فكلم أبا داود سليمان ابن أبي يحيى الدرقي فاستفتى فيها الشيخ أبا يوسف وجدليش

ابن في إنها تبني ولو لم يرض صاحبها لتعيين المضرة فأمر ببنائها أبو داود فأنصرف صاحبها إلى الشيخ أبي سليمان البطريسي فاشتكى مما وقع به فأتى أبو سليمان جادو فقصده الشيخ أبا سهل البشر بن محمد فقال: هل معك علم بالحدث الذي وقع؟ قال: لا فخرجا فأتيا أبا داود وكان أبو يوسف حاضراً فقالا له: صرت مثل ابن باديس بالقيروان في التصرف في مال الغير بغير رضى منه قال: ما فعلت إلا بفتيا أبي يوسف؟ فقالا لهما: توبا إلى الله فتابا وهدما ما بنيا وسبب توبته ورجوعه إلى الإسلام إنه يجني التين فجعل مروة في حبة منها حسنة ونوى أن يأكلها من يأكلها فتكسر ضرره فقضى الله إن كان هو الآكل فانكسر ضرره بها فارتدع وتاب فأخذ في التعلم والطلبة يضحكون لعدم استقامة لسانه وهو يقول: علموني واضحكوا فتعلم القرآن ثم العلم حتى صار أفضل أهل زمانه والتوفيق من الله واسمه داود وكان أبوه يهون أمره ويقول: ماذا خفتم في داود ودار عليه الأدب فقال: سِرْ بنا إلى جادو لنحتجم فسار فأنزله في السجن فأوكل أمر إطلاقه إلى المشايخ وظن المشايخ إذ أنزله أن يخرج به وبقي فيه دهرأ فلما خرج من السجن صار يقول: إياكم وداود احذروا من داود وطرد المشايخ جانباً فرماه حجر فكانت سبب موته فتكلم المشايخ في ذلك فقال أبو الربيع: ضرب فاه إنما قتله الحق وكان ينكر تقديم أبي يعقوب وبنيان قصر فساطوا.

[أبو سليمان الأنري]

ومنهم أبو سليمان الأنري كان من الأشداء الأقوياء في دين الله وممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان شيخاً مهيباً موقراً ومن عاداته مع أبي زكريا بن أبي عبد الله إذا كان حاضراً يقول له: يا يحيى لهضم له نفسه وإذا غاب يقول أبو زكريا ابن أبي عبد الله جرثومة الإسلام

وَيُعَظِّمُهُ وَيَكْبِرُ أَمْرَهُ وَيَفْخَمُ شَأْنَهُ، وَجَازَ أَبُو زَكْرِيَا مَرَّةً فَتَزَلَ فِي مَسْجِدِ أَنْرَ فَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ: قَعَدْتُ يَا يَحْيَى هَاهُنَا وَالنَّاسُ مَسَاكِينٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ أَرْجِعْ تَحْتَ الزَّيْتُونَةِ حَتَّى نَعَالِجَ لَكُمْ شَيْئاً، وَأَرَادَ أَبُو هَارُونَ مُوسَى بْنَ هَارُونَ وَتَلَامِذَتَهُ جَادُوا فَجَازُوا عَلَى أَبِي سَلِيمَانَ فَدَخَلَ لِيَصَافِحَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَالَ أَبُو هَارُونَ مُوسَى: تَبَّ لِي اللَّهُ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَكْرِيَا: جَرِثُومَةٌ مِنْ جَرَاثِيمِ الْإِسْلَامِ خَرَجْتَ وَتَرَكْتَهُ فَقَالَ أَبُو هَارُونَ مُوسَى فَأَذِنَ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: تَرْجِعْ إِلَى غَارِ تَوَكُّيْتِ وَتَأْتِيكَ مَعِيشَتُكَ هُنَاكَ، وَتَرْسَلْ إِلَى أَبِي زَكْرِيَا فَفْعَلْ، فَلَمَّا أَتَاهُ سَارُوا إِلَى جَادُو، وَانْحَازَ أَبُو زَكْرِيَا بِمَنْ مَعَهُ لِيَسْلَمَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنُونٍ فِي انْدِمَادٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَصَافَحَهُمْ، فَلَمَّا رَجَعُوا جَازُوا عَلَى أَبِي سَلِيمَانَ فَأَعْرَضَ عَنْ أَبِي هَارُونَ فَقَالَ: تَبَّتْ إِلَى اللَّهِ أَيُّهَا الشَّيْخُ إِلَى ثَلَاثٍ قَالَ جَازَ أَبُو زَكْرِيَا إِلَى أَنْدَمَا فَجَازَ مَعَهُ أَبُو هَارُونَ فَقَالَ ابْنُ جُنُونٍ رَحِمَ اللَّهُ الْأَنْرِي.

[مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَحْيَى الدَّرْفِيُّ]

وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَحْيَى الدَّرْفِيُّ وَحَقُّهُ أَنْ يُذَكَرَ مَعَ أَخِيهِ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِيهِ أَبِي يَحْيَى وَجَدَهُ أَبِي مُحَمَّدٌ وَلَكِنْ آخِرَ لَأَمْرٍ مَا وَكَانَ شَيْخاً فَاضِلاً وَكَانَ تَقَدَّمَ حَاكِمًا ثُمَّ عَزَلَ فَاغْتَابَهُ الشَّيْخُ طَاهِرٌ ثُمَّ أَتَى يَسْأَلُهُ الْحُلَّ فَقَالَ: لَا أَحِلُّ شَيْئاً حَرَّمَهُ اللَّهُ وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي حُلٍّ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ قِيلَ لَهُ مَنْ أَخَذَ مِنْكُمْ دَارَ جَدِّكُمْ أَبِي مُحَمَّدٍ فِي نَصِيْبِهِ وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ بِدَارِ بَنِي عُبَيْدِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي تَكُونُ الْبَرَكَةُ فِيهِ وَفِي وَلَدِهِ وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ ذُرِّيَةِ أَبِي مُرْدَاسٍ إِلَّا امْرَأَةٌ قَوْلْتُهَا نَفُوسَةٌ رَشِدُوا، فَلَمَّا رَجَعَ اقْتَسَمَ هُوَ وَأَخُوهُ أَبُو دَاوُدَ وَهُوَ الْحَاكِمُ يَوْمُئِذٍ فَأَخَذَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّارَ وَأَخَذَ أَخُوهُ فَدَانَ زَيْتُونٍ فِي أَدْرِفٍ فَرَجَعَ الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ فِي ذُرِّيَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ أَخَذَ الْعِلْمَ مِنْ أَبِي سَهْلٍ الْبَشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ هُوَ وَأَبُو الرَّبِيعِ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْخَيْرُ.

[أبو حكم]

ومنهم أبو حكم وكان عالماً وتقدم أنه ممن أخذ العلم من أبي سهل .

[عيسى بن محرز التاردينتي]

ومنهم عيسى بن محرز التاردينتي وعنده قصد طاهر بن يوسف حين انتقل من يفرن ومشى به في الجبل وجمع له مالاً وصلة وتمام حديثه يأتي بعد .

[طاهر بن يوسف]

ومنهم الشيخ التقي طاهر بن يوسف وكان مستجاب الدعاء قال الشيخ مغر بن محمد البغطوري أن أصل عمي طاهر بن يوسف من ساحل المهدية وهو من هروغة، وكان في أيام المعز بن باديس وقطع عليهم الزيتون بشيء معلوم من الخراج يعطونه وقتاً معلوماً فلما حضر وقته في بعض السنين اجتمعوا ليعلموا ما يلزمهم فقرأ عليهم الكتاب ما يلزم كل واحد، فبلغ الشيخ طاهراً فقرأ أن عليهم سبعين قفيزاً زيتاً، وقال المعز للقارئ اقرأ بعد أن اطرق إلى الأرض ببصره فقرأ على طاهر ابن يوسف سبعون قفيزاً زيتاً ثم اطرق فلما رفع بصره قال: ناولني الكتاب فقرأ على طاهر بن يوسف سبعمائة قفيز زيتاً، قال الشيخ: فدبرت فرأيت إن ما عندي من المال ما يخلص ذلك فأردت الانتقال فإذا أفريقية مثل حوض الدم أي قلّ حلالها لاختلاط الأموال وكثرة الريبات فطار قلبه منها فأراد جبل نفوسة فدعا الله أن لا يدخل الجبل بشيء من أموال أفريقية وأن يسكن منزل الطرف وأن يرزقه الجنة، فحمل ما معه من الحلى والناض فلما بلغ بحر جربة أرادت امرأته أن تغسل يديها فتلفت الخريطة التي فيها مالهم وطلع إلى يفرن وكانوا إذ ذاك غير وهبية أما خلفية أو حسية أو مستاوة من فرق الأباضية فجمعوا له ثلاثمائة مدّاً

شعيراً، فرأى في المنام أن وادياً من زفت ووادياً من قطران تبعاه فناولها بمال يفرن فجمعهم فقال لهم شيوخ نفوسة: سمعوا بخبري فلا يمكن لي القعود حتى أراهم فنزل من تاغما وطلع إلى تارديت وخلصه الله من ربياتهم، ونزل على الشيخ أبي موسى عيسى بن محرز فمر به إلى سوق جادو فبات ليلة الجمعة فلما أصبح وفرغ من المجلس تكلم الشيخ عيسى فقال: هذا شيخ من أشياخ أهل الدعوة خرج من بلده بما علمتم وبلغكم فاجعلوا له صلة فأعطى كل واحد ما سهل عليه فجمعوا ستة وخمسين ديناراً فرفعها التارديني ونزل به إلى أجانون فجمعوا أربعين قفيزاً زيتاً ومر به إلى شروس وذلك في أيام أبي عمرو ميمون بن محمد فجمعوا له أربعين ديناراً فسكن في أشفى، وهو منزل الطرف ونطمع له إجابة الدعوة الثالثة، وهي الجنة وكان من أولياء الله الصالحين، وذكر بعض الأشياخ قال: زرتة مع أُمِّي في رمضان مع صغر سني وصنعوا له طعاماً لغدائه فأكلت معه لأنه صار في حد أرذل العمر وكان مستجاب الدعاء صاحب براهين، وتقدم أن أبا الربيع إذا استقبل رمضان أرسل إلى عمي طاهر بن يوسف وإلى العجائز أن يصوموا عنده وفيهن أم ماطوس وكانوا مرة يقرأون والشيخ طاهر قاعد تحت مطلع الأذان فتكلم من في القراءة قال الشيخ طاهر: رأيت كهيئة لرجال بيض الثياب قاموا من المجلس حين تكلم.

[أبو يونس ابدین الفرستائي]

ومنهم أبو يونس ابدین الفرستائي كان من العلماء العاملين المشار إليهم بالأصابع أخذ العلم من أبي ذر صدوق عن أبي مرداس وأخذ عنه أبو حسان خيران من ملال وهو ممن جازت عليه نسبة الدين.

[أبو محمد عبد الله بن مطكود]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن مطكود وكان عالماً زاهداً ورعاً عاملاً، وفي السير يختم القرآن في كل جمعة ثلاث مرات وفي صلاة الجماعة مرة ومرة منفرداً وكان يندب نفسه ويقول: يا نفساه قولي خيراً تغتمي واسكتي عن شر تسلمي وإلا تفعلي هذا تندمي، وإذا كره مصافحة أحد أجهر بقراءة القرآن حتى يذهب وأخذ العلم عن أبي الربيع، وعادته في رمضان إذ كان تلميذاً عند أبي الربيع في أبنانين إذا قاموا للطعام فيحرم للصلاة فيقرأ في الركعة الأولى بسورة البقرة، وفي الثانية بقل هو الله أحد، فإذا سلم أعطوه في يده فيأكل وقيل يصوم هناك على نصف صاع بصاع أبنانين، ومن شدته في الأمر والنهي أنه ينزل أهل الجملة جميعاً في السجن لأنهم استحقوا ذلك عنده، وله أربع بنات وقال لرجل له أربع بنات: ما أتخير من شأن بنتي كما لم أتخير من شعر رأسي، وقال الآخر واسمه جعفر: أنا متحير منهن وترك للعزابة والطلبة مفتاح مخزنه من احتاج منهم إلى شيء أخذه، وقال: ثلاث لا أريد أن يحول بيني وبينها أحد الأذان والإقامة والفتيا، وكان لا يستأذن أهل المسجد على الأذان والإقامة فكل مسجد أدركته فيه الصلاة أذن وصلى، وكان لا يقدر على أشغال الدنيا خرج مرة إلى حصاد زرعه فملأ يده فأوجعته، واشتد عليه الحر فوضع من يده الزرع وانصرف إلى شيخه في أبنانين، فحصد بعد ذلك زرعه أهل منزله ولو جمع له الحطب والنار واللحم ما قدر أن يشوي ويأكل اصطحب في صغره مع الأشياخ وفي كبره مع التلاميذ طلباً للسلامة.

[أبو بحر الفزاني]

ومنهم أبو بحر الفزاني وكان مذكراً تاصحاً وهو من أهل تافراوت، وفي السير صلى بهم العيد بنحو أربعمائة ثم صلى العيد المقبل بنحو

المائتين أو المائة فلما قضى التفت فقال: انتقصتم فرتي يعلم ما يحل بكم ثم أخذوا في النقصان، فصلى العيد بخمسين فالتفت فقال لهم كمقالته الأولى ثم أخذوا يتناقصون فما بلغ العيد الرابع إلا وصلوا بثلاثة هو وابناه، فقال: بادروا بالرحيل فأخذوا في الرحيل ففاجأهم العدو فقتلوا ما قتلوا ومات ابنه ولم يجدوا ما يقتلون فيه من الكبير، والسخطة تعم.

[أبو مسور يسجا اليراسني]

ومنهم أبو مسور يسجا بن يوجين اليراسني ممن خدم الدين وخدمته الدنيا ونال منها الدرجة العليا، أخذ العلم من معدنه أبي معروف واقتنص الأناسي من عيون التعريف فساد كل فائق فحاز القصب عن كل سابق، وذكر أن أكثر وهبية جربة اهتدت على يديه وكانت قبل على مذهب الخلفية من الأباضية، وكان يسمع بها من النكار أذى كثيراً لما يروونه إنه بها غريب فجمعهم يوماً أمر اجتمعت فيه أهل جربة وقد اتصل الخبر بالبلدان فما يؤدي به من الكلام وممن حضر المجلس من الناس خلف بن أحمد عالم النكار وعميدها خال أبي مسور، فبينما هم في محفلهم مجتمعين وهيبته ونكارتها إذ ورد عليهم كتاب من قبل زواغة البادية وفيه سمعنا يا شيخ أن النكار يقعون فيك ويؤذونك بالهمز واللمز فإن صح فأعلمنا نصرحك وما علينا إلا الأزر والسلاح رغبة في نصرتك فقال: لا علم لي بهذا، فإذا بكتاب ثان من قبل دمر وفيه بلغنا أن النكار يسيئون إليك فإن صح نصرناك بعسكر أوله عندك وآخره عندنا، فقال: مالي بهذا علم وما استتموا مجلسهم إلا وكتاب ثالث من أهل نفوسة وفيه ما في الأولين وزيادة كسرنا غمد السيوف ونصل وهي ملصقة في أيدينا، فقال: لا علم لي بذلك فكأنهم تواعدوا فملء النكار رعباً لما علموا من الحزم والجدة وعدم الغفلة عنه فكانوا يعظمونه ويوقرونه وكان

عميدهم خلف يقول في مجالسه، أبو مسور ابن أختي إمامنا أجمعين لحمي لحمة دمي دمه واختلف معهم مرة في مسألة وخلف ابن أحمد غائب فلما حضر سأله أصحابه فوافق أبا مسور فبلغه الخبر فقال: فلهذا تقول العلماء لا يعوج قول العالم وإن كان مخالفاً، وسأل أبو مسور عما يقرأ عنده من حضره الموت فقال: ما سألتني أحد عنها منذ فارقت أبا معروف فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾... إلى آخرها⁽¹⁾ ووضع مرة طعاماً بين يدي التلاميذ بعد أن غسلوا أيديهم فخرج فلم يأكلوا حتى رجع فقال: ما لكم لا تأكلون أخشيتم أن أغرمكم كلوا وإن شئنا غرمناكم، وعزاه الشيوخ في ابن مات له وتذاكروا ما فيه تسلية فقال: ما الصبر الجميل وصفته؟ قالوا: منك الجواب، قال: لا تظهر المصيبة على وجه المصاب، قال: وهل أسهل من هذا؟ قالوا: منك الجواب قال: ما لم يتغير وجهه؟ قال: وهل أيسر من هذا؟ قالوا: منك الجواب قال: ما لم يبك؟ قال: وهل أيسر من هذا؟ قالوا: منك الجواب، قال: ما لم يصح ويدعو بالويل لأن البكاء يكون من الرحمة.

[يزيد بن مخلد ويغلا بن زلتاف الوسيانيان]

ومنهم الشيخان الإمامان القدوتان أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلا بن زلتاف الوسيانيان رحمهما الله رضي الله عنهما كان مسكنهما بالحامة، تعلمتا الكلام عند حسنون بن أيوب، وسائر العلوم من اللغة والفقه والتفسير وسائر الفنون عند أبي الربيع سليمان بن زرقون، وأخذ عنهما خلق كثير من جملتهم أبو نوح سعيد بن زنگيل، وكان أبو القاسم غنياً ذا مال واسع وأبو خزر يخدم ويكتسب على نفسه وكانا يقرآن كتاباً

(1) سورة الفجر آية 27.

واحداً فإذا قام أبو خزر إلى بعض أشغاله قرأ أبو القاسم فإذا رجع ابتدأ من المكان الذي ذهب عنده فيقوله أبو القاسم لي مرتان ولك مرة فبلغا في العلوم مبلغاً عظيماً، فقعدا يقرآن العلوم والأدب وسير الصالحين واشتهر أمرهما وعلا ذكرهما وأبو القاسم ينفق على من يقرأ وقالوا لأبيه ابنك مجنون يعلم ويطعم ويعطي، وتزوج الغاية وقد قيل حين سمع عن بعض الطلبة تزوج لأن يبلغني موت الطالب أحب إليّ من أن يبلغني تزوجه، فقالت له زوجته الغاية لم تزوجت إذن؟ قال: ولو علمت مسألة ليست عندي لشدت إليها رحلي، وتقدم أن عبد الله بن الخير علق زاده لطلب العلم قال: وما أخاف أن يعذبني الله إلا على الجهل، وسمعت الغاية أن من قرأ سراً ولم يحرك شفثيه انتقضت صلاته فأعادت صلاة سنة في ليلة، لأنها كانت تكيف قبل، وقصد الشيخين نكاري فأظهر لهما الرجوع إلى مذهب الوهبية فمكث دهرًا طويلاً معها يتعلم وهو ينتهز الفرصة في الغدر وكانوا في بعض الأحياء فذهب الشيخ أبو القاسم ليتهيء لصلاة الظهر وتباعد عن الحيّ وذهب كل من الطلبة لشأنه فصادف من الشيخ غرة فتبعه وهو لا يعلم به وقد أخذ رمحاً من أرماع التلاميذ فطعنه من خلفه وكان الشيخ لابساً محشوة فأخذت ثيابه جانباً فظهر أمامه وسلم جسده فابتدره الناس من كل جانب فأخذوه فجروه وسحبوه ولم يريدوا أن يحدثوا به حدثاً إلا عن رأي الأشياخ، فقال رجل: اذهب وأشاور الأشياخ فتواري ساعة ورجع وقال: قالوا اقتلوه فقتلوه ولم يشاور الأشياخ، وقال لأبي القاسم بعض نفوسة ورآه راكباً بغلة بسرج محلى بالذهب ليس هذا بسيرة أهل الدعوة فبكى ثم رجع إلى الجبل فأخبر أهل الجبل بأنه وعظ الشيخ فبكى قالوا له: إنما بكى من جهلك، وكان له عشرون جملاً محلاً بالخلخال يسافر بها إلى القيروان وكان مشهوراً بالعلم والأدب عظيم المنزلة شديد الورع وأهل القيروان

يعرفونه بذلك وإذا دخلها اضطربت المدينة يسألونه عن المشكلات ويستفتونه بل يدخرونها لوروده من موافق ومخالف، عن أبي نوح أن أبا القاسم جاز بها على وراق يسمى إبراهيم المشبه يكتب تشبيه الله تعالى بخلقه فعجب منه وجرى بينهما بحث كثير قال فيه إبراهيم إذا لم يكن الله جسماً ولا عرضاً ولا له صورة فكيف يبطله من أراد إبطاله، قال أبو القاسم: فليقل مثل قولك فانقطع، فسأله بعضهم عن بيت كيف ينشد قال: بكسر اللام ومن أنشده بالفتح فهو ذم فقال القروي لأصحابه أبو القاسم عالم كبير ولما بلغ أبو القاسم ما بلغ عظمت منزلته عند الملوك وكان سلطان المغرب أبو تميم وكان له راية حمراء علامة لسخطه على من أرسلها إليه فأرسلها بجيش إلى الحامة فسمع بها أبو القاسم فأتى القيروان فشفع في أهل الحامة بلده فشتمه وأعطاه راية بيضاء مشهورة لرضاه فأسرع بها وأدرك الجيش عند وصوله فرجع وقال أبو تميم في أبي القاسم لم تلد العرب مثله، وقال في أبي خزر عالم ورع، وذكر أبا نوح فقال فتى مجادل، ودخل أبو القاسم على أبي تميم فطابه أن يوريه ذا الفقار سيف رسول الله ﷺ فأراه له فسله وهزه ثم رده قال أبو تميم: لم آمنه على نفسي إذ هزه حتى رده ودخل يدي، وتخوف أبو تميم من جهة أبي القاسم وعمرت نفسه بذلك وكثرت وزراء الطعن فيه، وذكر أبو الربيع سليمان بن يخلف أن أبا القاسم تكلم مع يهودي فقال له: لم يبق إلا يسير فنخرجه من تلك المدينة فأفشى سره لأبي تميم وعاتبه المشايخ على إفشاء سره لليهودي وقالوا له أحسن الله عزانا فيك، وكان أبو القاسم يخرج أيام الربيع إلى أحياء مزاةة، وكانت عدتهم وعددهم في قوة وكثرة قيل اثني عشر ألف فارس، والرجل يعد كثرة، وقالوا لأبي تميم يريد الخروج عليك فكتب إلى عامله بالحامة بقتل أبي القاسم فتكأ ولم يرد قتله، فأشار عليه العامل بالمسير إلى الحج قال: قد حججت؟

قال: إنكم الوهيبية تستحبون إعادة الحج وترون فضله، قال: ليس لله عليّ أن أحج مرتين، ثم أشار عليه أن يخرج إلى وارجلان قال: لست أن أخرج من الدنيا وأنا حيّ، وفي حفطي قال: زر نفوسة فلم يفعل فاستبطأ فعله أبو تميم وكتب إليه كتاباً ثانياً ثم ثالثاً يقول: إما رأس أبي القاسم وإما رأسك فأرسل إلى أبي القاسم فركب وأتاه فأراه الكتاب الأول والثاني والثالث فتيقن الشيخ بالموت فقال: امهلني أصلي ركعتين فلما قضاهما بادرت الرجل بالسلاح فطلع العامل إلى علو لم يرد أن يرى أبا القاسم في تلك الحال لما بينهما من الخلّة وكان بيد أبي القاسم سكين فدافع عن نفسه ففرقهم وفرح العامل وأشرف ثم اجتمعوا عليه ثانياً وأغلق عليه الباب ثم دافعهم وفرقهم ففتح العامل الباب واطلع عليهم فما زالوا معه كذلك حتى قتلوه ﷺ، وبادروا أبا محمد ويسلان فسجنوه فشكاه أهل السجن لكونه يسهرهم بالدراسة والقراءة فأخرجوه وإذا سأل بعد ذلك عن السجن قال: يصلح لدراسة القرآن، فلما قتل بلغ موته في أهل الدعوة مبلغاً عظيماً وعزموا على الطلب بدمه وشمر أبو خزر لذلك ومن معه من المشايخ إلا أنهم لا يريدون أن يحدثوا حدثاً إلا عن رأي أهل الدعوة، فخرج أبو نوح إلى طرابلس ونفوسة وكان القائم بأمورهم أبو عبد الله ابن أبي عمرو بن أبي منصور وقد تقدم التعريف به فجمعهم وشاورهم فقالوا: نحن في تمام الضعف من وقعة مانو ولكن إذا تهيأتم نعينكم بما نقدر فأتى جربة فعزم العامة على الطلب بدم الشيخ وأبي أبو صالح اليهراسني وقال: لا تهيجوا على أنفسكم أهل الخلاف فإنهم أكثر منكم عدداً ومدداً، فرجع أبو نوح وأخبر أبا خزر بما عند أهل طرابلس واتفق رأيهم فكتبوا بني أمية بالأندلس والكاظم أبو نوح فأخذ الكتاب في الطريق وأوتي به أبو تميم وزاده ذلك حنقاً، وممن كره قيامهم أبو محمد ويسلان وقال لأبي نوح وقد أكثر النجوى في شأن

القيام ستعلم من أين تخرج نجواك فلما سمع أبو تميم بتهيئهم للخروج أشفق وأرسل إليهم جماعة من المشايخ أن ارجعوا إلى بلادكم اللاتي توليتموها من تيهرت والجريد ونحن في بلادنا وكان ذلك مراد أبي خزر ولكن العامة أبت ألا مناصبة أبي تميم، وأرسل أبو خزر إلى الزاب واريغ ووارجلان أبا محمد جمالاً يستنفرهم، وذكر يعقوب بن إسحاق أن أهل وارجلان خرجوا في العدد والعدة لما وصلتهم رسل أبي خزر واجتمعت جموع مزانة على أبي خزر ولم ينتظر المدد وبايعوه على الدفاع والطلب بدم أبي القاسم فإن ظفروا بايعوه للظهور ونزل على باغاي وحاصرهم أشد ما يكون فصاروا يرشون أهل العسكر ويمنوهم، فقبل بعضهم الرشا وقالوا: إن قبيلة بانة تخلفتهم إلى أموالهم فانهزموا، وكانت الهزيمة في الجميع وصارت الأشياخ والتلاميذ يذودون خلف الناس وكان أبو نوح على فرس أدهم فإذا لجوه رمى بنفسه إلى الخندق ونفس على خلق كثير، وقيل عن الشيخ عبود الكزيني قال له الطلبة نخشى إن وقع ما نكره أن تذهب بفرسك وتتركنا قال: لا أذهب عنكم فوفى لهم ما قال وشكل فرسه حتى استشهدوا جميعاً، وعن أبي زكريا ابن أبي زكريا عليه السلام أنه قال: مات في تلك الواقعة من التلاميذ عشرات لم يفهم أبو نوح إلا باللغة، عن يحيى بن أبي يحيى عن أبي عبد الله محمد بن أحمد عن وانودين أن أبا محمد لما استنفر أهل الزاب وأهل وارجلان خرجوا في جموع كثيرة مع خزرون بن فلفل ولم يبق بينهم وبين باغ إلا مقليل فسمع بخبر الهربية فرجع وقال أبو خزر عجلنا بالتلاميذ وقيل رأى ثلاثة رجال في ليلة واحدة ثلاث رؤيات أن يسموا هذه الواقعة وقعة الشهداء، وانتقل أبو خزر إلى جبل نفوسة بعد أن اختفى أربعين يوماً في جبل وما معه إلا رجل واحد وخرج أبو تميم مجدداً في طلب الشيوخ بعسكره وفرق عيونه في أثرهم فصادف أبا نوح

يرعى إيلاً فقيدوه وحملوه على جمل وطاقوا به الأسواق وأمه تتبعهم، فقالوا: لا تلد السبع إلا اللبوء فلما نزل العسكر آخر النهار وأنزلوه بادر التميم قبل أن يقتل فقال صاحب السجن ادخل الخباء واسترح وأزل البرد فعلمت إنني لا أقتل وكان يأتيه بعضهم ويقول: تركت القوم يقعون فيك ويأكلون لحملك فأقول مولانا خير منكم فيبلغ ذلك أبا تميم فيعطفه علي وكان الرجل بعد أن عفا عني أبو تميم يأتيني ويقول: يا حبيبي يا حبيبي فقلت له يوماً هل رأيت حبيباً يأكل لحم حبيبه؟ قال: نحن رجال الملك من أحبه أحبناه ومن كرهه كرهناه، واجمع أبو تميم أصحابه على الكتاب الذي كتبه إلى بني أمية وقال لهم يهودي: أنا آتيكم بخطه فينما أنا في السجن إذ أتاني ببطاقة ومحبرة قال: اكتب إلى مولانا واطلبه أن يعفو عنك واعتذر له وترك البطاقة وجلس ساعة ثم خرج فأخذت اكتب فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم فألهمني الله وتذكرت الكتاب الذي كتبت إلى بني أمية فخفت أن يكونوا أخذوها وأرادوا استخراج خطي فأخذت القلم وقطعت ما كتبت ثم بدلت خطي ثم بعد ساعة دخل اليهودي وأعطيته الكتاب فجمع الكتاب والوراقين فقاوسا بين الخطين فاتفقوا إنه ليس بخط يد واحدة إلا واحداً قال: الكاتب واحد، وبدل الخط فتركوا قوله واحضر أبو نوح وهو في القيد والإضمار، وأبو تميم في قبة حمراء على سرير أحمر ولباس أحمر وحوله رجال بأيديهم الحراب فهاله ما رأى وأيس من الحياة وسلم عليه واطرق أبو تميم ملياً ثم رفع رأسه فقال: يا سعيد أحقاً كاتبتم فينا بني أمية قال له أبو نوح: إن تقبل حجتي ويرفع عذري تكلمت وإلا فمولانا يفعل ما يشاء قال: بل يقبل عذرك، وكان أبو نوح فصيح اللسان كثير البيان قال: كيف نكاتب بني أمية ونأمنهم وقد علمت ما بيننا وبينهم يوم الدار ويوم الجمل وصفين وهم الشجرة الملعونة التي ذكر الله في القرآن فلما سمعه أبو تميم سره وتبسم

وانطلق وجهه فدفع إلى الكتاب الذي كتبت إلي بني أمية فقال: أنت كتبت هذا الكتاب؟ فقلت: والله ما هذا كتاب كتبه بيدي فاختلفوا في يميني فطائفة قالوا: جعل ما زائدة؟ وقال بعضهم: لا يفطن لمثل هذا فقال أبو تميم لو صادفتني يوم باغا أتركني لغيرك؟ قال أبو نوح: لا، فصدقه في جميع ما قال، قال أبو تميم إن القيود دخلت في رجلك بالعلم ولا تخرج إلا بالعلم قال أبو نوح: عسى الله أن يجعل ذلك كفارة لذنوبي فغضب وقال: أفنحن مسيئون فيك قلت ليس في ذلك ما يدل على إساءتك ألا ترى أن الله يتلي عباده فيصبروا فيأجروا وليس في ذلك ما يثبت الإساءة لله فزال غضبه، فطلبت العفو فعفى عني فخرجت فأرسل إلي بثياب نفيسة وأمر بنزع الأغلال والإضمام، فأرادوا أخذها فأبى أبو نوح وقال: مال مولانا كله حسن فبلغه ذلك عني فزاد في إكرامي، وكان يرسل إلى مرة بعد مرة فدخلت عليه مرة وقد أرسل إلي فسألني عن أبي خزر أين هو؟ فقلت: لا أعرف فقال: تأتي به دراهمنا حيث كان فقال: أنخشي أمره؟ فقلت: إن أعطيت الأمان للناس في بلادهم لا تخشى أمره وإلا خشي أمره، فرآني ذمحته فبعث في أقاليم الوهية كلها بالأمان، وعن أبي الربيع سليمان بن يخلف عن أبي يعقوب يوسف بن نفاث أن أهل الدعوة إلى يومنا هذا في ذلك الأمان وحدث إبراهيم بن أبي إبراهيم أن أبا تميم أمر الخازن أن يملأ كم أبي نوح مالا دراهم ودنانير وكان الخازن يجعل فيه، وأبو نوح يرخي كفه حتى كاد لا يقوم به فأخبر أبا تميم فأرسل خلف أبي نوح عيناً ينظر ما يفعل بالمال فلما برز إلى باب القصر صار يقبض من المال ويعطي المارة حتى بقي القليل فرجع الجاسوس وأخبر أبا تميم بأنه مجنون لفعله بالمال ذلك قال أبو تميم: هو منتحل الرياسة ولا جنون به، وكان أبو تميم من العلماء وعادته يجمع علماء الفرق يتناظرون بين يديه وكان أبو نوح غاية في العلم

وَالْفَصَاحَةُ وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَارْتَفَعَتْ بِذَلِكَ دَرَجَتُهُ عِنْدَ أَبِي تَمِيمٍ
وَسَأَلَ أَبَا نُوحٍ مَا الدَّلِيلُ أَنَّ لِهَذِهِ الصَّنْعَةَ صَانِعًا؟ وَأَجَابَ جَلِيسَاؤُهُ بِأَجْوِبَةٍ
غَيْرِ مُرْضِيَةٍ قَالَ أَبُو نُوحٍ: فَرَأَيْتَ أَبَا تَمِيمٍ كَأَنَّهُ يَرِيدُ الْجَوَابَ وَتَأْدِبُ أَبُو
نُوحٍ فَقَالَ: جَوَابُكَ مَفْهُومٌ مِنْ سَوَائِكَ لِأَنَّ الصَّنْعَةَ بِنَفْسِهَا دَلِيلُ الصَّانِعِ
وَلَا صُنْعَةٌ بِغَيْرِ صَانِعٍ، وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَعْتَزِلَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمًا أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ
مُتَغَايِرَةٌ كَزَيْدٍ وَعَمْرُو لَأَنَّ الْأَسْمَاءَ عِنْدَهُمْ هِيَ الْأَلْفَاظُ كَمُسْتَاوَةٍ، وَقَالَ أَبُو
نُوحٍ: يُلْزِمُكَ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ غَيْرَ الرَّحْمَنِ وَأَنَّ مُغْيِرًا غَيْرَهُمَا جَعَلَ هَذَا غَيْرَ
هَذَا فَأَرَادَ الْجَوَابَ فَأَنْكَرَ أَبُو تَمِيمٍ قَوْلَهُ: وَقَالَ هَذَا الْكُفْرُ بَعِينُهُ، ثُمَّ إِنْ
أَبَا تَمِيمٍ عَرَفَ مَوْضِعَ أَبِي خَزَرَ بِجَبَلِ نَفُوسَةٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ وَكَانَ
الْقَائِمُ بِأَمْرِهِ بِجَبَلِ نَفُوسَةٍ حَاكِمُهَا يَوْمُنْذُ أَبُو زَكْرِيَا بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ
تَقَدَّمَ وَقَدْ خَرَجَ أَبُو خَزَرَ يَرِيدُ أَبَا تَمِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ قَابَسَ أَرْسَلَ إِلَى أَبِي
نُوحٍ وَقَالَ: تَلَقَّ أَبَا خَزَرَ صَاحِبِكَ إِنَّهُ بِقَابَسٍ، فَقُلْتُ: أَرْسَلَ مَعِيَ خِيَلًا
مِنْ مَزَاتِهِ فَأَرْسَلَ مَعِيَ ثَمَانِينَ فَارِسًا، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ الدَّعْوَةِ فَطَعَنَ فِيهِ
بَعْضُ جَلِيسَائِهِ وَرَدَّهَا أَبُو تَمِيمٍ إِلَّا مَا قَلَّ فَلَمَّا التَّقْيَا بِقَابَسٍ تَعَانَقَا وَبَكِيَا
قَالَ أَبُو نُوحٍ: أَمَا تَخَافُ يَا شَيْخَ عَلِيٍّ نَفْسُكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ أَعْطَانِي أَمَانًا
وَعَهْدًا، وَعَادَتُهُ لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى أَبِي تَمِيمٍ رَفَعَ مَنزِلَةَ أَبِي
خَزَرَ وَعَظَّمَ شَأْنَهُ وَيَقْعُدُهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَغَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ وَقُوفٌ بَيْنَ
يَدَيْهِ، وَافْتَتَحَ أَبُو تَمِيمٍ مَصْرَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ وَأَرَادَ التَّنْقِلَ إِلَيْهَا وَأَرَادَ الْخُرُوجَ
بِالشَّيْخَيْنِ خَشْيَةً أَنْ يَحْدُثَا بَعْدَهُ بِأَفْرِيقِيَّةٍ حَدَثًا مِنْ قِيَامٍ عَلَى عَامِلِهِ فَكَلَمَهُمَا
فَقَالَ أَبُو خَزَرَ: كَيْفَ بِالْقَعُودِ خَلْفُكَ؟ وَكَرِهَ أَبُو نُوحٍ الْخُرُوجَ إِلَى مَصْرَ
فَأَخَذَ مَاءَ نَخَالَةِ الشَّعِيرِ أَيَّ مَا بَلَّتْ بِهِ وَاغْتَسَلَ بِهِ وَاصْفَرَ، وَسَأَلَ عَنْهُ
فَقِيلَ مَرِيضٌ فَأَتَاهُ وَهُوَ مَصْفَرُ الْوَجْهِ، وَخَرَجَ أَبُو تَمِيمٍ وَمَعَهُ أَبُو خَزَرَ
فَأَنْشَأَ أَبْيَاتًا عَلَى مَفَارِقَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَوْطَانِ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو تَمِيمٍ عَلَى
أَفْرِيقِيَّةٍ يَوْسُفَ بْنَ زَيْرِي بْنِ مَنَادٍ وَذَلِكَ فِي عَامِ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ

في حرب وانهزمت بنو واسين فبلغوا الحي وأخذ بنو يفرن في السلب وأدرك بعض السلافة الغاية زوجة أبي القاسم فأخذ في سلبها فرمى أبو خزر بفرسه عليهم، وكان قبل واقفاً وهزمهم فلما أصبح سار إليهم وطلبهم إلى الصلح وما زال حتى أصلح ذات بينهم ولم يكثرثوا بما فعل بهم بالأمس، ورأى لوحاً بيد إنسان فتبعه فإذا به نكاري فرجع ثم أتاه التلامذة بعد ذلك فقال: إنا لنقع في غيركم بسببكم لأن من غيب وجهه عن أخيه في الله فهو هالك، وكتب له أبو نوح إلى بعض المسودة ودعا له بما لا يستحقه إلا المتولي والإمام العدل قال له أبو نوح: انفعل هذا بالكافر قال له: أنا معهم بحالة لو قلنا لهم لكم الدنيا والآخرة لوسعنا ذلك يعني تقية، ولما ولى أبو تميم ابنه فرط في حق الشيخ وغمره الخمول فقدم معتزلي يطلب المناظرة ففحم فقهاء مصر فشق عليهم ذلك وشكوا أمره إلى السلطان فاستشار أصحابه في أمر المعتزلي فقال له ذووا السن: عليك بأبي خزر عالم المغرب الذي قدم به أبوك يكفيكه فأرسل إلى أبي خزر يخرج لمناظرة المعتزلي فقال للرسول: لا ثياب لي تصلح لحضور المجالس ولا مركوب، فأرسل له بثياب وبغلة فركب وخرج فناظره فغلبه فقال: أين تعلمت؟ قال: في بلاد الشيخ قال: حاشا بلاد الشيخ أن يتعلم مثلك فيها وحدث أبو سليمان صاحبه إلى مصر قال قال أبو خزر: ما دخلت معه في فن إلا وغلبته والحمد لله، قال أبو سليمان: قلتُ له وهو يقرأ مصحفاً لم لم تنظر في كتب العلم؟ قال: إنما ينظر فيها من يستفيد منها وإن لم يستفد فقراءة القرآن أفضل، ومن خشوعه وسكونه في العبادة إنه صلى مرة بالناس فنزل الطير على رأسه وضحك بذلك من خلفه فنقضوا وأتم، وقبل أن يموت أبو القاسم هو الذي يتقدم، ومن تواضع أبي خزر أن أقيمت الصلاة وفقد أبو القاسم فتقدم أبو خزر ثم أحس بأبي القاسم فتأخر وتقدم أبو القاسم، واختلف أبو

خزر وأبو القاسم في مسائل من قال لا إله، ولا حول ولا قوة، فسكت، فقال أبو خزر: أشرك وقال أبو القاسم: مسألة احتمال ولا يظن بالمسلم إلا خيراً والحمل فيما يحتمل على أحسنها، وقال أبو القاسم: الأم أعظم حقاً لأنها أعظم مؤنة، وقال أبو خزر: الأب أعظم لأنه المأخوذ بحقوق الابن، وقال أبو خزر من أجهد نفسه من أهل الدعوة فإمّا نال خيراً إمّا لم ينله ومن لم يجاهد فلا ينال خيراً، وقال أبو القاسم: الأول ينال خيراً على كل حال والثاني يحتمل.

[أبو نوح سعيد بن زنگيل]

ومنه أبو نوح وتقدم كثير من أخبره في أخبار الشيخين واسمه سعيد بن زنگيل تمارض وتخلف عن أبي تميم بل أراد التخلف وهرب وقصد وارجلان بأهله مستخفياً خشية أن ينتقل إلى مصر فلما بلغ الخبر إلى أبي صالح جنون بن يمریان قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، فلما استقر بها أكرمها أهلها ورفعوا قدره وواسوه بمالهم وأعطاه أبو صالح بيتاً مملوءة إلى السقف تمرّاً وأجرى عليه مائدة بكرة وأخرى عشية وقعد معه يوماً فطال معه الكلام فقال له أبو صالح: اجعل يدك في جيبك فما وجدت فيه فاغسل به ثيابك فوجد فيه سبعين ديناراً، فقال أبو نوح: من بان له أخ مثل جنون فلا يعدم شيئاً، وكانت جماعة وارجلان يجتمعون إليه في مسجد جنون فقال له يوماً: بعضُهم حدثنا الليلة بجميع ما حفظت قال: كيف أحدثكم بما أكلت في تعليمه أقفرة ملح في ليلة، ثم أراد الرجوع إلى بلاده فقال أبو صالح: اقعد وأقسامك في كل ما أملك، وكان ذا ربيع كثير فأبى وتوجه إلى أفريقية فوجد الأمور تبدلت وتغيرت عن حالها حتى قال له بعض أصحابه: ما أخرجك من وارجلان وقد أحسنوا القيام بأمورك أجمع قال: الإخوان والأصحاب،

وَكَانَ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ قِصْطَالِيَّةٍ وَإِفْرِيقِيَّةٍ، وَتَلْقَى وَيَجْنِينِ مُقَدِّمِ دَرَجِينَ، وَقَدْ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ الْمَنْصُورِ سُلْطَانُ الْقَيْرَوَانِ وَكَانَ ذَا مَكَانَةٍ عِنْدَهُ، وَمَعَ أَبِي نُوحٍ أَصْحَبُهُ، وَتَلَقَّتْهُ كِبَرَاءٌ مُسْتَاوَةٌ أَيْضاً وَسَبَقُوا الشَّيْخَ إِلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: اقْعُدُوا فَإِنْ سَلِمَ عَلَيْهِمْ قَبْلُنَا هَجَرْنَاهُ فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهُ صَرَفَ فَرَسَهُ عَنِ النِّكَارِ إِلَى الشَّيْخِ فَقَالَ أَبُو نُوحٍ: قَدِمُوا فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهُ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَتَلَقَّاهُمْ، قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ نَفَاثٍ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَيَجْنِينِ يَسْعَى إِلَى الشَّيُوخِ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ خَزْ وَاشْبِرُوهُ يَأْخُذُ فِي ثَوْبِهِ حَتَّى صَافَحَهُمْ وَاهْتَزَّوْا لِفَعْلِهِ وَدَعَا لَهُ وَلَوْلَدَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى الشَّيْخِ الْمَنْصُورِ فَأَتَى وَيَجْنِينِ فَشَاوَرَهُ وَقَتِ الْهَاجِرَةِ فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ الْمَسِيرَ فَلَا أَخَافُ عَلَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَرُدْ كَفَيْتَكَ وَلَوْ خَالَفْتَ عَلَيْكَ، فَسَارَ فَأَكْرَمَهُ الْمَنْصُورُ وَقَرَّبَ مَجْلِسَهُ وَقَالَ الْمَنْصُورُ: إِنْ سِيفِي لِلْوَهْبِيَّةِ وَرَمَحِي، وَاجْتَمَعَ يَوْمَاً مَعَ ابْنِ حَمُو بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ فَتَنَازَلَا فَسَأَلَهُ أَبُو نُوحٍ عَنْ عَلَامَةِ الصَّنْعَةِ قَالَ: الْحَدِثُ وَالْحَرَكَةُ وَالسَّكُونُ وَالْإِنْتِقَالُ وَالزَّوَالُ، قَالَ: قُلْتَ لَهُ وَكُلَّ مُحَدَّثٍ مَخْلُوقٌ قَالَ: كُلُّ مَخْلُوقٍ مُحَدَّثٌ لَا عَكْسَ قَالَ أَبُو نُوحٍ: مِنْ الْحَدِثِ مَخْلُوقٌ وَغَيْرُ مَخْلُوقٍ فَيُلْزَمُ أَنَّ الْقَدِيمَ خَالِقٌ وَغَيْرُ خَالِقٍ قَالَ: الْقَدِيمُ كُلُّهُ خَالِقٌ، قَالَ أَبُو نُوحٍ: الْمَحْدَثُ كُلُّهُ مَخْلُوقٌ فَوَافَقَ، قَالَ أَبُو نُوحٍ: وَالْكَفَرُ مُحَدَّثٌ مَخْلُوقٌ قَالَ: الْكَفَرُ مَخْلُوقٌ لِي، قَالَ أَبُو نُوحٍ: فَهُوَ إِذَنْ مَرْبُوبٌ لَكَ وَمَأْلُوهُ فَأَنْتَ إِلَهُ فَعَلَّكَ وَرَبُّهُ، قَالَ: لَا يُلْزِمُنِي ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ إِذَا كَانَ مَخْلُوقاً لِي أَنْ يَكُونَ مَرْبُوباً لِي، قَالَ: قُلْتَ يُلْزِمُكَ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقاً لِلَّهِ غَيْرَ مَرْبُوبٍ لَهُ، قَالَ: عَمَّنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا صَحَّحْتُهَا مِنْ غَيْرِ الْأُمِّ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ مَشْهُورَةٌ انْتَهَى، لَكِنْ يَنْظُرُ قَوْلُهُ يُلْزِمُكَ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقاً لِلَّهِ غَيْرَ مَرْبُوبٍ لَهُ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّزُومُ كَذَا اللَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَرْبُوبٍ فَأَفْحَمَ وَهُوَ مُعْتَزَلِي. قَالَ الْمَنْصُورُ: مَاذَا يَقُولُ قُلْتَ: يَقُولُ اللَّهُ

خلق وله خلق وكل انفرد بما خلق قال له: وقد جعلت الله شريكاً بهذا هو الشرك بعينه فأجازه بإجازة سنينة وأمره بالرجوع إلى أهله، وناظره مرة يحيى الأعرج النكاري وكان عميدها في العلم وقدوتها، فسأله أبو نوح عمن دعا مشركاً إلى الإسلام وأخذ يعلمه التوحيد كلمة كلمة فما تراه مشركاً أو مسلماً إن قلت مسلماً فيصح ببعض التوحيد، وإن قلت مشركاً: فبماذا أشرك أبما علم أم بما بقي، ففحم، فقال له الشيخ لا تحتشم وقفت حيث وقف إمامك عبد الله بن يزيد وعندهم أن الحجة لا تقوم إلا بالسمع وقولنا إنه أشرك بما لم يسمع، وتناظر وهبي ونكاري فآل أمرهما إلى المشاتمة بل إلى الحرب والتقى الفريقان بفحص توزر وانهزمت مستاوة إلى تقيوس ومات منهم جماعة، وأدرك رجل يحيى الأعرج قال له: لا تقتلني لأنني يهودي قال: لا أقتل الموحد وأترك المشرك لأنه في صفة يهودي، فأرادوا حصارهم بتقيوس فأبى أبو نوح وعصوه فحملوا على الوهبة حملة رجل واحد فانكشفوا إلى توزر وكان أبو نوح في ساقاة العسكر يحمي ويذود عن المنهزمين حتى غشيه النكار وحملوا عليه حملة واحدة فحال بينهم وبينه عزيز بن عيسى أخو صابر بن عيسى وحمل عليهم ونفس عن الشيخ وكر عليهم مرة بعد أخرى حتى أيسوا من الشيخ، وكان عزيز بعد ذلك يقول: أنا خير من أخي صابر نفست عن الشيخ، وفر أخي وترك الشيخ لولا أنا لقتلته النكار، وتمارض أبو نوح بقنطرات فعاده أبو يعقوب يوسف بن نفاث فسأله عن حاله قال: ما بي مرض لكن أظن أن عبيد الوهبة وإماءهم يغلبون جميع مستاوة ثم قاومونا وهزمونا فكيف لا أمرض بقلبي، واستشاره جماعة من مزاة في بناء مسجد قال: إن اتفق الأخيار على موضع يصلح شاوروا العامة فإن رضوا شاوروا من ينظر إليه من المسلمين، فإن رضوا بنوه،

وحبسه عامل توزر طمعاً فيما ينال من الوهبة لعظم منزلته عندهم فقدمت
غير من أريغ لتمتار وليس فيهم من الوهبة إلا يوسف بن توجينت، فقال
له الشيخ: اشتر لي جمال أصحابك فاشترى منهم عشرين أو أقل كل
واحد منها، فتسامعت صنهاجة أن الشيخ اشترى جمالاً فأقبلوا إليها
وأخذوها وأيس أهلها منها فرجعوا وعاتبوا يوسف وقال لهم: لا يضيع
لكم شيء فعلي ثمن ما اشتريت به فاطلق الشيخ فحمله يوسف على ناقته
وأحسن خدمته قال له يوسف: أفدني، قال: احبب للناس ما تحب
لنفسك وأكره للناس ما تكره لنفسك، وكل ما تكرهه نفسك لا تفعله
لغيرك فلما بلغ سوف أعانه أهلها بما قدروا عليه فمن معط دنانير ومن
معط حلياً ومن معط جملاً وجمع منها مالا وجمالاً، فأعطاه نكاري في
جملة الناس ديناراً فأخبر الشيخ أنه نكاري فرد عليه ديناراً، وقال: طبت
به نفساً، قال قال ﷺ: «جبلت هذه القلوب على حب من أحسن إليها
وبغض من أساء إليها» وأكره أن أحبك، وقيل عن الشيخ مر بقرية ونفذ
ماؤه ونزل وأراد أصحابه الاستقاء فقبل له: اسمها نكارة فأمر بالرحيل
ولم يستق فلما بلغ أريغ جمع له مفراوة أموالاً فأعطى أثمان الجمال
التي ضمن يوسف، وقيل لما كان بورجلان علموا أنه قام على رغد
العيش ولينه وطعام الملوك فالتمسوا طباخاً يصلح لطعامه فلم يجدوا إلا
امراً من بني أم جعفر فكان الشيخ يدعو لها بالبركة فظهر ذلك فيها وفي
ذريتها، ولما حضرته الوفاة حضر لموتها سبعون نسمة من ذريتها،
وسأله الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر عن ولد المتولى إذا بلغ قال: إن
علمت منه خيراً فجدد له الولاية وإلا فقف، قال: هذه مسألة النكار في
الانتقال من الولاية إلى الوقوف وهي المعلومة بمسألة الحارث
وعبد الجبار، قال أبو نوح: إنما كانت ولاية الأطفال بالاتباع ثم

استحقت للذات أولاً وسأله عما يرويه المشبهة عن النبي ﷺ لم تمتلىء جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه قال: إن صحت فمعناها ما قدم لها من أهل الشقاوة كقوله تعالى: ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾⁽¹⁾ وعنه شر ما خلق الله الكفر والفقر فيبتلي الله بهما أهلاً آخر الزمان إن عاشوا فعلى فقر وإن ماتوا إلى النار، ورجع إلى وارجلان بعد موت أبي صالح فتغيرت عليه وتنكر فجمع وجوه أصحابها فقال: ظهر فيكم نكاح السر فلا ينكر الزنا على أحد إلا قال تزوجت سرّاً، وتطلقون عبيدكم في أموال الناس فيأخذون الجريد والليف والكرانيف فتكادون أن تسرقوا، وأظهرتم الفرقة فقائل مسجداً ومسجدكم ويهودينا ويهوديكم فلم يجيبوه بشيء، فاستبطأ الجواب، وبات تلك الليلة في تين باماطوس عند حمو بن اللولو، وسأل يهودياً بين يدي ابن الخطاب بزويلة عن رجل ضرب عنق نفسه فأبانها متى قتل نفسه قبل أن يموت أو بعد أن مات أو رمى غيره فمات بالرمية ومات الرامي قبل المرمي فمتى قتله في حال الحياة أم في حال الموت؟ وعن من كان في السفينة كيف يطلب الراحة والسكون لا يمكنه على حال وحار ولم يجد جواباً، قال ابن الخطاب: هات جوابهن قال: أما الضارب عنقه والرامي غيره إنما قتلا في حال الموت بما فعلا في حال الحياة، وأما الكائن في السفينة فله حركة الاكتساب وحركة الاضطرار فيطلب الراحة إلى اجتماع الحركتين فيقصد إلى حركة نفسه، قال أبو نوح: ناظرت عن هذه النحلة بين أبي تميم وأبي منصور وأبي الخطاب سائر الفرق ولم يبق مذهب إلا غلبته وقهرته، وركب يوماً بغلته ومعه المعز بن فضالة وجدّاً في السير من قنطرة حتى نزلا بسوق فقال: ما فيّ مفصل إلا ويوجعني قال المعز وكان ماشياً: ما بي من

(1) سورة يونس آية 2.

وجع فقال: عليك الحج ورجع وباع من أصله وأعطى صداق امرأته وانفذ وصيته وقيل انفذ وصيته ثلاث مرات وتهياً إلى الموت وسار إلى الحج ثم رجع وصار يختلف إلى مجالس الذكر إلى أن مات، وقالوا: من أراد أن يتوب فليتب توبة المعز بن فضالة.

[عبود الكزيني]

ومنهم عبود الكزيني وكان فاضلاً عالماً وافياً صادق الوعد وعليه حلقة يأخذون العلم ومات يوم باغا وتقدم أن طلبته قالوا له: خشينا إن وقع مكروه أن تفر بفرسك وتتركنا فلما وقع ما كرهوا شكل فرسه وزاد عنهم حتى مات معهم.

[أبو صالح جنون بن يمران]

ومنهم أبو صالح جنون بن يمران رحمه الله كان عالماً ورعاً سخيّاً ذا كرامات تقدم من أخباره ما يكفي وهو أحد أقطاب الدين وثمان اليتامى والمساكين وتوجه أبو صالح بكر بن قاسم وأبو زكريا فصيل وأبو موسى عيسى بن السمع زائرين أهل أريغ ووارجلان فلما دخلوا على أبي صالح جنون صافحوه وتبركوا بمشاهدته ثم تساءلوا فيما بينهم عنه فقال أحدهم: لما رأيته توليته، والثاني: لما عانقته توليته، والثالث: لما تكلم توليته، يعنون تحقق ما معهم من الولاية بالشهرة، وأوصى بنيه أن يتولوا حفظ غلتهم بأنفسهم حتى تصل مكان الحرز وإن أردتم شراءها فما دامت في أصولها وإن احتجتم إلى طلبها فاطلبوها قبل دخولها في الحرز فيصعب إخراجها، وإذا أردتم الانتقال فهيؤوا لأنفسكم مسكناً منفرداً تستترون فيه غناكم وفقركم، فلا يقال مبذرون ولا أشحة ولا فقراء لا منفعة فيهم إلا الأذى بالدخول والخروج، واشتروا كسوة الشتاء في

الصيف فإن من بات مبيت سوء ليلة واحدة لا يخلفه وفيه بقية لكسوة الصيف، وارخص وفيه الكف لألسنة الناس، وكاتبه ابن عمه من المغرب إن أرضنا كريمة قدر كساء يحمل البعير فأقبل إليها فإنكم بأرض قفراء، وأجابه بأن أرضنا مقعد رجل يوقر بعيراً عسلاً فأقبل إليها، يعني النخل، وسأله رجل فقير هل له أخذ زكاة زوجته وتوقف تورعاً حتى قدم أبو نوح فأجاز له ذلك، ومما يذكر من سعة صدره وقلة ضجره أنه خاطب يوماً زوجته بما لم يوافقها وهي تعجن فلطمت وجهه وأثرت فيه فشكاها شيخه أبا يعقوب الطرقي قال له: أترى هذه ضربتني بمقلات فصارت طوقاً في عنقي يعني دخل من رأسه، قال أبو صالح: أنت أنت أي اصبر مني، وحلف لا يشكوها أبداً، وفي كتاب المعلقات تشاكيا هما فكفاهما الله شرهما فرجع كل واحد منهما إلى داره فوجد زوجته ماتت، وقال أبو طاهر إسماعيل بن بيدير عن الشيخ أبي زكريا يحيى بن جعفر عليه السلام عن رجل من بني واشية راعى رجل منهم ما مذهبه قالوا: وهبي فشتمه فشتمه الراعي لشتمه أبا صالح فقام إلى الراعي ليضربه لرده عليه الشتم فحال بينهما بعض الحاضرين وأراد بعضهم ضرب الراعي لانتصاره للشيخ أبي صالح فرجعوا إلى مجالسهم فأرسل الله سحابة فيها برق فضرب البرق فوق بالشاتم للشيخ أبي صالح ومن أراد ضرب الراعي فاحترقا مكانهما في حينهما والحمد لله رب العالمين، وذكر أبو طاهر عن الشيخ يونس بن أجاج أن هقال كان بنو خزر يجتمعون في موضع يتحدثون فيه فحلف بعضهم بأبي صالح فقال آخر: ما مذهبه؟ قال له: وهبي فشتمه فقام في دواره فقامت إليه الكلاب فكلهمم والعادة إذا كلهمم انصرفوا لأنها كلابه فلم ينصرفوا حتى قتلوه ومزقوه، وشتمه رجل بتادمكت وهو في البيت فصاح إليه صائح وخرج إليه فضربه فسقطت عيناه فقال المضروب: كيف صفة أبي صالح؟ قالوا: كذا وكذا قال:

والله ما بي غيره. وعن أبي طاهر وقعت مجاعة بوارجلان وكان الشيخ ينفق على الفقراء فنقد ما في البيت من التمر فأتاه سائل بليل فقام إلى البيت يلتمس ما يعطيه فإذا البيت مملوء والتمر ينزل من فوق الباب ففتح الباب فصار ينفق قال أبو طاهر: رأى رجل آخر في النوم قال له: ما ينفق أبو صلح لغير الله ثم رآه ثانية وثالثة كل ذلك يقول له عمله لغير الله ومضى الرجل لما تكرر عليه ذلك فأخبر الشيخ برؤياه فأخذ أبو صالح قبضة من تراب فرمى به إلى خلفه فقال: هذا بفم من أخبرك بذلك فلما نام بالليل أتاه رابعة فقال: ما اخطأ التراب الذي رمى به الشيخ فمي، وذكر أبو طاهر أنه اشترى جملاً فعلفه حتى سمن فنحره أيام التمر فقسمه على الضعفاء ولم يستوعبهم فقال لعبده: وقد أخذ شيئاً من الجمل يعني ما أخذت بدينار فأعطاه للباقيين وذبح شاة لعياله، واشتغل بنوبة مائة ففاته صلاة المغرب مع الإمام فشق عليه وكانت ليلة جمعة فأخذ في الصلاة فأتوه بفطوره فلم يشتغل به ثم تهادى في صلاته فأتوه بسحوره فلم يشتغل به فلما أصبح تصدق بالطعام على المساكين ثم قال هذا جزاء راع ضيع ما يرعاه، وذكر أبو طاهر أن رجلاً آذاه فصبر ف وقعت مجاعة فأخذ يتصدق فوقف عليه المؤذي فتذكر فعله فزاده على ما يعطي غيره من المساكين ثم بعد زمان وقعت أيضاً مجاعة فأخذ يتصدق فوقف عليه ابنة المؤذي فتذكر فزادها ثم بعد مدة وقعت مجاعة فأخذ يتصدق فوقف عليه ابن ابنة المؤذي فتذكر فزاده كل ذلك ليرغم الشيطان وكان حزيناً لدنياه وأخراه.

[يعقوب بن أفلح]

ومنهم أبو يوسف يعقوب بن أفلح الإمام ابن عبد الوهاب أمير المؤمنين ابن عبد الرحمن رضي الله عنه قال أبو زكريا: حدث غير واحد من أصحابنا أن الحجاني لما سار متوجهاً إلى تيهرت خرج يعقوب بن أفلح

في أصحابه إلى وارجلان ومعهم أهاليهم فأدركه العدو فإذ غشوه وقف وحده في وجه العساكر حتى تنتقل أصحابه فيسير حتى إذا أدركوه وقف في وجوههم فيها بونه أن يحملوا عليه فأيس العدو منهم فرجعوا، وكان مهجماً فنظر فقال: لا يجتمع منكم ثلاثة إلا طلبوا لقد ذهب ملككم، فلما بلغوا وارجلان تلقاهم أبو صالح جنون بن يمران في جموع أهل واركلان فأكرموه ورفعوا درجته وأحسنوا القيام بحوائجه ثم طلبوه أن يولوه على أنفسهم فامتنع فقال: الجمل لا يستتر بالغنم فأرسلها مثلاً، وكان له ابن وابنتان فاجتمع وجوه وارجلان ليزوج البنيتين فاختر من أهل الصلاح حمو بن اللؤلؤ فزوجه أحدهما واختار من أهل الدنيا المعز بن محمد فزوجه الأخرى، وكان عالماً مجتهداً قال لرجل: سألته معاذ الله أن ينزل الله على موسى وعيسى ما لم احفظ واحفظ معناه وأما ما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ فأخرى، وأكثر اجتهاده بالليل وكان يصلي ليلة فسقط عليه سقف البيت إلا الخشبة التي تقابله فاجتمع الناس وحفروا حتى أدركوه فإذا به قائم يصلي فقالوا: ما ظننت قال: قيام القيامة وله آثار جميلة وكان يحذر من ابنه وقال: درس ديوان أحمد بن الحسين واسمه سليمان فلما مات يعقوب دفن في مقبرة جنون قال أبو زكريا وقبره كالربوة لم يندرس، وأجرى أهل وارجلان الضيافة لأبي سليمان بن يعقوب وأصحابه فدعوه يوماً وعلى طعام عصبان عليها أثر فرث فشق واحدة منها فلما وجد الفرث رمى بها وقال: نجس الطعام فاحفروا له وادفنوه وقطع عذر من أكله فبلغ الخبر أبا صالح وكان صائماً وذلك بعد صلاة العصر فمضى في جماعة من أصحابه فأكل لأنهم استرابوه فناظر أبا سليمان في المسألة فآل أمرهم إلى المباهلة فاتفقا ليوم الجمعة فخرج أبو صالح إلى تسريدين، وخرج أبو سليمان إلى كريمة فأخذ الشيخ أبو صالح في العبادة والابتغال إلى الله أن ينصر أحب الفريقين إليه فبقيا

يدعوان الله على المبطل ثم رجعا، فتاه أبو سليمان ففضحه الله وهو يقول بتنجيس الفرث وتحريم الجنين المذبوحة أمه، وتنجيس عرق الجنب، وعرق الحائض، ودم العروق بعد تنقية مذبح الشاة، وتحريم صوم يوم الشك وتحتم الزكاة للقرابة.

[أبو صالح بن قاسم اليراسني]

ومنهم أبو صالح أبو بكر بن قاسم اليراسني قال أبو العباس: أنجب من طالع ودرس وأخذ في أحياء ما عفا واندرس، وذكر أن أبا صالح نكل ببعض تلاميذ أبي مسور ثم استغاث بشيخه شاكياً ما به وقع، قال أبو مسور: وطن نفسك على ما تلقى من أبي صالح وأمثاله فإن المسلم في الحق كالحديد المحممة تحرق ما وقعت عليه أو وقع عليها ثم تعين على التلميذ حق آخر بعد ذلك فنكل به ثانياً فجاء أبا زكريا يشتكي مما فعل به فأنتهره وقال: لا. وأخذ الله الشيخ أبا صالح فيما ترك من تمام أدبك فإنّ أباك ذكر أنك تنتف لحيته، وذكر أن أولاً كان بالبادية بازاران وكان شديداً على العصاة حديداً على العتاة ومع ذلك كان لا يضرب السارق من صنهاجة تقية لا مداهنة، وكانت له خشبة عظيمة فيها حلق وسلاسل يجعل الجاني في حلقة منها ثم يقلبها على ظهره لئلا يهرب فكانوا يصيحون بالليل صياح التيوس من شدة الحر أو البرد ثم انتقل إلى جربة حين كثرت الزلازل واضطربت نيران الفتنة وعمد إلى الخشبة وآلاتها فرمى بها في بئر فتكلم بعضهم في ذلك قال ولده أبو محمد ويسلان إنما اتخذ ذلك ليصرفه في الوجه الذي أراده فإن تخلى من ذلك فلا ينبغي أن ينتفع به في غيره، وتخاصم إليه رجلان باع أحدهما للآخر سلعة بستين ولم يبين من أي جنس قال البائع لي ذهب، قال المشتري: إنما أعطى حناديس النحاس، قال أبو صالح للبائع: خذ

ما ذكر وإلا فخذ سلعتك لأن عرف جربة التبايع بالحناديس، وكان لنكاري على وهبي دينار واحد فمات المسؤول وله ابن ولم يترك إلا شاة تبرأ ولده وما خلف فطلب النكاري الدينار فقال: دونك الشاة فبعها وخذ مالك قال النكاري: بعها واعطني فارتفعا إلى أبي صالح فقال لابن الوهبي: بع الشاة واعطه ديناره، وقال بعض من حضر أعان النكاري على الوهبي، قال الحكم: لا يختلف قال أبو محمد لو كان حكم أبي مما يختلف لتبدل في هذه المسألة لأن فيها قولاً آخر أن لا يلزم الوارث شيئاً إذا تبرأ من التركة، قال أبو العباس: إذا لم يخلف المديان إلا معيناً فعلى الحاكم أن يجتهد في النداء حتى يبلغ أقصى ثمنه في الوقت ثم يقضي الدين وهو الصواب إن شاء الله لثلا يقوم غيره على الوارث من أصحاب الديون، واصطحب يوماً مع ولده أبي محمد ويسلان فوجدا شاة على آخر رmq ولم يدريا لمن هي؟ قال أبو صالح لولده: اذبحها وامتنع ونزل عن دابته فذبحها ثم قال لابنه: اعطني قضيباً حسناً فأعطاه فرمى بالذي كان في يده قال: هذا المتروك الذي يسميه العلماء متروكاً، ومن كراماته أن بعض أهل الحي اشتكى إليه شاة تشرب اللبن من الآنية فأتوه بها فضربها ضربة واحدة بين أذنيها فصاحت صيحة منكرة فلم تعد تشرب اللبن، وغضب مرة على أهله لتركهم الصرار على ناقة فأثر خيطه فيها حتى قرحت واستعظم ذلك وكان قدم من غيوبه فأراد نزعها عنها فقطر الصديد على كفه من قرحها فشمره أبو محمد لثلا يصيبه الصديد ونهره وقال: لا بأس به، ووقعت شدة وقحط فتوقفت الأشياخ عن التصرف في البلاد وسمع أبو صالح أن النكار استولوا على جبل دمر بحلقة وجماعة يطوفون فخرج من جربة وكابد صعود الجبال وكان أبو محمد يردفه من خلفه كلما أراد الصعود فلما بلغ إلى رئيسهم زيري بن

كاملين فلامه على ما سمع وعاتبه قال: إن عذرنا بين المرأة إذا لم يغشاها زوجها ابتغت السفاح وأنتم إذا لم تأتونا أتنا مستاوة قال الشيخ: منعنا عنكم الشدة قال: فأتوا بأزوادكم معكم ففحم الشيخ لأن الله أثنى على المؤمنين بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾... الآية⁽¹⁾ وكان أبو محمد يقرأ على أبيه مختصر ابن محبوب وكان أبو صالح يقول كلام محقق فقيه أصولي ولم يصل إلينا إلا الجزء السادس كذا قال أبو العباس قال: وهو سبعون جزءاً وقرأ عليه الجزء الثالث في الحيض فكان كلما قرأ في النسخة الأولى قال هنا الفقيه العالم وفي الثانية سكوت وفي الثالثة خلط خلط وذلك ليعلم أن تأليف أهل المشرق مفيدة دون ما سواها، وجاوره بعض علماء نفوسة بجزيرة وكان متقناً لمسائل الحيض واسمه أبو يخلف فكلما وردت على أبي صالح مسألة في المحيض ردها إليه فيتكلم فيها بما عنده ويقول: لا أرى نفسي أهلاً لذلك ويسأل الجواب من أبي صالح، وأخذ أبو صالح العلم من سليمان بن ماطوس النفوسي وتقدم التنبيه على ذلك ومن تمام ضبطه للسانه إنه لم تسمع منه لفظة شر قط إلا مرتين سأل عن بئر في جنان هل هي عيب قال: اشر العيوب، وسأل عمن وكل رجلاً يتزوج له فعقد له على أربع نسوة قال: شر الوكلاء هو، وسأله نكاري هل تجوز الصلاة بثوب واحد؟ قال: إذا ستره جاز قال: أعني الشاشية قال: قلت إذا سترته، وسأله أيجوز صوم يوم العيد؟ قال: لا قال: لم تصومون يوم الجمعة؟ قال: إذا كان في رمضان فسكت، وذكر أن ابن ماطوس ما أفتى برخصة إلا في ثلاث من باع سلعة بقراريط وهو يعني دراهم الحندوس فجائز، لأن القراريط في أوزان الذهب والدراهم في أوزان الفضة، ومن توضاً

(1) سورة التوبة آية 120.

وفي بعض أعضاء وضوئه نجاسة إذا أدركها ومر عليها الماء أن ذلك يجزيه لنزع النجاسة والوضوء ولو لم يقصدها فأنكر عليه ابنه أبو محمد لأن هذا من أقوال المخالفين، ومن يسأل من رجل خمسين ديناراً سلفاً وخمسين قراضاً فأعطاه مائة ولم يبين له القراض من السلف أن ذلك جائز، وقال للمرأة التي تزوجت فأنكرت أن لها أن ترجع إلى الرضا وليس لها أن ترجع إلى الإنكار بعد الرضا وهو قول أبي عبيدة وقول أبي نوح غير هذا، وقرأ عليه بعض طلبته فرد عليه مستاوي مراراً ففهم أن المستاوي ينتفخ بما ليس عنده فقال للطالب: ناول الكتاب من هو أجود منك قراءة فناوله النكاري فأراد القراءة ولم يحسن قراءة حرف واحد فبهت وخزي، وتخاصم إليه قوم من أهل دمر في رجل ألقى حجراً إلى وراء الستر فوقع على رجل فمات فقضى بينهما بالدية فسر بذلك زيبي بن كملين رئيسهم لأن المقدم في عاداتهم له ثلثها، وزعم أهل دمر أنهم أخذوا هذه السيرة عن الأئمة فأنكر عليهم ذلك أبو صالح إنكاراً تاماً وغير ذلك عليهم لثلا يزداد في الشريعة ما ليس فيها ومعاذ الله أن يكون ذلك عن الأئمة، فمنع ذلك واشتكى إليه أولاد بعض بني يهراسن آباءهم وكان كثير الصدقة قالوا: أتلف المال وتركنا فقراء فقال: مالك ولبنك يشكونك قال: يريدون أن أكون مثل الذي نزلت فيه آية الكنز: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾... الآية⁽¹⁾ فاستحسن الجواب من العامي، وزاره جماعة من العزابة وهو مريض فقعدوا قريباً من موضع الوضوء فاحتذروا قال: لا بأس عليكم فإني لم آت بنجس قط، وعادته إذا أكمل ورده من الصلاة دعا من يقرأ عليه سجدة القرآن كلها ويسجدها.

(1) سورة التوبة آية 34.

[فصيل بن أبي مسور اليهراسني]

ومنهم أبو زكريا فصيل بن أبي مسور اليهراسني رحمته الله، قال أبو العباس الطيب مورداً ومرعى الكريم أصلاً وفرعاً أن ذكرت السباق في حلية العلم كان المبرز وإن ذكر المخلصون وجدته لخصال الخير بأسرها قد أحرز، وذكر أن قائداً من قواد السلطان مزاتياً وهو من أهل المذهب من مزاة القيروان لكنه كان جائراً فاسقاً توجه إلى جربة وكاتب أبا زكريا أن ينظم بأهله وعشيرته إلى المسجد الكبير لثلا يدرکہم من ضرره شيء أو تصيبهم من العسكر معرة، ففعل أبو زكريا فاستباح العامل جربة نهياً وغصباً حشا بني يهراسن فإنهم في جانب الشيخ لم يصبهم ما أصاب أهل جربة ببركته فلما قضى ابن ويمي إربه وصل إلى أبي زكريا قال له علام يقدرون؟ قال: يقدرون على دينارين وهم ضعفاء الحال فأعطاه الدينارين فأصاب لأبي ملدين عنزاً ولدها وهو من جوار الشيخ فأعلم بذلك القائد قال: العنز لك والجدي لا، فأطلقهما فأبى الجدي من اتباعها قال: ألم أقل لك إنه ليس بولدها؟ قال: فزع منك فتحير كما فزعنا فضحك وسلمهما له، وذلك ببركة الشيخ وكلما أكرمهم الشيخ تبرع بطعام مثله للعزابة فالأول مداراة ووقاية العرض، والثاني تكفير له على أنه قيل من أطعم جباراً كمن أطعم ولياً، وكان يقول رحمته الله: موضع التلاميذ كشجرة الخروب يعني يكون كل اهتمامهم بمصالح الطلبة لا يهتم المجاور لهم بحوائج غيرهم كما أن شجرة الخروب لا ينبت حولها إلا ما قل من الأشجار، يخاطب أهله وحشمه ليكون تمام اهتمامهم بمصالح الطلبة وكان يجعل الدراهم في القراطيس والصرر ثم يعلقها في ألواح التلاميذ وربما جعلها في أوعية دفاتيرهم وبينهم وبين ثيابهم رغبة في كتمان الصدقة فلما مات فقدوا ذلك وأخبار أبي زكريا مشهورة وذريته

بقية الصالحين والعلماء بجملة وفيهم مشاهير في العلم وإجابة الدعاء وكذا أبوه أبو مسور وقد تقدم التعريف به .

[أبو بكر بن يحيى الزاغي]

ومنهم أبو بكر بن يحيى الزاغي ، وكان عالماً قدوة وكان يعيب نفسه وأهل زمانه وكان يقول : لسنا في ظهور ولا في دفاع ولا في كتمان ولا في شراء ولكن زماننا سائب يريد أن الناس ضيعوا الحقوق والقيام بها ، قال أبو العباس : لا يريد أن السببية وجه خامس في الدين بل يعيب أهل الزمان فإن أبو زكريا أخبروه أن مسالك الدين أربعة : الكتمان وهو ما هن عليه عليه السلام قبل أن يهاجر وما كان عليه جابر وأبو عبيدة ، ثم الظهور وهو ما كان عليه عليه السلام بعد أن أمر بالجهاد وما كان عليه أبو بكر وعمر وغيرهم ممن قام بحق الدين ، ثم الدفاع كأهل النهر ومن تكون إمامته ما دام القتال فإذا زال القتال زالت كعبد الله بن وهب الراسبي ، والشراء كأبي بلال مرداس وغيره عابا رحمهما الله زمانهما فكيف لو أدركا زماننا .

[أبو عمرو النميلي]

ومنهم أبو عمرو النميلي رحمته الله وكفى به ما وصفه به أبو العباس وصدق كان الورع خدينه والعلم في كل وجهة قرينه ، وهو أحد أقطاب الجزيرة ومن تحرى فيها الفرض والسنة والسيرة ، عاش مائة وعشرين عاماً ومات شهيداً قتله بنو وتراتن من زويلة ، وزار أبا محمد ويسلان بن أبي صالح بعدما كبر وقيل زاره أبو محمد فسأله أبو عمرو أن يذكره بشيء ينتفع به فسكت عنه أبو محمد قال له : مهلاً يا ويسلان مهلاً عليك إن استثقلت سؤالي أخفف عنك وإلا فما بالك تركت سؤالي ولم تجبني

فلما رأى تغيره اقبل عليه وذاكره وقال: أن تميم اغسل أطرافك قال: أحسنت يا ويسلان أحسنت، وذكر أنه لما ذبح خرج من مذبحة شيء كاللبن والقاتلون جيش أخرجه المعز بن باديس الصنهاجي سلطان أفريقية قتلوا فيها عدة شيوخ منهم أبو عمرو وأبو صالح وأبو موسى وأبو محمد كموس وأبو بكر، وخرج رجل ليلاً إلى المقتلة يتفقد لعل فيهم من بقي فيه شيء من الحياة فسمع قائلاً يقول: يا قاتل أبي عمرو شئت الله شملك وأزال عزك فلم يلبث إلا قليلاً فخرج عليه يونس بن يحيى وفرق ملكه وأباد رجاله ونفاه إلى المهديّة ولم تقم له بعد ذلك قائمة واختلف أبو عمرو وأبو صالح فيمن طلب إلى امرأته رد المال فردته قال أبو صالح ليس بفداء حتى يقبل، قال أبو عمرو فداء.

[عيسى بن السمع الزواغي]

ومنهم أبو موسى عيسى بن السمع الزواغي الرياني قال أبو العباس ذو الرصانة والحلم والتقدم في فنون العلم وكان مجاب الدعاء وذكر أنه يتحرى الصواب ويتحفظ في الجواب قال: خرجنا من هؤلاء يعني قومه وتركناهم أصحاب شياه وبقرات وقرأنا العلم ورجعنا وجمعنا مثل ما عندهم من شياه وبقرات، قال أبو العباس: إنما قال ذلك تخضيضاً على التعلم وإيثار طلب العلم، وتنبهاً على أن طلب الدنيا مدرك، وعاب عليه الأشياخ قوله إن الأمر والنهي ارتفعا عن أهل الكتمان، وقوله أن الرياء لا يكون بين العبد والناس إنما هو بين العبد وربّه، ولما أصيب قومه لازم الفراش اغتماماً لما أصابهم من إخوانهم بني يتيّتن وأجيب عنه أنه يعني سقوط الأمر والنهي في أهل الخلاف وهو قريب من قول أبي محمد جمال ما أجازة أهل الخلاف ولا نجيزه فليس علينا منه شيء في إنكاره، وتقدم مثله لبعض نفوسة والجمهور على خلاف هذا، وعن

الثانية أن الرياء لا يكون في الفرائض إنما يكون في النوافل لأنها ليس عليها سوط عذاب فيختلهم الشيطان من جهتها، وأجاب عن الثالثة بأن قال لأبي بكر بن قاسم، يا أبا بكر أستم تقولون من إذا أصابه خير أصابك وإذا أصابه شر كذلك أن لا حمية في كراحتك ما ينزل به من المصائب، قال أبو صالح: اطلبوا الحل من الشيخ أجابكم بمنح العلم، وأفتى بأن لا شفعة في الوقعة، وأتى منزل أبي صالح وهو غالب قالت له زوجته: أنت ممن يستحق الشاة أو الخبز أو ما تيسر قال في الخبز كفاية، فأتى أبو صالح فأمر بشاة فذبحت وكان مستجاب الدعاء.

[سعيد بن يخلف المزاتي]

ومنهم أبو نوح سعيد بن يخلف المزاتي رحمته الله كان في العلم آية، وفي العبادة غاية، صدق في وصفه أبو العباس، لا يضجر من السائل ولا يعي من أجوبة المسائل ذكر أبو العباس عن أبي نوح كان له أربعون فرساً وكان يصطفي منها فرساً عتيقاً كان تبذل فيه الأثمان الجليلة والأموال الجزيلة فيضن به ولا يسمح بخروجه عن ملكه ويعهده للشدائد لما اختبر من صبره وحج به وسافر به إلى تادمكت، قال أبو العباس: ما أكثر من اقتناء الخيل لما يأمله من الخير في نصرة الدين ومدافعة المعتدين ويكثر من سكنى البادية وذكر أنه لم يصل بتميم قط ولم يلبس الثياب المعدة للصلاة إلا لها، ولم يفته الضحى قط ولا نوم القائلة وإن كان مسافراً نزل وقت القائلة ونام فإذا انتبه صلى وركب وأدرك القافلة، وكذلك فعله عند وقت كل صلاة ينزل ويصليها وينفل «ما عدا في الحضر» ثم يدرهم وكثيراً ما يغشاه الأضياف وله أربع زوجات في أربع خيمات فإذا نظرت لكل خيمة رأيت كثرة جلود الشياه منشورة وعليها لفائف القطن من كثرة ما يذبح للأضياف، ومن فتياه أن التصرف في مال

الغير لتدخل عليه بذلك نفعاً أو تدفع عنه ضرر لا تباعة فيه، وذكر أنه رأى بقرأ في الزرع فأخرجها وهو على فرس يتبعها مهر ولم ير بأساً إدخاله الزرع في إخراج البقر، وأتاه أبو نوح سعيد بن زنگيل وهو بنواحي طرابلس حين وقع الحرب بين صنهاجة وزناتة وكثرت الزلازل بأفريقية فانضمت مزاة إلى طرابلس فأضافه بالطعام المصنوع من الشعير واللبن فكلما قدم له شيء من ذلك قال له: كل يا شيخ لا أعتذر لمن أطلب له الجنة.

[ويسلان بن أبي بكر]

ومنه أبو محمد ويسلان بن أبي بكر رحمته الله قال أبو الربيع عن أحمد بن يوجين عن أبي العباس قال: كان لأبي محمد ويسلان سبعة أكسية واحدة للصلاة لا غيرها والأخرى للخروج إلى الجماعة والقعود بين الناس وللبراز وللنوم، وندم على ترك ثلاثة زيارة أهل الدعوة أهل السهل وقراءة الجهرات ومجالس أبي عمران موسى بن أبي زكريا لأنه أخذ العلم عن أبيه أبي صالح وكان قائماً بأمر الضعفاء ومحسن الضيافة، وقال الحامل المفتدية لها النفقة وعن أبي سليمان داود بن أبي يوسف لا نفقة لها إلا أن اشترطتها وقال في قول ابن عبد العزيز من استثنى في الطلاق أو العتق نفعه أنه لا ينفعه الاستثناء في الطلاق والعتق وأفتى بحنث من نسي وفعل ما حلف على فعله ألا يفعله، ومن نسي أنه أخذ من غريمه فادّعى عليه فهو هالك وبهلاك من نسي وجحد ما عليه وقال لا حجر على البالغ الصحيح العقل في ماله، وقال فيمن باع شاة بأربعة واشترى جلدها بخمسة أنه يحجر عليه، ويغضب على من يفتى أن يعطي أكثر من صاع أو أقل في الكفارات ومن يجيز غير الحبوب الستة، ومن يفتي أن المضمضة والاستنشاق غير واجبتين، ومن أدخل داراً كرهاً

حنت إذا حلف لا يدخلها، وحكى له طالب مسألة من كتاب قال له :
اجتنب ذلك الكتاب وإلا حال بينك وبين دينك، وآخر حكى له من
كتاب قال : اغسله في النهر، وآخر حكى له عن قفيز العلم اسم كتاب
قال : قفيز البلاء، واختلف هو والشيخ سعد بن يفاو في الثور الذي أكل
للشيخ وارسفلاس بن مهدي النفوسي ما أخذ بفيه، قال أبو محمد يحلفه
ويأخذ كلما أعطاه له لأنه يفك رأسه منه وقال سعد : لا يجوز له أخذ
فوق ما يقول إلا منا، ويحلفه له القاضي أيضاً، وادعى رجل داراً
بالشراء بين يدي قاض بوارجلان فأتى بالبينة فأراد أن يحكم له القاضي
قال : نصف الدار شراء ونصفها ميراثاً فتوقف القاضي فسأل الشيخ
ماكسن أبا عبد الله محمد بن بكر قال له : ما قدرنا على مسائل الصبيان
والقمل فكيف غيرها فسار الشيخ ماكسن حتى وصل جربة فسأل أبا
محمد عنها قال : أبطل بينته .

[سعد بن يفاو]

ومنهم سعد بن يفاو وكان غائصاً في بحور العالم لأخذ الفرائد،
وإليه الإشارة في إيضاح المشكلات ونشرها على النواهد، وتوقف أبو
محمد في مسائل فكتب بها حمو بن أفلح المطكودي فوضع فيها الكتاب
المنسوب لتلامذته الأولين وهم ستة، انصرفوا إليه من عند أبي محمد
ويسلان، وهم أول من قعد بين يديه للتعلم أحمد ابن محمد، أول مسألة
أخذت عنه في ذبيحة الأقف قولان وتقدم في أخبار أبي العباس،
وأخرجه شيوخ مسنان إلى الخطة منه لأمر فتأب ولم يقبلوا فاجتمعوا
لإماتة غائب لم يدركوا غيوبته وترقيق والد الشريك فنهاهم ففترقوا وقبلوا
توبته وأول طلبته حمو بن أفلح وعبد الرحيم بن عمرو وأحمد بن أبي
عبد الله وأحمد بن ويجمن وأخوه يحيى والمعر بن تاغرايت .

[ويسلان بن يعقوب المزاتي]

ومنهم أبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي قال أبو العباس: كان بالمجاهدة مذكوراً، وبالعلم والورع مشهوراً، وكان في صغره راعي غنم وعادته يغني للرعاة فإذا أراد أن يسكت غنى بكلمات يدعو فيهن الله أن يهديه ويرشده فإذا سألوه الغناء بعد الدعاء، امتنع ثم رجع إلى الله وأخذ في تعليم القرآن مع الكبر وكان جهير الصوت فمر به بعض فوجده يعالج من القراءة ما يعالج، فقال له: ارجع إلى أهلك والزم الصلاح فكأنه أيس من قراءته، ورمى باللوح وأخذ ييكي فمر عليه آخر فقال: ما بالك؟ فأخبره قال: آتيني بلوحك فاقرأ علي فلما قرأ قال: وأي عالم يخرج منك يا ويسلان؟ ويرجع إلى التعلم فتعلم القرآن والأصول عند أبي القاسم يزيد بن مخلد، وأراد ستكمال العلوم والعلو فيها إلى أعلى المراتب فاستأذن أمه في الطلوع إلى الجبل وظنت إلى رجل يقره وهو يعني نفوسة، فلما بلغها اشتغل بتحصيل العلوم وإذا وصله كتاب من أهله رمى به في كوة حتى قضى وطره من العلوم وأراد الرجوع فأخذ في قراءة الكتب التي وردت عليه فوجد في الأول موت أمه وفي كل واحد منها ما يشغل باله لو اطلع على ما فيه فلما خرج شيعه المشايخ مودعين فسألهم عمن حلف بالله العظيم فحنث ما عليه قالوا: العتق أو الإطعام أو الكسوة تخير فيها إن كان مستطيعاً قال: أو هو مخير؟ قالوا: نعم قال: هذا ما كنت أريد أن أسمعه منكم قالوا له: هذا مرادك يريد أنهم يقولون بالتخير وأهل الجبل إنما يقولون بالجبر والاكْتساب، وأقام بالجبل سبع سنين وحصل ديواناً عظيماً فكان يقرأ فيه ويدرسه عند أهله وعادته عدم الفتور عن القراءة فإذا قيل كتابك يبتل بأندية الشتاء يقول: يأتيه يجففه حر الصيف وإذا قيل له يحترق بالشمس في الصيف يقول: يأتيه الشتاء

وينبسط وتقدم بعض أخباره في أخبار أشياخه من جبل نفوسة وفي أخبار أبي القاسم إذ قتل فسجن فاذا أهل السجن بالدرس والقراءة فاطلق وذكره قوم من أهل القيروان وما خصه الله به من العلم والعمل والحلم وسعة الصدر والعقل فاتفقوا على إمتحانه فقعد يوماً راصد له فلما مر رفع أبو محمد رجلاً فجذب الراصد الأخرى فصرع فمسح التراب عن وجهه ولم يزد على حمد الله ولم يكثر بذلك.

[أبو صالح الياجراني]

ومنهم أبو صالح الياجراني قال أبو العباس: أعبد العباد وأزهّد الزهاد وكان لا يكثر إلا بخدمة ربه ولا يعمل لشيء غير وجهه حتى خصه بالكرامات التي خص بها أوليائه وأفاض عليه من نور معرفته وكساه الآلاء، ولكثرة زهده يحسب أن ذلك بله ولفرط حزنه على الآخرة يظن أن الذي به وله وذكر عن أبي الربيع عن خاله عبيد بن منار أنهم يذكرون عن أبي صالح أنه يتنفل في ليله في جميع مساجد وارجلان فأتبعته ليلة لأحقق ما سمعت فجعل كل ما أتى مسجد اركع ما شاء الله فإذا انصرف قفوت أثره وهو لا يشعر ثم يأتي أمر آخر فيركع ما شاء ثم يخرج وأنا في أثره حتى أتى بعض المساجد فغلب عليّ النوم وهو يصلي ولم أستيقظ إلا وقد خرج فغلب على ظني أنه يطوف عليها جميعاً وكان يحضر مجالس أبي عبد الله محمد بن بكر فأكثر يوماً في الوعظ والتخويف وأسهب فقال أبو صالح: يا محمد أليس يقال الجنة في آخر الزمان أرخص من حماراً أدبر؟ قال: نعم رأيته إذا وجدت جملأً بقيراط واحد وليس معك هل تحصل الجمل، وعن عيسى بن يركسن قال: أضاف جماعة من العزابة وهو بالقيروان فلما كان وقت من الليل أخذ العزابة في القراءة فجعلت الجن ترد عليهم يسمعون الأصوات ولا

يرون الأشخاص ولعلمهم تأنسوا بأبي صالح وتأنس بهم، ومن كراماته إذا أتى الغار الذي هو مصلاه يتعبد بليل وجد فيه مصباحين ولا يعلم من يسرجهما، وخرج مهاجراً إلى درج لفتة وقعت بوارجلان فمكث بها سبع سنين وبسط الله العافية وأراد الرجوع إلى الوطن فخرجت معه العزابة والشيخوخ وعلى بعضهم حلقة فيها نحو ثلاثمائة طالب يقرأون عليه العلوم والسير وكان أبو صالح في مدة إقامته يستفيد منه ويحضر مجلسه فخرج مع أبي صالح مودعاً وسائر الطلبة وكانوا يرجعون جماعات حتى لم يبق إلا الشيخان فقال له: ما أحسن ما تتال به الدنيا ورزقها؟ قال: الجواب من عندك قال: دعاء الصالحين لا سيما إغاثة ملهوف وسد فاقة مضطر، واستسلف عشرة دنائير فلما قدم وارجلان أراد قضاء دينه وأراد أن يبذلها بيده ليستريح من البينة وتطمئن نفسه من التباعة فلما ارتحل اجتاز بقوم يعملون بالمعروف يتطوعون به لسد خلة أو نفقة ورأى أبو صالح فرصة تنتهز ورأى أن الدين لا يفوت وإن مثل هذا يفوت وتطوع بدينار من دنائير الدين فلما وصل درجاً وأعطى الدين لصاحبه على أن يبقى من الدين دينار واحد وهو الذي تصدق به فإذا به واف فأعاد عدها فإذا هي عشرة لا نقص فيها ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾⁽¹⁾ وجلب من إبله أبخرة إلى وارجلان فباعها فأراد قبض الثمن قال المشتري: ثمنها بتادمكت فأراد السير معه موافقة له فقال له بعض: أتحمل لي على جملك حملاً وتبيعه بكذا وكذا؟ قال: نعم فحمل له ذلك فانتقص على ما وقت له وسمي قيل ثلاثة أرباع قيراط فرد الحمل من هناك ولم ير حمل في الأزمان رجع من هناك لأن المسافة بعيدة وهذا من تمام التحرج وكان ابنه صالح وسليمان يقول فيهما: إني أسأل

(1) سورة البقرة آية 272.

عن صالح وأما سليمان فقد رضي عنه المسلمون وكان يقول: إذا نظرت إلى سليمان وإلى عمران بن زيري وسدري بن سليمان احتقرت نفسي وعلمت أنني محتاج إلى تجديد التوبة وهذه الثلاثة يقولون سيروا بنا إلى زيارة الأخيار ودعونا من هذا الشيخ فإنه لو سكن بين أظهر المشركين ما تبدل ولا تغير يعنون أبا صالح وليس معه من الاستعمال شيء وربما قد مع أبي عبد الله بن بكر فذاكره في الصغائر من الأمور والكبائر قال له يوماً: لو أراك أدركتني يا محمد يا ولدي في شبابي وقوة شجاعتي وعبادتي لرأيت أمراً عجباً لكن رأيتني ورأسي كالثغامة ولحيتي كالصفار وجسدي هزيل لم يرد ﷺ التفاخر حاشاه ثم حاشاه، واشتهى ماء الدلو في مرضه فأتوه به قال: شربته بعد وأشتهي عنباً فأتوه به قال: أكلته بعد كذا ذكر أبو طاهر إسماعيل بن بيدير، واصطحب مع رجل من لمطة ومعه فصيلان جلبهما وعزم اللمطي على غدره فلم يرد أن يباشر قتله بيده وأراد أن يموت عطشاً فقال له: أقعد هاهنا فأتيك بالماء فقعده حتى تمكن منه العطش فدعا الله أن يسقيه فأرسل سحابة من ماء فشرب وسقى فصلانه ملاً زقه فظن اللمطي أن العطش قتله فأتاه ليعلم ما حاله فوجده على أفضل حال فتعجب من صنع الله، ونام مرة فحس بشيء قال: من هذا؟ قال: جبريل قال: أوصني يا حبيبي؟ قال: اقرأ القرآن لما عند الله وأمدد يدك بما أمكنك من الطعام لله وأكثر الدعاء لما عند الله هذا كله من كتاب أبي طاهر قال: وكان يصلي كل ليلة في جميع مساجد وارجلان ووصل إلى المسجد الذي بقصر وارديرن وركع فيه وخرج ينظر الصبح فرأى أبواب السماء مفتوحة إلى السماء السابعة ثم تغلق الأبواب واحد واحد إلى آخرهن ثم نودي أصبت ما طلبت يا أبا صالح، قال أبو طاهر: سار مرة وحده في الفحص راكباً جملاً وإذا بشبه أطفال عند عنق الجمل قال واحد منهم: إخواني المسلمون إذا التقوا تذكروا فإذا تفرقوا

عزموا وإذا ماتوا استراحوا، ونظر إلى مسكين فأعطاه من جرابه حتى نقص من العرا فرجع إلى جرابه فإذا به مملوء كما كان ونظر رجل إلى نور ساطع في ليلة شديدة الظلام فأتاه فإذا بأبي صالح.

[هود بن محكم الهواري]

ومنهم هود بن محكم الهواري وتقدم الكلام على أبيه وهو عالم متفنن غائص وهو صاحب التفسير المعروف وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين وأتاه من يستعينه على نوائب الدهر وعلى التخلص من دين ركه فقال له: ائت حياً هناك من أحياء مزاة وأرسل معه رسولاً وقال له: قل لهم قال لكم هود من محكم اجعلوا له صلة فبلغهم فأعلمهم رسوله فبسط رداءه فجعلوا يلقون فيه الذهب والفضة والدراهم والحلي حتى كاد أن لا يحمل فأتى به هوداً فأخذ ما أحتاج وترك لهود الباقي لمن يغشاه من الفقراء والمحتاجين ومن يقصده من العزابة، ومن جملة دينه خمسة دنانير رهن كتبه فيها عند رجل مستاوي.

[أبو عبيدة وشق]

ومنهم الشيخ الفاضل السخي العالم العلامة أبو عبيدة وشق قال أبو نوح: أن بالبادية بأفريقية اثنين وثلاثين عالماً من شيوخ أهل الدعوة تكفلوا بنوائب الحلقة وبحوائج الطلبة فيه الشيخ وشق فمن مات منهم قام الباقي مقامه حتى لم يبق إلا الشيخ وشق يكنى أبا عبيدة فقام بنوائبها من الكسوة والطعام والإقراء والتعليم فدارت سنة قحط وشدة وجذب فافترق الناس يطلبون الخصب فأرادت التلاميذ ذلك فمنعهم فقال: لسنا بإخوة إذن لأن الإخوان إنما يعرفون عند الشدائد وأنفق عليهم حتى نفد

ماله بل مطاميره فأتوه ليوادعوه فأبى فأنفق ما عنده من الدراهم والدنانير ثم الحلي ثم باع الحيوان وامتار لهم، وكل ذلك يطلبون إليه الرجوع إلى الخصب فيأتونه ويأبى عليهم ولم يبق معه إلا ثور تركب عليه أمه، وثور تركب عليه زوجته، فقالوا: ننصرف لئلا نموت جوعاً وهزالاً ونطلب فضل الله ويأجرك الله فقال: بيتوا هذه الليلة فذبح لهم ثور الزوجة فباتوا إلى وقت قيامهم من الليل فقاموا ولم يقم الشيخ قالوا: دعوه ينام قليلاً فلما طلع الفجر أرادوا أن يوقظوه فإذا هو ميت بارد رحمة الله عليه، فجهزوه ودفنوه وأرادوا أن يذهبوا فقالت أمه اجلسوا إليه الليلة ودعوه فنحرت لهم ثورها فلما أصبحوا وجدوا كتاباً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾... الآية⁽¹⁾ في أبي عبيدة وشق خاصة ثم افترقوا وأخذ أبو عبيدة العلم من الشيخ سليمان بن زرقون وهو الذي أخرجه إلى الله قال: ارجع من فتيا تلك المسألة ويقول الشيخ: أخرجتك يا وشق من الضلال وأخرجتني من المساجد.

[أبو باديس]

ومنهم أبو باديس، وعن عيسى بن حمدان المديوني الهواري عن الشيخ شاعر بن مالول من الشيخ سعيد بن خزرون المدحمي رحمة الله عليهم عن أبي باديس اليكشني أبحت بن زيدان رحمة الله عليه قال الشيخ سعيد، زار العزابة الشيخ أبا باديس أبحت بن باديس فقام بهم وأحسن إنزالهم فدفع لهم ثلاثمائة بقرة طروقة الفحل كلها، وكان ذا مال كثير وعنده رعايل خيل فيها تسعون فرساً قد أعدها للظهور، وقد حج وزار بيت المقدس وكان في فحص بونه، وقد ذهب بصره آخر عمره

(1) سورة آل عمران آية 136.

وكان كثير البكاء وله كتاب مواعظ قال: وأتاه ابن ابنه بمهر فقال: ولدته
الفرس الفلانية فادع له قال: أحسن تربيته وأدبه تأخذ فيه ألف دينار
فمسح له ودعا ثم أتاه بآخر قال: ولدته فلانة قال: أحسن تربيته وأدبه
تأخذ فيه خمسمائة دينار فأحسن سياستهما وأدبهما فعرض له أن يهديهما
المعز بن باديس صاحب أفريقية فلما بلغه قبلهما منه وفرح به وبهما
وأكرمه فكرهوا وزراءه ذلك فمكروا به وطعنوا فيه وخبثوا قلب المعز
قالوا: أقتله فإنه من الأباضية وقد أمكنك ورأيت عظم ما أتاك به وكيف
ما خلف وراءه لئلا يخالف عليك فقلبوا قلبه وذكروه الأمور الماضية
قال: كيف الحيلة في قتله وقد عرف القاصي والداني في قبولنا لهديته؟
قالوا: أتأمره يلاعب أسد السخط وهو الأسد الضاري العادي بفرسه
فيهلكه فأجمع أمرهم على ذلك وباتوا عليه فأرسل إليّ المعز فلما مثلت
بين يديه سنح في نفسي كلام جدي وجدتي فرجوت البركة فيه وقد وقع
في قلبي أنني ما دعيت إلا إلى خب أي فجوراً وجريرة وتذكر ضب أي
غل كامن في النفس قلت: العفو قال: تلاعب مهر الخط وأنتم زناتة
تذكر عنكم الفروسية، فقلت: لبيك زهواً سهواً فأمر بي أن أدخل خان
السباع فركبت مهري الأول وأطلق سبع ضار عادي وصعدوا المعالي
وجلّت مع السبع في الدار ملياً حتى ارتاضه المهر ومرن عليه وافرج
روعه وهم ينظرون وظهر لهم حذقي وفراستي فقربت إليه الفرس حتى
طمع فيّ وفي الفرس ضمير ضموراً يريد قطاط الفرس فهمزت الفرس
بالأشابير فضربه على أم رأسه فتغلغل حافره في رأسه فوقع كالنخلة
السحوق والحمد لله رب العالمين، فعد لي عند حافره ألف دينار وفي
الآخر خمسمائة دينار وصدقت فراسة الشيخ أبي باديس وسلم الفتى من
القوم العادين فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين، والشيخ يكرهون الوفاة إلى الجورة وقد أخرجوا عبد الله بن

جابر لوفادته إلى أمراء قابس وهاجروه وفي الخبر إذا رأيتم العالم يمشي إلى أبواب السلطان فاتهموه على أمر دينكم.

[بكر بن أبي بكر النفوسي]

ومنهم الشيخ العالم المتقن بكر بن أبي بكر النفوسي الفرسطائي أخذ العلم من ابن ماطوس سليمان وقد تقدم التنبيه على بعض أخباره مع أستاذه ابن ماطوس ويأتي تمام التعريف به في التعريف بابنه إذ هو أشهر وإن كان هذا أقدم.

[أبو عبد الله محمد بن بكر]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن بكر رحمهما الله قال أبو العباس الطود الذي تطالت دونه الأطواد والبحر الذي لا تقاس به التلاد أقامه الأباضية مقام الإمام في جميع الأمور والأحكام، أسس لهم قواعد السيرة وله في كل فن تأليف كثيرة، وله كرامات كالكواكب الزاهرة، وفضائل كثيرة باهرة، وفواضل ساطعة ظاهرة، قال أبو العباس أضاف جماعة من أهل الخير والصلاح ولم يجد لحماً لكرامتهم، وغنمه بالبادية فقال: انظروا العريش يعني عريش داره فإذا فيه كبش عظيم فجهزوا به ضيافة أضيافه، فقدم بعد ذلك رعاء الغنم فأخبروا أن اليوم الفلاني دارت زوبعة ريح على الكبش الفلاني ففقد، قال أبو العباس: هذه الحكاية ذكرها جماعة ممن لا يرد ما ذكروا، ومثلها لمثله لا ينكر، وقال أبو العباس عن أبي الربيع قال: كنت عنده ذات مرة فقدم بسراً لعمال يعملون قال: كل معهم يا سليمان فامتنعت قال: كل من يطاوع مشكور الحال، فأردت أن أقول ولو فيما لا ينبغي فأمسكت فاطلع على ما كتمت وكشف بما عنه سترت، قال: يا سليمان ذلك ليس بمطاوع فنطق

به قبل أن أظهره له، وذكر أبو العباس أن زوج امرأة غاب عنها وضرتها غيبته وكان أبو عبد الله كثير الاهتبال بها وبما يهملها لقيامها بمعايش التلامذة وشأنهم، وأرسل أبو عبد الله إلى ناحية طرابلس في أثره علي بن يعقوب وعمرو بن يحيى وأشهدتهما أنه متى طلقها فقد أسقطت عنه المهر فلما وصلاها طلقها فرجعا إلى الشيخ فأخبراه ثم إن علياً انقلب إلى جبل نفوسة فمر بقرية من قراها فيها عجوز يجتمع الناس إليها يسألونها عن دينهم ولها مصلى تصلي فيه فصلى فيه الصبح مع أهل المنزل ففرقوا قال: فجلست أتلو القرآن حتى غلبتني سنة فما أيقظني إلا صوت جني يقرأ بإزائي أسمع الصوت ولا أرى الشخص ثم سمعت صرير ثيابه لما تحرك وهي جديدة فارتعت ارتياحاً شديداً قال لي: لا تخف أنا جني ممن لا يخشى أذاه فسألته عن كثير من الأخبار فأنبأني عنها ثم سألتني عن السبب الباعث لي على السفر فأخبرته ثم سألتني عن ولايتنا لهم وعن ولايتهم لنا فقلت: الجواب من عندك قال: ولايتكم لنا بالجملة وولايتنا لكم بالأشخاص فسمعت العجوز تحاورنا فسبحت وأكثر التعجب فشكوت إليه وما استقبلته من مشقة السفر وما أتوقع من خوف الطريق قال اقرأ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ . . إلى قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾ ثم قال: إن لنا اليوم موعداً بالجزيرة ولا يمكنني التخلف والمغيب ولا تغب عن هذا المكان حتى أعود إليك إن شاء الله فطلعت الشمس وقال: هذا وقت الختمة فخذ بنا في الدعاء لأنكم أفضل فدعوت ثم دعا ثم قال للعجوز زيدي من الدعاء فدعت وأكثرت من التسبيح ثم مضى الجني وانتشر الخبر في القرية أن جنيّاً تكلم مع الناس فتنحيت عن الناس في خربة ثم نمت فلما استيقظت

(1) سورة البقرة آية 137.

أقبلت أن أنظر ميعاد صاحبي فأتيت العجوز فأخبرتني أنه أتى ولم يجده
وناولني حصيات فإذا عليها خط رقيق لا أكاد أبينه فسافرت راجعاً إلى
أهلي فسلكت نفزاوة ثم على تقيوس فلما توسطنا السبخة التي بينهما
ومعي كساء طاقي غارت علينا خيل فصرت أردد الآية التي علمني فقال
أميرهم: من أنتم؟ قلت: عذابة تلاميذ قال: امضوا راشدين فخلصني الله
ببركة الشيخ أبي عبد الله بمساعدتي له وحافظت على الحصيات فلم أر
شيئاً في أسفاري وما يسوءني مذ ظفرت بها، وعن يعقوب بن أبي
القاسم فيما نقل أبو العباس أن بني ورتيزلن احتاجوا قاضياً فقدم عليهم
أبو عبد الله خليله أبو الحسن أفلح وهو ممن أخذ عن حمو ابن اللؤلؤ
فحكم بالعدل بينهم فضجروا منه وأكثروا منه الشكوى إلى أبي عبد الله
فأحضره وأحضر جماعتهم ومن يليهم قال أبو عبد الله: ما نقمتم من
أحكام أبي الحسن؟ قالوا: يحكم بين بعض دون بعض وحكم على رجل
بالصدق دون بينة وإقرار وأبطل الشفعة من القائم بها وأوصى رجل
بوصية في ماله فاستأثر بها وكل ذلك يقول أبو الحسن: نعم فأجاب:
بأن ما لا أحكم فيه أرض المشاع قالوا: حين أتيتهم تلك أرض المشاع
والرجل أقر بالنشوز فحكمت عليه بالصدق والذي أبطلت فيه الشفعة في
نخل نبت في أعلى مجرى العامة فلا تكون الشفعة فيها لبعض دون بعض
والرجل الميت استخلف امرأته على تنفيذ وصيته قالت: أرسل معي من
يعلمني كيف أنقذها فأرسلت ولدي وبلغني إنها تصدقت عليه بربع شاة
لحمياً ولم أره ولم آكله، ثم حلف أبو الحسن أن لا يقضي بينهم سبع
سنين فصاح فيهم الشيخ فتفرقوا ودخل هو وأبو الحسن الغار، وقال
ليعقوب: انظرنني وذلك أول الليل فلم يخرجاً صباحاً ولا عشية ثم إلى
الصبح القابل فخرجوا فتوادعا قال يعقوب: فقمتم إلى أبي عبد الله
فقلت: من متى أنا قاعد؟ قال: لم تزل إلى الآن، قال قلت: أجل قال:

لم يزل أبو الحسن يسألني عن مسائل الأحكام فلم يفتّر عن السؤال إلا إذا قمنا إلى الصلاة قال: إن جيرانك يصارعون من لا يقدرّون على مصارعتهم، وكان بعض نفوسة لازم الشيخ ينكول بن عيسى المزاتي بتجديت ويسعى في شؤونه فصار له عليه عشرون ديناراً فمات ينكول بأفريقية فخرج النفوسي يطلب ماله في تركته ولقى أبا عبد الله ومحمد بن الخير وداود بن أبي يوسف وسعيد بن إبراهيم رحمهم الله في جماعة وشكاهم تعذر خلاصه، فقال الشيخ داود عليّ خلاص ذمة ينكول من مالي، قال سعيد على قضاء دينه، قال محمد بن الخير أنا أوسع مالاً وأولى بقضاء الدين، قال النفوسي لما رأى مسارعتهم إلى الخير تركت لينكول مالي عليه فقضى بينهم أبو عبد الله أن يجمعوا له دينه ويسقط النفوسي الخمس وهو نصيبه بينهم وأخذ جريدة على وجه الدالة توكأ عليها فقال لأبي الربيع انظر صاحبها وادفعها إليه تخرجاً أن تبقى تباعة، ووقع بين أهل أوغلانت تنازع وتدابّر فقال لعبد الله رجل ممن يسبب في الشغب والخلاف ليس واحد أفضل من جماعة إلا رسول الله ويا عبد الله من يتكلم وقد احتيج إلى كلامه فقد ابتلي ببليّة ومن تكلم ولم يحتج إلى كلامه فقد ابتلي ببليتين، وقدم أوغلانت وبها جماعة التلامذة فأثره موسى بن كانون برطب وقتاء فعلم أنه خص به دون التلامذة الغرياء، قال يا موسى أعليّ تجتزئ بمثل هذا وعبس وتجهّم في وجهه قال وما ذلك قال تتحفني بهذا ومعك أضياف الله لا يتحفهم أحد بمثل هذا وهم أولى من أوثر فاذهب وادفع ذلك إليهم ودعني أطيب نفساً بما يقر عيونهم وجز القثاء على عددهم أو أكثر، ووضعها على الرطب الباكوري فدفعهما إليهم ولعله أخذ مثل نصيب أحدهم تطيباً لنفس المتحف وليقتدي به من بعده، ونزل الجراد بضيعته وكاد يتلفها فرأى رجلاً فقال سر إلى الضيعة واقرأ: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ ..

الآية⁽¹⁾ وقل يا إخواننا يستعين الشيخ الضعيف الأعمى بالله ثم بكم على دفع الجراد عن ضيعته ففعل الرجل ما أمره به فانكشف الجراد، ونفرت مرة بغلته وهو بانبادية فتوجهت إلى أريغ فأعجزتهم فقال قولوا يا إخوانا ردوا على الشيخ الضعيف الأعمى بغلته ففعلوا فرجعت البغلة دون راد لها، ومن حكمه قوله أهل زمان كالسجنة إذا بقلت زلقت وإن جفت خدشت، وقوله كالتبوس إن اجتمعوا تناطحوا وإن افترقوا تصايحوا، وقوله قطيعة الرحم كقطع عضد الجسد لا يخاط ولا يتحاط ولا يربط، وذكر أن بني ورماز طغوا وأكثروا من الفساد وقطع الطرق فاجتمعت جماعة أهل أريغ إلى الشيخ أبي عبد الله فوعظهم وذكر على حسب ما جرت به العادة في مجالسه ثم ذكر لهم ضرر بني ورماز بالسالكين والمستضعفين في الأرض وأكثر القول فأجاب قائلهم بأن لا طاقة لنا وما عسى أن نقدر عليه قال الشيخ نقدر على أنفسنا فارتحل بأهله ونزل بفران من قرى وارجلان فقام بها عاماً فضاعت أحوال أريغ لفقدانهم أبا عبد الله وما كان يصلح من أحوالهم وفسادهم فاجتمع أهل أريغ وأتوه وراغبوه في الرجوع فامتنع قالوا ضيعتك أقبلت منفعتها وخيرها قال هي عندي مثل هذه الزيت صرت فيكم كالفريسة يعتادها السباع من كل مكان يقصدني العزابة من الأفق من طرابلس وأفريقية والزاب وقصطالية وغيرها فيقتلون بنواحي أريغ وعد عليهم أشياء قبيحة وأيسوا من رجوعه فرجعوا واجتهدوا في وجوه الصلاح وتعاونوا على البر والتقوى وتجنبوا الإثم والعدوان وقمعوا الطغاة فأتوه ثانياً ورغبوه في الرجوع فرجع، وزاره الشيخ محمد بن سليمان النفوسي وهو هناك ورغب إليه أن يسير معه إلى وارجلان ليرى الناس ويروونه يتبركون به فامتنع واعتل بكثرة تخليط أهل

(1) سورة الرعد آية 10.

وارجلان الحسن بالقبيح، قال أبو زكريا وأبو العباس زاره محمد بن سليمان النفوسي ومحمد بن عمرة اليروثني وكانا يدرسان الكتب في غيران بني أجاج فسألهما عن أحوالهما فأخبراه بأنهم يدرسان الكتب قال نعم ما فعلتم، وقال من يدرس الكتب أفضل ممن يقرأ عند خمسة علماء مثل عبد الله بن الخير وقال من يدرس كتب اللقط مثل من يهيل أنواع التمر إلى غرائره، وإن كتب أبي غانم قد أوضح وفيه قول كل عالم وأجوبة الأئمة مخ الفقه، وزاره بعض أصحابه في حالة رثة وعهده به في حال سنية فسأله لم صار إلى هذه الحال قال نحن في زمان من فقد دنياه فقد آخرته ومن قبلنا إذا فقد دنياه لم يفقد آخرته فالسعيد من احتاط لآخرته، وقصده رجل من لمطة وتاب على يديه وتعلم السير وسلك سبيل الصلاح فصار من حاشيته وأرسله في غنمه بجبال بني مصعب وله معها غنم فغار عليه بنو غمرت فتبعهم يطلب ردها أو بعضها فضربه بعضهم برجله فتيبست رجله ولم يطق ردها إلى الركاب فرغبوا إليه أن يجعله في حل وكروا عليه فجعله في حل فلم تزل على حالها فقالوا له نريد بنية صادقة ففعل وانطلقت رجله فصاروا بعد ذلك يتجنبون أذاه ثم غاروا عليه مرة أخرى ومعه غنم الشيخ فقال خذوا غنمي واتركوا غنم الشيخ فأبوا فكان عاقبتهم خسرأ، ومنه مثل الجماعة كالخشبة والمستتر برأيه كالوتد يضرب به وسطها يعني تفيق الجماعة بسببه، وأوصى بعض تلامذته عند وداعه إن وجدت من تقدم في الأمور فاتبعه وإلا أن وجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى وإلا فإن وجدت من يقتدي بك فكن إماماً وإلا فالزم الطريق وحدك وجانب الناس، وكان بالساحل في جماعة يزور أهل الدعوة فتلقاهم بعض أهل المنازل وأنزلوهم وأكرمهم قال وكان معهم رجل ممن تطلب معي وأخذ عن شيوخي وعليه كساء حشمي وفي رجله فرق قلعي وعلى رأسه شاشية حمراء وفي

يده مزراق ويرفعه ويضعه وعولت على هجرانه وزاد بأن أدخلنا بيتاً وأدخل علينا أعوان الجبابرة فتضاعف غضبي وقدموا لنا طعاماً فأكلنا جميعاً ثم نفذ الطعام وصار الفوار يتصاعد من قعرها ولم أر قبلها ولا بعدها قصعة تفور بعد فراغ الطعام وذلك لشره الأعوان وقلة أدبهم وزاد حنقي ثم انصرفوا وأدخلنا بيتاً آخر ولا خلط معنا وأحضر طعاماً طيباً يصلح لمثلهم قال كلوا لعلنا نؤدي بعض حقوق الإسلام وأهله ويكفي ما تعلق بنا من طعام كنا نأكله من أموال أهل الدعوة في حرمة هذا الاسم وما حملنا على ما تقدم من مؤاكلتكم غير الجنس إلا المداراة عليكم وعلى أهل المذهب فأنحل بعض ما بي فدعونا الله فلما دخل وقت الصلاة أتى وأذن وأنحل بعض ركع ما شاء الله ثم أقام الصلاة فلم يجد من يقدم فتقدم وصلى ثم دعا ثم قام وركع ما شاء الله ثم جلس وأخذ الكتاب وجعل يقرأ ويفسر ما أشكل منه وأنحل جميع ما في نفسي واستحسن حاله وشكرت الله إذ لم أعجل عليه بما يكره، وعن ابنه أبي يعقوب قال أوصى أبي بألف دينار فاستكثرها وأوصى بخمسمائة دينار وقال هذه وصيتي فأنفذها ولا جعلك الله في حل إن دفعت لشخص أكثر من أربعة دراهم لأنها حوطة من أموال أهل الدعوة لم أكل منها ولم أطعمكم ولكن ربما أرادوا وجهاً فرأيت غيره أصلح فصرفته فيه، ومن تمام تواضعه أن كنسوا غاراً فجعل يرفع معهم الكناس فقال له يوماً بعضنا اقعد استرح يا شيخ فالطلبة يكفونك قال لا يحملون عني ذنوبي فقال له فاحمل إذن كثيراً كثيراً قال لو كان رأيك يؤخذ لأخذنا به آنفاً، وكان أبو الربيع إذا شبه الشيوخ قال عليه هو نذير من النذر الأولى وليس بنذير نبوة بل من الذين قيل فيهم ﴿وَلَوْآ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾⁽¹⁾ قال أبو

(1) سورة الأحقاف آية 29.

الربيع إن أبا عبد الله توجه إلى القيروان من عند شيخه أبي زكريا يتعلم النحو والأعراب وكان أهل الدعوة بنواحيها كثيرين فقصد شيخاً فتعلم عنده ثم قال له أوصي بك إلى من هو أعلم مني فانتقل بكتابه إلى الثاني فتعلم في أقرب مدة لما أعطي من الفهم، وسأله يوماً الشيخ منصور بن الشيخ عبد الغني الوسلاتي المزاتي رحمهما الله عن لحوم الحمر قال إنما يسأل أن لم يكن هو خيراً من تمر نخلكم في أول ما شب قال الشيخ المنصور عجباً من فراسته وأخذ الكلام من أبي نوح سعيد بن زنجيل، ودارهم معدن العلم قديماً من أبيه وجده وجد جده على ما أظن وقد تقدم أبوه ولكنهم دونه في الشهرة، ومات عام أربعين وأربعمائة ومن سياسته أن أبا تغلى سمع قراءة العزابة في غار أجلو الشرقية قال ما هذه البدعة فبلغ قوله أبا عبد الله فاتخذ قصعة من طعام طيب ومنادل حسناً وبطة مملوءة زيتاً فأرسلها إليه قال أمسكها هي لك فجلس غداً في موضعه فسمع قراءتهم فقال ما في هذا البلد إلا كلام ابن بكر فمن كره فهذا في قلبه لرمح في يده والرشوة لرفع ظلم أو دفع جور قال جابر في سبيل الله ورآه رجل بعد موته في النوم على حالة حسنة من اللباس والهيئة والمركب والجمالة.

[عبد الغني الوسلاتي وابنه]

ومنهم الشيخان القدوتان العاملان عبد الغني الوسلاتي وابنه المنصور وهما في السن والعلم كأبي العباس بن محمد وأبي عبد الله أبيه ابن بكر قالوا فهما قرينان لهما سنأ وعلماً ووسلات جبل مشرف على القيروان وتقدم أن الشيخ المنصور سأل أبا عبد الله عن لحوم الحمر فأجابه بما تقدم وكونهما قريني أبي عبد الله وأبي العباس في العلم والسن كاف في الشهرة والتعريف بهما.

[جعفر الوسلاتي وابنه]

ومنهم الشيخ جعفر الوسلاتي وابنه الشيخ أبو زكريا يحيى بن جعفر كانا شيخين فاضلين عالمين قدوتين، وروى أبو زكريا عن أبيه جعفر أن معنى قولهم التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة يصرف لمن هو قريب الدار وأما من بعد فلا، وجعفر ولد في أجلو وكان شيخاً فاضلاً ومات وابنه غالب وذكر عن الشيخ أبي زكريا ابن الشيخ جعفر قال كنت عند أبي عبد الله فكان العزابة يكنسون الغار ويكنس أبو عبد الله معهم ويرفع معنا فقلت له اقعد يا شيخ العزابة يكفوننا ذلك قال لي لا ترفع عني ذنوبي وكان يرفع قليلاً فقلت له ارفع إذن كثيراً قال لي لو كان يؤخذ قولك لأخذ أنفأ، وعن الشيخ أبي زكريا ابن الشيخ جعفر ثلاث من الحكمة لو شئت كتبتها في ظفري اتبع ولا تبتدع اختفض ولا ترتفع من تورع فلا يتسع.

[أبو يحيى وأبو القاسم ابنا أبي مسور اليراسني]

ومنهم الشيخان الأخوان أبو يحيى زكريا وأبو القاسم يونس ابنا أبي زكريا فصيل بن أبي مسور اليراسني رحمهم الله قال أبو العباس لكل واحد منهما سجايا جود كالسحاب وذكاء كالشهاب وحسن سلوك الطريقة وحفظ العلوم على الحقيقة قال أبو العباس ذكر أبو الربيع أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن جرناز قدم طرابلس زائراً واجتمع الناس عليه يسألونه عن مسائل دينهم وفي المجتمعين زكريا بن فصيل ووقع السؤال عما أنبتت الأرض كالحصير هل تطهره الشمس إذا نجس قال نعم، قال الشيخ زكريا ليس هذا الجواب معمول به قال ابن جرناز معمول به، قال زكريا لا عمل عليه قال ابن جرناز صدق القائل إن أولاد الشيوخ غير منقادين قال ابن أبي زكريا الأولاد عقبة المستجاب إياكم والمرخصين لئلا تفارقوا دينكم وأنتم لا تشعرون، وذكر أن أبا القاسم يونس بن أبي

زكريا وأبا نوح صالح التجمي قدما على أبي محمد عبد الله بن مانوح زائرين فلما أديا حق الزيارة وانفصلا راجعين مرا بشجرة تفاح لأبي محمد قال أبو نوح ألم ترها يا يونس حمراء فنزل أبو القاسم ونزع ما في رجله وأظهر أثره خشية أن يظن غيره ثم اجتنى على وجه الدالة ما فيه كفاية وأعطى لأبي نوح فرد بعضه وجاء أبو محمد فعرف الأثر وسر بما فعل وقال لم يزل مثله يدل في مال أخيه وكان يونس كثير الزيارة له فقال له مرة بلغني أن وكيلك على الحج قد أخذ ما معه فاستخلفني لعلي أجمع لك شيئاً فاستخلفه فجمع له من جربة قرب أربعة وعشرين ديناراً فقال أبو محمد نقاسمك لأنك قريب عهد بعرس فأبى وأعطاه خمسة دنائير فردها واستحسن قناعته وإيثاره على نفسه.

[محمد بن سودرين الوسياني وآخرون]

ومنهم الشيوخ الثلاثة أبو عبد الله محمد بن سودرين وأبو محمد عبد الله بن زوزرتن وميمون بن حمودي بن زوزرتن رحمهم الله الوسيانيون الثلاثة من أهل كنومة وجمعتهم في التعريف تبعاً لأبي العباس أما أبو محمد فهو فتى أبي نوح سعيد بن زنگيل وبذلك اشتهر لأنه منه أخذ العلم وهو أقرب إليه من سائر طلبته ومصاحبه في أسفاره وموافقاً لخلقه ومواتياً لحوائجه، ومن سياسته وحسن نظره أن صحب شيخه إلى بني كطوف فالفاهم طاعنين فأتبعهم فلما نزلوا أرسل فرسه فاشتغل عنه أهل الحي فاستبطأ إجتماعهم إليه فقال لأبي محمد أردد عليّ فرسي قال قمت إليها متثاقلاً وصرت أزاول الفرس وأصلح من شأنه للركوب وعيني إلى أهل الحي فرأيتهم اجتمعوا إلى الشيخ فأقبلت بالفرس فسلموا واعتذروا عن ريثهم فقبل منهم بفعلي وثاقلي قال أحسنت، وأخذ علم الفقه من أبي صالح وأخذ الأصول من أبي نوح وكان أبو نوح إذا سأل

عن مسألة قال أخبرني هذا الفتى فيها عن أبي صالح كذا، ومن ورعه قال قصدت أبا صالح فرأيت سواداً على بعد فقلت للعر التي كنت فيها ما ذاك فتسابقوا فإذا هي أمة فضقت ذرعاً ولم يهن له عيش فلما بلغت جربة وصلينا الظهر وحلقت الجماعة وفيهم أبو عمرو النميلي فناولني كتاباً فكنت اقرأ وأفسر فلما جاء أبو صالح قرأت وأمسكت عن التفسير فقال لأبي عمر والنميلي فسر فأخذ يفسر فاستحييت من فعلي وكنت قبل ذلك لا أعرفه ولم أره فسألته عن مسألتي قال لا شيء عليك ما تعمدت إتلاف مال الناس ولا أتلفته، وأما ميمون بن حمودي قال كنت أظن أنني استوعبت ما عند بعض أشياخي من العلم فقال يوماً رؤية المديان غريمة فيه تقاض بعض دينه فلما قال ذلك لم أسمعته قبل ذلك قلت لا تدرك للعلوم غاية، قال أبو العباس إذا كان الغريم يستحيى ويتقي على عرضه ودينه، وروى ميمون أن رجلاً من العزابة جاء هود بن محكم الهواري يستعينه في افتكاك كتبه مرهونة عند بعض النكار في خمسة دنانير فأرسل معه رجلاً إلى أحياء مزاة فلما أعلمهم بوصيته بادروا فكل يعطي ما أمكنه رجالاً ونساء وقد تقدم الخبر في التعريف بهود.

وأما محمد بن سودرين فكان إماماً عالماً ورعاً فمن ورعه ما ذكر أنه كان بالساحل فرأى باباً مفتوحاً والناس بين داخل وخارج قال: فدخلت فإذا رجل جالس على دكان فكل من دخل أعطاه ديناراً فأعطاني ديناراً فخرجت فوق في نفسي واستقبحت فعلي فرجعت فقلت أنا على خلاف مذهبك فنظر فيّ وتبسم وزادني ديناراً ألا ترى أنه لم يقبل صلة من ظن أنه مخالف حتى تحقق أنه آثره بها، وقد اجتمعت بوارجلان بالمسجد الكبير جماعة من المشايخ أبو عبد الله محمد بن بكر وعبد الله المدوني ومحمد بن سودرين وعبد الله بن زوزرتن وغيرهم فسألهم رجل

عن مسألة وهي الأجرة هل تؤخذ على تعليم القرآن فقال أبو عبد الله بن بكر للمدوني أجب فقال نعم إن لم تؤخذ عليه فعلام إذن تؤخذ على رعي البقر فسكت الفقهاء توقيراً له وإن لم يحسن في الجواب للإجماع على جواز الأجرة على رعي البقر ولعله يريد على تعليم الحروف والأدب، قال أبو العباس العذر عنه أن لو منعها كان ذلك ذريعة إلى ترك التعليم فيفضي إلى تمام الجهل وتصير الناس أميين.

[عبد الله بن مانوج اللمائي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي رحمته الله قال أبو العباس أحد من أبصر فاستبصر وذكر بعد حين فتذكر وذكر أنه ممن تاب بعد الكبر وكان السبب أن لقيه رجل من لماية يرعى غنماً فقال نعم الغنم التي ترعاها لحية، وبئس اللحية التي ترعى الغنم، ف وقعت التوبة في نفسه فأتى المشايخ أبا مسور وأبا صالح وأبا موسى عيسى بن السمح فمكث عندهم ما شاء الله بالجزيرة ثم رجع إلى أهله فلقية الشيخ الذي ذكره أولاً فقال جميع الإبل تبرك للجمل ولكن التفاضل في التبليغ فرجع فمكث ما شاء الله ثم رجع إلى أهله فلقية فقال جميع الأواني تصلح لأخذ المايعات والتفاضل فيما يبقى فيه الماء، فرجع فبقي عندهم حتى تفقه وصار إماماً ومشاراً إليه وهو أحد السبعة المشهورين المنسوبين إلى غار امجماج، ومما يذكر من تمام قناعته وقلة تعلقه بعلائق الدنيا ما ذكر عنه أنه لم يستسلف من أحد شيئاً قط إلا مرة ديناراً فرده بعينه مع كونه محتاجاً وقليل المال ومع ذلك ضيافته لا تفضلها ضيافة، وسأل راعي غنمه عنها قال بخير أن رزقها الله العافية إلى قابل تصير مائة قال أبو محمد لا أحب أن تكون لي مائة كما لا أحب أن أكون يهودياً، وقيل لما كبر وضعفت قواه وعمشت عيناه صار يتيمم لوجهه للوضوء وللجنابة

واتخذ مستحماً في كل جهة خشية الرياح وقيل له اكتف بالتيمم قال تلك مسألة العاجز، وتذاكر هو وأبو عمران موسى بن زكريا ما الناس فيه من الأمور والضيق وكثرة الريب وما يدخل على الناس من ذلك وما لا يعلمون وما يعلمون فقال أحدهما إنما عاش الناس اليوم بحمل الأشياء على أحسن وجوها قال الآخر إنما يرتكب ذلك في أحوال الطهارات وأما الأموال فلا، واستحسن الآخر ذلك، وسأل ما العبادة فقال النية والإخلاص لا ما يتخيلونه من الاجتهاد إلا إذا صحبه الإخلاص ألا ترى ابن داود يقيم الفتنة وهو يحفظ ما بين دفتي المصحف ثم بعد ذلك تاب داود وحسنت توبته، قال الشيخ ماكسن بن الخير لما توجهت إلى جربة برسم الطلب جرت على الشيخ أبي عبد الله واستشرته بأي من ابتدء، بالكلام أم الفروع؟ قال اقرأ الجميع قلت فإن قصر فهمي قال فدينك علم الفروع، وذكر أن عبود بن منار المزاتي زاره قال يا عبود إنك لعظيم القدر عندي فما حالك قال ركبتني ديون قال أعليك الدين وتزورني أبعد عني فلما رجع عبود إلى أهله فقال لعلي بن يخلف أخي سليمان بادرني يا علي بمن يخلصني من هذا الدين فأتاه بمن اشترى منه قطيع غنم ومطمورة شعير وعبداً فقضى دينه فلم يلبث إلا يسيراً فغارت غارة عليه فدافع عن نفسه وماله وأهله حتى قتل شهيداً رحمة الله عليه ومنزله بزريق، فرآه بعض الصالحين في النوم فقال مضيت وتركنا قال لا تقل كذلك وقد تركت فيكم سليمان بن يخلف نذيراً بعدي وكان يقول بعد أن كبر أن بعض العلماء يقول إذا علم العالم من نفسه ضعف عقل فلا يفتي وأخذ بهذا القول وأترك الناس قبل أن يتركوني.

[أحمد بن خيران الوسياني]

ومنهم أبو جعفر أحمد بن خيران الوسياني رحمته الله حاز من الورع

والفضل والتقوى الحظ الوافر وكفاك في فضله قول أبي عبد الله بن بكر فيه قطع أبو جعفر عذرکم إن زعمتم إنكم مقلون فهو مثلکم وإن زعمتم إنكم في بلاد قائمة الأسواق كثيرة السالك فهو كذلك، وعادته تأخير العشاء إلى أن يصلي العتمة فينادي في المسجد لا يبيت ضيف دون عشاء ثم يفتش أركان المسجد وزواياه فإن وجد طارقاً وابن سبيل حمله وإلا انصرف، ومن عجيب أخباره أنه دفع بذر الزراع يزرع جناته ثم بعد ذلك إذا قدم عليه من الجنة سأل ما حال الزرع فيقول بخير فلما فات الوقت خرج يرى زرعه فلم يجد شيئاً فقال للجنان ما هذا يا فلان وتلقاه بكلام قبيح إن قال أتظن أن أزرع لك ويموت أولادي جوعاً فخرج وهو يقول سلام سلام أراد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽¹⁾ ولم يسمع منه ما يكره، قال أبو العباس قال أبو الربيع سليمان بن يخلف مررت أنا وخالي عبود بن منار بأبي جعفر فأخرج صرة فيها دراهم وقال خذاها واشتريا من السوق خبزاً نقياً لغدائكما قلنا تغدينا قال الحمد لله فردها.

[عبد السلام بن منظور المراتي]

ومنهم أبو الخطاب عبد السلام بن منظور بن وزجونة المراتي وهو أحد من رتب للحلقة الأساس وأحكم لها الأمراس وهو أحد الأشياخ النجباء الذين اشتهروا ممن أخذ عن أبي نوح سعيد بن زنگيل وقيل كان مع التلامذة حين رتبوا الحلقة على أبي عبد الله بن بكر فكان يتحرى مجاني الصلاح ويتنزه الفرص حيث سنحت حتى عرفت له هذه الشنشنة وقال له الشيخ أبو محمد يوجين اليفرني أردت أن أعرف موضع نومك لأوقظك للصلاة وكان عبد السلام يطيل القعود في المجلس فإذا نام قليلاً جاءه الشيخ فأيقظه ويقول يا عبد السلام ما نال الصالحون ما نالوا

(1) سورة الفرقان آية 63.

إلا بترك اللذات فلما ارتحل الشيخ من كنومة إلى أريغ قال لعبد السلام انتقل معي لأن من يقصده الناس بحاجاتهم كمن دخل الحرب لا غناء به عمن يعينه ويؤيده ويرعاه ويرفده ويداوي جراحه وإلا كان هلاكه وشيكاً فأجابه إلى ذلك وأنكحه ابنة أبي القاسم فمكث عنده ما شاء الله فأتى عشيرته زائراً قالوا له تركتنا فلسنا بتاركيك فكن معنا كما كان أبوك لتحياي ما كان أحياء من الدين وإلا كنت عنا مسؤولاً فأجاب رغبتهم فأنكحوه زينب بنت أبي الحسن، ثم أقام حيناً ثم انحدر إلى أريغ وأخبر أبا عبد الله برغبة قومه فيه وإرادة مفارقة ابنة الشيخ أبي القاسم وقد أتيت ببعض الصداق وأوفى بالباقي إن شاء الله فأخبر بذلك أبو عبد الله أبا القاسم قال معاذ الله أن آخذ من عبد السلام عوضاً من أعواض الدنيا وأشهد أنه تحمل عنه جميع ما أوجب لها عليه وتركته فلم يقنعه ذلك فبرأته المرأة بنفسها وراوده الشيخ أن تقيم عنده فلم يمكنه فلما ارتحلت مزاته إلى طرابلس ارتحل معها وأقام حتى رجعوا، وأقام هو بجبل نفوسة ما شاء الله فحج من هناك، فلما رجع قصد درجين وسكنها في رغد من العيش ورفاهة، وكان كثير البنات مع زينب بنت أبي الحسن، وفي سنة ثلاثين وأربعمائة وقع بطرابلس قحط عظيم وتفرق أهلها وتسمى فروراً فنزل رجل من ورغمة بقلعة درجين في جوار الشيخ عبد السلام فاستحسن زينب صورة ابنة الوردغمي فخطبتها على بعلها فتزوجها وسكن معه في داره وطلع معه إلى أفريقية فنزل عسكر صنهاجة على قلعة درجين فحاصرها حصاراً شديداً فلما اشتد عليهم الحصار خرجوا عليه خروج رجل واحد يقتلون فقتلوا عن آخرهم واستبيح ما في القلعة فخرجت امرأة ابن أبي ورجون وهي تنادي يا آل مزاة ومعها بناتها فخلصهن رجل من أهل العسكر وسلمهن الله من الانكشاف، ورجع عبد السلام فرأى تلك الأحوال فسمع به بنو ورتيزلن فارتحلوا به إلى أجلو

فمنحوه أرضاً عظيمة فعمرها وولد له من الورغمية ولد سمّاه سعيداً فلما بشر به قال ولد الشيخ يتيم، ومنه تناسلت ذرية الشيخ وحين قدم إلى أريغ وجد أبا عبد الله في آخر أيامه من الدنيا قراره وهو في السياق فتأسف وأظهر الجزع على فراقه فقال اقصر عن هذا وعليك بالدعاء وجعل يكررها حتى قبض، فجعل يقول مثلي كمثل من يسير في شدة الحر قاصداً شجرة يتفياً ظلالها فلما وصلها اقتلعت فأضحى ضاحياً وقيل اشترى مرة بأفريقية خرفاناً فأراد بائعها قبض الثمن فقال له أرى وهي بلغة صنهاجة هات، فدفعت ثمن الخرفان وتصدق بها تخرجاً من رزق صنهاجة لتجبرهم وغضبهم للناس أموالهم وسأله أهل مسنان عمن أقر على نفسه بالزنا ما الحكم فيه قال ادخلوه مزبلة وارجموه ففعلوا فحضرت الجمعة فصلاها ركعتين والزمان كتمان وخطب ثم قال الكتمان يأخذ من الظهور والظهور لا يأخذ من الكتمان يعني أهل الكتمان إذا استطاعوا تنفيذ بعض الأحكام فلهم ذلك وأهل الظهور لا يجوز لهم التقية.

[موسى بن زكريا]

ومنهم أبو عمران موسى بن زكريا رحمته الله أحد أعلام المذهب ورؤوسه ومن أضاء الله به دجى الجهل وظلمته، قال أبو العباس أدرك المشايخ وروى عنهم العلوم والآثار ولكل من تلاميذه منبر في الدين ومنار، وله كرامات مذكورة وبركات مشهورة هو الذي تولى نسخ الديوان المشهور الذي ألفه الفقهاء السبعة بغار الجماج، أبو عمران هذا، وأبو عمر النميلي وعبد الله بن مانوج وتقدم التعريف بهما، وأبو زكريا يحيى بن جرناز النفوسي، وجابر ابن سدرمام، وكباب بن مصلح، وأبو مجبر توزين، ونسب إلى أبي عمران لفضل البنان، وإلا فهو كأحدهم في البيان، وكان ذا حظ عظيم وقيل رأى في المنام أن يده صارت مصباحاً

فعبرت له بأن يده يحيى بها دين الله، وقال أبو محمد ندمت على ثلاث فأتتني من الدنيا قراءة كتاب الجبهالات وهو كتاب في الكلام عظيم الشأن، وزيارة أهل الدعوة، وحضور مجالس أبي عمران، وسافر أبو عمران زائراً لأهل الدعوة فمر بقصطالية بأبي جعفر أحمد بن خيران فقال له سر بنا إلى زيارة الغاية زوجة أبي القاسم فلما سلما عليها سألتهما عن امرأة نزلت بثيابها في الماء وجعلت على رأسها سترة، قال أبو عمران أيما امرأة نزلت مكشوفة الرأس في ماء تعوم في سبعة أودية من نار جهنم قالت هل من رخصة قال إذا كان ما ذكرت من السترة فهو أقرب إلى السلامة فقال ما جوابك فيها قالت كذلك حفظت من كتاب سعد بن يونس، واختلف أبو نوح سعيد بن زنگيل وأبو نوح سعيد بن يخلف في أمة صلت مكشوفة الرأس فأعتقت وهي في الصلاة هل عليها النقض فهما في المحاورة إذ طلع عليهم أبو عمران موسى بن زكريا فقال أحدهما قد جاء من هو أعلم منا ثم سألاه عنها فأجاب بما يوافق أحدهما قال أبو العباس والأظهر إن علمت بالعتق وهي في الصلاة فأتت صلاتها كذلك فعليها الإعادة وإن لم تعلم فلا إعادة وهذا تفصيل حسن، وروى أبو محمد عنه أن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتاباً إلى بلد لم يكن فيه فكأنما تصدق بألف حمل دقيقاً على أهل الغار وكفاه تعريفاً وشهرة وعلماً وصلاًحاً، وذكر أنه أضاف أضيافاً فلما استدعاهم وكان ذلك بمحضر صاحب له يعرف بخليفة ابن تزارغت فرغب إليه جابر أن يصحبهم فامتنع فألح عليه قال يعلم الله إنني لا أصحبهم قال جابر قد وجبت عليك الكفارة إما اصحبهم أو اقعد قال الراوي أوجبها لأنه حتم فيما لا يعلم أن يكون أم لا قال أبو العباس هذا تشديد لأنه لم يذكر شيئاً من ألفاظ القسم.

[يحيى بن جرناز النفوسي]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن جرناز النفوسي وكان من جملة أصحاب الغار وممن ألف في الديوان، أبو الربيع قدم أبو زكريا بن جرناز طرابلس فدخل جربة زائراً فاجتمع عليه الناس يستفتونه وفيهم زكريا بن أبي زكريا فأجاب بالرخصة فيما عمل وما أنبت الأرض كالحصر وغيرها أن تنقيه الشمس والريح كالأرض فقال زكريا هذا ليس عليه عمل، قال ابن جرناز بل عليه العمل فردّه زكريا بأنه ليس عليه عمل قال ابن جرناز الذي يقول الناس أن أولاد الأشياخ لا ينقادون صحيح قال زكريا قال عقبة المستجاب لأولاده إياكم والمرخصين لئلا تفارقوا دينكم وأنتم لا تشعرون.

[أبو مجبر توزين وكباب بن مصلح]

ومنهم أبو مجبر توزين وكباب بن مصلح كلاهما تعلم العلم وعمل به واستفاده من الأشياخ وأفاده، وممن نور الله بهما الدين وتقدم أنهما من أهل غار الجماج ولا شهرة أظم منها وهما في زمان أبي عمرو النميلي وأبي صالح وغيرهما كما تقدم التعريف.

[البصير بن ملال المزاتي]

ومنهم أبو إسماعيل البصير بن ملال المزاتي رحمته الله وكان ممن لازم زوايا المساجد لاجتناء العلوم والفوائد وتعلمه بمدينة توزر بدر بن مبدول من بني وارسين، روى أبو محمد ماكسن عن أبي إسماعيل إنه قال تعلمت خمسمائة كتاب بتوزر، وجمعت خمسمائة دينار وأكلت خمسمائة رأس ضأناً سوداً، قال وقد رجع من سفر قال لقد استفدت في سفري هذا إذا تعلق القراد بالميت فأثر يتيمم له، وإلا غسل، وما نبت من الأشجار في المقبرة والغار والطريق إن سبقن المقبرة فالحكم لهم

وإلا فالحكم للمقبرة أي لا يجوز سلوكها ولا دخول الغار ولا جنى الشجرة والقراد يقطع بالحكم، وخرج زائراً فجاز على كدية بني غمرت من أريغ فرغبوه في المبات فامتنع كل الامتناع لأن بها قوماً أظهروا الفساد والظلم وفيها قوم صالحون، قال لا يحل المبيت عند قوم أظهروا المظالم وأعلنوا بالمناكر ولا ينقادون للحق ولا يذعنون، فجازهم ولم يلبث إلا يسيراً فنزل بهم جماد بعسكر فأجلاهم ودمرهم تدميراً، وسألهم أبو مسور وهو بسوق الخميس بجزيرة عن رجل أعطى وليته لرجل مخالف فردها إلى مذهبه وعن رجل رد ولده إلى مؤدب مخالف يعلمه فردته إلى خلافه ومن زوج وليته لمن يطعمها الحرام فأجابه أبو إسماعيل بأنهم هلكوا وهلكن بل هلك الجميع.

[عبد الله بن الأمير اللمدي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن الأمير اللمدي رحمه الله كان عالماً ورعاً مستجاب الدعاء وفي الأثر زار أبا محمد عبد الله بن مانوح ومعه لحم مطبوخ في يوم الجمعة بعد الظهر فألفاه صائماً فأفطر لموافقة قلب المؤمن وأدخل السرور عليه، ذكر أبو العباس عن أبي الربيع أن أبا محمد كان يعظ لمائة ويحذرهم وقال لهم يوماً قال أبو صالح السخط يعم والرحمة تخصص يهلك الصالح بذنب الطالح، قال أبو العباس قال أبو الربيع جئت لزيارة عبد الله بن الأمير فلم أجده في منزله فقصدته في الأندر فإذا به في جبة صوف طرح رداءه وهو يضم أطراف الأندر فلما رأيته لبس كساء فصافحني ثم أقبل يعتذر كأنه أساء في اطراح الكساء، قلت له وهل في ذلك من بأس أليس هو العمل بالحلال قال نعم ولكن أين من يحسن العمل بالحلال إنما يحسن ذلك أبو صالح قلت كيف يعمل قال ينقل الزرع إلى الأندر على ناقته فإذا كان وقت الضحى ناخ ناقته وصلى ما كان يصليه

ثم يرحل وكذا العمل إذا كان لا يضر بعمل الآخرة، قال أبو العباس قال أبو الربيع وجه إلى سليمان بن موسى شيئاً وأمرني أن أشتري به طرفاً من المأكّل وآتي بها عبد الله بن الأمير يأكلها ففعلت وحملت من طريقي من الكلاء ما يقوم بدابتي فلما وصلت قال لأولاده اعلفوا دابة سليمان قلت ما هو بحمار يعتاد العلف قال يعلف ولا بدّ فإن علف دابة الضيف أهم من طعامه قال هكذا كانت قصتي مع عبد الله بن مانوج، جئته مرة على دابة جمعت لها من الكلاء ما يكفيها قال لأولاده اعلفوا دابة عبد الله قلت ما هو بحمار يعلف قال لا بل يعلف ولا بدّ من ذلك فإن علف دابة الضيف يا عبد الله أهون من إطعامه وكانت أمه من أمة سوداء وكان ذلك غالباً على لونه فذكر أنه صحب في بعض أسفاره شيخاً اسمه عزون فلما كان ببعض الطريق كلفه عزون ببعض الأحوال فلم يفعل وقال عزون معرضاً بسواده لو كان العبد من ديباج كانت أطرافه من تليس قال أبو محمد اتقع الفرقة ولا بدّ قال نعم تعال فاركب على عاتقي.

[يحيى بن وجمين الهواري]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن وجمين الهواري رحمته الله كان ورعاً ذكياً فطناً غائصاً في بحار العلوم كاشفاً للغطا عن مشكلها قال أبو محمد عبد الله بن محمد فيما روى عنه أبو العباس قلت لأبي زكريا ما معنى قوله رحمته الله: «هلكت فيك يا علي فئتان محبك المفرط ومبغضك المفرط» قال صدق عليه السلام قالت فيه الشيعة بقول النصارى في عيسى عليه السلام حتى قال بعضهم بآلهيته وقالت الصفرية إن كل معصية شرك أو كل كبيرة شرك وقالوا إنه فعل الكبائر وإنه مشرك، قال أبو العباس قال أبو محمد كنا في مجلس في أجلو يقرأ فيه عزابي آثار الربيع عن ضمام عن جابر رواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة وافر بالبربرية ما يقرأه ولا أتعرض لذكر

السند وأبو زكريا في زاوية من المسجد يصلي فقال ما لك لا تذكر أئمتك فكان كلما قرأ سنداً أعدته ثم أفسر وهذا الكتاب رواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع قال أبو محمد إذا سألت ماكسن عن مشكلة قال دعنا حتى يأتي صاحب المشكلات أبو زكريا قال أبو محمد اجتمعت الشيوخ في مسجد الشيخ ينكول بن الطويل ليصلحوا بين جماعة تينوال وكانوا يقرأون كتاباً ومروا فيه بقصة رجل في زمان سيدنا موسى وله حمار فقال رب لو كان لك حمار لعلقته مع حماري وربطت معه فهمم به موسى فأوحى الله إلى موسى ذلك مبلغ عقل عبدي فتركه موسى واجتمعوا بأثر ذلك بتينوال وجعل الشيوخ يعاتبون أيوب بن حموا، قال أبو زكريا اتركوا عنكم البله الذين تمتلئ بهم الجنة يعني خبر صاحب الحمار واشتغلوا بمن يثقب الخرزة بكياسته يعني ابن حموا فما زالوا يعاتبونه حتى تاب واصطلحوا، ورأى أبو زكريا ليلة القدر في مصلى المسجد عند موضع المحراب الذي يلي الحائط القبلي مسجد أكلو فبنوا محراباً ملصقاً إلى جدار قبلة المصلى في داره وهو معروف بالبركة، وذكر أن رجلاً ممن ينتحل التقوى لابنه عليه دين فماطله فدعاه إلى المشايخ وفيهم أبو زكريا فحكموا عليه بالدفع فحبسوه وأخرجوه إلى الحطة فسمع ماكسن فأقبل فقال علي ما يسجن قال أبو زكريا حكم بها أبو عبد الله وحكم بها هذا واحكم بها ولا يخرج حتى يقضي ما عليه أو يسرحه ابنه أبا نوح قال محمد البستي بها ولا يخرج حتى يقضي ما عليه يحياكم هذا لا يؤذي الأرض ولا تحس مشيه عليها يعني يمشي هوناً.

[محمد بن سليمان النفوسي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان النفوسي رحمته الله كان ومن وسع الله عليه في كثرة العلم والمال والتقوى وسماحة النفس وسخاوة القلب

كانت عنده كثرة التلاميذ يعلمهم ويطعمهم ويكسبهم من خالص ماله فإذا أقبل الشتاء اشترى لهم أكسية جديدة فيها دفء وإذا أقبل الصيف اشترى لهم ما يخفف وادخر الأخرى وربما باعها بالثمن الذي اشتراها به، أبو العباس عن أبي عمرو عن إبراهيم بن يرموز الزنزفي وكان شيخاً صالحاً قال دعاني أبو عبد الله يوماً أن أصحابه إلى السوق لبيع زيتونة مشرفة على السوق ضاعت غلتها فقلت بكم قال بعشرة دنانير فلما ساومها باعها بأربعين ديناراً فلما رجعنا فرق الثمن على العزابة والتلاميذ وأعطاني ستة دنانير فأمسك العشرة التي طابت نفسه بالبيع بها ونواه فجعل ما زاد الله قال أبو عمرو فسألت عن ذلك أبا العباس قال من العلماء من قال الزيادة للفقراء والذي فعله حسن جميل وكان يقول لا أريد أن أرى الفرس والكلب والمرأة إلا في بيت عدو الفرس في رأسه مطحنة وتحت مزبلة والكلب يروع والمرأة تفشي السر وتهتك الستر وقيل لم يملك قط ذا روح وقال لأصحابه إن عادة آبائي إذا كبروا اعترضتهم حبسة في ألسنتهم تؤذن بفراق الدنيا فإذا رأيت ذلك فزوجوني فلما رأوا ذلك منه زوجه امرأة قامت بمرضه حتى توفي ﷺ، قال أبو العباس التزوج أفضل وهو الحق لقوله: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمۥ﴾ . . الآية⁽¹⁾ وكذا اكتساب الحيوان إلا أن خشي ما ترد عليه من المضرة والتفرغ للعلم والتزوج في المرض خشية أن يتكشف عليه غير زوجته ولقوله ﷺ: «من مات عازباً مات شيطاناً» وقد كان في تطلبه يكابد سوء المعيشة وصبر حتى كاد لا يجد فصار يأكل اللفظة بل القطف والرسا وهما شجرتان معروفتان فيما ذكر وكان خرج من أهله من ابديلان من نفوسة فأخذ في الطريق فدخل وارجلان وليس عليه إلا خرق ولم يعرفه أحد ولم يعرف أحداً وصادف

(1) سورة النور آية 32.

رمضان فكان يتبع الطلبة للكرامات التي تصنع لهم فإذا دخلت الطلبة رده صاحب الدار إنكاراً للباسه وهيئته وعدم معرفته فاجتمع عليه لباس الجوع والبرد حتى ورم رأسه ويسوخ فيه الأصبع فلما رأى ذلك رجع إلى الصبر وحبس نفسه في المسجد وتوكل على الله وابتدر الناس الطلبة يحملونهم وكثر الحمل وأرسل واحد ابنه فلم يجد من يحمل ووجده لازم الفراش فدعاه فقال لست ببغيتك فرجع إلى أبيه فقال لم أجد إلا رجلاً ليس بعزابي قد اضطجع ومن رغبته في إفطار الصائم قال ائت به وما قضى الله به من الفرج فرجع إليه ودعاه قال لست من تطلب وقد ضعف صوته فرجع الولد فأخبر أباه بحالته وامتناعه فقام إليه فجلبه إلى داره بنفسه فلما غسل يده فأول لقمة رفعها إلى فيه خرج منه نور شق سقف البيت حتى ظهر إلى الهواء فجعل الرجل يكرهه على الأكل حتى شبع قال له هل لك عريف قال لا فحدثه بقصته من أولها إلى آخرها قال أنا عريفك وتكفل له بجميع ما يحتاج فأعطاه كساة من حينه وأكرمه الله ببركة أبي عبد الله حتى صار لا يقصد بوارجلان غيره ثم قتل مظلوماً.

[أبو ميدول مَضْكَدَاسَن الزنزفي]

ومنهم أبو ميدول مَضْكَدَاسَن الزنزفي قال أبو العباس يعد في الوعاظ والنصاح والداعين المرشدين إلى سبيل الفلاح وتحكى عنه الحكم والأمثال والإصابة في الأقوال والأفعال قال ذكر يحيى بن جعفر أن أبا القاسم يونس بن أبي زكريا كتب إلى أبي ميدول «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، أما بعد: إني سمعت بأن جماعة من النكار طلَعُوا إلى ما قبلكم فإياكم ثم إياكم أن يردوا أرضكم ولو للضيافة فإن القوم أخدع الأمة وأنت ممن لا يحتاج أن يوصى والسلام..» فوقف عندما حد له وأضاف أبا محمد ماكسن ويخلف

التميجاري وقدم لهما طعاماً جميلاً ضيافة كاملة فقال كلا فقد مات من
يسلم في نفسه ويسلم معه غيره فشكرا صنيعه وشكر هو حين رآهما
شكراً، وحمد الله على اقتران الشكرين وقيل اللعنة مع الضيف فإن حمد
وشكر وقابله المضيف بمثلهما وقعت على إبليس وإلا وقعت على
أحدهما وله كلام ومواعظ بالبربرية.

[أبو موسى يزيد المزاني]

ومنهم أبو موسى يزيد المزاني وابنه ضمام رحمهما الله قال أبو
العباس ممن تمسك في الفروع بحبل وثيق وسلك في الصلاح أنهج
طريق، وكان من أفاضل تلاميذ أبي خزر وممن أخذ عنه الأثر والسير،
ذكر الشيخ أبو العباس عن أبي نوح صالح بن إبراهيم أن بلاد أفريقية
أصابتها سنة وشدة وقحط فانتجعت مزانة قابس يمتارون التمر بالدين
والقرض، وقصدوا الشيخ ضماماً وأعلموه بما هم فيه من شدة المآل
وأرادوا أن ينقذهم مما هم فيه من الجوع بأن يستدين ويتحمل عنهم
فشاور والده فقال فهل يعرفهم أحد قال لا قال وأنت هل تعرف قال نعم
قال توجه الفرض عليك أن تستنقذهم بما هم فيه فجاهد ففعل فقال أبو
نوح قيل يسأل المرء عن فضل جاهه كما يسأل عن فضل ماله وقيل من
تبرم بجاهه فقد تعرض لزواله، وعنه عليه السلام: «الله وجوه من خلقه استخصهم
بنعمته ما بذلوا لخلقهم فإذا بخلوا بها بدلها إلى غيرهم فلما أيسروا قضوا
وقضى ما بقي».

[يوسف بن سهلون]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن سهلون، كان غزير الحفظ متقن لما
حفظ ذكر يعقوب بن أبي القاسم أنه قال وصلت ذات مرة إلى وارجلان

فرجعت وسألني أبو عبد الله بن بكر هل رأيت أبا يعقوب قلت لا وكان مزين حاضراً قال انظر يا مزين إلى هذا الذي يسافر إلى وارجلان ولم يزر أبا يعقوب فعظم عليّ ذلك ورجعت إلى وارجلان زائراً له فرجعت فأخبرته بحاله وإن أبا يعقوب أصيب في لسانه، وذلك أن مسألة شنيعة نزلت في وارجلان فاجتمع لها المشايخ ومن ينسب إلى العلم والرأي وذلك عادتهم وهي امرأة ادعى تزويجها رجلاً فأتى كل واحد منهما ببينة على صحة دعواه فترادوا المسألة، قال أبو يعقوب حرمت عليهما معاً وعلى رجال الدنيا والآخرة إلا أن تتوب فتحل لرجال الآخرة، وقال رجل من بني جرين هاج الفحل وافتقرت الفصلان فأصابه بالعين فاحتبس لسانه عن الكلام، وكان كثير الرفق والسياسة مع كل أحد حتى إذا أراد أن يأمر ابنه أيوب بأمر أشار إليه إشارة لئلا يعق إن لم يمثل لكلامه إذا أمره وكان أيوب يبادر لما فهم بالامتنال فضرب بهما المثل، الأب كأبي يعقوب والابن كأيوب، واختلف هو وأبو عبد الله بن بكر فيما يقال لمن تتولاه هو مسلم عندي عند الله أو مسلم عند الله عندي، قال أبو عبد الله يعلم الله إنه عندي مستحق لذلك وهذه مسألة تحتاج إلى بسط وقوله في المرأة تحرم على رجال الدنيا والآخرة، قال أبو العباس إذا دخلا بها لأنها زانية وإلا فهي للأول إذا رضيت به وإلا فسخ النكاح أن جعل التاريخ أو لم ترض بها وهي لمن رضيت به إن لم ترض بالآخر.

[تملي الوسياني]

ومنهم تملّي الوسياني وروى أبو الربيع وأبو نوح وأبو عمران تملّي كان عالماً مقلداً في أول عمره وهو من أهل القصور، وسافر التجار بالتمر إلى البادية وسافر معهم بمزود تمر على عاتقه أو علاوة أو وسادة لاختلاف النقل فاستطعم القافلة مسكين فلم يعبأوا به وأطعمه تملّي حتى

شبع فدعا له بالنماء والبركة قال إن أمامك قوم أدركهم الجوع فلا تنزل حتى تصلهم فلم ينزل حتى وصلهم ونزلت القافلة دونهم فباع لهم كيف أراد وبارك الله في وسادته ونمت وقيل باع صاعاً بتمر بصاع من دراهم ويأخذ الصامت والكسور فما أتته القافلة إلا وقد باع بوقر جمل مال فبورك له في كل شيء حاله وجعل يسافر إلى تادمكت وجمع بها أموالاً وكان يبعث كل سنة ستة عشر كيساً كل كيس فيه خمسمائة دينار مكتوباً عليها مال الله مال الله إلى أبي عمران موسى بن سدرين والد هارون الحامي الوسياني يفرقها فأرسل إليه ألا تبعث أولياءك أقلاء ومالك كثير وقد استغنوا، وكاتبه تملي كل من لم تعلم له كبيرة من أهل الدعوة فأعطه كذا قال أبو خزر ولا تسأل عنها أحداً، ووصل إليه يخلف بن تمصكويت المدوني وقيل ابنه أبو نوح سعيد فقال له إن كنت تأخذ مال الله أغنيك وعقبك فقال لا فأعطاه ديناراً وكان يحدث عما رأى من كثرة الكياس من مومة مكتوب على كل واحد مال الله.

[عبود بن منار المزاتي]

ومنهم الشيخ عبود بن منار المزاتي خال سليمان بن يخلف وتقدم أنه مات شهيداً بمنزله زريق وتقدم مسيره إلى أبي محمد عبد الله بن مانوج وقال له أنت عظيم في نفسي يا عبود وما حالك قال ركبني الدين فانتهره فخرج فبادر دينه ثم قتل أثر ذلك شهيداً، قال أبو الربيع سليمان بن يخلف مررت أنا وخالي عبود بن منار ذات مرة على أبي جعفر أحمد بن خيران فأعطانا صرة دراهم نشترى بها طعاماً طيباً من السوق قلنا له تغدينا قال الحمد لله وليس هو الشيخ عبود الكزيني المزاتي أو غيره الظاهر عندي والله أعلم.

[سليمان بن يخلف المزاتي]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي رحمته الله أخذ العلم من منبعه الصفي ومعدنه المليء أبي عبد الله محمد بن بكر وكان غاية في العلوم وله من التأليف (المتحف في الأصول) أفنى شبابه في القراءة وبقية عمره في الإقراء، وأفاد خلقاً كثيراً واشتهر علمه في الآفاق، قال أبو العباس ذكر أبو عمرو أن جماعة عزابة اجتازوا بطرة فإذا هم مقدمها اسمه أبو علي قالوا له احذر عقوق الوهبية قال لهم ارغبوا إليهم أن يدعوا عليّ استهزاء فلما وصلوا جربة وكان يوم جمعة صادفوا الشيوخ قد أقبلوا إليها مع التلامذة وفيهم أبو الربيع فسلموا عليهم وصافحوهم وأخبروهم بفعل أبي علي وقوله واستهزائه قال أبو الربيع رب كلمة أسلبت نعمة فاجتمعوا وابتدأ أبو الربيع ودعا فتبعوه وأداروا الدعاء وختم أبو الربيع فأصاب الملعون في تلك الساعة وجع وجعل يصيح من شدة الوجع ويقول قتلني الشيخ الأعور يعني أبا الربيع حتى مات ولم تمطله دعوة أبي الربيع، ولما مات أبو عبد الله محمد بن بكر كان أبو العباس ابنه عند أبي الربيع فلما بلغه موت والده أمسك عن أكل ما بقي من النفقة لأنها مال الورثة قال له أبو الربيع أمسك ولا حرج عليك ولا تلزمه العدل بينكما، وعن غير واحد من تلاميذه رجعنا من عنده عام واحد وسبعين وأربعمائة فشيئنا إلى المصلى الذي فوق عيون تونين فوقفنا للوداع قلنا أوصنا قال إذا وصلتكم منازلكم فإياكم أن تستقبلوا الدنيا بوجوهكم لئلا تغرنكم وعليكم بالألفة والنصيحة والتزاور وحفظ مجالس الذكر وإياكم وأمر الناس وإياكم والتقصير فيمن يرد عليكم من أهل دعوتكم، وقالوا أردنا الطلوع إلى جبل دمر برسم دراسة الكتب من تموسلت فلم يوافق ذلك أبا الربيع ولا أبا يحيى زكريا بن أبي بكر

فشيّعنا أبو يحيى وقال إن رجعتم إلى أهاليكم وأنتم على هذه الحالة فكمن ترك الإسلام عمداً وهذا تحريض وترغيب في طلب العلم، وقال أحد طلبته للآخر زوجتك أختي قال قبلت فضاق ذرعاً فبلغ الخبر أبا الربيع فقال لم ينعقد عليك نكاح ولا شيء عليك ولو أجازته، قال أبو العباس إن كان الأخ وكيلاً انعقد بلا خلاف وإلا فإن إجازته وقبلت لزم إذا كان يقرب العقد وقال لعل أبا الربيع علم منها عدم الرضا أو عقد مع وليّ قبل، قال أبو العباس ذكر أبو عمرو عثمان بن خليفة إن أبا يعقوب محمد بن يدر سأل عن مسألة فإخطأ في الجواب وذلك أنه قال علينا العمل بالفرائض وليس علينا العلم بها، وكان يزيد بن خلف الزواغي وأبو الربيع سليمان بن يخلف خلف المجلس فقال يزيد بن خلف الزواغي يا سليمان ما الذي أخذت عن عبد الله بن بكر فيها قال إذا لزم فعل شيء لزم العلم به وإن له في فعله الثواب وإنه فرض وعدل، وجوابه في المسألة جواب النكار وهو خطأ وجوابهما جوابنا وهو الصواب إن شاء الله، وتوفي رحمه الله عام أحد وسبعين وأربعمائة فبلغ وفاته الأشياخ ببلاد أريخ كمزين وماكسن ويوسف بن أبي عبد الله فاجتمع إليهم أعيان تلك النواحي يعزونهم وهيئات وقد لازموا العويل والاككتاب الطويل، قال أبو يعقوب كفوا عفاكم الله فإن هذا لا يغني عنكم شيئاً وعليكم التمسك بما أخذتم عنه وعن غيره من الأشياخ وكونوا لها كصاحب إبراهيم ابن إبراهيم لأمانته حين أودعه ديناراً فقال احذر أن يسقط قال تقع هاتان ولا يقع إشارة إلى عينه.

[ماكسن بن الخير الوسياني]

ومنهم الشيخان أبو محمد ماكسن بن الخير وأبو عبد الله مزين بن عبد الله الوسياني رحمهما الله كانا عالمين عاملين فاضلين صالحين

مقصودين في النوازل، قال أبو العباس دخل علي يانجاسن بن حموا قال
جئت من عند مزين سألته عن تباعة تعلقت بدمتي كيف الخلاص منها
وقد تعلقت بي من قرى وارجلان قال أتعرف القرية؟ قلت نعم، قال
صاحبها؟ قلت لا، قال أتجد من يشهد لك بأنها لفلان بن فلانة؟ قلت
لا قال تصدق بها بموضعك، واستخلف أبو ويدرن الفطناسي مزين على
وصيته فعمد إلى خيار ماله فباعه وجعل ينفذ منه الوصية فشكت زوجة
أبي ويدرن وبناته إلى أبي عبد الله فقال مالك يا مزين ولهؤلاء قال اشتغل
بهن وإنما اشتغلت بفكاك رقبتى ورقبة أخي في الله، وأما الشيخ ماكسن
فقد أصيب ببصره وهو من سبعة أعوام وقيل سبعة أيام فجاءت أمه إلى
أم المعز بن باديس فأعلمتها بما أصاب ابنها فقالت لها رديه في المكتب
فإنه سيستفيد لما رآته من حدة فكره وحضور ذهنه وفهمه وذكائه ففعلت،
وحفظ القرآن تلقيناً في أسرع وقت فحضر حلقة أبي محمد ويسلان بجزيرة
فكان أذكى وأنجب تلميذ حضرها إلا أنه حاد المزاج سريع الغضب
فشكاه الطلبة إلى الشيخ وابتغوا منه أن يطرده فأبى لما تفرس فيه من
الفهم والخير وتوخمى هو والشيخ سليمان بن يخلف وكان يقرأ عليه
الكتاب ويرده حين يحفظ وتصادقا وقرأ يوماً السقط إذا كان تام الخلقة
قال ماكسن لا يجعل له من السنن إلا المواراة والكفن فقرأ أبو الربيع
يجعل له سنن الأموات، وتنازعا يوماً على مسألة حتى تغاضبا فحضر
وقت الصلاة وكان ماكسن يصلي بثوب أبي الربيع فظن أنه وقع في نفسه
شيء فطلبه أن يصلي قال صلّ لم يحدث في نفسي شيء وتصدقت أم
يوسف زوجة المعز سلطان أفريقية ستين ألف كفن عام الوباء، وعن
ماكسن سئل فقيه هل بيننا وبين الشيعة موارثة قال من قال بالتعطيل فلا
ومن قال بالتفضيل فنعم، فلما تفقه وعلت درجته نزل وارجلان فحج

منها وتزوج فأتاه يوماً أبو العز بن داود الهواري من اجلو فقال اقعد
تأكل أولادك صدقات أهل الدعوة فإذا مت اقتسموا ربح الصبا فارتحل
ونزل أريغ فجاز عليه أبو العز فقال إذا مت باع أولادك كتبك تعريضاً
بعدم قراءتهم فاتخذ لهم مؤدباً، ومن تخرجه إن زاد أولاده شيئاً من
الطريق في حائط باب بنوه، فأمر بهدمه مع وسط الطريق ورحبه فهدموه،
وغارت العرب على إماء وارجلان وتبعهم الشيخ ماكسن فسألهم الله أن
يردوا ما أخذوا فقال ابن بلبار أجيبوا سؤال العزابي فردوها إلا واحدة
زينها الشيطان لهم فقال الشيخ إنها حرة قالوا عريقة قال نعم قالوا
أتحلف قال نعم قالوا بالطلاق قال لا يحلف بالطلاق مسلم فردوها،
قال له الطلبة ما تعني بالحررة قال أمي قال وبعريقة قال فخذني، قال لما
قدمت أنا وسليمان بن موسى الزلغيني وعبد السلام بن عمران ليشكني
ومحمد بن عيسى بن إبراهيم في اثني عشر من الحج دخلنا طرابلس
فاكتسبنا منها كسوة حسنة ثم دخلنا جربة بها فاستحسنوا فعلنا وشكروا
ذلك حتى قال الشيخ زكريا بن أبي زكريا عاملتمونا في زورتكم بما لا
نطبق أن نؤدي شكره لأنهم باهوا بهم المخالفين من النكار وتأثيرهم
بالزيارة عند مقدمهم من الحج، ووقعت مقاتلة بين بني ستيتن وبين وغلانة
ويانجاسن مات من ستيتن نحو ثمانين لأنهم غدروا فأرادوا الرجوع إلى
مذهب الحشوية لاستقلالهم أنفسهم بعد موت ذلك العدد فارتحل إليهم
ماكسن فوجد فيها أعلام الخلاف ظاهرة فما زال حتى زالت وأقام بها
ثلاثة أعوام ثم ارتحل وذلك أنه سمع هاتفاً يقول له يا ماكسن اهرب
اهرب إلى حيث طاب الزمان فالجبن خير من الجرأة إذا تمكنت الفتنة
بعروقتها فلما انتقل عزم من هناك من أهل لخلاف أن يبنوا مسجداً وانتهزوا
الفرصة وأذن لهم بعض الضعفاء ومنعهم أبو يوسف بن زيري.

[عيسى بن أبي الحجاج]

ومنهم أبو موسى عيسى بن أبي الحجاج وكان ممن يقتدى بفعله ويصغى لقوله وذكر أن الشيخ ماكسن بن الخير لما قال له أبو العز بن داود اقعد هاهنا يأكل أولادك تحف أهل الدعوة فإذا مت اقتسموا ريح الصبا فسمعت كلامه أذن واعية فعزم على الانتقال بادر إلى أخيه في الله الشيخ عيسى بن أبي الحجاج ليأذن له ويجعله في حل فلما قال له ما أراد من الانتقال قال اسأل الحل فيما هو أعظم وهو ما أدخلت علي من الروعة في قولك اجعلني في حل ولم يأذن له في الانتقال حتى يموت ويغسله ويكفنه ويدفنه فإذا أراد الانتقال بعد ذلك فافعل فوافق ولا بدّ لامتثال ما التمس منه وقام حتى قضى الله بموت الشيخ فتولى منه ما أوصى به انتقل وله أخبار.

[عبد الله الدمري]

ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله الدمري كان في عصر ماكسن وأبو سليمان داود وغيرهما قال أبو العباس قال أبو الربيع غارت غارة لبني تجين على رأس وادي أريغ فسأقت غنمهم فخرج في أثرها ماكسن وأبو العباس الويليلي وعيسى بن يرو وكسن وعبد الله الدمري فلم يدركوهم إلا عند أهاليهم فاستردوا الغنم فنقد زادهم وأدركهم الجوع فعالجت عجوزة مرابطة لهم طعاماً بعد أن شاورتهم فأذنوا لها فلما صلوا المغرب أخذت في السؤال وأبو العباس يصلي فكلما سلم قال اطرءوا العجوز فلم يفعلوا حتى سألتهم زكاة أموال قومها اللاتي غصبوها فإنهم يعطونها فقالوا وأنت على هذه الحالة المذمومة أبعدني عنا قال أبو العباس لهذا أقول لكم أبعءوا العجوز عنكم قالت بنو تجين للأشياخ إن رخصتم لنا في ثلاث رجعنا إلى مذهبكم ومن أموالنا وأولادنا وأزواجنا كلها حرام

فإن أذنتم لنا أن نقيم عليها قالوا لا نجد ذلك في مذهبنا قالوا نجد من يرخص في ذلك أجمع.

[محمد بن أبي خالد]

ومنهم محمد بن أبي خالد وكان من العلماء الكبار وألف كتاباً ويسكن أفريقية بالساحل، فعرضت على اثنا عشر كتاباً من وضع محمد بن أبي خالد فلم أقبلها ظناً به أنه من مستاوة ثم سألت وثبت عندي إنه من أهل الدعوة وكان يرد على المخالفين وعلى من أنكر أمانة عبد الوهاب رحمة الله عليه.

[داود بن أبي يوسف الوارجلاني]

ومنهم الشيخ أبو سليمان داود بن أبي يوسف الوارجلاني أحد الفقهاء المذكورين والمشايخ المشهورين استفاد فأفاد وخدم حتى ساد، قال أبو العباس ذكروا أن جماعة من شيوخ العزابة توجهوا إلى تنومة فلقوا بالطريق زنگيل بن نوح بن الشيخ أبي نوح فسأله عن رجل قال تركته على آخر وقته فرجع أبو سليمان وشق عليه ما سمع لأن للرجل عليه ديناً فقال أبو عبد الله بن بكر لي عليه دين أكثر من الذي له عليك وقد وهبت لك مقدار ماله عليك فقاصصه بذلك فيما عليك ففعل وهذه من فضائل أبي عبد الله وكان أبو عبد الله بن بكر مع جلالة قدره إذا أقبل الشتاء وفرغ من حرث ضيعته طلع بتلاميذه إلى أبي سليمان يقرأون عليه حتى يسمع صيّ البعوض فيأتي ضيعته، وجاء رجل من وارجلان فسأله عن حال أبي سليمان قال لما به إما أن تدركه وإما أن لا تدركه فمضى فوجده على آخر وقته فأقام عنده حتى توفي كذا في كتاب الطبقات وهو سهو إما من الناسخ وإما من المؤلف بل ذلك أبو محمد ماكسن لأن أبا

عبد الله مات عام أربعين وقد تقدم وإن أبا محمد ماكسن هو الذي ينتقل بحلقته إلى أبي سليمان وأبو سليمان مات عام اثنين وستين وأربعمئة وبلغ خبره المشايخ وهم آنذاك منحدرين من زنزفت إلى منزل الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلق بتموسلت فشيعة المشايخ إلى قلعة بني علي منهم علي بن منصور وإبراهيم بن يوسف وغيرهما وكرهوا مفارقة الشيخ قبل أن يعزوه في أبي سليمان فعزاه إبراهيم بن يوسف وهو راكب فلما سمع نزل عن الفرس فلما قضوا حق التعزية وادعوه، وأخذ يحدث سير من مضى وفضائلهم ومناقبهم وما صبروا وصابروا وكابدوا وكابدوا ثم قال انقضت آثارنا من المغرب ورآه في المنام إبراهيم بن أبي إبراهيم قال له لعلك ظفرت يا شيخ قال نعم وقال قل للعزابة عليكم بالدعاء وقيام الليل والمعروف.

[يونس بن أبي الحسن]

ومنهم أبو القاسم يونس بن أبي الحسن رحمته الله الشيخ أبو سليمان ذكر أن الوباء وقع في أجلو فأضر بأهلها مضرة عظيمة فاتفق رأيهم لما أعياهم الأمر أن يرغبوا إلى الله فصاموا الأربعاء والخميس والجمعة فلما صلى بهم أبو القاسم يونس العصر خرجوا إلى محراب المقبرة وهو مشهور بالبركة وإجابة الدعاء فتطوعوا بالمعروف ونزع الظلم فحضر المغرب فصلى بهم أبو القاسم ودعا الله أن يرفع عنهم الوباء ورغب الله فلم يصبح له أثر ولا وجود بقدرة الله العزيز الحكيم، قال أبو العباس ذكر عنه أنه كتب إلى من بقصطال من فتيان مزاته وتلامذتها أما بعد فاجعلوا حوائجكم بكريات فإذا وجدتم ما تدعون فارعوه رعي النهماء من الغنم ولا تمجوه مج الريان للماء يعني أن ينشطوا للقراءة والاجتهاد في التطلب.

[سليمان بن موسى الزلفيني]

ومنهم الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى الزلفيني ذو الدعوات المستجابات والكرامات المتتابعات، ويحكي عنه أنه قال إن نفسي لتسمح بالإحسان إلى من أساء إليّ أكثر مما تسمح إلى من أحسن إليّ ومن كثرة ورعه وشدة تحرجه أنه أبصر فرج ابنته ففارق أمها وذكر أن من عادة أهل وارجلان إذا مات أحد من فضلائهم بعثوا إلى سائر القرى يحضرون جنازته فمات صالح الصادق من تمضنون فأرسلوا إلى تين بامطوس فقدموا فوجدوا داره مشحونة بالناس فجلسوا على باب الدار فجاء بالنعش فأراد الله أن يريهم آياته فإذا الباب ضيق عليه قصير عنه فجهزوا الميت فاخرجوا النعش مع الباب ولم يعلموا كيف خرج مع خروجهم من غير كلفة ببركة الله تعالى، وورد أبو محمد بن سليمان بن العرجاء من القلعة على أبي الربيع فقال إنني تركت عبد الله بن الحسن وولده في جيش القلعة فادع الله أن يهلكهما فدعا الله فقال كن في غيرهما وأما هما فقد هلكا فكان كما قال وسمع الشيخ ماكسن يدعو على بني سافر قال له ادع على غيرهم وأما هم فقد أهلكوا فكان الأمر كذلك، وكان العزابة يقولون إذا أردت أن تعرفه فارقبه وقت التطوع بعمل المعروف يعني أنه يتطوع على كل رأس بمعروف، وذكر أن الله جعل في جسده حركة يعرف بها أموراً خفية من إجابة الدعاء وغيره وكان المشهور الشيوخ إذا دعوا وأحس بإجابة الدعاء أي بما يدل عليها من العلامات يقول قد أجيب دعاؤكم وإلا سكت، ومثل هذا قال أبو العباس لا ينكر قال أبو العباس عزم على حفر عين أو كنسها وأعانه إخوانه بعيدهم فلما شرعوا في الخدمة فعلوا ما يفعله أمثالهم من التغني فقال لهم اطلعوا من عيني فإن كان لا تحفر إلا بمعصية الله فلا حفرت

قال أبو مرداس هلاك في طاعة خير من نجاة في معصية فلما رأوا منه ذلك تركوا ما كره.

[معاذ بن أبي علي]

ومنهم الشيخ معاذ بن أبي علي وكان يسكن بقصر بني وليل من بلاد قفلة أريغ وكان من حزمه وطلبه رضى ربه لا يبيت ليلة الجمعة إلا في أجلو يحيى مع التلامذة ليلته ثم يشهد مجلس يوم الجمعة فإذا صلى العصر انصرف إلى أهله فصادف ليلة بعض ولد أبي ويدرن الفطناسي يطلب المعروف وهو أقرع وعليه ثياب رثة فانتهره وقال ليس هاهنا إلا الطلبة وأهل المنزل خرجوا إلى الربيع وهو لا يعرفه فسمعه أبو الربيع سليمان بن موسى الزلفيني فانتهره وقابله بالتحقيق وقال وكان أبوهما صالحاً ثم قال لأهل المنزل أعطوه ما أعطاه وقته فأعطوه ما أرب على ما أمل وانقلب شاكراً ثم إن أبا الربيع قابل معاذاً بأشد من الوجه الذي قابل به الفتى وأنبه كل التأنيب بكلام طويل وكان لا تأخذهم في الله لومة لائم، وتلك سقطة من الشيخ ولم يعذره فيها تنبيهاً على أن مثله لا ينبغي أن يقع منه مثل هذا وكان الشيخ أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر يقول خير شيوخ أجلو معاذ وخير فتیان أجلو ولده إبراهيم ولعله تحول إلى أجلو، والشيخ معاذ من الأبدال السبعة المذكورة في أريغ عن أبي عبد الله محمد بن علي عن أبي عمار رحمهم الله قال ثلاثة من أخلاق البدلاء، سخاوة النفوس وسلامة الصدور والبرء عن الدنيا، وخيار نساء أجلو عائشة بنت معاذ وكان رجال من خارجة يسفهبون في قصر بني وليل فدعا عليهم فقتلهم بنو أوس، والشيخ معاذ رجل صالح زاهد نقي القلب مخموله ذو نية، وحضر يوماً وبنو ورتيزلن يغرسون الفسيل لأبي عبد الله في تين يسلي فغرسوا له خمسمائة فقال الشيخ معاذ داعيا عسى

الله أن يجعلهن كلهن يلدن ويبلغن ويبلغن العشر فترسله إلى أجلو
فأجاب الله دعاءه فأوفى له أبو عبد الله بأن أرسل له العشر إلى أجلو.

[إبراهيم بن معاذ بن أبي علي]

ومنهم إبراهيم ولده، وعائشة ابنته، أما إبراهيم فكفاك قولهم أفضل
فتى بأجلو، وكفاك أنه مذكور من الأبدال السبعة الذين أخبرت بهم
حُورًا وَإِنْ عَيْنٍ، وسأل أبا العباس وقد دعاه إلى طعام مع القاسم كاتبه
عريف إبراهيم عن بيع مدبر له احتاج إلى ثمنه قال لا يحل قال يونس
أتخاف له النار قال لا بعده، وأما عائشة التي هي أحسن نساء أجلو
أخذت العلم عن الشيخ تبغورين بن عيسى وكانت إذا قعد المجلس
جاءت بحصير وتدوره على نفسها تستتر به وتقعده في المجلس وقالت
رأيت كثيراً من العلماء وأهل الخير ولولا من الشيخ أحمد ابن أبي
عبد الله لمت بالجهل، وسألت الشيخ أبا عبد الله بن محمد اللتي عمن
أقرّ بالصلوات إلا واحدة قال منافق ولم يشرك قالت له تب فإني سمعت
الشيخ تبغورين قال يشرك، وسأل عنها الشيخ أبا زكريا يحيى بن أبي بكر
والشيخ موسى بن علي فأجابا بجوابه قال الحمد لله أجركما الله، سألتني
عائشة بنت الشيخ معاذ عنها فأجبت بجوابكما فقالت تب فتبت، قال
أتتوب من الصواب وأبا زكريا يحيى بن أبي بكر عمن عرف رسولاً ثم
نسي وحفظ أنه نبي قال هالك غير مشرك قالت إنه مشرك قال لها ألسنت
التي استتبت الشيخ أبا محمد يا كليفة وسميت مسائل الكلفية والثالثة من
مسائلها إن من لا يعرف النحو غير معذور والنحو الصواب.

[أحمد ويوسف ابنا أبي عبد الله]

ومنهم الشيخان الأخوان ابنا أبي عبد الله بن بكر عليه السلام، أبو العباس
أحمد وأبو يعقوب يوسف قال أبو العباس كانا في طلب الخير فرسي

رهان مشتركين في فضل شركة عنان، ذكر داود بن يخلف عن أبي
 العباس إنه قال إن الناس إذا آتاهم خبر خوف وانتقلوا عن الحال التي
 كانوا عليها قبل ورود الخبر ولو كانوا في حر أو برد وأخذوا أنفسهم
 بالحذر والتحرز ولعل ذلك الخبر يكون أولى وقد أنذرهم الله النار
 وحذرهم من الشيطان على لسان رسوله ﷺ وصدقوا المرسل والمرسل
 فتركوا الاستعداد والحذر ويا عجباً يكرمون أضيافهم خوفاً من اللوم
 والذم وأضياف الله الكرام الكاتبين معهم وقد تيقنوا أنهم يكتبون عليهم
 ما فعلوا ولا يكثرثون بذلك، وقد ألف أبو العباس كتباً كثيرة (أصول
 لأراضين ستة أجزاء والسيرة في الدماء أكثر من جزء والجامع المسمى
 بأبي مسألة وكتاب القسمة وتبيين أفعال العباد ثلاثة أجزاء وكتاب
 الألواح) قال أبو العباس عن أبي القاسم عبد الرحيم إنه صنف في آخر
 عمره تصنيفاً في خمسة وعشرين جزءاً وكتاباً تركه في الألواح قال أبو
 محمد وسبب تأليفه المسمى بأبي مسألة أن أبا عبد الله محمد بن سليمان
 النفوسي كتب إليه من ابديلان أن يضع تأليفاً مختصراً في الفروع فرأى
 في منامه أن قائلاً قال به اذكر أبا مسألة فسموه أبا مسألة، وأبو محمد
 يسميه الجامع وهو في جزئين، ورأى في النوم رجلاً أبيض فتبعه حتى
 دخل بعض قراء نفزاوة وقصد المسجد فأتى المحراب فقال له احفر
 فحفر فاستخرج قصعة كبيرة وفيها دينار وقال له خذ إرث والدك فعبرت
 له بأن القصعة العلم والدينار الدين الصافي دين والده، قال أبو عمر
 وأبو نوح أقام بتمولست حتى بلغ فيها مبلغاً عظيماً في العلم وصنف فيها
 عشرين كتاباً وكتابين معروضين عليه وقد عرض جميع ما صنف غير
 كتاب واحد تركه مبيضاً في الألواح بأجلو فعرضها ولده على الأشايخ
 بأفران من وارجلان وهم إسماعيل وحمو بن المعز وأيوب بن إسماعيل
 وداود بن ويسلان وأبو سليمان الزواغي أبو عمر عن أبي العباس قال

كنت اقرأ على الشيخ سعدون فجازت مسألة ذبيحة الأكلف قال في أكلها قولان فلم ينسبها فدخلت إلى الديوان وكان بجبل نفوسة ديوان اشتمل على تأليف كثيرة فلازمت الدرس أربعة أشهر لا أنام إلا فيما بين آذان الصبح إلى صلاة الفجر فتأملت ما فيه من تأليف أهل المشرق فإذا هي تقرب من ثلاثة وثلاثين ألف جزء كلها لأهل المذهب فتخيرت أكثرها فائدة فقرأتها، ووقعت فتنه بأريغ عام أحد وسبعين وأربعمائة وهي أول فتنه وقعت بين وهبية أريغ فهرب منها أبو يعقوب ابن أبي عبد الله إلى وارجلان وهرب أبو صالح من واغلانت فقضى الله بوفاة أبي يعقوب هناك بتموانت فأوصى واستخلف على تنفيذ وصيته أخاه أبا العباس فأتى أبو العباس إلى محمد بن يوسف أخيه فلم يجد ما ينفذ منه وصية والده ولم يزل يستخرجها برفق وهم في عسر حتى أنفذها ولما احتضر أبو العباس استخلف أبا موسى على وصيته فجاء أبو محمد مبادراً فوجده في السياق وجود بنفسه في دار يحيى بن جعفر ولم يدخلها عليه إلا وقد توفي رحمة الله عليه وأوصى أن يصلي إليه أبو محمد وذلك بذي الحجة عام أربعة وخمسمائة وذكر أن عنان بن دليم الطرفي نزل بأريغ فحشد عليه أبو العباس مغرارة فردوه ثم نزل ثانية فحشداهم فردوه وهزموه، وقد قتل من بني يطوفت ستين رجلاً وحمل رؤوسها فلما هزمهم استنقذ الرؤوس ودفنها وأكثر ممن معه بنو ورتيزلن قيل أنهم قرب ألف وجمع أيضاً جمعاً عظيماً وأراد غدر الشيخ وتبنيته وأخفى سيره فلم يشعر بهم الشيخ حتى قربوا فوقه إليه الخبر مع جساس وأسرى ليلاً وقصد أبا العباس فلم يجده وهدم قصره وجمع عليه أبو العباس بنو ورتيزلن وأهل رأس الوادي فقال له فلفل بن فلنار هذا رجل غدار فأياك أن تخرج إليه إن طلب رؤيتك وقال لقمان لابنه إياك أن تخاف ناصحاً ولا تجاور فاضحاً ولا تعامل كاشحاً، فطلب عنان رؤية أبي العباس فمنعه الناس أن يخرج إليه قال الشيخ أبو عبد الله إن أبي

من الرجوع فاقتلوه لأن قتل واحد خير من قتل الجميع وأفسد عنان النخيل وأفسد الغابة وذلك عام اثنين وخمسمائة ثم لحقه بعد أن ارتحل ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من بني ورتيزلن ومعهم غيرهم فهزموه ونهبوا ما قدروا وقتلوا ما قتلوا والحمد لله .

[أحمد الويليلي]

ومنهم أبو العباس أحمد الويليلي رحمه الله كان عالماً عابداً صابراً قنوعاً ذا كرامات وآيات، ذكر أبو العباس وغيره بل اشتهر في النقل والكتب والدواوين وإن اختلف في بعض النقل واللفظ قال أبو العباس طلع في أيام الربيع إلى أن وصل إلى جبل بني مصعب فوافق رمضان فلازم ربوة يتعبد فيها عاكفاً على الصيام والقيام فلما كانت الليلة السابعة والعشرون وافقت ليلة الجمعة فبينما هو يصلي رأى كل شيء معه ساجداً فلما سلم رأى أبواب السماء مفتحة ونوراً ساطعاً وإذا بجاريتين نزلتا من السماء فقصدتا نحوه والتحفتا بلحاف واحد أحدهما أكبر من الأخرى لم ير مثل صورتها ولا مثل نورهما إضاءة فقعدت الكبرى أمامه والصغرى خلفه فخاطبناه وجرى بينهما كلام حتى أعلمناه أنهما زوجتاه في الجنة فأراد الدنو منهما فقالت الكبرى إليك إليك عليك نتن الدنيا ولكن الميعاد بيننا وبينك في العام القابل ليلة الجمعة رملة الطبل من بني سليمان وهو منزل أبي العباس قال ثم سعدتا وتبعتهما ببصري حتى غابتا في السماء وغلقت الأبواب دونهما، وسار أبو العباس إلى وارجلان فأخبر بعض الشيوخ بما عاين فلما دنا الوقت جاء إلى أريغ فمر بالشيخ أبي العباس بن محمد بتين يسلي فرغب فيه هو والعزابة في المبيت فأبى فألحوا عليه، فأخبر أبا العباس بأن الميعاد بينه وبين الحوراوين ليلة الجمعة وحدثه بقصته، فقال أبو العباس دعوه فإن الدولة عنده الليلة

المقبلة وتوجه إلى الرملة فإذا هما كاسفتا اللون وكان إذا وصفهما قال كأن أعينهما الأفراح والأشفار كأجنحة النسر ورقبتهما كناحية قصر بني يخلف فقال ما سبب التغير قالتا بحت بسرنا وأولياء الله يقتلون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخفف بأهل دين الله وذلك حين قتل عبد الحميد ورجم ماكسن لأمره بالمعروف، وذكرنا أن أبدال الوقت سبعة عبد الله بن يحيى الويليلي وإبراهيم بن إسماعيل وإبراهيم بن معاذ ويحيى بن عيسى، والنعيم بن الوالي، وقيل سليمان بن عبد الله، وصالح بن محمد، وقيل يوسف بن ويجمن، وقيل عبد الله بن يعقوب، وهؤلاء كلهم صالحون وقالتا ليلة الاثنين تبيت عندنا وصعدتا إلى السماء فلما صلى الظهر يوم الاثنين وقد ودع أهله وقضى جميع ما لا بدّ منه قال أحس صداعاً فما هو إلا أن صلى العصر مات رحمة الله عليه.

[يحيى بن أبي بكر]

ومنها أبو زكريا يحيى بن أبي بكر وأخوه زكريا رحمهما الله كان فاضلين عالمين وفي الطبقات زار أبو زكريا وارجلان فرجع سريعاً فسأل عن أحوال أهلها وكان ذا فطنة وبصيرة فقال إما ذهب بصري فلم أر أحداً وإما رأيت وارجلان خلت فما بها أحد، وقد قال له أهل وارجلان أقم عندنا فنأنس بك قال لهم قولوا قم يمت قلبك، وذلك لما اطلع عليه من رداءة أحوالهم، وتقدم أن تلاميذ أبي الربيع أرادوا الطلوع إلى جبل دمر من تمولست ولم يوافق ذلك الشيخين أبا الربيع وأبا زكريا فقال أبو زكريا سوء الرأي إنما يخرج منه من دخل فيه بالرجوع عنه، وإنكم إن عمدتم إلى أهاليكم على هذه الحال فأنتم كمن قصد إمارة الدين، وكثير ما يوصى الطلبة بعدم قبول الهدايا والصنائع وفي المثل أترك الطمع يتركك الفقر، واحمل نفسك على ما لك يحملك وارض بقليل من الرزق

يرض الله منك بقليل من العمل، وكتب إلى أبي محمد في الذي يقول للزوج تركتك ما لامرأتك عليك فيقول قبلت وبلغ الخبر إلى المرأة فتقول أجزت ذلك هل ذلك خلع فأجاب بأنه ليس فيه شيء لأنه تقدم بغير أمر، وكتب إليه أيضاً هل يجوز لكل واحد من الأب والابن والزوج والزوجة مال الآخر قال يجوز ذلك للأب والزوجة، وأما الابن والزوج فخديمان وقيل غير ذلك، قال أبو العباس في الأولى لا ينعقد على أصل جابر لأن الخلع عنده فسخ نكاح، وتحتمل على رأي أبي عبيدة وأما الثانية فيجوز للأب إذا كان في حجره وإلا فله النفقة والكسوة والعتق في الظهار، وكل أحق بماله في غير ذلك، وأما المرأة فلها من مال بعلها ما لمثلها على مثله فقط، وشاوره رجل في التزويج قال عليك بقرينتك لا تشرف بعنقك إلى من فوقك ولا تطأىء برأسك إلى من دونك، وروى أبو عمر عن أبي زكريا عن أبي يحيى أنه قال قال الحواريون لعيسى من نجالس بعدك يا روح الله قال من تذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطقته ويرغبكم في الآخرة عمله، قال أبو زكريا مثل أبي يحيى، وقال أبو عمر مثل أبي زكريا قال أبو عمر وكثيراً ما يردد في مجلسه قول يحيى بن معاذ للتوبة ثلاث مقامات الندم عند التحول بمرارة المعاصي والاستغفار بصحة الإرادة والحقيقة بالأوبة إلى الله تعالى، فآفة الندم الأمل وآفة الاستغفار الغفلة وآفة الحقيقة الشهوة.

وأما أخوه الشيخ زكريا فمن الفضلاء والأبرار الأتقياء.

[مصالة بن يحيى]

ومنهم الشيخ مصالة بن يحيى كثير الثقة بالله ﷻ ومما يحفظ عنه قال استدللنا على إجابة دعائنا لأمر آخرتنا بما يجيب الله من دعائنا لأمر

دنيانا، وقال كداوه بن أبي يوسف إذا عمل أهل وارجلان ما لا تعلم
فحمل نفسك إنك تعلم وإن عملت ما هو سوء وأنت به عالم فحمل
نفسك على الكتمان ودع عنك الاختلاف، وإذا سأل بما تصلي الفريضة
أو النافلة أو السنة يقول القرآن كله كقدح عسل فما والاك منه يكفي.

[فلقول بن يحيى]

ومنهم فلقول بن يحيى وكان شيخاً عالماً سخيّاً ذكياً وذكر جماعة
من طلبة الشيخ سليمان بن يخلف أنهم لما انفصلوا من أستاذهم جاوزوا
عن الشيخ فلقول ابن يحيى بن محمد بن الخير قالوا ونزلنا عنده
بوغلانت فأكرمنا وأحسن إلينا ثم تمثل بقول الشاعر:

أرى نفسي تتوق إلى المعالي ويقصر دون مبلغهن مالي
فلا نفسي تساعدني ببخل ولا مال يبلغني المعالي

وبتنا عنده واقبل علينا الليلة بالمؤانسة وإفادة السير والأخبار حتى
يكاد الفجر يطلع وحفظنا عنه بعض ما ألقى علينا وقال لنا قلت للمشايخ
لما مات أبو عبد الله بن بكر اقتفوا بنا آثاره ما دامت جديدة قالوا مهلاً
عليك فساعدتهم حتى اندرس الأثر وعفت السير، وقال له بعض التلاميذ
لما شيعهم ارجع قال لا تقل كذلك بل قل انظر في الرجوع ولم يزد
بعدها خطوة قال إن المشيع مأجور ما لم يقل له ارجع، قال أبو العباس
شديد في الأمر والنهي والذب عن الذين وأنشد حين احتضر قول عمران
بن حطان:

حتى متى لا أرى عدلاً أسرَّ به ولا أرى لدعاة الخير أعوانا

وكان هذا من آخر كلامه ..

[عيسى بن يرسوكسن]

ومنهم أبو موسى عيسى بن يرسوكسن عليه السلام الشريف نسباً الطيب مكسباً الهاشمي العربي وابن عم النبي من ذرية العباس بن عبد المطلب، وذكر إنه حين أراد أن ينزل بتلا عيسى شاور أبا يعقوب يوسف الطرفي فدله على ذلك المكان فشكره عليه ونسب إليه وأوصاه أن لا يمشي راجلاً ولا يشرب ماء إلا ممزوجاً ويستخدم ولا يخدم ويكون للناس كالمسمار مع الماء فبلغ الشيخ في هذا الموضع مبلغاً عظيماً وكذا بنوه من بعده يحيى وداود وعبد الله فانتظم إليه الناس، وغرس الشيخ بها أشجاراً كثيرة وكان إذا نزع بعض النخيل لبعض الأمور إما لردائه أو لكونه دكاًراً أو لضيق على أخرى سلخه أو غير ذلك وحمل جماره تماواطت مع لحم ما يصيد من الوحش فيهديه إلى العزابة والمشايخ يتبرك بذلك وبارك الله له في جميع ما يحاوله وما زال يلتمس صلاح الفساد بين بني وليل حتى أصلحه الله، واشتهرت بركة الموضع وسكنه جماعة من الأشياخ منهم أبو عبد الله بن بكر ومحمد بن الخير وماكسن بن الخير ومعاذ ابن أبي علي ويونس ابن أبي الحسن وأبو الحسن أفلح وعبد السلام ابن أبي وزجون وآثارهم بها إلى اليوم معروفة، ومن كراماتهم بهذا الموضع ما تحدث به أبو العباس عما حدثه ابن القابلة بتوزر عام ثلاثة وثلاثين وستمائة وكان في خيل الميور في يحيى بن إسحاق قال انتقلنا ما بين وارجلان وأريغ فجزنا على الموضع أعني تلا عيسى وأراد الأجناد والأعراب أن يطلقوا خيولهم في الزرع فنهاهم بعض من يعرف عقوق أهله وحذرهم وقال هذا موضع منسوب إلى رجال صالحين عزابة ممن يتقي عقوقهم فسمع بعض وتعمد بعض ولكن توقف حتى قال لهم الشقي عمر كاتب الميورقي وكان فيهم مطاعاً بكلام هذا

السخيف أمنع فرسي هذا الخصب، وفرسه مشهور قيمته أربعمائة دينار فاطلقوا خيلهم في الزرع فرفعوا سروج سبعة وعشرين فرساً، منها فرس العدو لله، وخيل من اقتدى به كلها ماتت ليعتبر أولوا الألباب، وأراد أن يمكر به بعض السفهاء من بني وليل وأراد التوجه إلى أريغ فرصدوه فلما ركب بغلته وضربها لتستقيم فامتنعت من السير وحاولها فأبت ثم استخار الله ونزل عنها ورجع عن وجهه ذلك ظهر له مكر أعداء الله، ثم قال وقفت عند جميع ما أوصاني به أبو يعقوب يعني لولا من ركوبه ما نجا من مكر أعداء الله . .

[إسماعيل ييدير]

ومنهم أبو طاهر إسماعيل ييدير رحمته الله كان عالماً محدثاً قال أبو العباس ذكر غير واحد من المشايخ أن العزابة اجتمعوا على تأليف كتاب في المذهب يسهلوا على المبتدئين حفظه فصنفوه في خمسة وعشرين جزءاً فانفرد الشيخ إسماعيل بكتاب الصلاة فجاء أحسنهم تأليفاً وتزييناً وأكثرها فائدة، وجمع أبو العباس بن بكر كتاب الحيض وجمع يخلفتن بن أيوب كتاب النكاح وجمع محمد بن صالح كتاب الوصايا ولما مات داود بن أبي يوسف اجتمع تلاميذه على تأليف الكتابين المنسوبين إليه وليس هو مؤلفهما وقال أبو عمر وتركهما في الألواح فعرضهما أبو العباس وأما الذين ألفوا كتاب ديوان العزابة فالشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي ومحمد بن صالح النفوسي المسناني ومن قنطرار الشيخ يوسف بن موسى ومن تيجديت يوسف بن عمران ابن أبي عمران موسى بن زكريا المزاتي ومن أريغ الشيخ عبد السلام بن سلام والشيخ جابر بن حمو والشيخ إبراهيم ابن أبي إبراهيم وعرضت على أبي العباس وأبي الربيع وماكسن قال أبو الربيع لا يطعن في هذا التأليف إلا شيطان قال

أبو العباس لا أدري هل الأجزاء المتقدمة داخلية في تكميل الخمسة والعشرين أم زائدة عليها والله أعلم.

[تبغورين بن عيسى]

ومنهم الشيخ تبغورين بن عيسى أخذ العلم من أبي الربيع فرأى حين دخل الحلقة ولجم بلجام ذهب فلما تفقه وأراد أهله رأى أنه لجم بلجام منهم فضة ﷺ وكان من أعظم الناس قدراً ومن أكثرهم علماً ومن أشدهم عملاً تعلم العلوم وعلمها واستفاد وأفاد وطلب العلى فساد وله تأليف في العقائد تدل على نباهة شأنه ورفع درجته وأخذ عنه جماعة وهو في زمن أبي العباس ابن بكر.

[وسنفلال بن عيسر]

ومنهم وسنفلال بن عيسر وكلاهما من ملشوطه ولعلهما أخوان ونقل عن تبغورين مسائل في الكلام وهو الغالب عليه وإن كان له قوة في غيره.

[صابر بن عيسى]

ومنهم أبو سعود صابر بن عيسى وحقه أن يقدم بالذكر لتقدمه في العلم والزمان وكان في زمن أبي نوح وأخذ العلم عنه جماعة وهو مع ذلك يرى نفسه بالحقارة ويسكن بقصطالية وهو من المشهورين المعروفين، وتقدم قول أخيه يوم مستاوة أنا خير من أخي صابر إذ منع أبا نوح وفر أخوه، وسألته تلاميذه عن مسألة وهي هل أراد الله نفسه؟ فقال نعم قالوا أشرك الشيخ فافترقوا، وأخذوا ألواحهم وانصرفوا نحو أبي عبد الله في قنطرار من الحامة فسمع أبو عبد الله صوت الألواح في آخر الليل فقال ما هذا فأخبروه قال ارجعوا إلى شيخكم فإن ذلك وهم

منه فرجعوا فقال لهم لِمَ لَمْ تستتيبوني فإني لست بإبليس لا أتوب وبالجملة أن صابراً من الأئمة المنظور إليهم وكان في زمان كثرت فيه الشيوخ والعلم واشتهر من بينهم ونقل عنه كثير.

[صنادي بن محمد السدراتي]

ومنهم الشيخ صنادي بن محمد السدراتي وكان من المتكلمين من أهل وارجلان ومما اختص به أن الله لم يجعلنا حفظة لا ننسى، وذكر أبو الربيع أن صنادي سأل عمن شهد عنده أمين بصلاح زيد ثم نسي ثم شهد عنده آخر بصلاحه هل يلزمه من ذلك شيء فقال الشيخ صنادي لم يجعلنا الله حفظة لا ننسى ولا شيء عليه، قال أبو الربيع فقدمنا إلى الشيخ أبي عبد الله فسألته فقال الاثنان حجة فنزع صنادي قوله فكأن الشيخ أبا عبد الله أشار أن لا يعذر في هذا النسيان والحجة عليه قائمة، ونسب صاحب الدليل هذه المقالة إلى مصلة وجعله من الأئمة العشرة، قال صاحب السؤالات أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي صنادي شيخ سدراتي من بني مركاس قال إن شهد متولي على رجل من أهل الجملة أنه فعل كبيرة ثم نسي شهادته شهد متولي ثان عليه بمثل ذلك فليس عليه شيء قال ليس عليّ أن أكون حافظاً لا أنسى، قال أبو الربيع الاثنان حجة ووصل الخبر أبا عبد الله فقال الاثنان حجة فبلغ الخبر صنادي فنزع قوله، قال أبو الربيع ما بال صنادي نزع قوله إنّ من العلماء من يقول ذلك.

[عبد الرحمن بن المعلى]

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن بن المعلى وكان مع الله ﷺ كان شيخاً عالمًا تقياً أخذ العلم عنه جماعة، قال أبو العباس أول من أسس الحلقة بمسجد تيغورت وأتم طريقها واحكم عقودها وقصده طلاب الخير من

جميع الآفاق، حدثنا أبو الربيع عن شيوخ عدة أن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله لما حانت وفاته وبشر بلقاء الله وتحقق قربهِ استدعى إخوانه وتلاميذه فاجتمعوا عنده في جمع كبير فأراد أن يوصيهم بقلوب كريمة غير كليله وكآبات كثيرة غير قليله، فقال أوصيكم بتقوى الله وملازمة ما أنتم عليه ولا تبدلوا ولا تغيروا فإنكم والله على طريق الهدى وإن أهل هذا الطريق لمفلحون واسمعوا أحدثكم إني رأيت البارحة كأن القيامة قد قامت فانتشرت الناس من قبورهم وانتشرت من قبوري فرأيت جمعاً كبيراً أبيض الوجوه بيض الثياب حسنهم باهر وجمالهم ظاهر وأحوالهم صالحة قد انتشروا من مقبرة تجديت قلتُ من هؤلاء قالوا العزابة الوهبية، فوهب الله لي جناحين فطرت بهما حتى اتصلت بهم فكنت أحدهم وبشرت بالخير ثم نظرت إلى ناحية أخرى فرأيت ناساً كالجدوع المحرقة فقلت من هؤلاء قالوا الأعراب وبنو تكسينت، ولقد رأيتُ في الجمع لأول رجلاً أعرفهم بأعيانهم من حيات بني سيتتن فقلت بم فارقتم أهل الشقوة قالوا بملازمة أهل الدعوة فإذا كان أولئك فما ظنك بالمجتهدين وأهل الفصل والدين، وعلامة صدق ما قلت لكم إذا غسلتموني وكفنتموني يوافق طراز الكفن عاتقي الأيمن فتريدون تحويله فتحولونه ثلاث مرات وكل ذلك يأتي على عاتقي الأيمن فتتركوه ثم إذا حملتموني تبعتمكم عشر حمامات بيض فإذا صففتم للصلاة صفت الحمامات خلفكم فإذا همتم أن تقدموا إماماً تقبل جماعة من قبله أريغ زائرين فيتقدم واحدة منهم وهو ولي من أولياء الله فكان الأمر كما ذكر والذي تقدم بهم أبو عبد الله محمد بن الخير وهو بذلك حري، قال أبو العباس لعل الحيات من الذين لا يتقلدون التباعات.

[أيوب بن إسماعيل]

ومنهم أبو سليمان أيوب بن إسماعيل رحمته الله ذكرته قبل أبيه تبعاً للطبقات وسيأتي ذكرهم إن شاء الله لأنهم عمار وقادة أئمة، قال أبو العباس بحر تقاذف في غواربه السفن، وصاحب كرامات وشيخ شيوخ أكثرهم ساد، قال روى عن جدي يـخلف بن يـخلف التميمي جاري النفوسي رحمته الله قال كان شيخنا أيوب كثير الأبرار لتلاميذه وكان له داران بوارجلان بينهما طريق فوقها سباط اتخذ أحدهما لسكناه والأخرى لتلاميذه وتغلق إذا لم يحتج إليها وتفتح من داخلها فكلما أراد أن يكرم به التلاميذ أو الأضياف أوتي به من أعلى السباط قال أتينا يوماً فضربنا على دار الإباحة ففتحت لنا فعند دخولنا صادفنا الشيخ نازلاً من أعلى السباط قال من فتح لكم وقد أغلقت الباب قلنا ولست أمرت من فتح قال لا ولكن أعلم أن في الدار من فتحها ممن لا ترونها، ولزم الشيخ يوماً تلك الدار فصار من له حاجة يدخلون مثني وفرادى فدخل شخص غريب فصرع ورأيناه في أسوأ حالة فأتى الشيخ وخاطب أنثى ذات ولد كان يخاطبها مَالِكٌ ولهذا الغريب المسكين الضعيف فسمعنا صوتاً ولم نر شخصاً قال ظلمني كنت بعصاة الباب وابني في حجري فكل من دخل استأذن ويسلم فأنحي ابني من الطريق فلا يؤذيني ولا أؤذيه حتى دخل هذا الجافي فلم يستأذن ولم يسلم حتى ركض ابني فوجعه فجازيته عن ذلك قال لها ومع هذا فإنه غريب مسكين فأزيلني عنه ما أصابه منك قالت سمعاً وطاعة فذهب في لحال ما كان به من سوء حال ومثل هذا كثير... انتهى...، قال أبو العباس عن والده وقد قرأ قصيدة أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم البائية التي أولها:

أيوب ما أيوب لا أيوب أودى به قدر الردى المجلوب

ليسلي أباه لمرض اعتراه..

قال له أنشأها يرثي بها أبا سليمان أيوب وكنت أسمع وأنا صغير من والدي سليمان إنه كان بوارجلان يقرأ على أيوب حتى قضى حاجته فرجع إلى قسطنطينية وأقام بكنومة فبلغه موت عمه بوارجلان وليس له وارث غيره فسافر ليأخذ إرثاً فلما وصلت زرت شيعي أبا سليمان أيوب فأخبرت بأنه قد ابتلى ببعض ما ابتلى به أولياء الله بأن عم جسده الجذام ولازم التجنب أشد الإلزام فلما دخلت عليه بعد الاستئذان فعرفني فقال إليك عني يا سليمان وليس في حالها تقرب وقد استبان قلتُ حاش الله أن أقدرك أبا سليمان وسقطت عليه أقبلة وأبكي حتى شفيت بعض هيامي، قال أبو العباس قال والدي سعيد فما علمت أبي حكاها قط ولم يبك قال أحمد ولا رأيت أبا سعيد حكاها قط إلا بكى وأبكى ولا علمتُ حكيثها قط إلا بكيتُ وأبكيثُ، قال جدي سليمان وكنتُ في مدة إقامتي لا أفتر عن الدخول إليه فلما أردتُ السفر وقضيتُ وطري ودعته وزودني الدعاء وعمومَ البركة وبشرني بأنه سيخلصني الله من شدة عزيمة ومشقة كبيرة وخرجتُ مع رفقة كبيرة فلما صرنا بين أريغ ووارجلان ومعني مال صالح ومع أصحابي مال جليل فغارت علينا خيل كثيرة قد نسي أحمد من أي العرب هي فدفنت كل ما معني مع عود حربة تركت سنها استدل به واستباح الأعرابُ جميع ما في الرفقة ولم يتعرض لي أحد بمكروه فصحبتهم كأني أخ لهم فبتنا وجددوا لي الأمان فاستأجرت من صحبني إلى الموضع فلما قربت منه فإذا السن يلمع من بعيد وأخفاها الله عن أعينهم مع ظهورها ببركة الشيخ.

[يحيى بن أبي زكريا]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن أبي زكريا رحمته الله كان عالماً شديد الشكيمة

في دين الله قوي في أمر الله، قال أبو العباس قرأ العلوم وأتقنها وأوضح المشكلات وبينها ورتب السيرة وأحكمها وذكر أبو عمرو عن الشيخ أبي زكريا أنه وجد الشيخين عبد الله بن عيسى ويوسف بن موسى متصارمين فسعى في صلح ذات بينهما فتممه الله وانتظم الوفاق وزال الشقاق والسبب أن رأى الشيخ عبد الله بن عيسى يوسف يقرأ في جزء من كتاب الإشراف على مسائل الخلاف فقدم تونين وقد اجتمع بها الأشياء فأخبرهم فبعثوا لعبد الله بالهجران قال فأسرعت باللاحاق. فتبّت وقبلوا مني فما زال بينهما حتى طابت نفوسهما وزالت وحشة كل واحد عن صاحبه، وذكر عنه أبو عمرو أنه نظر إلى الخفاش غير المسجد بأبعاره وحيرهم فلما دنا إليه يبصره سقط موتاً وله نبذ في الأدب كذا ذكره أبو العباس.

[عبد الله بن محمد اللواتي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي رحمته الله هو عبد الله بن محمد بن ناصر بن مياي بن يوسف وزير الإمام أفلح رحمهم الله وتربته القديمة برقة فيما قالوا، قال أبو العباس هو نجيب النجباء وإمام الأدباء اعتنى بحفظ الأخبار وتقييد سير الأخيار أبو العباس عن أبي الربيع، قال قدم أبو محمد أريغ عام خمسين وأربعمائة وهو ابن ثمان عشرة سنة وكان في حلقة الشيخ يزيد بن يخلف الزواغي فلما وصلوا أجلو صافحهم الشيخ ماكسن ورجع إلى أهله فلحقته خارجاً فقلت أن العزابة اتفقوا أن لا يفترقوا فهل يجوز لي أن أفارقهم إن رأيت في ذلك مصلحة قال إنما جعلنا الله أحراراً إلا لتملك أمورنا ففارقهم ولزم الشيخ ماكسن، وسبب سفره إلى قلعة حمادان سليمان بن مدرار النفوسي قال له تركت تفسير القرآن لعبد الرحمن بن رستم ينادى به في القلعة للبيع ووصلها أيام الخريف وسأل عن الكتاب فأخبره نكاري إنه قد بيع قبل

قدومه وأخذ يحضر مجلس محمد بن عصمة ويعد من طلبته واستحسن
 منه أن قال لابنه أن غنماً لبني ينجاسن دخلت السوق ولا بأس بالإمساك
 عن الشراء ثلاثة أيام، وتذاكروا يوماً الفقهاء فأخذوا في مدح أبي حنيفة
 فقلتُ كيف وقد قال مالك أبو حنيفة شيطان قذفه اليم، أبو حنيفة أضل
 لهذه الأمة من الشيطان الرجيم وذلك لقوله بالأرجاء ولنقضه السنن
 بالرأي فلما قلت ذلك وقعت عليهم وجمة وكآبة وقمت غير بعيد فقام
 إليّ بعضهم وفي لسانه ثقل فقال ما حملك على ما قلت قلت ما قلت
 شيئاً إنما هو قول مالك قال حسبك فالعلماء بينهم كالضرائر فأشتريتُ
 كتباً فوجهتها في رفقة فأصيبت في الطريق فبلغ أصحابي ذلك فقالوا لو
 كلمت السلطان أعانك في مصيبتك قلتُ إن احتجت ذلك كلفتكم
 واستعنت بكم فاشتريت كتباً أخرى ولقيني النكاري فسلم علي فرددته
 عليه قالوا ما لك تسلم على هذا قلتُ ما لكم تسلمون على اليهود ولا
 أسلم على أمة محمد ﷺ ورآني واحد منهم في موقف الشاب وهو
 معروف بأهل وارجلان قال وارجلاني ورب الكعبة قلت أيجل لك أن
 تخاطب بهذا رجلاً مسلماً فقال له الناس بشس ما قلت وفي تلك المدة
 قتلت أهل وارجلان جماعة من الأشاعرة وسمعت رجلاً منهم يوماً يقول
 قل لهم يخرجوا فنقتلهم أظن على أصحابه فأنجزت أمري فأخرج
 السلطان عسكرياً فخرجت معهم فلما أدركت الصلاة صليت فقال بعضهم
 ما تصلي وقد علمت لم خرجنا فقلت اشتغل بأمرك فلما وصلت
 أوغلانت سالماً أرادوا أن يعينوني بشيء لما سمعوا مما أصيب لي
 خرجت خفية ولم يعلم من بها من الأشياخ إلا وأنا على ظهر فوصلت
 تناول سالماً والحمد لله، وذكر أبو العباس عن أبي الربيع أن أبا زغيل
 الخزري حاصر وغلانت واجتمع أبو محمد وجماعة من المشايخ ودعوا
 الله فسلط الله على جنده مطراً وابلاً هطالاً فأوھنهم وأركسهم، قال أبو

زغيل تكون لهذه الخوارج دولة بعد؟ قال وزراءه إنما سلط الله المطر ليهدم حيطانهم فندخل بغير قتال فدام فجعله الله عليه عذاباً ولأهل واغلانت خصباً، وأذل الله أعداءه وحيل بينهم وبين ما يشتهون فارتحلوا صاغرين، ومن عادته أن يتمثل لأكثر أحواله وما يعتريه بالشعر لأنه كان أديباً بارعاً، قال أبو الربيع قعدت معه على طريق فجازت امرأة فالتفت ثم قال لا يجوز القعود في الطريق إلا لمن أدى حقه وهو ما قاله عليه السلام إغاثة الملهوف وهداية الأعمى وغض الطرف عن الحرمة، وذكر أبو العباس عن أبي عمرو عن أبي محمد تلقى جماعة عزابة قدموا من قسطلية فقال لهم إنما ينبغي أن نتلقاكم في سوف وإلا ففي أوغلانت ولكن الزمان غير مساعد وقال عليه السلام: «لا تزال أمتي بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت» جعل الله مجيئكم مجيء أبي مودود إلى حضرموت فقام هذا الكلام عندهم أشرف مقام، ولأبي محمد في الأدب كلام كثير وفي المواعظ والأمثال والتحذير والوصية والأجوبة فمن أرادها فعليه بالطبقات وكتاب أبي الربيع وغيرهما، ولأبي زكريا مكاتبات بمسائل يطلب جوابها فأجابه فيها وتقدم بعض ذلك ومات عام ثمانية وعشرين وخمسمائة وهو ابن ستة وتسعين سنة.

[عبد الله بن محمد اللنتي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد اللنتي عليه السلام قال أبو العباس شيخ منه نقتنص الفوائد وفي منهله العذب تطيب الموارد إن أحب في الله انبسط وأقبل وإن أبغض في الله انقبض وأعرض، وكان أبو محمد يقرئ بتين زائرين، وعليه حلقة عظيمة وطلبة كثيرة، قال أبو الربيع كان تلامذة أبي الربيع سليمان بن يخلف من أهل سوف وأريغ ووارجلان والزاب وقسطلية حلقوا على أبي محمد بتين زائرين ف وقعت فتنة بين بني

تكسنت وهيتهم ومالكيتهم فالوهبية بني يروتن والباقي حشوية، والتلاميذ والعزابة منها في أمان لا يخافون مكروهاً ولا يسمعون، ففضى ربنا أن حضر بنو يروتن فأشرف بعض الجهلة على الحاضرين فقال اسمعوا فعد جماعة من أئمتهم فلعنهم فلما سمعوا ذلك تركوا القتال وانصرفوا إلى بعض فقهائهم فأخبروه قال احرقوا واقتلوا واسبوا فبلغ الخبر العزابة فخرجوا ليلاً وتفرقوا إلى اليوم.

ومنهم الإمام أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي رحمته الله كان إماماً في العلوم لا سيما في الكلام، أبو العباس عن أبي رحمة حنيني وقد سأل عن سبب انقراض المذهب من الحامة قال إنها لم تزل في الأدبار من عهد أبي القاسم وأبي خزر فجاز عليها أبو عمرو سبيل وأراد أن يثبت من بها من بقية المذهب فوعظ وحذر فعضت عليه الحشوية الأنامل من الغيظ فتشاوروا في مناظرته فاتفقوا أن لا قوة لهم بمناظرته ولكن يحتالون كيف يشنعون عليه ويتظلمون بما لا ظلم فيه ووضعوا سؤالاً فسأله عنه وهو هل يجوز في مذهبكم نكاح نساينا فأجاب بالحق أن المحصنات من أهل الكتاب يجوز نكاحها فكيف بالمسلمة قالوا أنزلتنا منزلة اليهود والنصارى فقام العامة عليه قيام رجل واحد شتماً وشفعاً وطرذاً حتى نفوهم من البلاد وأكرهوا من بقي بالرجوع إلى مذهبهم وغسلوا المسجد الكبير من مساجد الوهبية وزعموا أن ذلك تطهيراً له فدعا عليهم وأجاب الله دعاءه فسلط الله عليها الميورقي فقتل تسعمائة أو سبعمائة فسالت الدماء قال من رأى ذلك بلغ الدم حيث بلغ الماء، قال أبو عمرو وخرجت من وارجلان أريد بلدنا فقال لي أيوب ابن إسماعيل حين أراد أن يودعني، الوطوطة والعلم لا يجتمعان، وقال لي موسى: الحجر المتقلب لا يثبت عليه شيء من البناء وله أخبار كثيرة حسان، وله من التأليف كتاب السؤالات وهو تأليف

مفيد أظهر فيه منزلته من العلم وله غيرها من التأليف وله مناظرات مع المخالفين وكل ذلك يفهمهم ويبكتهم .

[عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي]

ومنهم أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي ممن أحيى الدين والمذهب إقرأً وتأليفاً وكان في الفنون غاية وفي الكلام خصوصاً آية، ألف الموجز في الرد على كل من خالف الحق في جزئين وشرح الجهالات في سفر وكتاب الاستطاعة وله غيرها . وأقام بتونس يتعلم الأدب من النحو وغيره زماناً يدرس ليلاً ونهاراً ويأتيه من بلده كل عام ألف دينار وكتاب معها رسالة فلا يقرأ الرسالة فيعطي لشيخه من ذلك النصف ويصرف النصف على نفقته وكسوته وشراء كتب يحتاجها فلما عزم على الرجوع إلى أهله قرأ الكتاب والرسائل فوجد في أولها وفاة أحد الأبوين وفي الثاني وفاة الثاني، قال أبو العباس حدثني بعض الطلبة النفطيين الذين قرأوا بتونس عن أشياخهم يذكرون أنه قرأ معهم على شيخهم طالب وارجلاني نجيب الفهم كثير النقل سخي النفس بل الكف شديد الورع واسع الخلق قالوا لم نر مثله من العجم ولا من العرب وكانوا يذكرون معه كتاباً في فقه مذهبه احتوى على قصائد فقلت ذلك كتاب الدعائم وكان أبو عمار ذا كرامات منها أنه خرج ذات مرة أيام الربيع إلى بادية بني مصعب بغنمه فتوغلوا في البرية حتى قربوا من جبال بني راشد فقال لأهله يوماً اصنعوا عشاء عمار يعني ابنه وقد خلفه بوارجلان فبات عليهم عمار، وقيل أخبرهم حين خرج من وارجلان إلى بني مصعب وسار مع رفيق له في يوم سير ثلاثة أيام قال أبو عمار حضرت أنا وأبو يعقوب مجلس شيخنا أبي زكريا يوماً فقصصت رؤيا رأيتها وهي أن إبراهيم عليه السلام نزل من السماء إلى وارجلان فتعلقت نفس

الشيخ بالرؤيا فجعل يقول كيف رؤياك يا عبد الكافي فقال أبو يعقوب لا أعلم أحد أكملت فيه هذه الصفات غير النبوة في هذا الزمان إلا هذا الشيخ وأحسب أنه سيموت في هذا العام فمات بعد أشهر وهذه بمناقب أبي زكريا أولى، وسأله بمكة أبو يعقوب عن أموال العرب يتزهون عنها في بلاد المغرب ويشترونها بمكة وقد عايناهم يفعلون بالحجاز من غصب أموال الناس ما يفعلونه ببلاد المغرب بل أقبح وأذم قال أبو عمار هذه جزيرتهم والأصل ما بأيديهم لهم والمغرب بلاد البربر وما دخلوها إلا على وجه الغصب والغارة وقال إذا وقعت فتنة بين المؤمنين فالأحب إلى الصلح وإلا فلا تغلب فئة فئة ومن أحب أن تغلب أحدهما الأخرى فقد دخل في الفتنة ولزمه ما لزم أهل تلك الفتنة وكان سيفه يقطر دماً.

[يوسف بن إبراهيم السدراتي]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي هو بحر العلم الزاخر المسخر للنفع فترى الفلك فيه مواخر، درس العلوم ففاق كان في علوم القرآن غاية وفي علوم اللسان من النحو واللغة والتصريف آية وفي علوم النظر والجدال والمنطق والكلام نهاية وفي علم الحديث ونقل الأخبار والسنن والآثار والفروع والأحكام وعلم الفرائض والمواريث ومعرفة رجال الأحاديث وعلم الحساب والتنجيم بل علوم الأقدمين في جميع ذلك علامة، ذكر أنه لازم الدار سبعة أعوام فلا يجده الزائر إلا ناسخاً أو للأقلام باريّاً وللدرسة فاعلاً أو للحبر طابخاً أو للدواوين مقابلاً أو للكتب مسفراً إلا أن قام لأداء فرض، قال أبو العباس حدثني الثقة أنه وقف على سبع نسخ من كتاب العدل بخطه أو ثمان، فأما أنا فرأيت ثلاثاً، وكان من عادته إذا أتى المسجد وأراد الوضوء انصرف كل من حول المتوضىء فيضع الكتاب والمفتاح والعمامة والكساء حتى لا

يبقى إلا في ثوب واحد فيأخذ كل الطلبة حاجة وهي سؤال مشكل فإذا أتم وضوءه وخرج من المطرة قال ردوا عليّ أعلاقي فيسأل كل واحد عن مسأله فيرد ما أخذ بعد أن يجيبه فهكذا فعله حتى لقي ربه، ورأيت له من التأليف كتاب العدل في أصول الفقه ثلاثة أجزاء بل أربعة بالأجوبة ولا أحصي ما رأيت له من الأجوبة الآن كثيرة، وله قصائد منها الحجازية في ثلاثمائة وستين بيتاً تدل على غزارة علمه لما أودعها من فنون العلم ورأيت له بعض تفسير كتاب الله أودعه أنواع العلم من القراءة واللغة والنحو والتصريف والحجج وغيرها، ورأيت له كتاب الترتيب في علم الحديث رتب كتاب الربيع بن حبيب في الحديث وزاد فيه ما رواه غيره عن ضمام عن جابر وغيرهما وكراسة في تسمية رجال الكتاب، وسمعت بعض الطلبة أنه رأى له تأليفاً في الفقه، قال أبو العباس حدثني أبي عن بعض أصحاب أبي سليمان أيوب بن نوح عما حصل من علوم النجامة قال رحم الله شيخنا أبا يعقوب عمد إلى العلوم النافعة من علوم القرآن والفقه وعلم اللسان وحملها ابنه ووجد عندنا أفهاماً للعلوم لا تنفع يعني النجامة وعلمها لنا فقلت ما غاية المنجم المحقق قال يعلم أسعد أم شقي وكان أبو يعقوب أيوب يقول يكون يوم أجلي يوم كذا وكذا بسبب كذا فكان كما قال، قال أبو العباس عن بعض أهل وارجلان أن أول داع قدم وارجلان يدعو إلى طاعة المهدي الفتروشي فاجتمع أهل وارجلان إلى أبي يعقوب وقد هموا بقتله وأصحابه قال لهم أبو يعقوب تنالون معه عزاً عظيماً وإقبالاً وإحساناً فأجابوا دعوته فكان الأمر كذلك قال لهم إنما يخرب بلادكم من يخرج من سجلماسة ويموت في البحر أو يخرج من البحر ويموت بسجلماسة يعني بلاد الرمل الذي بيننا وبين السودان، قال أبو العباس سمعت هذا عام عشرين وستمائة وخرب يحيى ابن إسحاق الميورقي وارجلان عام ستة وعشرين وهدم سورها وتركها

قاعاً صفصفاً وغادرها كأن لم تغن بالأمس وكان في شبابه ارتحل إلى الأندلس وسكن قرطبة وفيها حصل علوم اللسان والحديث والتنجيم وغيرها وبالجمله هو أشهرته العلوم حتى صار علماً عليه نور وتوفي عام سبعين وخمسمائة.

[إبراهيم بن يوسف السدراتي]

ومنهم إبراهيم ابنه، قال أبو العباس الشيخ إبراهيم إمام علم الأدب وإن ذكر في الفروع فيا للعجب وقد تمسك من الحديث والأصول بسبب أقوى سبب وعنده من الورع والزهد والتواضع ما لا يدركه أحد من المتمسكين وذوي الاجتهاد، وذكر أبو العباس أن أبا إسحاق رأى في منامه نخلتين في صنوان أحدهما باسقة والأخرى أقصر منها فرأى أباه يجني في الباسقة ولم يطق الصعود إليه وصعد القصيرة يجني فيها وعالج طلوع الكبيرة حيث أبوه فلم يطق فقصها على أبيه قال تحاول منزلي في العلم وأنت دونها وتوفي عام ستمائة.

[يوسف بن خلفون المزاتي]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي رحمته الله قال أبو العباس كان غاية في علم الفروع والأصول له تعليقات عجيبة وأجوبة مقنعة مصيبة، قال أبو العباس كان مع محافظته وكثرة حفظه يعجب من ضعف بخته مع الإخوان لا ينصفونه في العشرة، أبو العباس حدثني غير واحد من أصحابنا إنه كان كثير المطالعة في كتاب الإشراف وغيره من تصانيف أهل الخلاف فنقم الأشياخ منه ذلك ونهوه عنه فلما لم ينته قال له بعضهم تركت المذهب ورغبت عنه، وأظهروا له الكيل بهذا الصاع وأوجبوا عليه كملة الهجران ومما نقموا منه إعلانه بأن قال والله ما

علمت لكم كتاباً إلا كتاب اختلاف الفتيا وهو تأليف بشر بن غانم الخراساني نقله عن طلبة أبي عبيدة والغانمي وهو له أيضاً، ونسبوه إلى تعجيز العزابة وذم تأليفهم والبحث عن معانيهم، قال أبو العباس وحاشاه من ذلك واعتذر عنه بما هو مبسوط في الطبقات وتفضيله الغانمي واختلاف الفتيا لأنه نسب فيه الأقوال وبين ما هو المعتمد المأخوذ به، قال أبو العباس وحدثني أبو الربيع عن أبيه الحاج أبي عبد الله محمد بن سعيد رحمته الله إنه كان يحكي عن جدي يخلف حكاية تدل على براءته مما قذف به، قال أبو عبد الله خرجنا حجاجاً مع شيخنا يخلف بن يخلف حتى إذا كنا بعقاب قدم علينا في وقت المساء رجل لا نعرفه فرأيناه يسأل عنا فقال له يخلف من هذا السائل قال ابن صباح المزاتي قدمت مع الشيخ يوسف بن خلفون وبيت عندكم الليلة المقبلة فلما حل بنا أبو يعقوب والعلم عندنا حين خرجنا من بلادنا إنه في الهجران وقلنا ما لنا إلا التأسى بشيخنا يخلف فلما تراءى الشيخان أخذ يخلف بيد يوسف **تقنيا** عنا وعد عليه ما نسبوه إليه فكلما عد عليه شيئاً تاب واعتذر فلما ثبت عذره عند الشيخ وسمعاه يقول الحمد لله رب العالمين، وقاما واعتنقا فقمنا فسلمنا عليه وتأنسنا به وتأنس بنا فسرنا معاً إلى بيت الله الحرام وأدركنا هناك إخواننا أهل عُمان ومعهم فقيهمم الذي حج بهم ناجية بن ناجية فحججنا حجة لم يحجها أحد قلنا قبلنا ولا بعدنا من أهل المغرب فكل من نزلت به مسألة في منسكه أو غيره يجد واحداً من الفقهاء الثلاثة فيسأله فيجد عنده الشفاء ورجعنا وأبو يعقوب راض مرضي عنه، وعن بعض أنه قال لما رجعت من طرابلس بعد قراءتي على الشيخين عبد الله وأبي عمران موسى النفوسيين فقصدت جهة وارجلان لألقى أبا رحمة اليشكنبي فاعرض عليه ما أخذت وجزت على تين بامطوس وبها أبو يعقوب وأتيت أبا رحمة بافران قال هل سلمت على

يوسف قلت لا قال لو سلمت عليه لم أسلم عليك، قال أبو العباس لعل هذا الخبر قبل رجوعه من الحج وكانت وحشة من الشيخين لا ذنب فيها على أحدهما، وما قيد من تعليقاته الأجوبة على المسائل التي سألها عنها بعض نفوسة أظن وقد بين فيها منزلته من العلم بأن نسب فيها أقوال العلماء واستقصى الخلاف وبيّن الأدلة وله رسالة إلى أهل جبل نفوسة.

[محمد بن علي السوفي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي السوفي رحمه الله كان عالماً سخيّاً عابداً تقيّاً مستجاب الدعاء حازماً لأمره لا تأخذه في الله لومة لائم، أبو العباس قال وقعت فتنة بدرجين السفلى الجديدة فأفضت إلى خروج الأوطان وذهاب الأنفس والإخوان فعظم على أهل المذهب أن أشفى كلا الفريقين على التلاشي واستصعبوا إصلاح ذات بينهم فحرك الله أبا عبد الله إليهم فلما بلغ درجين تمادى إلى ريبض نقطة ولم يدخل درجين فخرج إليه من بربرض نقطة من الفقهاء والعزابة فيهم الشيخ يخلف بن يخلف ومحمد بن سعيد ورجبنا إليه في النزول إلى الضيافة وامتنع وقال جئت لمهّم ولا أشتغل بغيره وأريد معونتكما فيه بأن تحضروا لي كل مهاجر إليكم مفارق لوطنه فأحضروا من طواعهم من أضيافهم من أهل درجين فذهبوا إلى خارج درجين فنزلوا حول مسجد قنطار العليا خرج إليه أهل درجين من كلا الفريقين فيهم الوارث والموروث ورجب إلى أولياء الدماء فغفوا عنها وندب جميعهم إلى الصلح فأجابوا وعقده بينهم فلما تم استدعى بسبع حصيات من أيدي سبعة رجال حجاج استلمت الحجر الأسود وحفر في الرمل حتى غاب عاتقه فأخذ الحصيات من أيديهم ورمى بها في الحفرة ودفنها وقال هذه فتنة أهل درجين قد دفنت فمن أثارها جعل الله بأسه برأسه فأمنوا لدعائه وقطعها الله إلى اليوم فدعا

على ثلاثة أشخاص أبوا ممن بالريض فلم يعقبهم خير ودعا على العافين
فنموا وكثروا ودعوا الله على من يدعوا بالقبائل لأنها سبب الفتنة فحمدوا
الله على تمام الصلح، ولما عزم على الحج أودع الشيخ أفلح المارغني
مائتي دينار فلما رجع بعد عامين قال ما فعلت الوديعة يا أفلح قال أكلها
الزمان يا محمد فلم يسأله عنها حتى لقي الله، وكان أبو عبد الله عظيم
القدر في أهل المذهب بحيث لا يجهل موضعه ولا يجحد حقه ولا ينكر
فضله، فمما يشهد بذلك قصيدة الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم
الحجازية إذ قال:

خرجنا نؤم الشرق من حيز وارجلان بفتية صدق من وجوه العشائر
ثم قال بعد: ومغراوة عليا زناتة كلها.

ولم يكن معهم من مغراوة إلا أبو عبد الله وأولها:

عذيري عذيري من ذوات المعاجر ذوات العيون النجل بيض المحاجر
قال أبو العباس قد حضرت الفقيه أبا العباس أحمد مراراً وفي يده
ديوان الشيخ أبي يعقوب يقرأ فيه فإذا قرأ لنا القصيدة يقول ما في الركب
غير أبي وسلم له جميع من حضر من مغراوة وناهيك من واحد يقوم
مقام قبيلة وبالجملة ففضائله كثيرة مخلدة في الكتب.

[زكريا بن صالح اليراسني]

ومنهم أبو يحيى زكريا بن صالح اليراسني رحمته الله قال أبو العباس
فضله الله بالورع والسخا ولزوم السيرة وتساوي صلاح العلانية والسريّة
واليد العليا في الكبيرة من الصلاة والصغيرة، قال سمعت من غير واحد
من المشايخ حكاية في مناقبه منها ما سمعته مراراً من أبي رحمة قال
وصل الشيخ زكريا ذات مرة من سجلماصة إلى وارجلان وخرج يريد

جربة مع أصحابه ومعهم قرب مائتي ألف وخمسين ألفاً ذهباً تبراً أعني مثقالاً فلما قربوا من نفزاوة أو توسطوا الطريق أشرفوا من أعلى كتيب رمل فأبصروا نعماً كثيرة في المراعي ومن ورائها أحياء وأيسوا من السلامة وأيقنوا بالتلاف فتشاوروا فقائل ندفن ما معنا وقائل نرجع خلفنا وقائل نرسل إليهم من يجاعل علينا ثم قالوا ما معك يا شيخ البركة قال مثلنا مثل أعمى سلم عينيه إلى القادح ليقدهما رجاءً لجلاء العماء فإن أبصر نوراً فبفضل من الله ولطفه به وإن لم يبصر فهو أعمى من قبل وهاهنا رأى فإن نجح فبفضل الله وإلا فنحن بين لهوات الأسد وهو أن نستدير مع بعض الأحقاب إلى أقرب قطع يلينا من النعم فنخرج إليه ففعلوا فبادرتهم الخيل للنهب فنادوا نحن دخلا صاحب هذا القطيع فقال وهو معهم لهم أمان الله وإذا بالخيل تركض فقال لا تتبعوا خيلكم فقد حرموا قال فأنزلهم وأكرمهم ثم أبلغهم مأمنهم بنفزاوة. قال أبو العباس وسمعت أيضاً من جماعة من الشيوخ منهم أبي بكر الله كان بمراكش فعظمت منزلته عند ملوكها لما اشتهر من أمانته وعدالته وورعه وما ظهر عندهم من كراماته وكان مختصاً بيعقوب قبل أن يتولى الوزارة وكان قائماً بحوائج الشيخ ولا يكاد يحوجه في كثير من المسائل إلى أبيه فقال له يوماً عرفني بكل ما تأمله من أمير المؤمنين لأتكفل لك به وأسعى لك في كتاب كريم يكون لك ظهيراً قال الشيخ بل أكتب لي أنت ما أريد من الظهير لأنك الذي يتولى بعده الخلافة، قال كتابي لا ينفعك شيئاً ومن أين لك ما ذكرته قال ما ذكرت لك إلا قولاً صحيحاً، ولا أعتقد النفع إلا في كتابك وكتب له ما أحب، وقضى الله أن تولى ونزل بعساكره إلى أفريقية، فأتاه بكتابه واستبشر به وأعلى كعبه وقضى حوائجه وشفعه في جميع ما شفع فيه وانتفع به أهل الجزيرة بل أكثر أهل المذهب.

[فصيل اليراسني وأبوه]

ومنهم أبو يحيى فصيل اليراسني وأبوه مسعود شيخاً الانبساط والانتقباض والعزوب عن الدنيا والإعراض. وقد جدد من السير ما أشفى على الانقراض.

[محمد بن داود]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن داود رحمته الله بحر العلم والسماح وعماد أهل التقى والصلاح. قال أبو العباس حدثني أبو الربيع عن أبيه محمد بن داود قال حججنا وقفلنا فتمسكت نفوسة الجبل بشيخنا يخلف بن يخلف ورغبوا أن يصحبهم إلى ديارهم فساعف ووادعنا فأوحشنا فراقه حتى قدمت على الشيخ سليمان بن داود بتونين رحمته الله فصادفت شيخاً جليلاً عظيم القدر وأزال عني ما بي من الوحشة، فلما سلمت قلت ادع الله قال بل أنت فادع، وفي الحديث استقبلوا الحاج واستدبروا الغازي، ثم قدمني للصلاة فقلت أنا مسافر قال اعتقد الإقامة وصل وحضر الطعام فلما أكلنا احضر زجاجة فيها شراب، قال اشرب فأبيت قال هذا شراب الجلاب أقتات به ولا أطيق الطعام لضعفي، وأخذ من الطعام بأصبعه تبركاً وتوفي عام خمسة وخمسين وخمسمائة.

[سليمان بن داود]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن داود شيخ صالح تمسك بالسير والتقوى، وترك ما لا يعنيه، قال أبو العباس ذكر بعض أصحابنا أن أبا عبد الله محمد بن داود رحمته الله دخل جربة زائراً فاجتمعوا إليه فوعظهم وذكرهم وخصهم بها واحدة بعد واحدة حتى أفضت النوبة إلى الشيخ أبي مسعود وإلى أبي يحيى فصيل قال بلغني أنك تداين ضعفاء جربة ثم تأتيهم لتتقاضى دينك فيدخلهم الروح إذا عرفوك فيقولون هذا ابن أبي

زكريا قد أقبل فعل الله به وصنع، أترضى لنفسك ولأبويك هذا؟ وتاب
وتجنب المداينات.

[عبد الله بن يحيى العباسي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عيسى العباسي كان عالماً
سخياً ومن يؤثر على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، عن الشيخ
عبد الرحمن بن علي قال خرجت من أريغ أريد وارجلان ومررنا بمنزل
الشيخ عبد الله بن يحيى فخرج فسلم على العزابة وأنزلهم وقدم لهم تمراً
كسباً معسلاً ولبناً عجيباً، فأكلنا ما اشتهينا ثم قدم لنا طعاماً عليه ذبد
أخرجه من اللبن الذي شربنا ونحن عشرة أو أقل بواحد فقدر كل واحد
أنه يأكله أو معه آخر ووضعنا أيدينا فصدرنا عنه ونحن في غاية الشبع،
وبقي منه بقية صالحة فلما خرجت العزابة ورجعتُ إليه لأعلمه بذلك
ألفيته يفرق تلك الفضلة على الجيران وبين يديه مرضخة وحشف احرش
يابس وكوز ماء كلما أخذ حشفة رضخها وأزال نواها فأكلها وساغها
بجرعة من ماء الكوز، أخذ غيرها وفض النوى لعلف الغنم قلتُ هلا
أكلت من التمر الذي أعطيتنا قال من أكل خيار ماله أكل دم وجهه وذلك
مدخر لأمثالكم والذي بين يدي مع العافية لخير كثير، يعني الحشف
والماء ثم قال يا عبد الرحمن هل لك في رأي أن تقيم وتحصل القرآن
مع فوائد وعوائد تنتفع بها فقلت نعم وكان قوي الحفظ بكتاب الله
فأقامت عنده بأرغد عيش وأتمه فخرج بعض العيال أيام الربيع إلى
أطراف المنازل طلباً للمراعي فأخرجني وقام الشيخ فكنت أكتب لوحى
واحفظه ثم أتته فأعرضه عليه بكلتي صفحتيه وأمر من تكفل بمعيشتي
واخرج تمراً طيباً برسمي فحفظتُ ما شاء الله من السير والقرآن والفوائد
واكتسبت مالاً.

[عبد السلام بن عبد الكريم المزاتي]

ومنهم عبد السلام بن عبد الكريم المزاتي الورع في دينه الكثير الاجتهاد في عبادته، قال أبو لعباس أول ما قدم من الحلقة سألہ يوسف بن أبي حسان على ثلاثة مسائل فلم يجبه عن واحدة منها فقال له عجلت الرجوع فأخجله بكلام ذكره له فرجع إلى الحلقة إلى عيسى بن أحمد فأقام ما شاء الله فرجع فأجاب مسأله وغيرها، فرجع مفتياً لأهل مكانه محتاجاً إليه أهل زمانه، وعنه قال أحسن سفر سافرته كنتُ مع ثلاثين عزاباً فإذا نادى منادي الرفقة بما يشعر بالأكل حط العريف الزاد فإذا أصحابي لم يغب منهم أحد، وأحسن كتاب قرأته كتاب كتب لي به الشيخ محمد بن داود وضمن فيه أخبار أهل الدعوة كلها وأحسن مركوب ركبته حمار صحبتُ به خيل العرب ولم أتخلف عنهم بلا كلفة عليّ، وقال يعصي من أصغى إلى من يستنجي أو يجامع أو يتغوط في جملة مسائل فاطلبها في المعلقة.

[أبو نوح بن يوسف]

ومنهم أبو نوح بن يوسف رحمته الله وكان شيخاً صالحاً عالماً عاملاً وكان من ذرية الشيخ محمد بن بكر وأحى سيرته علماً وأمراً ونهياً شديد الغضب لله. وكان ساعياً في محو آثار الفساد وكان مطاعاً سخر له القوي والضعيف والقريب والبعيد من أهل مذهبه وغيرهم فمتى سمعت رواية عن أبي نوح فهو المعني بها وأخذ عنه جماعة.

[أبو زكريا بن أبي نوح]

ومنهم ابنه أبو زكريا رحمته الله اقتدى بأبيه في جميع أحواله وزاد عليه بكثرة الحفظ، وله تأليف في المذهب وله القصيدة الحجازية والقصيدة التي في الاعتقاد وغير ذلك، أبو العباس حدثني بعض طلبته قال انتقل من

تين يسلي إلى أوغلانت فعظموه وأكرموه ووهبوا له أنواع المواهب من مركوب ومكسوب وجنات وعيون وكان فيها بحلقة وطلبة وكان من عادته إذا سمع في أريغ بفعلة شنيعة تحول إليها بحلقته وطلبته فيصلح ما فسد وإن استحققت جيشاً سار به أو عسكرياً قوياً أو ضعيفاً ومن استحق السجن سجنه أو القتل قتله أو الأدب والنكال أدبه، واشتد البرد على التلامذة في بعض أوان الشتاء فأوتى لهم بقطيفة يتدثرونها وكان ببعض بلاد المخالفين فاتك من الفتاك مشهور بالفساد فبيت الطلبة بعض الليالي فأخذ القطيفة فقام معه بعضهم فجرحه فلما أصبح استعظم الأمر وأنه في بلد ليس فيه أحد من أهل المذهب ثم خرج في جيش عظيم فنزل بهم فطلبوا أن يدفعوا لهم الفاعل ففعلوا فأتى به إلى بعض الطريق فقتله بعض العبيد.

[ميمون بن أحمد]

ومنهم ميمون بن أحمد المزاتي رحمته الله أبو العباس كان ذا فطنة وذكاء وعقل ودهاء، وكان مصدراً بدرجين قبل أن يقدم مولاهم ابن علي فكان حكمه عدلاً وقوله فصلاً لكنه طال عمره فكف بصره فتخلى عن التشديد وكان يتمنى أن يلقي من يسأله عن المسألة سؤال مستفيد، أو يلقي عارفاً أو معرفاً، ويروى عنه من عطس يوم الجمعة خمساً غفرت ذنوبه، ويبرأ ممن قال لمتولي يا ثقيلاً. قال أبو العباس قال أبي دخلت حلقة درجين قبل أن أكمل القرآن فكان الشيخ ميمون يمرني على قراءة الكتب وكان يكبرني إجلالاً لوالدي ويخصني بالفوائد فإذا جاء المسجد دعاني وأعطاني كتاباً وأمرني أن أقرأ، وإذا وقفت في حرف قال بيّنه، قال وكان جدي يخلف إذا حضرته تحفة ذكر عندها الشيخ ميموناً وكان يحض على إكرامه ويقول أكرموه فإنه اجتمع فيه عزيز ذل، وغني افتقر، وعالم بين قوم جهال.

[يوسف بن أحمد الوسياني]

ومنهم يوسف بن أحمد الوسياني فكان حفاظاً لكنه لا يحسن التصرف، قال أبو العباس قدم رجل من أهل توزر، نقطة، ثم أتى درجين فطلب مناظراً ممن ينسب إلى التفقه فبرز إليه يوسف فناظره في مسألة يحفظها سرداً فتلعثم ولم يتكلم بفائدة فبلغ ذلك الشيخ ميموناً فغاضه فقال ما وجدتم من تقدموا لمناظرة المخالف إلا ذلك الجبان، بئس ما فعلتم وبئس ما فعل، وكان الشيخ يوسف كثير الورع والاجتهاد ذا خمول واقتصاد ممن يتعلم منه ويستفاد.

[سليمان بن عبد السلام]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني أحد شيوخ الحلق الكبار الحافظ للسير والآثار الذي رويت عنه التواريخ والأخبار لم تفته سيرة لأهل الدعوة في كل الأعصر، قال أبو العباس متى سمعت في كتابي رواية قديمة عن أبي الربيع فهو راويها عن شيوخه الأخيار وله تأليف في السير حسن.

[الشيخ يخلف]

ومنهم الشيخ يخلف شيخ عالم علامة ذو خشوع وإنابة، وله أجوبة ظاهرة الإصابة وأدعية سريعة الإجابة، قال أبو العباس على جده يخلف ابن يخلف حدثني أبو عبد الله بن بهلول النفطي قال ورد على شيخنا أبي علي محمد بن عمران بعض الزوار فأخذ جلساًؤه في مناقب الشيخ يخلف العزابي وبنيه وأهل بيته فأوسعوا في القول، والزائر الغريب يستحسن ويستغرب، حتى قال أحد جلساء الشيخ أترى أنهم يرجى لهم الخير عند الله لهذه الأوصاف وهم وهبية فلم يجبه بشيء قال الزائر ما

مذهبهم قال الصلاح، وانقطع الكلام، قال وحدثني أبو الربيع عن أبيه قال أقبلت أنا والشيخ يخلف من جنته بغابة نفطة، فلقي محمد بن عمران فسلم وسأل عن الحال ثم قال يا يخلف ما منزلتي عندكم جملة العزابة قال منزلة مشمش فشفس، يعني حلواً زيناً، وهو يخلف بن يخلف النفوسي التميمي، ومنها ما حدثني أبو الربيع عن أبيه قال أقبلت لما قفلنا بعد أن قضينا الحج وبلغنا اسكندرية ونفذ ما بأيدينا وكرهنا دخول البحر فاتفق رأينا أن نشترى سقط المتاع من الأبر والمخايط والمسلات وما خف فخرجنا نسير في أحياء العرب فإذا كنا في آخر النهار اشترينا بذلك السقط ما نأكل. فما خرجنا من برقة حتى نفذ وانقطع عنا أحياء العرب ولا رفيق ولا دليل إلا الله ولا طعام إلا ما نطعم عند الله، وقال الشيخ يخلف توكلوا على الله وسيروا، فسرنا في مهامه لا أنيس بها، فربما وجدنا من المباح ما نقتات به وما تنبت الأرض ثم سلكننا حراراً لا نبات فيها فسرنا يومين أو ثلاثة لم نذق حلواً ولا مرأ، ثم سرنا يوماً ضحى فإذا بياض مخالف لون الحرة فلما وقفنا عليه إذا به جبن، قال العزابة ما ترون به قال الشيخ ما هي بأرض عمارة ولا بطريق إلا أن الله أكرمكم به، فتناوله وقسمه بخنجر، فأكل كل واحد نصيبه، فتمادينا نجد السير إلى غد وكدنا نهلك جوعاً، فاشتكيننا إلى الشيخ فأخرج نصيبه فقسمه، وأخذ نصيبه فأكله من هذه القسمة ولم يذق من الأول شيئاً، ثم سرنا فلطف الله بنا ووصلنا ما ولينا من البلاد، ونقل عنه حكم كثيرة لو دونت صار منها ديواناً كلها نافعة، كذا قال أبو العباس، وصلى الصبح بأصحابه بربض نفطة، فلما ختموا من القرآن وذلك في فصل الشتاء قال من يغدنا اليوم ونولية الإمارة على أنفسنا، وأومئ إلى موسى بن الياس المزاتي لأنه قريب عهد بالقدوم من البادية، واستصحب شيئاً من البادية من طرفها فغداهم، فلما أكلوا قال الشيخ أما الإمارة فأنت واحد منها

بل منا ولكن ندعو لك الله أن يولد لك ولد من الحمل الذي عندهم فتسميه أفلح باسم أمير المؤمنين ونرجو أن تكون فيه البركة، فكان الولد هو الشيخ أفلح بن معبد فكان آمراً ناهياً مطاعاً متبعاً في كل ما تقدم فيه من أفعال الخير، قال أبو العباس وهذا أمر شاهدناه عياناً.

[علي بن يخلف]

ومنهم ابنه علي بن يخلف فكان عالماً تقياً مستجاب الدعاء محسناً لمن أساء يدعو الخير من أقبل يسعى ومن أدبر وتولى، قال أبو العباس على جده علي قال القاضي عمرو بن غزوة النقطي ما رأيت مثل علي بن يخلف فمن عجيب أمره أن أبا القاسم القمودي من كبراء المتصوفين قدم نفطة فأكرمه الناس من الطلبة المتصوفين وغيرهم فاحتفلت في إكرامه فقلت لا ينبغي أن يغيب أبو الحسن عن مثلها فلما حضروا قال ابن القمودي من هذا؟ قلت الفقيه أبو الحسن علي ابن العزابي قال هو من بغضة علي بن أبي طالب فحالت بيني وبينه ظلمة وندمت على إكرامه وما أغناني وصاحبي عن هذا الحضور فأجابه علي من أنباك هذا قال كذا يذكرون عنكم قال هل رأيت أحداً يسمي ابنه باسم عدوه قال لا قال فأبي قدوتهم، وسماني علياً فما زال به حتى استمال قلبه وقال أريد أن لا تفارقني ما دمت بنفطة فانجلت تلك الظلمة من عيني، ومن أعظم كراماته ما اشتهر عند الموافق والمخالف وذكر ذلك البكري في «المسالك والممالك» إلا أنه لم يسمعه وسماه غيره وهو أنه سافر إلى دواخل غانة تاجراً فقام بها وله مكان عند ملكها وكان عظيماً، تحته اثنا عشر معدناً يستخرج منها التبر، ووقع القحط ببلادهم فاشتكت الرعية إلى السلطان وذلك بمدينة مالي، فقربوا لأصنامهم الذبائح واستغاثوا بها فلم يغاثوا، وكان الشيخ علي على ارتحال فقال له الملك ادع ربك لعله

يغيثنا قال لا يجوز وأنتم تعبدون غيره قال كيف صفة الإسلام فما زال به حتى وجد وتكلم بكلمة الحق فخرج هو وإياه إلى كدية فصار يصلي به علي ويتبعه على ما يفعله وإذا دعا قال آمين، فلما أصبح عظم المطر وحالت السيول بينهما وبين المدينة وما دخلوا إلا في السفن مع النيل فدامت سبعا تسح ليلاً ونهاراً، فلما رأى الملك ذلك دعا أهل بيته ثم وزرائه ثم أهل المدينة ثم من قرب فأجاب جميعهم وأبى من بعد وقالوا نحن عبيدك ولا تبدل ديننا واشترط عليهم أن لا يدخل كافر المدينة وإن دخلها قتل، فالتزموا ذلك وأخذ يعلمهم الصلاة وفرائض الدين والقرآن فورد عليه كتاب أبيه يحضه على المجيء ولم يجعل له إذناً في المقام ولو قليلاً فأخبر الملك بأنه على سفر، قال لا يحل لك أن تتركنا نعود إلى العمى بعد الهدى، قال طاعة الوالد واجبة في الدين وحجر عني الإقامة ولم أجد بداً من ذلك، وهذا سبب دخول الإسلام بلاد السودان بغانا وما يليها تسامعت بهم المخالفون فقصدوها من كل أوب فردوهم إلى مذهبهم.

[سليمان بن علي]

ومنهم سليمان بن علي ابنه عليه السلام قال أبو العباس كان ذا سخاء ونزاهة نفس وورع وكان فرضياً مقتناً لمسائل الفروع ناظماً للفرائض لغوياً، ومن أهم أموره المحافظة على المذهب، أما سخاوته فما حدثني به والدي قال كان أبي كثير المال بكنومة من عقار وناض، فلم يزل مبسوط اليد فيه حتى أنفده ولم يبق إلا دويرة وبساتين وكان في أثناء ذلك لا يعدم ناصحاً يقول ابق لأولادك بقية، وجوابه المتقي منهم لا يضيعه الله، والعاصي أنا أحق بمالي منه، وعادته إذا قام من نومه يقول اللهم ارضني بما قضيت علي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، وأما نزاهة نفسه فلما قل ماله وأبى من أن ينقص من عادته

وفعله قال له بياضة بن عزون كثرت مؤنتك وقل مالك فهل لك في خمسين روية تماًراً كل عام تستعين بها على أضيافك وأضياف المسجد، أو مائة الشك من أحمد، قال له لا والله، وفيما معي كفاية أؤدي منه حقوق من ذكرت ولو علي عسر، وكذا ضعفاء أهل الدعوة، فإن كنت فاعلاً فأقم بنفسك حقوقهم، قال أبو العباس لما أخرجت نكارة كنومة وهبتها بمكيدة كادوهم بها خرج جدي منها ليلحق بإخوانه غير معلن فتنة ولا مبطن لها، قال بعض النكار أتركون فقيه القوم ينجو فطعنه فنجاه الله من الموت وانتهبوا دور الوهبة فأخذوا له مالاً جليلاً ولم يكافهم بمكروه بعد ذلك كما لم يكن منه قبل لورعه، ولم ينشدني أبي شيئاً من شعره ولا من شعر نفسه ويقول أنت أشعر مني وأنا أشعر من أبي، قال وحدثني رجال أن رجلاً اشتكى علة مزمنة دامت به إلى جماعة كنومة بعد موت سليمان ولم يدر ما هي ولم يترك من العلاجات إلا ما لا يصله، فقال له بعض الحاضرين أعطني ثلاثة بيض الدجاج فأتاه بها قال غداً فأتني قال له اطبخ كل يوم واحدة فافطر بها ففعل وبريء في أسرع وقت، وسأله ما زاد في البيضات فأكثروا عليه قال ما زدت شيئاً إلا إنني رأيت علته أعت الأطباء لا تبرأ إلا بمنة من الله فأخذت البيض فأتيت قبر سليمان العزابي فقلت اللهم ببركة وليك هذا أن تجعل فيهن شفاء هذا العليل فدفتها في قبره فاستخرجتها غداً فكان فيها مما رأيتم، قال ومما حدثني به أبي رحمهما الله أن أهل تقيوس يعمرون غابتهم وجناتهم على النصف ثم يدفعون الظلم من النصف فالنصف للسلطان وما يأخذ من النصف الآخر فكان الناس معه في ضيق عظيم فكان كل واحد يحتال كيف يختلس قبل امتداد يد العامل وخرج الخراص مرة إليها يخرصون فخرج الشيخ إلى جناته فقال للخدام أريد تخفيف ما تقدرون عليه فكانوا يخففون ما يمكن من كل نخلة إما نصفاً وإما ثلثاً أو ربعاً

ويجعلون ما جمعوا كدساً وقد رأوا أن الخراص يأتونهم بعد غدوانهم يدخلون ما جمعوا ليلاً وإذا بالخراص دخلوا عليهم من أطراف الجنات فلما رآهم وبين يديهم كدس عظيم يراه الأعمش من بعد خاف ما يخاف أمثاله ولم يبق له إلا الفضيحة إلا أن يستره الله فخرصوا بعض الجنات وهو يرغب إلى الله أن لا يفضح شيعته ولم يخرصوا نخل الجهة التي فيها التمر فخرجوا يصلون الجمعة فلما خرجوا قال الحمد لله الآن نرفع تمرنا علانية.

[يوسف بن سديميان]

ومنهم يوسف بن سديميان رحمه الله قال أبو العباس من المعدودين في القوامين بالليل والصوامين بالنهار والداعين المستجابين، قال أبو العباس حدثني أبي رحمه الله أن هذا الشيخ من خيار أهل الدعوة من أهل دقاش، قرية من قرى تقيوس وفي آخر عمره أصيب بصره وقل ماله فلم يزد بذلك إلا رضى بقضاء الله واجتهاداً في طاعته، ويزوره أهل الدعوة يتبركون به فزاره يوماً عزابة كنومة وفيهم أخي محمد وكان حدثاً فلما سلموا عليه قال لهم من هذا معكم قالوا أكبر أولاد الشيخ سليمان فبكى فقال عليّ بولد الشيخ الحبيب، وقد توفي يومئذ سليمان، ثم أورد علينا من المواعظ والأمثال والسير ما لم نسمعه من أحد قبله، وحدثني أبو الربيع أن يوسف بن سديميان سار من درجين يريد توزر، وصحب ناساً من العرب ووجدوا في الطريق خصباً عظيماً فلم تسمح نفوسهم أن يجاوزوه ولم ترعه إبلهم فقاموا ثلاثة أيام بين توزر ونفطة فلم يصل توزر إلا وقد أذاه الجوع فأول من لقي جماعة من أهل درجين وعرفوا على وجهه لباس الجوع فأنفقوا غداءهم وغداء الشيخ من صرة معهم ينفقون ويقضون حوائجهم منها فدعا لهم بالبركة وانصرف إلى تقيوس، قالوا أقمنا أياماً ننفق من تلك الصرة ونقضي حوائجنا وخرجنا من توزر والصرة بحالها لم ينتقص منها شيء.

[سعيد بن سليمان]

ومنهم سعيد بن سليمان وأحمد ابنه، وكلاهما قدوة وإمام، لازما الطريقة وأحسنا السيرة، ولأبي العباس تأليفه المشهور بالطبقات وله قصائد كثيرة وشعره فائق، وله أجوبة بالشعر وفي الألغاز الغاز الفرائض، جمع منها أبو طاهر إسماعيل بن موسى في كتاب الفرائض والحساب جملة وله ديوان فيه قصائد ذكر في بعضها إنها أنشدتها قبل البلوغ وكتاب الطبقات يشهد له بالسعة في طول الباع في الأدب واللغة والفقه وغيرها ولولا الإطالة لأثبت شيئاً من قصائده.

[إدريس بن مفتي الوناني]

ومنهم الشيخ إدريس بن مفتي الوناني قال أبو الربيع كان شيخاً صالحاً تفوح منه رائحة المسك دائماً، وكان الناس يقصدونه ليشمونهم فيقول لهم تحقيراً لنفسه ماذا يعجبكم في صنان العبد، وبات الشيخ عند رئيس بني تجين فقال لامرأته اصنعي ضيافة ملك وارجلان فلما دخل ليأكل قالت سأنظر إلى ملك وارجلان فلما رآته قالت أن ملكهم أسود ولم تعلم أن أكرمكم عند الله أتقاكم، وذكر أن حلوا عالم من علماء المخالفين شكى إلى ابن عينة وهو من سكان وارجلان ابن أم جعفر رجل تاجر رجع إلى دين الوهيبية فبحث ابن عينة عن ابن أم جعفر، فمر بمسجد تماوط وفيه الشيخ إدريس فلما سمع قوله يسأل عنه قال لمن حوله ما فيكم من يكفيننا مؤنة هذا فقام إليه الطلبة والعزابة فضربوه ضرباً وجيعاً، والشيخ محمد التناوتي في الصمعة يقول يكفيكم فشكاهم ابن عينة إلى ولاة وارجلان واحد بعد واحد فكل يقول ابعدني فارتحل من وارجلان والأصل في سبب ذلك أجمع، أن أهل وارجلان خرجوا حجاجاً وخرج حلو معهم وحمل معه ابن أم جعفر يخدمه فرأى ابن أم

جعفر اجتهد الشيوخ في الطريق وتحفظهم وورعهم وتما صلاتهم ركثرة أدعيتهم عند العشاء وبكرة فقال أردت أن أرجع إلى مذهبكم قالوا طرابلس أمامنا ونخشى عليك وعلينا فلما جاوزها ترك حلواً ورجع إلى العزابة فلما قضوا المناسك ورجعوا إلى المغرب فلما بلغوا ملك الخزرين دخل حلواً إلى أميرهم فسأله عن طريقه فشكى ابن أم جعفر وكيف قطع به قال وما تريد قال تنهيه وإياهم فأجابه إلى ذلك وفي المجلس يهودي فخرج فأخبر ذا نواس بذلك وكان رئيس أهل الدعوة في تلك البلاد فدخل من حينه إلى السلطان فعد له قبائل مزاة وغيرهم من أهل الدعوة قال له هؤلاء لك ثم هم عليك كانوا يضربون بين يديك ثم يضربون عقبك قال لم قال للذي حدثتك نفسك به من نهب مال وارجلان قال لم يكن من ذلك شيء فلما أصبح حلوا نهضه إلى الذي اتفقا عليه قال اسكت عني يا كرش الثور فانتهره فارتحلوا وبلغوا وارجلان سالمين فهناك شكاه إلى ابن عينة ومن الله على ذي نواس فحسنت توبته .

[أبو جدروز الوشي]

ومنهم أبو جدروز الوشي وكان عالماً متقياً قيل له تزوج زوجة خالك يونس ابن سابل الواشي قال خفت أن أحركه في قبره، ومن كرامته أن بني معقل من قبائل العرب غاروا على بني واشية فعصبوا بنات الشيخ أبي جدروز فحملوهن إلى نفاوة وأرادهن رئيسهم بشيء فتخلف إليهن يريد بهن الفساد فجبّ الله ذكره، وخاف العقوبة فسار فلحق بأصحابه، ثم إن الغلطة والشیطان وقوة الشهوة حركته ثانياً بعد أن رجعت إليه مذاكرة تخلف يريدن فجبّ الله ذكره فتيقن أنهن منعن منه ثم لحق بأصحابه وقد رجع إليه وخاف على نفسه الاستيغال فلما بلغن معهم

نفزاوة سالمات الدين ضمهن من بها من أهل الدعوة وآووهن وأكرموهن، عن يعقوب ابن أبي القاسم أن أبي جدروز أخبر أن أهل درجين خرجوا إلى سوف فاسترجع وقال حدثني يونس بن سبال عن أبي صالح اليهراسني أن خروج أهل درجين إلى سوف وأهل سوف إلى وارجلان علامة انتقال الناس إلى جعراف وقال لا بدّ من اجتماع بني ياجرین من الأرض إلى وارجلان. وذكر أبو الربيع سليمان بن موسى أن أبا صالح الياجراني تبركّث بعث إلى أبي جدروز يرسل له ناقة للنسل يستنتج منها الحلال قال أبو جدروز اشهدوا أن نصف إيلي لأبي صالح وكان بعد ذلك إذا باع شيئاً منها أرسل لأبي صالح نصف الثمن ولأبي جدروز فضائل ومناقب فلتطلب . .

[سليمان بن أبي صالح وآخرون]

ومنهم الشيوخ الثلاثة أبو الربيع سليمان بن أبي صالح الياجراني وسدري بن سليمان وعمران بن زيري تقدّم أن أبا صالح قال إذا نظرت إلى هؤلاء الثلاثة علمت أنني أحتاج إلى التوبة، وقال إنما أسأل عن ابني صالح وأما سليمان فقد رضي عنه المسلمون وكانوا يقولون سيروا بنا إلى زيارة الأخيار وأما هذا الشيخ يعنون أبا صالح فلا يتغير ولا يتبدل ولو سكن بين المشركين وكانوا غاية في العبادة والزهادة وزيارة الإخوان والمعاونة على البر، ومن ورع عمران أنه بعث مع رجل حمل تمر إلى البادية للبيع وفيه تمر خال فأخبره به ليخبر به فلما رجع سأله هل أخبر بذلك التمر قال لا فأخذ تليسه وترك الثمن، وعنه إنه أعطى أبا عبد الله اتبن بكر عراق لحم ليأكله فنأدى سائل اطعمونا الله فأخذه من يد أبي عبد الله لا يفعل هذا غيره مدحاً له ورأى خرقة في الطريق وأخذها ليصر بها دراهم معه ثم ألقاها تحرجاً، عن ابنه نوح أنه قام مرة وفي يده صرة

فسقطت من يده فقال له نوح خذ صرتك وأبى، خشية أن تكون لغيره، وقالت له امرأة أنا من ذوي محارمك قال اجعليني في حل ممّا ضيعت عن حقك، وزار في جماعة جربة، فبلغوا المسجد الكبير صلاة الظهر، فخرج أبو زكريا فتهيأوا لمعانقته فقال عمران لا يفعل ما لم يصل فكان الأمر كما تفرس فلما صلى عانقهم وسلم عليهم، وقال مرة لأصحابه سيروا بنا إلى زيارة الأخيار فساروا إلى أريغ فقال سيروا بنا إلى زيارة الأخيار فلما بلغ جربة ولقى أبا زكريا وأبا صالح ونحوهما قال هل رأيتم الأخيار، وسمعت أمه وهي تمشي خلفه وهو يقول ما أحسن رجالاً رأيت وأي رجال رأيت قالت له من هم قال أهل جربة وكان يقول لنوح زر الأخيار الذي لا يزور الخيار كالجرو الذي لا يفتح عينيه.

[سعيد بن إبراهيم]

ومنهم سعيد بن إبراهيم وابن أخيه يوسف بن ونمو ومن أحسن أخبار سعيد، قال أبو الربيع باع رجل غنماً بستين ديناراً فأودعها رجلاً من أهل قنطرار حيث يسكن سعيداً فغاب زماناً ثم رجع فقصد سعيداً فقال أعطني أمانتي قال وكم هي قال ستون ديناراً ثمن غنم فأعطاه ستين فلما اجتمعت الناس إلى الصلاة وصلى قال عند من أودع هذا أمانته قال رجل عندي فقال للرجل عندي أودعت أو عنه هذا قال عند هذا فأخذ أمانته وأعطى للشيخ ماله، واصطاد الشيخ يوسف في صغره دجاجة فأتى بها زوجة خال سعيد لتطبخها للشيخ فلما حضرت قدمت له فطوره وعليه الدجاجة قال لها من أين قالت ابن أختك اصطادها فصار يكرر يا خيرتي ويا رزقي، يصير صياداً حتى خجلت ولم يأكلها، قال الشيخ يوسف فما عدت اصطاد، ومن حسن خلقه قال إذا أساء إليّ أحد فلا أجد صبراً دون أن أحسن إليه، وجحد رجل في دينار فجاز عليه وأعوان السلطان

قد أخذوه في دينار فأعطاه لهم فأطلقه من أيديهم، فبعد أيام أتاه الرجل بدينارين واعتذر له أنه جرده لعدم ما يعطيه فقبل عذره، وصادف يوماً أعوان السلطان أخذوا امرأة فقال في أي شيء أخذتموها قالوا في كذا وكذا قال خذوه وأطلقوها فأبوا فصاحت يا للمسلمين فأخذ سلاحه فحال بينهم وبينها فقال أصحابه بئس ما فعلت بنا ولم يكن إلا هنيهة فإذا بأصحاب السلطان مقبلون قالوا أجب السلطان فلما بلغه قال ما حملك على ما فعلت قال صاحت يا للمسلمين وقد طلبتهم أن يأخذوا ما مسكت فيه فأبوا وقص عليه القصة فكف الله عنه شره فقال للعبيد انصرفوا ما قامت السموات إلا بمثل هذا وتأسى في ذلك بفعل محمد بن يانس النفوسي وقد تقدم، وأما أبو يعقوب يوسف فقد ذكر أنه من الأبدال السبعة الذين ذكرهم أبو العباس الويليلي وكفاك به شهرة وتعريفاً وصلاًحاً وقبل صالح بن محمد.

[يحيى بن بيدير الوسياني]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن بيدير الوسياني وكان شيخاً عالمًا قدوة، قال أبو عمرو قرأ أبو إسحاق ابن أبي العباس كتاب المواعظ على أبي زكريا قال أبو زكريا أعياناً الثالث قال ما هو قال أن يخالف العمل اللسان الذي يصف والقلب الذي يعلم وطلب قوم عزابياً إلى أبي محمد ويسلان قال عليكم بأبي زكريا يصلح لنوازلكم ومصالحكم، قال أبو زكريا إن استندت على هذا يعني أبا محمد قال ابن محمد نعم فقعدوا وأحى السير وأصلح الفساد وجمع أمورهم حتى لحق بالله، وأرسل مرة عشرين شاة لحلقة أبي الربيع وقال اشتروا برؤوسها وجلودها لحماً للحلقة، قال أبو الربيع قد شمر يحيى وجدّ.

[يوسف بن نفاث القنطاري]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن نفاث القنطاري النفوسي رحمه الله، وذكر أبو عمرو رحمه الله أن يوسف بن نفاث جاز على بني وليل من قنطار متوجهاً إلى وارجلان في أيام هاجر فيها أبو عبد الله سدراتة وعملوا له ما عملوا فلما بلغ وقضى وطره من وارجلان وقد علم أن ملامة الشيخ لازمة له فأخذ البكرات في طريقه وتجنب حريم أبي عبد الله فضل عن الطريق وتعسف وتاه حتى كاد هو ومن معه يموتون عطشاً فما شعروا إلا وهم بتين يسلي فما اخطأوا مغارة الشيخ أبي عبد الله فأضافهم الشيخ وأحسن القرى وقال أبو يعقوب أرانا الله قدرته ثم أرانا حلمه ثم توجه إلى بلده بعد الراحة فأتبعه الشيخ كتاباً عاتبه فيه وفيه:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ فِيكَ رَجِيَّةً تُرْجَى لَصَرْفِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ
أَوْ فِيكَ لِلْإِخْوَانِ أَمْرٌ يُرْتَجَى فَأَرَاكَ لَا شَيْءَ مِنَ الْإِخْوَانِ
رَاحَتْ فِرَاسَتُنَا وَخَابَ رَجَاؤُنَا شِمَتْ الْعِدَاةُ بَنَا مَعَ الْأَقْرَانِ

فلما قرأها أبو يعقوب قال لا شيء من الإخوان وصار يكررها، وذكر أبو نوح أن يعقوب مات شهيداً في جملة الأشياخ الذين ماتوا بدرجين كمحمد بن سدرين وعبد الله ابن أم أبان وغيرهم من الشيوخ الأبرار وذلك أن المعز بن باديس أرسل إليهم جيشاً مع قطار فحاصرهم فقالوا له فيهم رجلان إن أصيباً لم تفلح وهما نفوسيان أبو يعقوب وابن أم أبان فأعطى لها الأمان أن يخرجوا فدلوا عبد الله فلم يصل الأرض إلا وقد سلب من ثيابه ولم يبقوا عليه إلا إزاراً فقال ارفعوني فردوه فقتل فيمن قتل يومئذ وهم ألف وخمسائة، وذكر عيسى بن سجميمان وغيره أن العزابة اجتمعوا فأجروا بينهم ثلاثمائة مسألة من الرخص، وهم يوسف بن نفاث، ويوسف بن سهلون، وأبو سليمان داود ابن أبي

يوسف، وسعيد بن يخلف المدوني ومن شاكلهم ونسبوا كلها والمذكور منها أربع مسائل. توبير النخل بالعرجون ولا زكاة فيه على صاحب النخل، والمرأة تعطى لها الزكاة إذا قطعت بل قعدت على أولادها، وينفع من جعلته في حل في مال اليتامى ولو لم تكن خليفة، وينفع حل الشريك لمن عليه تباعة ولو اقتسموا، ويجوز أن يقدم في الصلاة أهل الجملة إذا لم يظهر ما يتبرأ منه به..

[سعيد بن يخلف المادغسني]

ومنهم سعيد بن يخلف المادغسني رحمته الله وذكر أنه عبد سخي خارج زكي وهو من الأبدال، ومن عاداته إذا صلى العتمة وما قدر الله له خرج إلى باب المسجد فينادي هل هنا ضيف إياكم وأن يبيت أحدكم طاوياً، ونادى ليلة فلم يجبه أحد فدخل يبحث عن الأضياف فإذا بمصل قال أنت ضيف؟ قال نعم، قال سر معي، فلما بلغا قال لزوجته زیدی الطعام وأعطها شعيراً لأن الشيخ كان مقللاً وقد استقل الطعام فأخذ في أكل الحاضر حتى يحضر الغائب لما رأى عليه من سمة الصالحين فنى الطعام تحت أيديهم قال زوج الشيخ كنت أسارقه النظر فإذا رفع يده جرى مخه إلى المرفق وإذا هوى بها إلى الطعام جرى إلى الأنامل فأشبعهما الله من ذلك الطعام وبقيت منه فضلة أعطى منها جيرانه وبقي منه إلى غد ولم يفرغ لهم زيت من البطة التي جعل فيها الزيت ولا الشعير من القلة التي أخرج منها الشعير عامة سنتهم على كثرة معرفته، وأعطاه ما يتدثر به من البرد فخرج الشيخ إلى المسجد للصلاة فسأل عن ضيفه فلم يقف له على أثر فرجع إلى بيته فإذا كساه على خيمته ولم يدر أتدثر بهما أم لم يحملها وكان سأل من أين أقبل قال صليت المغرب بمسجد فتيان، صلى بنا رجل صالح وصادفني نداؤكم للعتمة عند مصلى

المقبرة فوجدت سرت جعراف، وسأل عن الرجل الذي صلى بهم تلك الليلة المغرب فإذا هو يوسف بن موسى الدرجيني ثم رجع سعيد فأخبر الشيوخ بقصته فقالوا له أخبرتنا سألناه عن كثير من المهم فبحثوا عن أثره فإذا هو عند مصلى المقبرة، وآخر في سبخة عبد السلام بن وزجون فابتدروا غرسها فجاءت غاية ببركة الصالح، وأعلم أن جعراف أكثروا فيه القول أين هو ومتى سيكون في آخر الزمان لأن جعراف يسكنه الصالحون وأهل الدعوة في آخر الزمان وإن ما به حلال صرف محض فمنهم من قال هو أجلو ومنهم من قال غير ذلك وذكر غير واحد من الحفاظ أن صبية صغيرة من بني ينجاسن أخذها الجنون فقالوا اترك هذه المسكينة الضعيفة قالوا لا تقولوا مسكينة ضعيفة فإنها زوجة ملك جعراف فقضى الله فتزوجها أبو عبد الله محمد بن بكر في أجلو.

ومنهم الشيخ يخلف بن زكريا المادغاسني والد سعيد المذكور..

[يحيى بن عيسى العباسي]

ومنهم يحيى بن عيسى بن يرزوكسن العباسي ويكتبون يرصوكسن بالصاد في موضع الزاي وتقدم التعريف بأبيه وإنه من هاشم من ذرية العباس بن عبد المطلب، وأبو زكريا معدود من الأبدال الذين ذكرهم أبو العباس الويليلي على ما أخبرته زوجته من حور العين حين نزلنا عليه، وذكر أنه اختلف مع أبي محمد عبد الله العباسي أخيه وتقدم أن أولاد عيسى يحيى وعبد الله وداود في اليهودية والنصرانية هل ذمّا بعد أن غيرتا أو من الأصل فبلغ قولهما أبا يحيى زكريا بن أبي بكر بن سعيد اليراسني فوافق أبا محمد أنهما ذمّا بعد أن غيرتا وكفى في تعريف أبي محمد وأبي سليمان التعريف بأبيهم، وذكروا عن أبيهما عيسى، لقي يوماً الشيخ أبا العباس ابن أبي الله مقتعاً غير متلح فزجره فقال يضرني في

غلصمتي والغلصمة رأس الحلقوم قال ليتهما ذبحت وأخبر أبو العباس بهذا في المجلس ونظر في العزابة فرأى جابر بن حمو لم يتلح فأشار إليه بالسبابة والوسطى أنه يستاهل ضرب العنق، ولهم في الاقتعاط تشديد وهو ترك التلحي، وذكر أبو سهل وأبو نوح عن أبي عمار أن رجلاً من يهراسن أورد غنمه بتباكلت موضع على جربة فأدلى دلوه فتعلق به رجل وسيم جميل أبيض نقي الثياب فانصرف بعد أن طلع فتبعته الغنم فنادى اليهراسني اردد عليّ غنمي فأشار إليها فرجعت فسأله لما تفرس فيه الخير والصلاح ما خير المذاهب قال الوهبية ثم تعمم وتلحي فقال هذا لباس المسلمين ثم تعمم ولم يتلح. فقال هذا لباس الشياطين ثم تعمم وترك وسط رأسه ولم يتلح، فقال هذا لباس الزنادقة، ثم ذهب ولم ير له أثراً، فظنوه الخضر، وعنهم من صلى مقتعطاً، عليه البدل، وحكى فيها أبو خزر رخصة ثم رجع عنها والشيخ عيسى ممن أدرك أبا يعقوب الطرفي ولعل الزجر من بعض بنيه أو طال عمره حتى أدركه أبو العباس.

[يونس بن وزجين الوليلي]

ومنهم الشيخ أبو القاسم يونس بن وزجين الوليلي كان معاصراً لأبي عبد الله بن بكر وصديقاً مصافياً وتقدم خبره أن أبا عبد الله حين أراد الانتقال إلى أريغ أرسل إلى أبي القاسم أن يحفر له غاراً وذلك عام تسعة وأربعمائة وأن الشيخ عبد السلام تزوج ابنته، ثم زار قومه وتعلقوا به وزوجوه فأراد مفارقة ابنة الشيخ فأراد أن يقضي لها ما تحمل لها وأبا أبو القاسم وقال إنما اجتمعنا وجمعنا دين الله فأبرأته من حقوقها ولأبي القاسم فضائل كثيرة، وذكر أبو محمد سدرات بن مسعود أن أبا القاسم حفظ من الكتاب أن من غرس سبع فسائل من حلال في حلال حتى أخذن، إن كل واحدة تسد عنه باباً من أبواب جهنم..

[يعقوب بن يونس]

ومنهم ابنه يعقوب شيخ تقي عالم حزم وكان أيضاً صديقاً لأبي عبد الله تقدم سفره إلى وارجلان ولم يقف على الشيخ يوسف ابن سهلون وعابه أبو عبد الله ورجع بقصد الزيارة وذكروا أن أبا عبد الله أرسل إليه مرة رسولاً فقال تجده في جناحه لأن نوبة الماء عنده فأتاه الرسول فقال أجب الشيخ فلما وصل إليه قال أبو عبد الله لعلك فزعت قال ألا يفزع المذنب المسيء قال بعثت إليك لأبيح لك بأمر في نفسي وهو أن يسجأ بن منصور رأى بيدي سكيناً قال لم مسكتها أترى هذا الكلام يفهم منه أن احتذر لأن المرء إذا بث خبره وسره لحبيبه طرح عن نفسه شطر ما همه ثم قال قم إلى جنانك، وسبب حذر أبي عبد الله أن الفتنة تحركت بين الوهبة والمالكية وروى أبو يوسف يعقوب عن أبي محمد بن فامر أنه يوصى من مر به بمسائل أن لا يسبقكم كلاب الحي إلى الأضياف إذا قصدوكم واذبحوا الشاة الكبيرة لأن الصغيرة إذا بقيت تعود كبيرة وإذا قصدتم موضعاً فطلبتم إلى المبات دونه فبيتوا لأنكم لا تدرون ما أماكم ..

[كموس الزواغي]

ومنهم أبو محمد كموس الزواغي، دخل عليه يونس بن أبي زكريا قال له بادرني بأبيك فإن الشيطان يخاتلني آخر عمري فأتى به مسرعاً فلما دخل عليه قال أغثنى، إن الشيطان يقول لي كيف ربك أين هو؟ قال أبو زكريا كلما تكيفه نفسك ويخطر ببالك فهو صفة الخلق والله منه بريء، فلما تفهم ما قال له زال ما به وذهب ما يجده، وأحضره أبو محمد لحماً لعنز بايتاً، وكان أبو زكريا صائماً ولا يأكل لحم البائت ولا لحم الماعز، فامتنع من أكله كل الامتناع لذلك قال أبو محمد سألتك

بالله أن تأكله فأكله على أنه يضره لكن أراد موافقة قلب الشيخ فصرف الله عنه الأذى فتمادى على أكله آخر الدهر فلما نام في الليلة المقبلة رأى في منامه قائلاً يقول له موافقتك لقلب الشيخ خير من عبادتك سنة، وروي عن بعض مشايخ الجبل قال أدركت بالجبل اثني عشر شيخاً مستجابين الدعاء فما رأيت مثل اجتهاد الزواغي يعني أبا محمد كموس، ورآه بعض العزابة متقلداً سيفاً معلقاً مصحفاً قال لم فعلت هذا قال طمعاً في السبيل المستقيم أي الهدى، وهو شيخ كبير ومات شهيداً رحمة الله عليه وللشيخ أخبار وعبادات وأحوال تطلب في الكتب المبسطة . .

[عبد الله بن يعقوب الواغلاني]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن هارون الواغلاني كان عالماً متقياً حاكماً عدلاً أوتي الحكم صغيراً وتمادي حتى هرم كبيراً، وزار مشايخ طرابلس أهل المغرب فلما وصلوا وغلانت وجدوهم قدموا عبد الله بن يعقوب قاضياً وهو حدث لسن فنقموا على مشايخ وغلانت فعلهم لعدم تدريبه وتجريبه الأمور، قال لهم مشايخ وغلانت أجزكم الله في نظركم للإسلام وأهله وتفقدكم لما يصلحه ونصحكم لإخوانكم ولكن عذرنا أنا تفرسنا الخير في هذا الفتى ورأينا الأمور سترجع إليه فقدمناه في حياتنا لنهذه ونقومه ونعلمه كيف يرتق وحيث يرفق ونبصره تصارييف الأمور ومفاصلها ونوطنه على احتمال الأذى والصبر والحلم فصدق تفرسهم فيه وكان حازماً عالماً فلم يؤخذ عليه شيء ولم ينقم عليه حكم حتى ترك الأمور كبيراً وهرماً وضعفاً وانعقدت الألسن عليه بالثناء الجميل وبتمام العدل في أيامه يجنى الكمات من كدية البنيان وبينه وبينهم سوط فرس أو نحو ذلك يعدون منها بالحمال بعد الأحمال وكفاك أنه ذكر أنه من الأبدال السبعة وقيل يوسف ونمو . .

[موسى بن سدرين]

ومنهم أبو عمران موسى بن سدرين كان شيخاً مشهوراً حافظاً
محافظاً ذكر الشيخ أبو نوح أن أبا عمران جعل عريفاً على الختمة ويطلع
في صومعة الشيخ أبي خزر فإذا أبصر بزوغ الشمس نادى الختمة فلا
يصل إلى موضع الختمة إلا والمجلس قد تم فيختم ويدعو وكان أبو
عمران في عصر أبي نوح وجنون بن يمران وتقدم بعض أخباره ضمناً . .

[هارون بن موسى]

ومنهم ابنه هارون كان عالماً متقياً ألف كتاباً طلبه عنده جنون بن
يمريان وأعجله السفر وتركه في الألواح وهو حمامي من بني ويسيان،
وذكر أبو نوح أن الشيخ أبا موسى هارون بن أبي عمران مر على الشيخ
أبي صالح جنون بوارجلان فطلب أهل وارجلان أن يقعدوا حلقة تلاميذ
قالوا إن أمر الحلقة شديد وحقوقها كثيرة ولا نطيع القيام بأمرها وأتوه
بمائة دينار وأبى لهم من أخذها ثم عزم على السفر إلى غانة وكتب إليه
أبو عبد الله بن بكر أن يترك السفر ويدعه فإن في بلاد أهل الدعوة خير
الدنيا والآخرة فأجابه بقول عروة بن الورد:

فسر في بلاد الله والتمس الغنا	تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه	شكى الفقر أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأذنين كلا وأوشكت	صلاة ذوي القربى له أن تنكرا

فكتب إليه أبو عبد الله إن ادع السفر إلى تلك الجهة فما أغنت عن
فلحون بن إسحاق حتى مات فيها فذهبت نفسه وعمله وكتب إليه قول
القائل:

وليس بزائد في الرزق حرص وليس بمانع منه التواني

فتوجه إلى تلك البلاد وترك رأي أبي عبد الله فلما وصلها خرج إلى اغياروا فوجدهم عراة فلزم بيته حتى مات فيها رحمة الله عليها.

[محمد بن تامر]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن تامر، روى بعضهم بامر بالباء الموحدة من أسفل أو بالتاء المثناة من فوق التناوتي يسكن نفزاوة وهو شيخ فاضل عالم تقي وممن أصلح الله له زوجه طوست وابنته زينب، وذكر أن طوست أوصت ابنتها حين جهزتها أن تقتدى بها قالت ما نمت حتى أصلي خمسين ركعة، ولم يرني والدك عابسة قط، ولم تصدر مني كذبة قط إلا مرة واحدة، وهي أن قلت لأبيك وقد سألتني أعلفت البلغة وقد تعب وهو صائم ولا يفطر حتى تعلف مطيته وقدمت له فطوره قلت نعم وزدت للبلغة في علفها وآتيتها به فقلت اجعليني في حل فيما كذبتُ عليك وقد زدتك في علفك فأومت برأسها شبه من يقول أنت في حل، وكانت أم خليفة تخدمها وهي حشوية فأجاب الله دعاءها فأبصرت الإسلام فرجعت إلى أهل الدعوة وكانت من خيار المسلمين ولها رفيق قاده الله إليها يحفظها وينبها إذا غفلت وقيل لما أبصرت الإسلام أخذت العبادات والورع والتقوى حتى كانت لها كرامات، ومن جملتها أن ابنها اشترى شاة فلما دخل بها الدار صاحت قالت لولدها أخبرني الشاة إنها حرام فردها ولدها إلى بائعها فأقر أنها خليطة على راعي غنمه، وخشي أن تظهر عنده فيمسك في غيرها، وذكر أن رفيقها قال لها لا تموتين إلا في جعراف فوصفه لها فحملها ولدها فكل موضع نزلته لم تجد ما وصف لها حتى أتت أجلو فوجدت الوصف وفيه ماتت، وذكر أن عبد الله بن المنصور أخا سيد الناس زار الشيوخ ذات مرة في نفزاوة فشكى إليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن تامر عبداً لبني خزر وهم يومئذ

أمراء نفزاوة قد آذاهم وثقل عليهم يتسنى الحيطان ويتسور الجدران
ويكسر الأبواب ويدخل بغير إذن فقال عبد الله كفيتموه فدعاه وقد حفر له
مطمورة وعليها حصير وظن أنه دُعي إلى طعام فلما استقر به المجلس
سقط في المطمورة فقتله فمنَّ الله على الفاعل بالتوبة وقيل الفاعل أخوه
حمزة، وذكر أن المعز بن باديس استعمل قائداً على قابس فوقع له محبة
في غصب البساتين فكل ما وليه منها غصبه فأدرك بستاناً لبعض الأشياخ
من أهل الدعوة فرعاه فقال له لو كان لغيرك لعمل عادتي ولكنك لست
كغيرك فبعه لي بأقصى ثمن تشتهيه فامتنع ولاطفه الشيخ وأبى إلا أخذ
البستان ويعطيه ألف دينار فأبى الشيخ وألح عليه فقال لا يجوز لي أخذ
مالك فغضب فقال البستان أخذته بغير شيء واذهب إلى المسجد الفلاني
لبعض مساجد الوهبة بقابس وادع الله عليّ فيه في هذه الليلة، وكانت
ليلة الجمعة فقال الشيخ نعم ففعل العزابي ما قيل له فلما أصبح ذهب
وركب زورقاً متنزهاً في البحر فسمع هاتفاً يقول:

أَتَزْهَدُ فِي الدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ تَأْمَلُ فِيكَ مَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ قَاتِلَةٌ وَلَكِنْ لَهَا أَمْدٌ وَلِلْأَمْدِ انْقِضَاءُ

فقال لأصحابه ارجعوا بنا فرجعوا إلى سيف البحر وساحله فإذا
رسل من المعز بن باديس فأمرهم بقتله فقتلوه وحملوا رأسه ورموا
بجسده في البحر ورجع الشيخ إلى جنانه وكفى الله المؤمنين شره..

[محمد بن سدرين]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن سدرين هو من المشايخ المسلمين
والأئمة المذكورين من بني ويسيان قال رحمته الله بينما أمشي في الساحل إذ
رأيتُ الناس بين داخل وخارج في دار فدخلت فرأيت رجلاً يعطي كل

من دخل ديناراً فأعطاني ديناراً فخرجت فعاتبْتُ نفسي فرجعتُ فقلتُ
لستُ على مذهبك فتبسم وزادني ديناراً..

[محمد بن الخير]

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الخير وابنه يحيى بن محمد
وتقدم التعريف بابن ابنه، فلفول بن يحيى وهو من بني ينجاسن وأبوه
الخير من محمد وعماه أخوا الخير وبالجملَة أنهم أهل بيت اشتهروا في
العلم والصلاح والأمر والنهي، وذكر الشيخ أظن أبا الربيع أن عدو الله
حماد بن بلغين لما نزل على كدية مغراوة بجنوده وكانت كثيرة وقف
رجل صباحاً ليراها وهي تمر عليه متصلة إلى صلاة الظهر من كثرة
عددهم فحاصر أهلها وذكر له أن الخير وأخويه رجال صالحون حجاج
فناداهم مناديه أن اخرجوا بالأمان ونادى الضعفاء ومن لا استطاعة له
فلم يخرج أحد فقاتلهم محاصراً نحو شهر فما أتاهم مدد فأخذهم قهراً
إلا برجاً فيه عبد الله ومسعود ابنا المنصور الورزماري فقاتلا أياماً
العسكر بأجمعه فقتل مسعود وأضرمت النيران إلى البرج فرمى عبد الله
بنفسه من البرج خارجاً فمضى وامتنع ونجاه الله منهم وأخذ حماد ابنه
وحمله طمعاً أن يكون كأبيه شجاعة ونجدة وجرأة، قال أبو عبد الله
محمد بن الخير وكنت يومئذ صغير أو كانت محضرة الصبيان خارج
القصر نخرج إليها ونتعلم ونرجع ولا يتعرض لنا أحد بسوء وليس معنا
من التمر إلا زنبيل فخاطه أبي ولم يترك فيه إلا مدخل يدي وكنتُ آخذ
منه وحدي، وجاء أبو محمد زائراً لشيوخ تينوال ومكث ثلاثاً لم يسلم
عليه أبو محمد عبد الله لاشتغاله بضيعته ثم أتاه وسلم عليه قال الحمد لله
الذي أشغلك عنا خدمة الحلال ثلاثاً.

[نَزْوَرَّاس بن يوسف وآخرون]

ومنهم الشيوخ الأتقياء السادات الفضلاء البررة الأتقياء نَزْوَرَّاس بن يوسف وابنه أبو عبد الله وولده أبو يحيى زكريا رحمهم الله، قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر عرض محمد بن الشيخ نَزْوَرَّاس على أبي محمد ماكسن لوحه وأنا بينهم انظر في كتاب فأصغيت إليهما فقرنا ﴿فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ فتبسما فقلت لم تبستما قالا فائدة وهي أن الرجل إذا أخذ شهادة مع آخر فنسى وذكره صاحبه فتذكر بعضها أنه يمضي على قول صاحبه ويشهد بها، وروي عن الحسن أبي الحسن البصري نسي شهادة أخذها مع أخيه سعيد فذكره أخوه قال أخذناها في موضع كذا فاقتدى بأخيه فشهد فتذكر ذلك الحسن بعد ذلك..

[سال]

ومنهم الشيخ التقي الورع ذو الكرامات المحققة والفضائل الساطعة، سال، خاف مقام ربه ورفع درجته، وذكر أنه رأى ليلة القدر من مسجد أجلو فضاءت الأرض فرأى ديبب اليرابيع في الرمل، وضربوا الوتد في ذلك الموضع في علامة وكانت العزابة يقرأون فحس بسكوتهم فقام فإذا هم رقود والنور ساطع من فم إسحاق بن إبراهيم إلى سقف المسجد فأخبره ودعوا الله ورغبوه وحمدوه، عن الشيخ عيسى بن حمدان قال قال الشيخ سال، رأيت لعدل ابن أبي يحيى في الجنة بستاناً أطول ما بيننا وبين وارجلان، ومما روى عنه قال سمعت النخل يدعو على واگران بن سبع أيام نهب بني ويليل فأخذه الله، ومما روى عنه أنه قال شعير الحسن مقبول لأنه علفه عن طيبة نفس، وأما ذرته فلا، وذلك أنه علفها قبل إدراكها وهي صغيرة فلم تطب له نفس بها، وسمعت وأنا صغير في محضرة شيخنا أبي نوح صالح بن نوح سماعاً فاشياً أظن أنه

منه أو من غيره، أن بناته رجعن ذكوراً وكثر ذلك في أسماعنا وأنه يرى ويعلم العلم اللدني وعنده علم المكاشفات، والذي ذكر الشيخ الحافظ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي في جواب الشيخ أبي عبد الله محمد بن الخطاب، ونقمتها عليه الشيعة والروافض بأن قال لو مسخ الله رجلاً أنثى أو رد أنثى رجلاً لكان لأهل العصر في محدثاتهم أحكام وقد نزلت هذه المحدثات في زماننا، منها اليهراسني الذي جعلت صباياه ذكوراً وقصته مشهورة، والمعروف بعيسى أن مسخ سُبُعاً من أهل الزاب وله قصة عجيبة، والرجل الممسوخ أنثى في بني مصعب ولم يبين قصة اليهراسني فإن كان سال يهراسني فعله هو وإن كان غير يهراسني فعله قصة أخرى ويهراسن من خيار أهل الدعوة..

[علي بن مجبر]

ومنهم أبو الحسن علي بن مجبر وسبب توبته أن طار عليه ودك من لحم جمل يشوونه فأحرقه فقال لأصحابه انظروا ما فعل بي هذا ولم أطق صبراً فكيف بنار الآخرة أشهدكم إني تائب إلى الله، فرد تباعته ومظالم العباد، وكان قتل رجلين فقاد نفسه إلى الأول وقال قيدني واغلل يدي بالعمامة وانجز الذبح ففعل الرجل ولم يقطع السكين شيئاً قال أعييتني، ثم جر السكين فلم يصنع شيئاً فصاح اذبح ذبحاً جيداً ثم ثالثاً فلم يقطع فقال قم ما أراد الله قتلك فأعتقه كذا ذكر أبو طاهر إسماعيل بن يزيد، ثم ذكر أنه مر إلى ولي المقتول الآخر فأعتقه فانفق ألف دينار واثنني عشرة ألف روية تمرأ، وكسر دجاجة رجل فسأل عنه فقيل مات بالموضع الفلاني وترك ولداً في أودغسيت فسافر حتى بلغه فدفع جملاً في تباعة الدجاجة فرد إليه جملة وأعطاه مائة دينار وثوراً لضيافته وخادماً تخدمه، وذكر أبو طاهر أن جاور بمكة زادها الله شرفاً فاحتاج وتقوى به

ضرر الجوع فطلب الميتة وابتدأ بالطواف فخرج في طلبها فجعل له رجل ديناراً في يده فرده له ثم رده الرجل فرده أبو علي فخرج واضطجع فأثاه الرجل فقال له لم رددت الدينار قال أنت أحق بمالك فأعطاه له صدقة فصرفه فأخذ طعاماً فأكل حتى شبع فتصدق بالباقي فبلغ إليه الجوع مرة أخرى فاضطر إلى الميتة فخرج يبتغيها فإذا الزقاق دنائير ودراهم فأخذ درهماً واحداً وترك البقية، وذكر أبو طاهر أنه سافر من قسطلية مع رفقة قاصداً وارجلان فحمل رجل عنه كتبه إلى بعض الطريق ورمها له فأخذ سقراً منها يقرأ فيه فمر به رجل بجمل أعرج تخلف عن الرفقة فحمل كتب الشيخ فزال ما به من العرج والعياء بقدرة الله فبلغوا الرفقة فنزلت الرفقة فمات جمل الرجل الأول قتله جمل آخر فأخذ الرجل صاحب الشيخ من لحمه بدينار بأمر الشيخ وهو النصف فأخذ منه ما ينوبه وترك الباقي فقسموه فطلب ديناره هناك فقال يعطيني الله فأعطيك فأبى إلا تلك الساعة فضرب الشيخ بيده في الرمل فأخذ ديناراً فأعطاه له فقال لا بد أن أزنه قال الناس أترى الله يعطيه ناقصاً فوزنه فزاد ورجح فقال صاحب الشيخ نأخذ رجحانه فأبى، الشيخ أبو طاهر، قعد في مسجد جنون بن يمریان فسأل سائل فقالوا له يفتح الله عليك فأعطاه كساه وبقي في جبة ثم أتى آخر فلم يعطه أحد شيئاً فصار يجمع التراب على نفسه ليعطيه جبته قال أبو عيسى أخوه أدركوا المجنون قبل أن يبقى عرياناً بينكم فمنعوه من نزع جبته فضرب بيده في التراب فملأها مالاً فقال انزعوا لي هذا أيضاً، وذكر عنه أيضاً أنه ينفق كلما وجد فقال أترك أولادك فقراء فقال المتقي منهم لا يضيعه الله والعاصي لا أبالي ما وجد وهذا الجواب قال به جماعة من أصحابنا وهو قديم أظن لعمر بن عبد العزيز . .

[عيسى بن مجبر]

ومنهم أبو موسى عيسى بن مجبر أخو أبي الحسن كان ممن ساد في العلوم واشتهر في الصلاح وهو ويسيانى وذكر أنه يفتي أن من لم يفرز مذهبه كما يفرز بيته من البيوت في ليلة ذات ظلمة وريح لم يعرف دينه فرد قول جنون بن يمرى أن عندنا من لم يعرف ذلك ولو قال للماء أجمد لجمد ويعني بذلك الشيخ المستجاب وذلك أن أبا عيسى لما أفتى بذلك قال له أبو صالح لم تقول ذلك وهنا في وارجلان من لا يقوم بذلك ولو دعا الله على ماء وارجلان أن يجمد لجمد وإذا قرأ قال كل هو الله أحد، وهذا الشيخ من أهل تاغيارت وذلك أن هذا الشيخ وقف لنوبته من الماء فلما أكملها لم يحضر من يصرف ماء غيره فقال للماء حجرت عليك أرضي فرجع الماء وتراكم حتى أصلح مجاريه لصاحبه وقيل جمد وهو الذي يعني أبو صالح جنون..

[وسلى الأعرج الويسيانى]

ومنهم أبو محمد وسلى الأعرج الويسيانى كان نكاريًا فأبصر الإسلام ورجع إلى مذهب أهل الدعوة وكان فاضلاً تقياً من خيار المسلمين ثم دخله الشك فيرى أن النجس وصله ولم يصله ويغتسل ويرى أنه لم يتطهر، وكان أبو صالح بن القاسم أراد أن ينزع منه ذلك فيقول له إذا حضر الطعام فكل فيقول شككت في يدي فيقول سم وكل، فيقول لم أغسل يدي، فيقول امسحها وكُل، فيقول نجست بالبول فيقول له قلت لك امسحها وكل..

[يخلفتن النفوسي]

ومنهم أبو سعيد يخلفتن النفوسي واسم أبيه أيوب وهو نفاشي المذهب أي من التابعين نفاث بن نصر وأمه وهبية وإذا سأله أمه، أي

العزابة أفضل؟ وهو صغير فيقول عزابك لأنهم إذا ضافوها حفلوا بالولد وضاحكوه وأعطوه قطعة لحم وإذا ضافوا النفائثة أباه لم يلتفتوا إليه، فلما كبر قام عند أبي الربيع بتنين بضم التاء وكسر النون ثلاثة أعوام، ثم انتقل إلى تماوطت فأقام بها حتى صار آية في العلوم وكان أحد الذين ألفوا الديوان، قال أبو عمر وهو كبير فقيه رواية لمن تقدم، ولما بلغ العزابة موته تذاكروا ما حفظوا عنه فإذا هي سبعون رواية عن أبي عمر وعن أبي زكريا يحيى بن زكريا بن فصيل الزواغي قال كنّا نأكل في الساحل في شطيانة اسفنجا فرفع الشيخ يخلفتن يده ونظر إلينا أن نرفع أيدينا فتماديت أنا وإسحاق ابن أبي العباس فمد يده إلى المنديل فرفعه من بين أيدينا وقال كم يشتهي، ومرض مرة إسحاق وقعد خلفنا ونحن نأكل فأعطاه بعضنا لقمة كبيرة فقال الشيخ جعلوك جملاً لأنه لا يمد لمن خلفه إلا ما يضع في فمه مرة، وروى أن شيخه أبا محمد يزور الطلبة ليحرضهم على الدرس والعزم وذكر أبو عمران عن أبي سعيد يخلفتن قال طلعت ذات سنة حلقة زوار لأهل الدعوة ومفتقدون أحوالهم من أهل أفريقية وتلك النواحي وكانوا في نحو المائتين تلميذ، وكان عامُ قحط وجذب وسمع بهم من في البادية فقال فتى مزاتي لحيه وهو فيهم مطاع، أردت أن تقضوا حاجتي والكلفة عليّ أن تمنوا عليّ بأن تضيفوهم ففعلوا وأنزلوهم منزلةً حسنةً، وأجرى عليهم الفتى في كل ليلة عشرين قصعة وفي كل يوم كذلك على كل قصعة شاة موفرة فلبثوا عندهم ما شاء الله وهو ملتزم بهم، فلما علموا أنه أجرى عليهم ذلك وحده قالوا نريد أن ندع اللحم فأبى، وقال دعوني إنما أسعى لكي أجده غداً فتأمروا على الصوم قال لا تفعلوا ولا تأووا إليّ فإنني غني مليّ لا تتحيروا ما تأكلون من عوز ولا ذبحت مذ نزلتم إلا توأم غمني فلبثوا شهرين عنده على خير ونعمة، وذكر أبو عمران عن أبي سعيد قال طلعتُ حلقة لأهل البادية

بأفريقية وكان فيهم رجل من أشرافهم وكبرائهم قلّ ماله وكثرت بناته حتى صار مثله يضرب به المثل فمن أراد أن يدعو على عبده أو غيره قال ابتلاك الله بما ابتلى به فلاناً قلة بثاث وكثرة بنات فقال له شيخ اطلب في الحي ما تضيف به العزابة يدعون ربهم فيزيل بدعائهم شعئك ويثبت قدمك ويلم شعئك فإن دعاءهم يرد اليابس رطباً والرطب يابساً بإذن الحي القيوم، فقبل ما أشار به وامثل ما قال له فدعوا له بالبركة فلما أصبح من ليلته قال له رجل خذ هذه الغنم فما ربحت على قيمة كذا فهو لك فمضى بها فربح سبعين ديناراً فقال له الذي أشار عليه أولاً، خذها رحالاً فأخذها أربعاً بدينار فمَنَّ الله عليه أو ولد أولاداً ذكوراً عشرة فطلبوا إليه بناته واشترط على كل من تزوج منهن أن ينزل معه فصار يضرب به المثل في الشرف والثروة وإذا دعا أحد أولاده تحفة أو طرفة تسارعوا إليه من كل موضع ووجهة حتى نساها كلاب بيته . .

[فلحون بن إسحاق النفوسي]

ومهم فلحون بن إسحاق النفوسي من بني وسين جاء سائل قال كيف الرد على من وصف الله بالتجسيم قال الجسم إما خفيف سيار وإما كثيف ستار فكلاهما محال على الله، وفي شرح الجهالات وقد زعم قوم من أهل الكلام أن يتكلم لا يجوز على الله، قال أبو عمار فجوازه أحب إليّ ثم قال أجاز في التوحيد الكبير مكلم وأبى من متكلم ومعناه فاعل للكلام ومعنى مكلم ليس بأخرس ثم قال ويجوز على الله في الأزل متكلم ومكلم على المعنيين ولا يجوز كلم ولا يتكلم وفي نفسي من التفرقة بين يتكلم ومتكلم شيء والله أعلم، وبلغنا أن أبا نوح سعيد بن زنجيل سأل عن المتكلم قال على معنى أن سيتكلم ومتكلم فأنكر عليه فلحون بأشد الإنكار ومعنى قول الشيخ أن متكلم على أن يتكلم ومتكلم

على نفي الخرس أيضاً عنه فكلا المعنيين جائز وليس في ذكر أحدهما ما يبطل الآخر وربما عجل فلحون فيما فعل والله أعلم انتهى ملخصاً
وفلحون شيخ مشهور من نظراء أبي نوح ومن مشاكله ..

[يحيى بن بشير]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن بشير وكان في السيدة بمرتبة بل هو من
نظراء أبي العباس وسليمان بن يخلف وداود بن أبي يوسف ..

[جنون بن علي]

ومنهم جنون بن علي قال في المعلقات عن الشيخ جنون بن علي
قال في الرجل يدخل على الإمام وقد فاته ببعض الصلاة ويسلم ويقوم
الرجل بالتكبير ليستدرك ما فات إلا أعاده عليه وحكم على الشيخ إبراهيم
بن الشيخ يحيى بن أبي بكر بصدّاق امرأته حنثته وقد حلف بطلاقها ..

[عبد الرحيم بن عمرو النفوسي]

ومنهم عبد الرحيم بن عمرو النفوسي كان شيخاً عالماً أخذ عن
أبي الربيع سليمان بن موسى كذا أظن والله أعلم، وكان معه يوماً فيما
ذكر في المعلقات، فاتاه هجين فقال عبيدك جاعت فعلاً له ظهره تمراً
وشعيراً، فقال له شكرت فعلك يا شيخ قال أخشى ألا ينفع الجمل
المغشوش ما يأكل، مما روي عنه المؤمن يزرع ويخشى الفساد والفساق
يقلع ويرجو الحصاد ..

[أبو طاهر إسماعيل بن أحمد]

ومنهم أبو طاهر إسماعيل بن أحمد يُروى عنه من انتفع بثمن ميتة
فهو هالك، ومبيت اللحم عيب، وتحرم الزوجة إذا جاءها بشهوة
غيرها ..

[محمد النفوسي بن باباش]

ومنهم أبو عبد الله محمد النفوسي بن باباش أخذ عن أبي العباس روى عنه أن المعاملات ترجع تعديت والتعديت ترجع معاملات مثل من غصب شيئاً وتاب وأعتقد أن يرد ولم يجد حتى نسي، ومن اشترى شيئاً معتقداً أن يخون في الثمن ثم نسي، وقال تفكرت في قوله ﷺ إذ سأله عن الساعة متى تقوم فأشار بأصابعه الخمس وللناس في الحديث تأويلات وفهمت منه أن الساعة من الخمس التي استأثر الله بعلمها ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (الآية) وكان شيخاً مذكوراً في الخير والعلم..

[إسماعيل بن علي النفزاوي]

ومنهم أبو طاهر إسماعيل بن علي النفزاوي كان عالماً ورعاً مختلطاً، روى الشيخ إلياس أنه بات معه عند الشيخ أبي العباس بن محمد بن علي في تماطت فلما قدم لنا العشاء وغسلنا فإذا على الطعام لحم الجمل فرفع الشيخ إسماعيل يده، قال أبو العباس كُلْ قال لا قال خذ مسألة أفتاها أبو العباس بن أبي عبد الله وهي أن ما بأيدي العرب ريبة وتصدقك عليك يا إلياس بهذا الطعام قال قبلتُ قال كُلْ قال لا قال فإبلُ العرب، مال قدموا به، والأصل الحلال، فكلُ فقالت زوجته بل هي إبلنا أخذوها منا غصباً فأمر أن ينحى الطعام فأوتى بصحفة أخرى عليها لحم ضأن فأكل منها، وهذا الشيخ من تينبامر تناوتي صالحاً متقياً حزيماً سافر إلى غانا، ولم يصل بغير وضوء وجاور بمكة حتى حج بالأيام السبعة وكتب منها ديواناً كبيراً، وعنه، البركة في صفة الله العظيمة، وفي صفة الخلق الكثرة، وله أخبار ومقصداً مطلق التعريف..

[يعلو بن صالح الصدويني]

ومنهم أبو صالح يعلو بن صالح الصدويني كان عالماً كبيراً وشيخاً جليلاً أخذ العلم وأخذ عنه، ومسكنه أجلو، وهو مأوى الأخيار ومقصد الأبرار والمشكى من ظلم الأشرار، وذكر أن العزابة غضبت لله وارتفعوا إليه فسلم عليهم وحمد فعلهم، وقال الغضب لله طريق أندرس وعفا وقلّ سالكه، وشكر لهم صنيعهم، وسأل عن المولى هل يرث أو يورث، قال قال أبو نوح صالح الدهان إذا كان يعقل عني وأعقل عنه إرثه ويرثني قلتُ وحكى جابر بن زيد مثله عن ابن عباس وهو القياس، ومشهور المذهب والذي جرت به الفتيا ماله لمن سبق إليه من جنسه، وخادع رجل امرأة بين يديه بأن قال حلفتُ بطلاقها مراراً وأردتُ المخرج فقال تبارئك فافعل ثم جدد النكاح فلما بارأته هرب وتركها فقال لا وفقه الله، فلم يوفق، قال أبو نوح أن الشيوخ عام الزيارة عام ثمانية وأربعمئة، الصواب وخمسماية ولعل أربعمئة تصحيف من الناسخ أو غلط، مروا على الشيخ يعلو وهو شيخ كبير فعاتبوه عن أشياء ذكرت عنه فجعل يتوب ويقول لا أعود ولم أفعل ما بلغكم وإنما بي ضعف ومرض ولا شيء مما تكرهون فقبلوا منه، وقال أبو يعقوب هو رسول الشيوخ إلى أهل الدعوة قد رأيت الشيخ يعلو أعمى في غاره لا يقدر على شيء من الضعف، وتوفي رحمته الله عام ثلاثة عشر وخمسماية على خمس وتسعين سنة، وفيها نقموا على تبغورين بن عيسى فبلغهم بتينوال فتاب فقبلوا منه وأوقفوا إسماعيل بن أبي العباس فتاب وقبلوا ولم يبق شيخ بأريغ إلا عاتبوه وأخرجوا شيوخ تينوال إلى الخطة..

[سجميمان بن سعيد الصارينى]

ومنهم سجميمان بن سعيد الصارينى شيخ تقي عالم ذو حلقة أخذ العلم وعلمه ولم يكتمه.. وذكر من حسن تدبيره أنه لم يفرغ له أدام في

حلقة قط من كثرة رفيقه وحسن سياسته أخذ العلم من أبي صالح يعلو، وكان غير ملتفت إلى الدنيا قال بعث لي أهلي وأنا عند شيخي يعلو بأجلو خمسة دنائير وكنت مجتهداً قبل وصولها ثم حيرتني فشغلتنني عن عزمي فبادرت دفنها ثم رجعت فحفرتها فلم أجدها فتفرغت للقراءة فحمدت الله...

[سجيمان بن عبد الله اليارونتي]

ومنهم سجيمان بن عبد الله اليارونتي كان شيخاً تقياً عالماً عاملاً وكفاك في رفع درجته وعلو رتبته أن ذكر من الأبدال، وقيل النعيم بن الوالي، وقال من شك أن الله لا يؤجر المسلم على النوافل أو يأخذه على الصغائر أو شك أن الله يؤجر المنافق على ما فعل من الطاعة أو لا يؤاخذه على الصغائر فهو مشرك، وهذا تشديد، وقال أبو موسى عيسى ابن يوسف كفر في الجميع، وشدد عيسى بن أحمد ويحيى بن أبي بكر في الصغائر التي مع المسلم والطاعة التي مع المنافق ووفقاً في غيرهما، أبو عمرو، الأوضح قول عيسى بن يوسف، وسبب الخلاف هل رد النص أم لا قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾ وفي الكفار لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها..

[نصر بن سجيمان]

ومنهم نصر بن سجيمان كان إماماً عالماً وتقياً، مذكوراً في ديوان الأئمة العاملين هو في النسب نفوسي من، أصلاً بونن، التقى بأئمة عُمان بمكة، فسألهم عن السخط والرضا هو وصاحب له نفوسي، فقالوا

(1) سورة الطور آية 21.

فعلان فسألهم عن القرآن قالوا غير مخلوق، وعمنا يوسف لا يقطع العذر إلا من قطع العذر، والمسألة في أجوبته في خلق القرآن، وهذا يدل أن الوهية مغرباً ومشرقاً مجمعون أن السخط والرضا فعلان إلا من خالف إجماعهم، كما أجمعوا على خلق القرآن إلا من خالف إجماعهم فبعض أهل عُمان خالف في خلق القرآن دون أهل العراق ومصر، ودون أهل مكة والمغرب وسائر الأباضية، وبعض أهل المغرب خالف في السخط والرضا، وفي كتاب السؤالات وإن أخذ أن فاعل هذا مشرك فنسي وأمسك أنه كافر فلا يعذر، وفيها رخصة وهي مسألة الشيخ نصر بن سجميمان النفوسي رحمته الله . .

[عبد الله بن سجميمان النصيري]

ومنهم عبد الله بن سجميمان النصيري أحد العلماء المتكلمين، أخذ العلم عن أبي عمر عثمان بن خليفة، وهو أحد الشيوخ الذين عرض عليهم كتاب السؤالات، وفي كتاب السؤالات إذا شهد شاهدان فتغيرا أو تغير أحدهما فإني أحكم بشهادتهما، وأما إذا رجعا أو رجع أحدهما فلا أحكم بشيء إلا فيما لا يقول الحاكم حكمت بكذا كالطلاق والعتاق والنكاح والخلافة والوكالة والموت والنسب، قال أبو محمد عبد الله بن سجميمان النصيري قال بعض العلماء إذا تغير بكبيرة النفاق فلا أحكم بشيء، وقال من بات في منزل فيه فتنه هلك، ومن صوب مقالة مخالف أو قال هو خير منا كفر . . ومنهم أخوه عبيد الله بن سجميمان كان شيخاً مذكوراً . .

[عيسى بن سجميمان النفوسي]

ومنهم أبو موسى عيسى بن سجميمان النفوسي النسب الوارجلاني المسكن، سأل عن كفارة من وطئ في الحيض قال يتصدق بخمسة

دنانير، وقيل بأربعة، وقيل بثلاثة، وقيل بدينارين، وقيل بدينار، وقيل بنصف، وقيل بربع وقيل بشيء مّا، قال القاضي أبو الحسن العماني لا بأس عليه في الأولى والثانية وحُرمت عليه أبدأً في الرابعة، وفي تخصيص حكم الرابعة نظر إن كان من قياس، وممن أخذ عنه أبو عمرو، وروى عنه أنه روى عن ابن زرقون من صلى الوتر قبل مغيب الشفق كمن لم يصله، وسأله أبو عمرو ما حكمه قال فرض ولا يكفر تاركه كرد السلام ولا بدّ عنده من حفرتين لحاجة الإنسان..

[يوسف بن زرار النفوسي]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن زرار النفوسي من مشاهير أهل زمانه وممن يقتدى بأفعاله، زار وارجلان فتعجب من ظهور صلاحهم وتعميرهم مساجدهم وشدة تحفظهم على العبادات وكثرة القراءة فقال كيف نجت من الشيطان فأقام بها وخالط أهلها وعلم أمورهم وقال هنا استوطن الشيطان وأطلق في الأرض عماله..

[موسى بن محمد]

ومنهم الشيخ أبو عمران موسى بن محمد زوار إلى الأخيار مشهور عندهم في الأبرار ذكروا أنه زار أبا عمار عبد الكافي هو والشيخ عبد الله بن سجميمان فوق سؤال عن معنى قوله ﷺ: «لا يزال الدنيا والدين قائمين ما لم، ما لم، ما لم» فأجاب أبو عمار: ما لم يعظم أبرارهم فجارهم وما لم يرخص خيارهم لأشرارهم وما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم فإذا فعلوا ذلك فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأوصاهما بوصيا وأفادهما حكماً وعلماً اطلبها في المطولات..

[سليمان بن شاعر الفطناسي]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن شاعر الفطناسي، وعندي الشك في اسم أبيه، كان شيخاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مسكنه تجديد، قال أبو سهل وأبو نوح أن موضعاً مشاعاً بتجديد فغاب الشيخ سليمان فاتفقوا وعمروه بالغرس وغيره فلما قدم عاب فعلهم وأنكره، ووقف بباب المسجد وقال ما هذا الحدث فأجابه الشيخ أيوب بن أبي عمران بأن ذلك جائز وكان الشيخ أبو يعقوب يوسف بن الشيخ يعقوب حاضراً، فقال له ما حفظت من شيخك وارسفلاس بن مهدي النفوسي قال أن اتفق أهل المشاع على غرسه جاز وتجري عليه أحكام الملك كلها، وإن عاد خراباً رجع إلى المشاع، وتجديد موضع معلوم بقبلة أريغ وليست ببعيدة منه، واجتمع فيه من أهل الدعوة والعلماء والطلبة وأهل الصلاح ما لم يوجد في غيره، وعد فيها مائة عالم لا يرد أحدهم مسألة إلى الآخر إلا من جهة الأدب والكبر، وفيها قبر أبي نوح، ومائتان يحفظون مائتي كتاب، وثمانون طالباً تؤاماً وسائر الطلبة كثيرة، ويحضر الصلاة ثلاثمائة فارس، وإذا كبر تكبيرة الإحرام نفرت المواشي، وهي قريبة من أجلو في الذي أعتقد وهذا في زمان واحد، ودخل عامل لصنهاجة ورأى كثرة العزابة وكثرة الحلق وضيق الموضع فاعتقد أنهم يندسون وجه الأرض بالخلا والسماد فدار فيها وحواليها فلم يظفر بشيء مما تكرهه عينه وتعبه نفسه فقال وقد مد يده بسيفه ما يخاف الناس إلا من هذا أو من الله، فهذا، يعني السيف ليس هذا موضعه، وما منعهم من ذلك إلا خوف الله، وكانوا يحفرون ويدفنون حاجاتهم، ومن أدبهم التبعد والحفر والدفن، وروى عن الشيخ عيسى بن سجميمان أنه يحفر موضعين ولا يخلطهما فإن ذلك يمنع إجابة الدعاء، وروى أبو عمر عن أبي العباس لا

يدخل جنات الناس التي عليها الجدران أو الحظائر إلا أن تخطأ ولم تصل الجدران مقعدته، أبو عمر عن زكريا بن زكريا الزواغي أن يحفر حفرتين عميقتين ويدفن ما فعل فيهما ولا يشمه من قعد إليه ورائحته تضر البواسير لمن أطال القعود، وعنه عليه السلام: «ارتدوا لبولكم واستجمروا واستتروا واستبرءوا» فكل ذلك محفوظ عنه عليه السلام.

[يوسف بن يعقوب التجري]

ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن تيمال التجري، أخذ العلم عن ورسفلاس بن مهدي ففاق أهل زمانه وَعَدَّ في خيارهم؛ وذكروا عنه أن البغاة إذا قدر عليهم أن تؤخذ عدتهم فيحفر لها وتدفن، وأفتى في وديعة الميت إذا غاب بعض الورثة ولوم يعلم موضعه أن يبرأ من هي عنده إذا أعطاها لمن حضره تقدمت مسألة المشاع وما نقل فيها عن شيخه ابن مهدي النفوسي وكانت إقامته عنده اثني عشر عاماً ولأبي يعقوب أخبار وأفعال وأقوال حسنة..

[أبو العباس بن يوسف التجري]

ومنهم ابنه أبو العباس كان شيخاً مفتياً عالماً شهيراً مذكوراً، سألته أهل تفركاتين أن لصاحب الأرض نقصان أرضه إذا حرثت بالتعدية والزرع لصاحب البذر ولصاحب الذكار قيمته والفحل الحرام لا يحرم النسل فعارضه أبو العباس ابن محمد وأنكر ذلك روى أبو سهل عن الشيخ أبي رحمة عن الشيخ أحمد بن يوسف أنه يفتي لأهل البدو أن البذر الحرام لا يجر الحرام والفحل الحرام يجوز انزاؤه والبقر الحرام يجوز الحرث بها، وروى عنه أبو نوح أن المسكك من الدنانير والدراهم لا ريبة فيها ولو كانت من الجائرين، وأفتى في قاتل الكلب

المعلم أن عليه أربعين درهماً وما ربي للضرع أو الزرع فعليه كبش، ولا شيء في قاتل غيرهما من الكلاب، وأفتى فيمن أفسد شيئاً من حيطان المسجد أو حبسهما لا يجزيه إصلاحه بل عليه القيمة ونزع التباعة بعد الفعل، روى الشيخ عبد السلام عن الشيخ أحمد بن يوسف عن صالح ابن عبود عن عبد الله بن لنت أن ليس علينا من الرامي بالشرك أو بالزنا شيء إذا لم يكن المرمي متولي، وروى الشيخ عبد السلام عن أحمد بن يوسف عن عبود عن صالح بن عبد الله بن لنت عن الشيخ عبد الرحيم بن أبي منصور قال رأيت أبي خرج من قبره قائلة، فاتبعته نظري حتى بلغ قبر أبي يعقوب يوسف بن خليل فغاب عني، وقال أحمد بن يوسف من قال بعد صلاة الصبح أربع مرات اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وما جاء به حق من عندك عتق من النار.

[موسى بن زكريا]

ومنهم أبو عمران موسى بن زكريا تقدم التعريف بأبي عمران موسى ابن زكريا المعاصر لأبي نوح وهو المشهور، ويحتمل أن يكونه وهو الأظهر، وأن يكون غيره وهل هو ابن أخي أبي يعقوب المذكور أولاً، وذكر أنه أول من أحدث بيع الرجوع، وفي المعلقات اشترى جناناً بأربعين فلما حضره الموت قال لأولاده إن أعطاكم في الجنان ستين فردوه وإلا فلا، وسأله أبو سليمان بن زمزين عن تمر بال عليه الجديان، قال تنقيه الشمس والريح قال رزقك الله الجنة يا شيخ، وذكر أبو نوح أن أبا عمران إذا قام من المجلس ورجع من حاجة الإنسان فيتوب إليه الشيخ سليمان بن عبد الله بن بكر إذ أخرجه الأشياخ لأنه أفتى مسألة

الشيء بتجديت، فيقول أبو عمران أي شيء افعل وما قبلوا إلا بعد اثني عشر عاماً وانتشر ما فعلوه به لفتياه ثم قبلوا منه ..

[يوسف بن موسى]

ومنهم ابنه أبو يعقوب يوسف كان شيخاً عالماً مفتياً، وروى عنه أنه قال إذا قال من أبصر الهلال أول ليلة أستغفر الله من الذنوب إن شاء الله من الإيمان لوجه الله عملي إلى آخر الشهر نفعه ذلك، وسأل عمن رمى صيدا فتواري عنه فوجده ميتاً فقال يؤكل والمشهور خلافه، وعنه إذا لم ازدد علماً في يوم فلا أود نفسي أن أكل من ذلك اليوم وكان مؤثراً صغيراً وكبيراً متقياً شهيراً في الخير شهد فيه أبو العباس قال ما رأيت من يضع الأدب موضعه غير يوسف، وشهد أيضاً يحيى بن بشير قال لو كان الناس صفاً وجررت يدك عليهم ما أخذت غيره وشهد فيه أيضاً سليمان بن يخلف قال ما رأيت من يشبه الأولين إلا يوسف، وشهد داود بن أبي يوسف قال وقد رأى فرجة في المجلس فأراد أن يسدها، ادن يا حبة زاكية، هذا ذا كان فتى ..

[أيوب بن أبي عمران]

ومنهم أخوه أيوب بن أبي عمران سأل رجل غرف زيتاً من خابية ثم بعد ذلك وجد فأراً ميتاً، ما اغترف منها ينتفع به لأنه يحتمل أنه سقط بعدما غرف، وعنه أنه يجوز إذا زاد على المكيل، البيعتان بكيل واحد، والمشهور عدم جواز البيعتين بكيل واحد سواء زاد في المكيل أو لم يزد، ومن تورعه أن زناته أخذوا غنمه فأتاهم فردوا له وقد ولدت عندهم فرد أولادها كراهة الفحل واسترابته، وفرق الغنم على الضعفاء حتى انقضى اللبن وانقطع لأن اللبن للفحل ..

[خليفة بن أيوب]

ومنهم خليفة بن أيوب ابن أبي عمران، ابنه كان عالماً ورعاً كاملاً، وعنه من كشف ما بين السرة والركبة هالك، وعنه من عصر عنباً ونواه خمرأ فشربه فهو هالك، ولو شربه من حينه، وقال أيضاً يحد وهو خلاف المشهور لأن الحد على السكر ومنهم عبد الرحيم أخو أبي عمران المذكور شيخ مذكور وفي نسبهم مشهور..

[يصلن بن عبد الرحيم]

ومنهم يصلن بن عبد الرحيم، هؤلاء من بني زمان وهم من ذرية بيران عامل الإمام عبد الوهاب دار علم وتقى وشهرة في الخير والإسلام لم ينقطع ذلك منهم وتقدم التعريف ببيران ويكتب بياين الأولى مكسورة وبعضهم يكتبه بهمزة مكسورة وهو القياس والصواب إن شاء الله، وهل منهم أبو يعقوب يوسف وابنه أحمد أو لا؟ فيه شك، ومعنى إيران جمع آر وهو الأسد بالبربرية..

[إسماعيل بن أبي زكريا]

ومنهم الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن أبي زكريا شيخ فاضل شهير مذكور في الصالحين أفنى عمره في طاعة ربه وذكر أن الشيوخ سمعوا أنه أكل طعام النكار فأرسلوا إليه بالهجران فلما آتاه الخبر وكان شيخاً كبيراً قال لابنه أيوب ارحل لي على الناقة، ومسكنه بوارجلان ولكنه خرج إلى الربيع فركب وقاد به ابنه أيوب حتى أناخ على مسجد تاماست ولم يكلم ابنه إلا أن قال له الطريق يمنة أو يسرة خشية كسر هجرانهم، ووقف على باب المسجد يتوب ويتضرع ويسألهم القبول عنه ولا يزيد على التوبة وهم يعاتبونه ويلومونه ويقول تبت ولا أعود آجركم الله فقبلوا عنه

ورضوا عنه ثم قال لهم بعد أن قبلوا يا مشيختي لم أفعل شيئاً مما بلغكم ودعا على من نسب إليه ذلك أن لا يميته الله إلا بالحاجة فنفتت فيه وفي ذريته دعوة الشيخ أسأل الله العصمة وكفاك فضلاً وتقى في شيخ لم يجدوا له عيباً يعاب به إلا أن نسبوا إليه إنه أكل طعام مخالف وهو أعظم مباح وله فضائل اطلبها في الكتب المبسوطات، وأوصاه الشيخ محمد بن بكر إذ فارقه أن اتبع الأخيار وإن عدت فشارك إن وجدت أعواناً وإلا فتقدم إن وجدت من يتبعك وإن عدت الجميع فاستقم وحدك والزم الطريقة.. ومنهم أبوه أبو زكريا وهو من المشايخ المذكورين ومن الأئمة المعدودين..

[إبراهيم بن إسماعيل وآخرون]

ومنهم ابنه إبراهيم بن إسماعيل وهو أيضاً من الأسياف المشهورين، وروى الشيخ إبراهيم عن الشيخ جنون بن يمران أنه قال في رجل تحرك وقت الدعاء في المجلس عنده من منعنا حلب ناقتنا بعد أن درت..

ومنهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابنه وهو أيضاً من المذكورين..

ومنهم أبو عمران موسى ابن إسماعيل وهو أيضاً من المذكورين..

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل وهو أيضاً من المذكورين في التعريفات بالأسياف..

ومنهم أيوب وتقدم التعريف به بأشبع كلام، وإنما ذكرناه هنا لأنه على أنه من بني إسماعيل بن زكريا..

[إسحاق بن إبراهيم]

ومنهم أبو حمزة إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل كان شيخاً فاضلاً وعالمًا عاملاً، روى أبو زكريا عن خاله أبي حمزة إسحاق بن إبراهيم أن الشيوخ ينهون عن معاملة ثلاث قبائل من البربر بني غمرة وبني ورسفان وبني ينجاس لأنهم كالأعراب في الغضب والغارة، قال وإذا غسلت لتأكل فتبين لك أنه طعام بعضهم فارفع يدك ولا تأكل، وعن أبي زكريا عن خاله أبي حمزة قال تكلم الشيخ يكون أمراً للجماعة وقد استقبلوا الشتاء أن يكرؤوا جمالاً للعرب يحملون حطباً للمسجد فسكت الأشياء ولم يعب عليه أحد فتكلم الشيخ أبو حمزة قال معاذ الله أن نحمل الحطب على جمال العرب ونقوده في المسجد ونسخن الماء للوضوء ويصعد معنا دخانه ونقد المصابيح وننظر إليه الكتب، يريد أن هذه الأفعال طاعة ولا يتوصل إليها بالريبة لأن ما بأيدي العرب ريبة، ولما بلغ قوله أبا صالح يعلو صوب إنكاره وقال ما بأيدي العرب ريبة عند جميع أهل الدعوة، وروى أبو حمزة عن رجل من بني واشية وقد سأله عن جعراف أنتم في وسطه تصل المياه من واديكم إليه ومن قصده من هنا يضل عنه، وجعراف موضع بالرممل وقيل إن المسلمين أعني أهل الدعوة في آخر الزمان يجتمعون فيه وتقدم التنبيه عليه..

[عمار الزواغي]

ومنهم عمار الزواغي كان شيخاً فاضلاً، روى ماسكن بن الخير عن عمار الزواغي قال أقبلت مع قافلة من طرابلس فسبقت إلى الماء فرأيت بالبئر فملأته فشربت فلما دخلت جربة قصدت الشيخ أبا موسى عيسى بن السمح فسألته فقال ما فعلت هو المعمول به، وقال عمار لحافظ القرآن أردت أن أعرض عليك قراءتي فتسمع له، فقال ما رأيت قراءتي قال

قراءتك لقوتي يعني أنه لم يحسن، قال آمين فابتلاه الله باللقوة ورجع فمه إلى أذنه فبلغ به الأمر حتى ربط دينارين لمن يقتله نعوذ بالله والرواية فيه كل قراءة قرأتها يا عمار تنقمني، وله أخبار وفضائل ..

[ابنة سعيد بن عمار]

ومنهم ابنة الشيخ سعيد بن عمار وزمانهما مع أبي القاسم بن أبي زكريا والشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، وذكر عنه أنه أجاز لمن كان في الماء أن يتوضأ فيه إلا غسل وجهه ففي غسله في الماء قولان، وعنه قال لمتولي يا إنسان سوء يبرأ منه، ورخص لمن يرد قطعة لحم في المنديل من غير إذن صاحبه ..

[ميمون بن تجار]

ومنهم ميمون بن تجار كان شيخاً عالماً مفتياً عاملاً، وروى عنه أن من حضر عرساً فإنه يغتسل ومن أعطى ثيابه لرجل حضر بها العرس أو لامرأة فلا يصلي بها حتى يغسل، وروى عنه من تعرى لنار موقدة هلك وإن كان تعرى لجمر عصى، ومن تعرى للكعبة هلك، ومن جاز على الموضع الذي تغتسل فيه النساء أعاد الوضوء ..

[محبوب بن أبي عبد الله]

ومنهم أبو سفيان محبوب بن أبي عبد الله السدراتي لم أحفظ له كنية وأنا كنيته بأبي سفيان كان شيخاً مذكوراً أخذ العلم وأخذ عنه وروى عنه، وذكر أنه سأل الشيخ أبا عمران موسى بن أبي زكريا حين قدموا في شأن بنيان المسجد إذا بنوه واجتمع الناس إليه فهل لمن داره خلف المسجد الأول يتعداه إلى الجماعة قال له عليك بالمسلمين عليك بالمسلمين فإنهم أفضل، وذكروا عن الشيخ محبوب أنه قال المداهن آمر وشريك ومسهل

للخطيئة، وعنه البدعة شر من الزنا والسرقة وشرب الخمر لأن مثل هذه يتوب ويستغفر الله منها والبدعة فلما يتوب صاحبها منها..

[عبد الله المدوني]

ومنهم عبد الله المدوني شيخ منقاد إليه وأسوة لمن سلك السبيل أن يسلك عليه، وذكر أنه سأل عمن وجبت عليه رقبة فاشتراها فإذا هي من أرحامه قال تجزيه قال أبو محمد ويسلان هذه فيها الرعاء قال أبو محمد عبد الله المدوني ما وجدها أولاد الشيوخ فكيف بالرعاء تعريضاً بأبي محمد ويسلان وهذا الشيخ في عصر أبي زكريا بن أبي مسور..

[عمروس الزواغي]

ومنهم أبو حفص عمروس الزواغي وهو ابن عبد الله كان شيخاً مذكوراً في أهل الخير والصلاح، وفي المعلقات دخل جربة زائراً أبا محمد كموس فقال له أجرك الله أجرك الله يا عمروس لقد أزلت عني ما أجد من الوحشة قال له وهل يزيل أهل هذه الزمان الوحشة قال لا تقل ذلك من صلى الصلوات الخمس في أوقاتها وكف عن الذنوب فقد ملأ ما بين السماء والأرض عبادة، قال أبو الربيع زار عمروس أبا عبد الله ابن مانوج فقال له ما حالك يا عمروس قال بخير قال اتق الله فإنها لك جنة وأحسن العشرة للناس قال ومن الناس قال فهمتها يا عمروس المسلمون هم الناس وهذا الشيخ في عصر أبي زكريا أيضاً..

[أبو العز بن حدولة]

ومنهم أبو العز بن حدولة عالم كبير وشيخ جليل بحر ملتطم الأمواج لكنه عذب فرات في عصر أبي نوح إلا أنه أسنّ، وسأله أبو نوح مرة هل يقال الله بالبربرية يَزَر يَدَر قال يقال سميع بصير حي فجبذه

أبو نوح فقال ذلك جائز فغضب أبو العز فافترقا فأدرك أبو يعقوب بن نفاث أبا العز فقال اصبر فإن أبا نوح كالإمام فسلاه فاخرج الشيوخ أبا نوح إلى الخطة لتعجيله بالجند فتأب فردوه وفي المسألة خلاف..

[أبو محمد يقر]

ومنهم أبو محمد يتر، شيخ واغلاني كان صالحاً متقياً ورعاً حزيماً مجتهداً من حزمه حفر سبعة آبار في المواضع القليلة المياه وحيث لا يوجد وأعتق سبع رقاب وبنى سبعة مساجد وانهذ وصيته سبع مرار وحج سبع حجات، وذكر أنه في أيام شبابه زار الشيخ جنون بن يمریان فقال له إنكم في يطوفة فارهون في تنقية النخل وصرمها فاصرم لي منها بعضاً، فطلع ونزع السل وأراد قطع العتاكيل قال هل تحسن غير هذا قال لا قال انزل فنزل فطلع جنون فنقاها من الليف والكرانييف والجريد اليابس وكنسها من جميع ما سقط فيها من اللؤلؤ ثم قطع العتاكيل..

[إبراهيم بن يوسف الويسيليني وآخرون]

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الويسيليني شيخ تقي وإمام زكي مؤثر للفقراء وذوي الحاجة على نفسه وعياله طمعاً لمرضاة ربه مع ما بهم من الخصاصة، وذكروا أن شدة وقعت في زمانه وكان معاصراً لأبي الربيع سليمان بن يخلف وكان يؤثر العزابة وابن السبيل والأضياف والعواد فضاع وضاع عياله فاجهدوا، وأما أبو الربيع فآثر عياله فهزل واجهد ونحل وسمن عياله..

ومنهم ابنه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم وكان شيخاً مذكوراً وعالمًا مشهوراً..

ومنهم إبراهيم بن إسحاق ابنه وكان من أهل العلم والصلاح والتابعين لسبيل الخير والفلاح..

[المعز بن أبي حبيب]

ومنهم المعز بن أبي حبيب، أبو الربيع كان زاهداً عابداً صالحاً ديناً جداً وكان محتاجاً فقيراً، قال وطلبه غريم له بدينار فقصد صديقاً له عزابياً وهو يونس ابن أبي موسى بن أبي عمران، وكان فقيهاً عزابياً، وتقدم التعريف بأبيه وجده، وكان ذا مال عظيم فلما كلمه عبس وتغير بعد أن أظهر بشاشة وتبسماً، وقال ما عندي شيء فصرفه بلا شيء فغير الله عليه نعمته بعد ذلك بعد أن كان مرة جمع خَلَقَ أثمان ما باع من تمر فجعل منها بردعة أعني الصرر التي ألقوها إذا أخذوا ما فيها ..

[محمد بن بكار الزواغي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن بكار الزواغي من أعداد العلماء المذكورين وممن يكابد أحوال الدنيا، أبو الربيع قال وحدث أبو عبد الرحمن أو غيره طالبه بعض غرمائه بدينار فلم يجد عنده ما يقضيه فبادر صديقاً له غنياً كان يمينه قبلُ فصرف ذلك إلى المعاذير فرجع من عنده صفر الكف متحيراً لا يدري ما يصنع فالتقاه أبو عبد الرحمن في تلك الحال وقد ظهر بعض ذلك على وجهه فسأله عن تغيره وأخبره بمطالبة الغريم وعدم وجود الوفاء وقلة إنجاز ما يعد صديقه وكان عند أبي عبد الرحمن دينار واحد فبادر إلى موضعه فدفعه للشيخ وفتح الله على أبي عبد الرحمن من هناك قال ولم أعدم في ذلك الموضع ديناراً إلى يومي هذا ..

[أبو عمران وسلى]

ومنهم أبو عمران وسلى، وكان من المذكورين في الفضائل والمعدودين في الأفاضل، روى الشيخ موسى عن الشيخ أبي نوح سعيد

بن زنگيل قَالَ الوتر فريضة وهو قول ابن محبوب فمن تركه متعمداً وَلَمْ يصله من حيث فرغ من صلاة العشاء حتى يطلع عليه الفجرُ فهو هالك، وذلك أحب القولين إلينا لثبوته من سنة النبي ﷺ وَقَدْ تقدم أن الشيخ عيسى بن الشيخ سجميمان النفوسي روى عن ابن زرقون أن من صلى الوتر قبل غياب الشفق وَلَمْ يعد له حتى طلع الفجر فهو والتارك له سواء، وسأله أبو عمرو عن الوتر ما حكمه عندك قَالَ فرض من سُنَّة النبي ﷺ فقلتُ له فمن طلع عليه الفجر ولم يصله قال أذنب وليس بها لك عندي، أي لا أصرح بهلاكه، كترك رد السلام وَغيره من ترك الفروض التي لا يصرح بهلاك تاركها..

ومنهم أبوه الشيخ وسلى قال أبوه لا أدري من أين نقلت هذا الشيخ وَبحثت حين التصحيح عنه فلم أظفر به..

[يوسف بن محمد]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن محمد صاحب علم وروايات وهو صاحبُ التقييد الذي ذكرت فيه أشعار الأشياخ بالبربرية، يروى عن أيوب بن إسماعيل وَغيره، وعن أبي يعقوب، سأل رجل نكاري إسماعيل بن زكريا أأنت في دينك أم هو فيك أو تلبسه أو تخلعه أو وراءك وقيدك ولم يسمع قبل فيهن شيئاً فتفكر فأجابه أنا في ديني أي أعلمه وهو فيَّ وقيدني أي لا أتجاوزهُ إلى غيره وَلَا أنبذه ورائي وَلَا أخلعه وَمَنْ أراد بسط كل رواية ومن رويت عنه فعليه بسير المغاربة..

[يوسف بن محمد التتواتي]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن محمد التتواتي وَلَيْسَ هو يوسف المذكور قبله لأن ذلك وسيأتي متأخر وهو الذي أملى كتاب السؤالات

وله كثرة الروايات عن الأشياخ إما بواسطة ومشافهة وشهرته كافية وأيضاً روى عن أبي عمار عبد الكافي ويوسف بن محمد جد أبي عمار وهو أبو عمار بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل ابن أبي يعقوب يوسف بن محمد وكلهم علماء، أما أبو عمار فتقدم التعريف به لكونه أشهرهم لكثرة الآخذين عنه وكثرة تأليفه وكثرة أجوبته المفيدة، وأما أبوه يوسف بن إسماعيل فقد ذكر في جملة الأشياخ المتقين ومن المخلصين المستجابين، ومن كراماته أن نظر إلى خاله يوسف بن إبراهيم قاضي وراجلان ومفتيها في شدة البرد وعليه حولية وهو شيخ وعنده كساء في مزود عجيب فأخذها وأعطاهما لحاله وترك المزود منفوخاً خوفاً من أمه زماناً فأراد نزع المزود فإذا كساء نجيب فبادر إلى خاله فإذا الكساء عليه وبينهما بون بعيد وذلك بفضل الله، وتقدم أن بعض شيوخ نفوسة أعطى جبة فرجع له أحسن منها وأظن أنه مات، وأبو عمار غائب بتونس، وكان غنياً كثير المال قيل يبعث لأبي عمار كل عام ألف دينار، وأما جده إسماعيل بن يوسف فهو أيضاً من علماء المسلمين ومن ذوي لكرامات التي لا تنسب إلا للعارفين، وذكر أبو زكريا عن ابنه يوسف بن إسماعيل عن خاله يوسف بن إبراهيم بن الطاق قال حضرتُ دفن الشيخ إسماعيل وَكُنْتُ ومن وضعه في قبره فلما سددنا اللحد عليها أدخلتُ يدي لأميط عنه ما يلحقه من المضرة فلم تصله يدي فمددتها جهدي فلم أدركه وتقدم في دفن الشيخ النفوسي الذي من تمصمص إذ أنزله الشيخان تملوشايت فلم يبصر أطرف القبر وتضوع القبر عطراً..

[حمو بن أفلح]

ومنهم الشيخ حمو بن أفلح شيخاً من بني مطكود فاضلاً ذكر أبو زكريا أنه سأل الشيخ عن وصية الميت بالحج هل للخليفة أن يبعثها في

هذا الزمان، قال من أرسلها حيث انقطعت الطرق وتعذر السبل فهو لها ضامن، قال لكن يتصدق بها على الفقراء .

[يوسف بن إبراهيم السدراتي]

ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن الطاق السدراتي قاضي وارجلان تقدم أنه من الذين أنزلوا الشيخ إسماعيل بن يوسف في قبره وأخبر أن القبر اتسع بحيث مد يده ولم يصله . .

[إلياس بن عبد الله اللواتي]

ومنهم الشيخ إلياس بن عبد الله اللواتي كان شيخاً صالحاً مذكوراً في الأخيار والأبرار، وذكر أبو يعقوب أن عزابياً رأى في المنام مَنْ علمه دعاء وأمره أن يدعو به ينفعه لدنياه وآخره وهو: «اللهم أغفر ذنبي، استر عيبي، أسعد روحي، وسع رزقي، وفر عملي، اصلح شأني، فرّج همي، اكشف كربّي، سهل موتي، آمّن خوفي، حقق طمعي، اشكر سعيي، سلم ديني، اقض ديني، علّم جهلي، قوّ ضعفي، اكشف كربّي، قدس روحي، زكّ عملي، اقبل عذري، انظر لي، قوّ ظهري، خلص جسمي، نجّ بدني، روّ عطشي، اشبع بطني، آنس وحشتي، اقض وطري، ارشد أمري، جدد عزمي، هب لي عظمي، اشرح صدري، يسر أمري، ثقل وزني، خفف حملي، لين غلظي سخ شحي، وفر حظي، اسعد بختي، سكن وجعي، عظم أجري، اذهب حزني، اجمع شملّي، قر عيني، الطف بي، اقبل مني، غنمني، ربي زدني علماً، اصرف عني، اهد قلبي، بيض وجهي، والمسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين»، فقام من نومه وقد حفظها، وذكر أنه الشيخ إلياس بن عبد الله اللواتي رحمه الله وتقدم أن أبا العباس أضافه

هو والشيخ إسماعيل بن علي النفزاوي فقدم هم لحم جمل فأبى أن يأكله
تورعاً من كونه عن العرب وما بأيديهم ريبة والشيخ إلياس متق زاهد
وكان ممن يسارع لأتباع المؤمنين وموافقهم . .

[يوسف بن فتوح]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن فتوح ممن يسكن وارجلان ويروى
عن أبي سليمان داود بن أبي يوسف وكان يؤذن عنده فسأله هل يؤذن
وقد رأى سحابة في السماء قال له إياك والبدعة قال وتركت الأذان وهذا
الشيخ واغلاني وهو من المذكورين في أهل الفضل والعلم من
المسلمين . .

[داود بن مصالة وابنه]

ومنهم الشيخان الأكرمان القدوتان أبو سليمان داود بن مصالة وابنه
أبو عروس وتقدم التعريف بأبيهما مصالة وإنه من الأئمة العشرة وكان
الشيخ داود صديقاً موافق لأبي محمد اللواتي وتقدم التعريف بأبي محمد
وإنه شيخ زمانه ووحيد عصره وإن مبسوط أخباره يحتاج إلى أفراد تأليف
وكان من قضاء الله وقدره أن ماتت أزواجهما في شهر واحد وبقيتا
بعدهما أربعة أعوام فماتا في عام واحد وشهر ويوم وبساعة واحدة . .

[أبو رخمة حنيني]

ومنهم الشيخ الشهير العالم العلامة الكبير أبو رخمة حنيني، شيخ
وارجلان فايق وإمام من أهل التحقيق صادق تعلم العلم والكلام
وعلمهما وهو في عصر أبي عمار وأبي يعقوب يوسف بن خلفون، ومما
يروى عنه أن من ضرب امرأة وأسقطت النطفة عليه عشرة دنائير

وَالْمَمْتَزَجُ أَرْبَعَةُ عَشَرَ وَالْعَلَقَةُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَالْمَضْغَةُ أَرْبَعُونَ وَإِنْ امْتَدَّ فَسِتُونَ وَالْمَصُورُ ثَمَانُونَ وَالْمَنْبِتُ مِائَةٌ وَإِذَا نَفَخَ فِي الرُّوحِ فَدِيَةٌ كَامِلَةٌ، وَقَالَ فَيَمْنُ أَفْسَدَ غَرْسَةً أَكَلَتْ عَاماً أَنْ عَلَيْهِ دِينَاراً وَكَلَّمَا زَادَتْ عَاماً زَادَتْ دِينَاراً إِلَى خَمْسَةِ دَنَانِيرٍ لَخَمْسَةِ أَعوَامٍ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قِيَمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ وَإِنْ أَفْسَدَ الْمَوَاشِي بِالْمَشْيِ زَرَعَ قَوْمٌ جَمَالَ وَغَنِمَ وَذِي حَافِرٍ فِي كُلِّ جَمَلٍ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ وَفِي الرَّمَكَةِ دَرَاهِمٌ وَنِصْفٌ وَقِيلَ ثَلَاثَةٌ وَفِي الْغَنَمِ كُلِّ عَشْرَةٍ بَدْرَاهِمٌ، وَقَالَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْنَعُ لِلْعَزَابَةِ يَأْكُلُ الْمُتَقَدِّمُونَ نِصْفَهُ وَيَتْرَكُ مُوَاضِعَ الْأَكْلِ كَمَا هِيَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ يَسُوِي مَوْضِعَهُمْ كَمَا سُوِيَ قَبْلَ ثَلَاثِ يَتَغَابِنُ التَّابِعِينَ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو لِلأَوَّلِينَ ثَلَاثُ طَعَامِهَا وَقِيلَ ثَلَاثَةٌ لَا غَرَبَ مَعَهَا اجْتِنَابُ الرِّيبِ وَكَفُّ الْأَذَى وَحَسَنُ الْأَدَبِ، وَقَالَ الشَّيْخُ يَوْسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الشَّيْخِ عِمْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي رَحْمَةَ فَيَمْنُ جَعَلَ الْوَهْبِيَّ نَكَارِيّاً أَوْ الْعَكْسُ أَنَّهُ كَافِرٌ وَيَقُولُ غَيْرُهُ فِي الْعَكْسِ كَذِبٌ وَأَخْبَارُهُ وَرَوَايَاتُهُ وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ فَاطْلُبْهَا فِي الْبَسَائِطِ . .

[أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ رَجَا]

وَمِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ رَجَا كَانَ شَيْخاً مُتَّقِيّاً ذَا كِرَامَاتٍ قِيلَ آذَاهُ ذَنْبٌ فِي جَنَانِهِ فَدَعَا عَلَيْهِ فَأَصْبَحَ مَيْتاً وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْمُسْتَجَابِينَ الدُّعَاءِ . .

[إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ]

وَمِنْهُمْ ابْنُهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَذَكَرَ عَنِ الشَّيْخِ أَنَّهُ ارْتَفَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَامْرَأَتُهُ وَقَدْ خُوفَهَا قَبْلَ عَلَى تَرْكِ صَدَاقِهَا فَأَشَارَتْ إِلَى الشَّيْخِ إِسْحَاقَ خَفِيَةً إِنَّهَا مَكْرَهُةٌ فَتَرَكَتْ لَهُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ خَاصَمَتْهُ وَارْتَفَعَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ تَرَكْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ أَخْبَرْتَنِي إِنَّهَا مَكْرَهُةٌ فَقَضَى عَلَيْهِ بِهِ . .

[إبراهيم بن إسحاق]

ومنهم ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن رجا، وقال أبو الربيع أظن تجولت سنة أربع وسبعين إلى وارجلان خوفاً مما ألقى من عسكر أبي الذئب فجلست قدام مسجد تماواطت عند أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق فقال كثير ما يحرضنا والدنا ويوصينا أن لا يبرح من دارنا جمل، وثمان آخر، وإن عدتم فبيعوا خيار ما معكم لأن أمر جعراف يذكره المسلمون فإذا انقطع ذكره جاء فجأة وعلامته إذا تحركت الأرض بالعساكر وزلزلت وموج أمر الناس ..

[مصكوي الزنداجي وينكول بن عيسى]

ومنهم الشيخان الأفضلان مصكوي الزنداجي وينكول بن عيسى كانا مذكورين في الأخيار وكانا متصادقين متوافقين كل واحد يقوم اعوجاج صاحبه إذا اخطأ وذكر أبو زكريا عن أبي الربيع عن قاسم بن منكود إنه قال أضافنا مصكوي الزنداجي في الزاب ونحن في جماعة من العزابة ومعنا الشيخ سعيد بن يخلف والشيخ ينكول بن عيسى فلما قدم لنا الطعام ونزعنا الطباق، قال أبو نوح سعيد بن يخلف وكان على الطعام لحم صلا ذبحت لهم على الإسلام فإن كانوا من أهله استحقوه وإلا حصل لك ما تطلب وكان يميز بين لحم المريض والصحيح وكان الشيخ مصكوي واقفاً على رؤوسهم بالإدام فطأطأ برأسه حياء مما قال، قال له الشيخ ينكول ارفع رأسك كي ما يرونك وهذا لأن اللحم الذي قدم إليهم كان عن مرض، ونظيره ما وقع لأبي صالح أضاف العزابة وعنده لحم وقع عنده من مرض فقال اذبحوا لهم شاة لفضل إهراق الدم المسلمين فيما روى أبو زكريا عن أبي الربيع عن أبي محمد ويسلان ابنه ..

[سمداسن بن يخلف المغراوي]

ومنهم أبو عبد السلام سمداسن بن يخلف المغراوي كان شيخاً فاضلاً عالماً متقياً آمراً ناهياً فله الكلام إذا اجتمع الأشياخ على مهم، وذكر أنه قال أشير على من يعلم كيف يتكلم أن يسكت ومن لا يعلم لا يحضر البتة، وذكر أن مغراوة اجتمعت بأسرها إذ أخرجهم المشايخ إلى الخطة لشروط شرطوها عليهم وفيمن أخرجهم، أبو العباس بن أبي عبد الله، وعبد السلام بن وزرجون، ويحيى بن ويجمن، ويونس بن أبي الحسن وأمثالهم زيادة من سير المغاربة زادها الناسخ أثر خط عمنا محمد فقالوا للشيخ سمداسن تكلم يا أبا عبد السلام، قال اتفقتم على أن رددتم إليّ الكلام، قالوا نعم فأمرهم بإيفاء الكيل وتقديم أولى العلم والفضل وترك جميع المناكر ففعلوا وتابوا وقبلوا عنهم، وذكر عنه الكتب المبسطة . .

[حمودي بن أفلح المطكودي]

ومنهم حمودي بن أفلح المطكودي المزاتي كان شيخاً ذكياً عالماً تقياً، ذكر أبو زكريا أنه سأل الشيخ حمو عن وصية الميت بالحج هل للخليفة أن يبعثها في هذا الزمان قال من أرسلها مع انقطاع الطرق وتعذر السبل فهو ضامن، قال لكن يتصدق بها على الفقراء وكان حاذقاً حسن الحظ، وذكر أن زيري بن مقدم بني زمراتاه ليكتب له عشرة كتب إلى الملوك وقد وجده مشغلاً فقال ما تكتب فيها وإلى من فأخبره بمقصوده فانصرف فلما تفرغ كتبها فقرأها عليه فإذا جميعها على وفق مقتضاه ومراده ولم ينقص منها شيئاً ولم يترك مما أراد، وذكر عنه إنه وجد كتباً مقطعة فأكملها من نفسه ثم وجدت غير مقطعة فإذا هي كما كتب، أي إما أجوبة فصنع لها أسئلة وإما أسئلة وضع لها أجوبة وإما بعض سؤال

وَبَعْضُ جَوَابِ فَكْمَلِ مَا بَقِيَ مِنْهُمَا، وَسَأَلَهُ أَهْلُ وَارْجَلَانَ فِي سُؤَالِ أَبِي الْعَبَّاسِ قَالُوا يَقْلَعُ كَرِيمَةً وَيَجْعَلُهَا لَقْمَةً وَيَقْلَعُهَا الشَّيْخُ وَكَرِيمَةً اسْمُ جَبَلٍ بِوَارْجَلَانَ . .

[عبد الله بن وانودين]

وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَانُودِينَ، قَالَ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا بْنُ فَضِيلٍ لَمْ أَرِ عَبْدِ اللَّهِ غَضَبَ قَطٍ إِلَّا مَرَّةً فِي بَنِي دَمَرٍ قَسَمَ رَجُلٌ مِنْ أَفَاطِمَانَ اللَّحْمِ بَيْنَ الْعِزَابَةِ فَرَفَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْعِزَابَةِ سَهْمَهُ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ تَرَكَهُ لِيُؤْثَرَ بِهِ مِنْ لَا وَجْهَ لَهُ وَيَسْتَحِقُّهُ وَظَنَ بِهِ الْقَاسِمَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَسَمَهُ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ فَغَضِبَ، وَفِي السُّؤَالَاتِ وَقَدْ سَأَلَ الشَّيْخُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ وَانُودِينَ نِكَارِي عَنْ مَوْضِعٍ يَنْفِيهِ نَافٍ فَيَشْرِكُ وَآخِرُ يَنَافِقُ وَآخِرُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، فَأَجَابَ الشَّيْخُ إِنَّهُ التَّوْحِيدُ مِنْ قَالَ لَيْسَ بِأَفْرَادٍ أَوْ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ أَوْ لَيْسَ بِحَرَكَةٍ وَلَا سَكُونٍ وَسَأَلَهُ الشَّيْخُ فَوْجَمَ وَحَارَ وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، وَالشَّيْخُ عَبْدَ اللَّهِ هُوَ الْفَتَى الْمُبَارَكُ وَهُوَ مِنْ بَنِي زَمُورٍ وَفِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ إِنَّهُ سَيَنْتِي وَلَعَلَّ الْقَبِيلَتَيْنِ أَحَدَاهُمَا أَعَمُّ مِنَ الْآخَرَى وَكَثِيرًا مَا يَتِمَثَّلُ بِقَوْلٍ لِإِمَامٍ أَفْلَحَ:

أَنْشَطَ لَعَلْمَكَ إِذْ لَا بَدَّ مِنْ مَلَلٍ وَلَا تَكُنْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ فَرَارًا
وَأَرْصَدَ خَوَاطِرَ سَاعَاتِ النِّشَاطِ لَهُ إِذَا أَرَدْتَ لِبَعْضِ الْقَوْلِ إِنْكَارًا

[حمو بن المغر وآخرون]

وَمِنْهُمْ حَمُو بْنُ الْمَغْرِ شَيْخٌ مُفْتٍ عَالِمٌ بِعِلْمِهِ وَبِمَا يَذْكُرُ عَنْهُ أَنَّ مِنْ صَلَّى الْوَتْرَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّفَقِ هَلَكَ إِنْ لَمْ يَعِدْهُ وَتَقَدَّمَ إِنَّهُ لَا يَقَالُ هَلَكَ بَلْ هُوَ كَمَنْ تَرَكَ رَدَّ السَّلَامِ وَتَقَدَّمَ أَنْ أَبَا عَمْرٍو رَوَى فِيهَا عَنْ عِيْسَى ابْنِ سَجْمِيمَانَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَرَكَ فَرَضًا يَقَالُ فِيهِ هَلَكَ وَإِنْ ابْنُ مُحَبَّبٍ يَرَى

الكفارة على مَنْ تركه، وروى عنه أن من دخل بلداً ولم يَصِلْ أقاربه فيه هلك ومن آخرُ غسل الجنابة مقدار ما يغتسل هلك وَلعل ذلك نهار رمضان ..

ومنهـم أبو عمران موسى بن علي شيخ مذكور في زمرة العارفين رُوي عنه: من قال معرفة محمد ﷺ ليست بتوحيد أو ليس بفرض كفر كفر نفاق ..

[علي بن أبي علي]

ومنهـم أبو الحسن علي بن أبي علي رُوي عنه أنه قال يبرأ ممن قال بولاية الشريطة وبراءة الشريطة أي لا يتولى بشرطة، وذكر عنه أنه القول الشاذ لا يُعد خلافاً وإن الرواية الشاذة لا تمنع القياسَ ومن قال لمتولي يا إنسانَ سوء، يُبرأ منه وإن للمرأة الصداق والإرث إذا مات زوجها ولم يفرض لها ومثله لابن مسعود روى عن النبي ﷺ إنه قضى لبروع بنت واشق الأسلمي بصداق المثل والإرث ..

[مصكوداسن الدجمي]

ومنهـم أبو إبراهيم مصكوداسن الدجمي وتقدم أن أبا محمد جمالاً، قال له إذ ترافقا في طريق الحج أعني على أن أحمل على الجمال قال ليس ذلك من شأني قال وما شأنك إذن قال الدواة والقلم وحسبك إنني كتبتُ أحد عشر كتاباً في عشرة أيام فاستحسن ما أجابه ولم يكلفه شطاطاً، وروى أن العزابة مرت قدام حيه فركب فقطع الطريق فعرضهم من أقدامهم فمنعهم من الانصراف حتى أنزلهم فأحسن إنزالهم وأكرمهم ..

[إبراهيم بن مصكوداسن]

ومنهم ابنه إبراهيم كان شيخاً فاضلاً وَتَقَدَّمَ إِنَّهُ رَأَى رُؤْيَا لِأَبِي
سليمان داود ابن أبي يوسف بعد موته وروى أنه مرض الحصر فثار عليه
في طريق العامة فقعد حتى قضى حاجته وذلك في تين بامطوس فيما ذكر
الشيخ أبو الربيع وَكَلِمَا جاز عليه أحد من الناس قال هذا الشيخ إبراهيم
كأنهم استقبحوا ما أتى به فانصرف حتى أتى الحلقة فقال يعتذر إذا رأيتم
الحليم في موضع يستقبح من مثله فلا تعجلوا عليه فربما نزل به ما لا
يطاق من الدواهي، وذكر أن الشيخ إبراهيم قال صعب عليّ فراق ما بين
المايح والمائح فبعد لأي حفظتهما يعني الغارف وَالْجَابِذ من البئر،
وَصَعِبَتْ عَلَى أَشْهَرِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَيَسْلَانِ هِيَ الَّتِي فِيهَا الْأَيَّامُ
الَّتِي تَصَامُ لِلْفَضْلِ وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ وَرَجَبٌ، هذا في
ابتداء أمره وَهَذَا مِنْ غِلْبَةِ ظَنِّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ هُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ
مطكوداسن لاتفاقهما في الزمان وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ شَيْخاً آخَرًا . .

[إدريس بن الطويل السوفي]

ومنهم الشيخ إدريس بن الطويل السوفي اللواتي كان شيخاً فاضلاً
متجولاً ورعاً، وَذَكَرَ أَنَّ جَدِيَانَا لَهُ أَكَلَتْ أَشْجَارَ النَّاسِ فَذَبَحَهَا وَتَصَدَّقَ
عَلَى أَهْلِ الْأَشْجَارِ بِلَحُومِهَا، وَذَكَرَ أَنَّ بُيُومًا لِسَارَةِ اللَّوَاتِيَةِ الصَّلَاحَةِ ضَلَّتْ
فَخَرَجَتْ تَبْتَغِيهَا وَتَطْلُبُهَا فَلَمَّا طَفَلَ النَّهَارُ وَحَانَتْ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ تَحِيرَتْ
أَيْنَ تَبِيتَ فَقَالَ لَهَا هَاتِفٌ تَبِيتِينَ عِنْدَ مَنْ لَا قِيَمَةَ لِلدُّنْيَا عِنْدَهُ وَهُوَ مَطِيعُ اللَّهِ
مَطِيعٌ لَوَالِدِيهِ مَطِيعٌ لِأَهْلِهِ وَوَصُولٌ لَجِيرَانِهِ فَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْخُ إِدْرِيسُ بْنُ
الطَّوِيلِ رَحِمَهُ اللَّهُ، ضَلَّتْ لِلشَّيْخِ إِدْرِيسَ نَعَمَ فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا فَبَدَتْ لَهُ جَنِيَةٌ قَالَتْ
نَدْعُو اللَّهَ فَقَالَ لَهَا ادْعِي أَنْتِ قَالَتْ الْفَضْلُ لَكُمْ عَلَيْنَا فَدَعَا اللَّهَ فَلَمَّا أَتَمَّ
قَالَتْ لَهُ الْحَقُّ جَمَالُكَ فَإِذَا هِيَ تَرَعَى وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ وَأَنْشَدَتْ لَهُ شِعْرًا

بالبربرية، ومر على الشيخ إدريس بن زكرار يعني ابن الطويل الشيخ سليمان بن موسى وتقدم التعريف به فقدم له تمرأ فيختار الطيب فيقول كلها يا حبيبي لأنني إذا أكلتها ضاعت وصارت هزلاً، وروى عن الشيخ محمد ابن أبي بكر أن من قبل النصيحة من ناصحه كمن أخذ منه فأسأ فخرج يحتطب من الشعرا ومن لم يقبلها كمن أخذه وصار يقطع في جسده..

[أبو فارس عبد العزيز]

ومنهم أبو فارس الشيخ عبد العزيز وذكر عنه إن طعاماً أتاهم في حلقة تجديد فكل من أخذ قطعة أكل منها وترك لمن بعده منها واستوعب بعض النهماء نصيبه ورد العظم فقال الشيخ عبد العزيز لم رددت هذا في القصعة فأمر من هناك أن يقسم اللحم بين المتقدمين والمتأخرين فمن هناك بدوا في قسمة اللحم وسببه ما ذكرت وقيل يأكل المتقدم الثلثين ويترك للمتأخر الثلث والقفار يأكل جانباً ويدع جانباً..

[يحيى بن إبراهيم]

ومنهم أبو سهل يحيى بن إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم بن ويجمن فلكونه أشهر لكثرة من أخذ عنه ولتأليفه قدمته على آبائه إلى ويجمن، أما يحيى بن إبراهيم فمن أئمة وارجلان وروى عن الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي بكر الواحد في صفة الله على أربعة أقسام أحدهما ثانيها نفى للكمية المتصلة أي ليس بذي أجزاء ونفى للكمية المنفصلة أي ليس بذي عدد، والثالث واحد في الصفة، والرابع واحد في أفعاله، وقيل ثلاثة واحد بالذات وواحد في كمال الصفات وواحد في مخترعاته، وقيل أربعة لا يجوز عليه التجزي ولا التشبيه ولا يستحق العبادة إلا هو ولا يستحق صفاته إلا هو وله روايات فاطلبها، وأما جده ويجمن فمن المذكورين

والمشهورين ، وأما جده إبراهيم بن ويجمن فمن كراماته أن رصده يحيى بن محمد ليفتك به لكونه حكم عليه فلما رفع يده ليضربه شلت بقدرة الله حتى انصرف الشيخ والسبب في ذلك أن أبا ذوناس تقاتل هو ويحيى بن ويجمن ثم إن يحيى لحق بأبي ذوناس فتجارحا فسجنهما الشيوخ فأجمعوا على ضربهما وتأديبهما ، قال الشيخ إبراهيم بن الشيخ ويجمن لا يضرب أبو ذوناس لأنه دافع عن نفسه فضربوا يحيى أربعمئة سوط فلما انتعش راصد الشيخ إبراهيم ليفتك به فشلت يده لما رفعها والحمد له . .

[داود بن أبي سهل]

ومنهم داود بن أبي سهل وكان شيخاً أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر فيمكن أن يكون أبو سهل هو المذكور ويجوز أن يكون غيره وهو مزاتي وذكروا أن الأشياخ عام الزيارة جازوا على بلاد أريغ فعتبت على شيوخها ، وفي كتاب سير شيوخ المغاربة وكانت الزيارة التي فيها الشيخ داود ابن أبي سهل قد عتبت على شيوخ أريغ إلا الشيخ عبد الله بن محمد فتابوا فقبلوا منهم ولفظ الشيخ في الشيخ داود زيادة مني وفي سير أهل المغرب أن الأشياخ عام الزيارة لما وصلوا ذكار بني منظور حرك أبو العباس الفرس فتبعه الفتيان يرمونه بالجرايد فأخرجهم داود ابن أبي سهل إلى الخطة فتابوا فردهم . .

[عيسى بن ياوين]

ومنهم الشيخ أبو موسى عيسى بن ياوين وكان شيخاً رئيساً وذكر أنه قدم أريغ بعد الأشياخ وأصلح ما بقي بها وذلك أن أهل وغلانت لم يقبلوا منهم ورجعوا من وارجلان ولم يقضوا ما ذهبوا إليه فلما قدم الشيخ عيسى أصلح ما بقي وكان حاكماً على العزابة ورجوع الأمر إليه

دونهم لحسن سياسته وتدبيره، وذكر عنه أنه قال فيمن قال لمتولي هذا منك تهاتر أنه يبرأ منه بذلك..

[عبد الله بن محمد السدراتي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد السدراتي هو خال لأبي محمد عبد الله ابن محمد اللواتي كان شيخاً فاضلاً ورئيساً عالماً حزيماً للدنيا والآخرة ومن رئاسته أنه سافر إلى بلاد السودان فجعل تجارته كلها صامتاً وحملها على جمل فإذا نزل ضرب خباه ودخل فيه واشتغل بالعبادة وما يصلح له ومعه حضري جعل تجارته عبيداً فشقوا عليه في الطريق فإذا نظر إلى الشيخ وهو في هناء وراحة قال سبحان الله من خلص عبد الله من هذا البلاء وأراحه، وقيل له ما تتمنى قال أكون وسط قومي أواسي فقيهم وأعلم جاهلهم، وكان أكثر ديوان أبي محمد أي اللواتي عبد الله ابن أخته ديوان خاله أبي محمد عليه السلام وكان عالماً له وقال له الشيخ حسان بن عبد الله وهو صديق له يكفيك من الكلام فتعلم الفقه قال ذلك علم العجائر..

[محمد السدراتي]

ومنهم أبو عبد الله محمد السدراتي كان شيخاً ذا كرامات ومن كراماته أنه يصلي يوماً في مصلاه فسأل الله ربه أن رضي عمله أن يريه آية فأظهر الله له نوراً عظيماً غلب ضياء الشمس ورد الظل إلى الشمس، ومنها أن قدمه أهل وارجلان حاكماً فظهر نجم عظيم شديد النور ينظم النساء إليه الخرز بالليل فقام بحق الله وحكم بالقسط وقسم بالسوية وأدب بالعدل وثقل على من غلبه هواه ذلك فنزع فزال النجم وكان يسمونه نجم أبي عبد الله..

فصل ذكر فيه بعض أهل الكرامات

وتقدم الأكثر وأكثرها في نفوسة فاطلبها في أخبارهم، منها كرامات أبي صالح اليجراني فاطلبها في التعريف به، ومنها كرامات علي بن مجبر وتقدم بعضها، ومنها كرامات أبي صالح جنون وقدم تقدم التنبيه على بعضها، ومنها كرامات أبي إسحاق بن رجا وتقدم بعضها قال ابنه دخلت على أبي وقت الضحى فكلمته مراراً فلم يجبني ثم كلمته بعد ذلك قال لي نظرت إلى امرأتين جميلتين نزلتا إليّ من السماء ملتحفيتين في ثوب واحد أبيض نقي البياض في غية الصفاقة والرقّة فبشرتاني وعجلتا إليّ الانتقال عن الدنيا فطلعتا فمات عن قريب، ومن ذوي الكرامات وإجابة الدعاء أبو عبد الله بن بكر وتقدم ذلك..

ومنهم أبو جعفر أحمد بن خيران وتقدم..

[اليانجاسني]

ومنهم اليانجاسني وكان يتصدق بثلث غنمه كل عام ومات في بعض الأعوام خرفانه فاخلف الله ما ضاع وولدت له شاة واحدة اثني عشر كلماً ألقى واحداً منها إلى شاة قبلته من اللاتي مات أولادهن وولد له غيرها أقل وهو على كل شيء قدير..

[سليمان بن أجاج]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن أجاج وكان أخوه الشيخ أبو القاسم يونس بن أجاج من أكابر العلماء تزوج وأراد أن يتمتع دون أولاد فاشتكى إلى أخيه أبي الربيع وكان مستجاب الدعاء فدعا الله أن لا يرزق ولداً أربعة أعوام فكان كذلك .

[ذو النون التاغيارتي]

ومنهم الشيخ ذو النون التاغيارتي كان يعلف جملاً لطريق الحج فسمن وصار عظيم السنام فنظرت إليه امرأة حامل فاشتتهت شحم سنامه فأخبرت بشهوتها زوجة الشيخ فلما دخل أخبرته بذلك فنحره وأرسل إليها ما اشتتهت وتخلف عن الحج لعدم الظهر قال أبو طاهر إسماعيل بن يبيدير فلما كان وقت الإحرام بالحج أسري به فأصبح بمكة فلما قضى جميع مناسكه من الحج أسري به إلى بلده فأخبر الناس بخبره وبغيته وبأصحابهم الذين في الحج فكذبوه ولم يصدقوه وأن اشتهر عندهم قبل ذلك بالصدق فلما قدم الحاج أخبروا أنه قضى معهم جميع المناسك . .

[الياجراني وآخرون]

ومنهم الشيخ الياجراني من كراماته أنه مات له صبيان وصبية فصبر ولم تصبر الأم وجزعت وصبرها فبينما هو مرة سائر إلى وارجلان ببعض الطريق إذا بأولاده راكبون الخيل والبنت جالسة على جذع نخلة لابسون أحسن الملابس قال فنزعت منهم شوقي فذهبوا كأنهم لم يكونوا، وتخلف مرة عن أصحابه في بعض الصحارى فأدركه عطش شديد فمال إلى شجرة فنام تحتها وحس ببرودة تحته فإذا هي ثراء فحفرها فإذا نبع الماء فشرب فروى ولما أراد الانصراف تبع ذلك الماء بالحفر لينظر من

أين أصله فإذا لا أصله له وذهب الثراء وتقدم مثله لأبي صالح الياجراني
غير مرة ولعل هذه له . .

ومنهم ضيفاً الساكن بالرمال وخبرهما على ما ذكر ابن يدير
إسماعيل أن رجلاً يسكن بالرمال قرب سوف وليس له سوى عنز وولدها
وبكرة عرجاء فضافه عزابيان وامراته غائبة بسوف مسافرة تبتغي لهما
طعاماً فقام إليهما ورحب بهما وأحيا السلام اشتغلا بصلاتهما وقام إلى
العنز فذبحها وطبخ لحمها وقدم إليهما القدر وأكل هو من فؤادها فبلغ
فيهما فعله فأكلا ما قدر لهما فنام فلما استيقظ وجد عنزة ترضع ولدها
ولا علم بصاحبيه فلما أصبح ركب بكرته وقصد ماء يسمى أعزاب فإذا
برفقة على الماء أقبلت من تادمكت وفيهم شيخ فحضهم على الصدقة
فجمعوا له ثلاثمائة دينار وأوقروا بكرته من متاع بلاد السودان فرجع من
الأغنياء فوسع الله عليه، وضافه بعد ذلك جماعة من العزابة وهو في
أرغد عيش فأبصرتهم امرأته من بعد وهي تبني خصها فاستبشرت بهم
وآتتهم بلبن وتمر ثم جاء زوجها بسوق إبلاً فلما رآهم سرّ بهم واستبشر
وقال قدمتم علينا وقت اشتياقنا إليكم وأطعمهم وأحسن إقراءهم
وأعطاهم وحدثهم بقصته، وتقدم خبر يبيب بن زنگيل وخبر الشيخ
تملي . .

ومنهم الذي حجر على الماء أن يحل بأرضه وقصته أن نوبته من
الماء أكملها ولم يجد من يرد الماء وكانت نوبة يقيم فحجر على الماء أن
يدخل أرضه فرجع إلى الساقية وتراكم حتى سكر عليه وأصلح ساقية
اليتيم ومجاري الماء وقال من قال جمد حتى أصلح وهو أقرب لما ذكر
أبو صالح جنون بن يمران لأبي عيسى مجبر الوسياني إذ قال لا يعرف
مذهبه ولم يفرزه من المذاهب كما يعرف بيته من بين البيوت في ليلة

ذات ظلام وسحاب وريح ورشراش فقال جنون لم تقول هذا وعندنا رجل لو دعا على ماء وارجلان أن يجمد لجمد ولا يقوم بما ذكرت وهو من أهل تاغيارات من وارجلان..

ومنهم الذي سلمت عليه السخلة بكلام فصيح فقالت السلام عليك يا ولي الله سائرة وراجعة وذلك الموضع مشهور يزار في أغلان وسمعت منذ زمان في جربة أن يونس بن أبي زكريا سلم عليه من تحت شجرة الزيتون، والمسلم بعض الحيوان ورأيتهم يدعون الله عنده..

ومنهم الذي نهشته حية وهو على وضوء فقال نقضت علي الغسل قتلك الله بالسبحة فما زالت تسبح حتى انقادت نصفين وعلى الموضع مصلى يزار وهو بإزاء تماواط بوارجلان..

[أبو حبيب وآخرون]

ومنهم أبو حبيب وله عريش يتعبد فيه ما يسع صحته غيره، فإذا زاره الأشياخ والعزابة وسعهم بإذن الله قلوأ أو كشرأ فبنوا عليه مسجداً وموضع العريش المحراب وهو معروف يزار..

ومنهم أبو حبيب الذي وجد عفرنة في نخيله وهي أول ما دخلت نخيل وارجلان نادى بأعلى صوته نزلت نازلة يا قوم ويا للمسلمين حدث كذا وكذا فخرج الناس فالتمسوا فلم يجدوا شيئاً ثم خرجوا إلى المقابر فوجدوا قبراً منبوشاً وميتاً مسلوباً فكفنوه ودفنوه..

ومنهم الذي دعا الله أن يرسل المطر فقال لقائده هل رأيت سحابة قال رأيت سحبية قال اسرع بنا فلم يصلوا تين تميمصوين إلا أنزل الله كثرة الماء وعليه مصلى يزار..

[عدل بن اللؤلؤ]

ومنهم الشيخ عدل بن اللؤلؤ، وذكر عن الشيخ سليمان بن موسى بن زنجيل أن المشايخ زاروا أهل الدعوة فلما بلغوا جربة سألهم من بها من الأخيار عن أفضل من قدموا به فقالوا عدل بن اللؤلؤ وموسى بن زنجيل الزلفي، ثم سألوا موسى بن زنجيل عن أفضلهم فقال عدل بن اللؤلؤ التناوتي ثم سألوا عدلاً فقل موسى بن زنجيل، وذكر سليمان بن موسى أن عدلاً أخذ يوماً في صلاة الضحى فناداه من أراد أن يتبرك يسوق جملة أن يحمل عليه الشب فألفاه يصلي ولم يرد أن ينصرف قبل أن يقضي ورده فاستبطأه فسافر مع قافلته فتخلف جمل الشيخ فأصيبوا فسلم جملة ببركة تعظيمه الصلاة وكان عدل مشهوراً بالعبادة والورع والسخاء، قال أبو زكريا وكان مؤذناً إذا أذن لصلاة المغرب وصلى أعطى ما يفطر فيه من كوة نافذة إلى المسجد ثم يشتغل بالعبادة والصلاة فيصلّي ركعتين في الأولى بالبقرة وفي الثانية بقل هو الله أحد فيسلم فيؤذن للعتمة فذلك دأبه، قال أبو زكريا وكان صيتاً فإذا صلى بالناس يصلي بصلاته من قرب وبعد ومن سخائه أن قصد تين امطوس الشيخ صالح الصادق ورفيقه فتلاقهما الشيخ موسى بن زنجيل قال قصدنا من هو أسخى منك عدل بن اللؤلؤ فجعل لهما على الطعام ثلاثة أرباع شاة ومات رحمه الله شهيداً في طريق أوزعانت وهو أول قتيل قتله العرب من أهل وارجلان وكفاك في فضله أن ذكر في فضل المستجابين . .

[حوو بن اللؤلؤ]

ومنهم حوو بن اللؤلؤ أخوه وكان شيخاً فاضلاً متقياً ذا كرامات قال أبو زكريا قال الشيخ محمد بن نوح قالت والدته أم المؤمن بنت حمو بن اللؤلؤ حضرت دفن والدي حمو وأنا صغيرة فلما انصرف الناس رأيت شبه فارسين أخضرين نزلا من السماء فدخلا القبر فمكثا قليلاً

فخرجوا وطلعا إلى السماء، وعنها أيضاً أن أباهما حمو أرسل عياله ذات مرة إلى الربيع وانتشر الخبر في الناس أنه تزوج فأتى مجمع الناس فقال إني تزوجتُ مريم بنت ماسوي بوليها واحفظوا عني أن من تزوج امرأة بغير إذن وليها فذلك الزنا نفسه وعينه، وأم المؤمن هذه كانت مأوى للأخيار ومزاراً للأبرار ولها كرامات، قال أبو زكريا ذكر ابنها الشيخ محمد بن نوح أن المشايخ زاروها ذات مرة وقد طعنت في السن قالوا حدثينا بشيء قالت في ماذا أحدثكم كلما دفنه الأولون أظهرتموه وعنه قال اصطحبت مع أمي تريد زيارة أخويها وهما آنذاك في اندرار فدخلنا الصحراء وشققنا البيداء فقالت يوماً اشتيت لحمًا فإيت ندع الله أن ييسره لنا فقلتُ وأنا آنذاك راهقت البلوغ أحرم كل لحم أجده هنا استبعاداً لوجوده فسرنا ملياً فإذا بخيمة فخرج منها شبه امرأة متقنعة بقناع أسود فأشارت إلينا أن اقعدا فقعدنا فإذا معها ظهر شاة فجعلت تملخ من مطايها وتعطي لأمي فتأكل فأشارت إليها أن تعطيني فأبت فلما قضت أمي شهوتها افترقنا ..

[موسى بن زنجيل]

ومنهم الشيخ أبو عمران موسى بن زنجيل الزلفي كان شيخاً صالحاً متقياً من وارجلان من تين بامطوس وكان من المشهورين في الورع والتقوى وتقدم في التعريف بعدل بعض أخباره ..

[عبد الله بن توسينت]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن توسينت ومن كراماته أن وقعت إليه يمامة فرآها منتتفة الريش فقال أحسبك تربين الأفراخ يا مسكينة فأومأت برأسها فقال لها اصبري فدخل فأتاها بقمح في كفه فلفظته حتى أتت عليه ولمس حوصلتها فقال الحقي أفراخك فطارت، وقال عبد الله أظننا

رجب وليس عندي ما اشرب من الأقط فقمتم إلى المسجد فصليت فإذا بدینار أمامي فرفعته فأنتيت داري فقعدت في مصلاي فإذا دينار يطير حتى وقع في ثوبي فقلت كفاني يا رب، وقعد يوماً في بيته فإذا بمومسة حامل دخلت عليه فسألته أن يعطيها ما تقضي في شهوتها من اللحم جازت عليه بين يدي جزار فأعطاها ما تشتري به من ذلك اللحم وكان حملها من الزنا وأغلق الباب وخرج ثم رجع فإذا بالموضع ملآن دراهم فجمعها ثم زادت فيضاً فلقطها إلى ثلاث مرار فدعا الأطفال بل الفتیان ليروه فيرتفع فيجده وقت الحاجة فلقطوا وهم يقولون متى وقع لك هذا كله يا شيخ فارتفع ..

[جنون بن سرغین]

ومنهـم الشیخ جنون بن سرغین ومن کراماته أن رأى ليلة القدر، ومنها أن ذمته عمرت بثلاثة دنائیر من رجل فحملها إلیه فتلقاہ رجل من أهل سوف فقال هل توصي إلی عمتک وعادته يرسل إلیها فی کل وقت بشيء فتحیر کیف یفعل فغلب علی نفسه فأعطاه دیناراً فلما وصل صاحب الدین أعطاه ما حمل فإذا هی ثلاثة وما تنفق من شيء فهو یخلفه وله الحمد ..

[محمد بن رستم]

ومنهـم الشیخ أبو عبد الله محمد بن رستم ومن کراماته إن ولده فی غانا، فقال لأهله أخروا عشاءي آکله مع عمران فأرجأه حتی مضى هدو من اللیل فخرج وصعد علی صخرة السبع فنادی ابنه غائباً عنه فلم یجبه أحد فتعجب الناس من ندائه فرجع فإذا بعمران اقبل وأکل عشاءه معه ..

[عبد الملك بن خلوف]

ومنهم عبد الملك بن خلوف، ومن كراماته أن بعض سدراتة منع الحق فأرادوا أدبه وسجنه فعنى وتجبر وامتنع فقال له جعل الله دارك سجنك فحبسه الله فيها كلما أراد أن يخرج تمثل له شيء مما شاء الله على الباب يفزعه ويصيح فيرجع حتى مات غماً..

[الصادق النفوسي]

ومنهم أبو سليمان داود المشهور بالصادق النفوسي وكان صاحب براهين وكرامات ومن كراماته أن دعا على قائد عسكر نزل على أهل تاغيارت فطلبه أن يتحول عنهم فامتنع أن فرق الله أعضائه فادلع الله لسانه حتى وقع على صدره وانقطع فدفن ثم كذلك حتى مات..

[الشيخ صادق]

ومنهم الشيخ صالح اشتهر بالصادق وكان أيضاً ذا كرامات فمنها ما ذكر أبو زكريا عما ذكر أبو الربيع سليمان بن موسى أن أهل وارجلان لا يعجلون بدفن من ينظر إليه حتى تجتمع الأخيار، فمات صالح الصادق فأدخلوه على جانب فلما أرادوا الخروج خرج واختلف من كان داخل الدار ومن كان خارجه في كيفية الخروج هل اتسع الباب وارتفع أو خرج من فوق الباب وتقدم هذا..

[عمرو بن عدل]

ومنهم أبو حفص عمرو بن عدل ومما يروى عنه أنه قال مجالس المسلم أربعة، مجلس الذكر ومجلس العلم، والثاني مسجد يصلي فيه، والثالث جناته يخدم فيه، والرابع داره متجنباً للمأثم متنزهاً عن النقائص..

[محمد بن يدر الدرفي]

ومنهم أبو يعقوب محمد بن يدر الدرفي وكان عالماً رقيقاً حسن السياسة، منها إن فات بحلقة ببعض الأحياء ووافقوا مبيت أعوان السلطان والأجناد فلما أكلوا العشاء خرج العزابة ناحية يذكرون الله ويقرأون وخرج الأعوان ناحية معهم العزفة والمغنين بالمزاهر والمزامير فتلطف فاتاهم فقعده بينهم فقال اسكتوا فلما سكتوا قال هل لكم فيما هو خير مما أنتم فيه قال تريحون أبدانكم وتنتفعون بما أكلتم قالوا صدق، وتركوا ما هم فيه من الطرب واللعب، ومنها ما ذكر أبو الربيع عن أبي محمد إن غارة الصنهاجة غارت على زناتة فرجعوا فألفوا أبا يعقوب وأبا عبد الله محمد بن بكر وعزابتهم على الماء فوقفوا على بعد على خيلهم فنادوا بأعلى أصواتهم واعطشاه واعطشاه يا عزاب فلم يشتغلوا بهم إلى ثلاث فقال واحد منهم أرى أنهم يقتلون كالفئران فسمعوا وتنحوا لهم عن الماء فوجد أحدهم أبا يعقوب يحفر التربة بيده ليغسل بها، فرق له فقال خذ المزراق واحفر به، قال أبو يعقوب رمحك يصلح لغير هذا والشيخ لا يريد استعمال الريبة فترفق في حسن التخلص فندم أبو عبد الله فقال أنت خير مني، وكان أبو عبد الله إذا ذكرها ندم إذ لم يترك لهم الماء أولاً، قبل كلام المتكلم وكان هذا الشيخ في نفوسة امسنان، عادته يجلب العزابة من أهاليهم فيبتدأون عنده ويعلمهم السير والأدب ثم ينتقلون إلى الشيخ محمد بن سدرين الوسياني فيقرأهم الأعراب والنحو ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله محمد بن بكر فيعلمهم العلم والكلام والأصول فمثلوهم بمن يقطع الأعواد من الغابة ويصلحها ويدفعها للنجار ثم يدفعها النجار إلى من يركبها.

[صلح بن محمد وآخرون]

ومنهم الشيخ صلح بن محمد وكان من المتقين وكفاك في فضله إن

ذكر أنه من الأبدال وقيل يوسف بن ونمو وكان في زمن أبي العباس بن محمد ..

ومنهم عبد الله بن حمو بن اللؤلؤ وحقه أن يذكر مع أبيه وكان من الأشياخ المذكورين ..

ومنهم الشيخ نوح بن محمد بن ميمون السدراتي وهو من المذكورين في جملة الأشياخ ..

ومنهم النعم بن الولي بن يعقوب اليانجسي وقد ذكر من الأبدال ..

[يوسف بن الوالي]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن الوالي قال أبو الربيع قدم على الشيخ أبي عبد الله محمد ابن بكر في سنة فروره سنة شدة وقحط، وعند أبي عبد الله الشيخ فلفل فصافحاه وفرحاً بقدومه وكانت عليه ثياب رثة فبادره فلفل فأبدلها له فشكى إلى أبي عبد الله ما هم فيه من الحاجة فأعطاه عشرين ديناراً فشاوره إن كان يصل وارجلان إلى الشيخين داود وصنادي فقال أدرك أهلك قيل أن يموتوا جوعاً وإذا وصلت وارجلان ابطأت عنهم فشكى ضعف قوته فدعا له أن يسهل الله عليه العسير فأوصى عليه رجلاً أخرجه معه إلى بني يانجاسن فوافق خروج قافلة إلى سوف ثم وجد غيراً إلى نفزاوة وخرج مع جماعة من اللصوص إلى بلاده وكانوا يترفقون به ويقولون إذا عييت فاسترح فعطفهم الله عليه وتلقاه أبو الربيع نازلاً من أفريقية عليه ثياب وسخة وكان يعرفه في الثياب النظيفة الحسنة والحالة الجميلة قال له ما هذا قال مجيباً نحن في زمان من فقد دنياه فقد أخراه والأولون من فقد الدنيا لم يفقد الآخرة ..

[أفلح المادغاسني]

ومنهم أبو الحسن أفلح المادغاسني كان شيخاً عالماً وإماماً حاكماً أخذ العلم من الشيخ حمو بن اللؤلؤ وكان صديقاً لأبي عبد الله محمد بن بكر فقدده أبو عبد الله محمد على بني ورتيزلن فأقام فيهم يحكم بالعدل سنين وقد تقدم ذلك في أخبار أبي عبد الله وما ظهر له فيه ..

[عبد الله بن الحسن وآخرون]

ومنهم عبد الله بن الحسن وكان شيخاً فاضلاً مذكوراً مشهوراً في وقته وفي سير أهل المغرب أن عبد الله بن الحسن سمع هاتفاً يهتف بليل تيوراست بشعر بالبربرية يوصي فيه بمراعاة المتقين وصلتهم كذا ذكر في روايات أبي يعقوب يوسف بن محمد عن الأشياخ ..

ومنهم الشيخ مسعود الأطرابلسي ذكره أبو يعقوب يوسف بن محمد في روايته عن الأشياخ وروى عنه شعراً بالبربرية ..

ومنهم الشيخ أبو موسى عيسى يركوص ذكره أيضاً أبو يعقوب وروى عنه في غير موضع ..

[أفلح بن أبي زكريا]

ومنهم الشيخ أفلح بن أبي زكريا كان شيخاً صالحاً صافي القلب خالص العمل نقي العرض وذكر في أخبار سارت أن أفلح بن أبي زكريا أقبل ذات مرة من الجسر وهو بقل الأرض إذ يرتحلون إليه لتأكله حيواناتهم، فسمعت سارة هاتفاً يقول لها شعراً بالبربرية ترجمته أن الشيخ أفلح بن أبي زكريا قد أقبل من الجسر والسفر فبشرها بإتيانه لتنزع منه العطش والجوع وتسبق وتأخذ بركته فوصفه بكونه ولي الله وإنه طاهر

القلب وإن تولاه في الله، وخاطبها بيا هذه التي معها السير وإنه خالص الإيمان، ثم قال الله الذي يعلم المسلم في الحقيقة وذلك بشعر بالبربرية وهتف بها مرة أخرى يسليها لأن قرابتها لم يصلوها أو لم يصلوا إليها يقول شعراً بالبربرية إن أخوتها أفلح بن أبي زكري ويديرين جلداسن وأبو القاسم يونس عطية الله، وسارة امرأة لواتية مسكنها سوف صالحة عابدة جعل الله لها منبهاً ينبهها فيأمرها بالمعروف والخير، ومن أخبارها إنها أرادت أن تأكل تمرأ من قلة لها في عام قحط فقال لا تكثرين الأكل فإن الناس في جوع، وقال لها مرة افعلي هذه الخصال حيث أصبت ركوع الضحى وصوم يوم الجمعة والصدقة مما أعطاك الله واصبري، وأرادت مرة زيارة المشايخ من الرمال إلى سوف فتحيرت من الحر والبعد فنبهها بأن قال إذا استقبلت موضعاً وقصدت الله أعانك أو رفعك كما رفع السماء فارتفعت فإذا هي بسوف بقدرة الله، وقال لها مرة من حمل على نفسه مشقة العبادة ومن لم يحملها يتغابنون يوم القيامة ويتفاضلون، واعلمي سعيد بن أبي ولي وجلداسن وإسماعيل وبني أخيه أن يعزموا على لقاء الله، واجتمعت نسوة إليها وسألتهما عما ينجيهن من النار، فقال لها قولتي لهن الطهور ثم الصلاة ثم الصوم ثم الصدقة وترك الغيبة وأخبريهن أن الله يغفر ما هو أعظم من الجبال والجهل يرمى بصاحبه في النار، وقال لها ثلاثة غرباء الحلال والمسلم والمساجد، ورقد رجل على رملة وسمع هاتفاً من تحته يقول أصبت راحة النوم بالصدقة وبالعطا أصبت رحمة ربي وبالنسوة أصبت الزاد والنور فقدم سوف فأخبرهم فوصف الكدية قالوا ذلك قبر سارة وتقدم مبيتها عند إدريس بن الطويل إذ ضلت بُهْمَهَا، وتقدم أخبارها مع أفلح بن زكريا، وخرجت مرة في طلب بُهْم لها ضلت فنقد ماؤها فتحيرت فأنشدتها شعراً وأخذ بيدها ورمى بها في سوف، وكانت تنفق على عيال غائب وكلها فأعجبته مرة حبة تمر

فغفلت فرمت بها في فيها فنبهها فألقتها من فيها وأخبارها أكثر واختصرنا
وجميع ما نبهها به من الشعر بلغة البربر ولذا لم أثبته ..

[جلداسن وابنه يدر]

ومنهم الشيخان الأفضلان التقيان جلداسن وابنه يدر كلاهما
موصوف بالخير والصلاح وتقدم التنبيه عليهما مع سارة ..
ومنهم الشيخ يونس عطية الله وتقدم أيضاً ..

[يدراسن]

ومنهم الشيخ يدراسن وفي المعلقات قال الشيخ يدراسن نرضى
لأهل هذا الزمان أن يصلحوا علانيتهم كما أصلح الأولون سرائرهم وأن
يصلوا من وصلهم كما وصل الأولون من قطعهم وأن يزهدوا في الحرام
كما زهد الأولون في الحلال وأن يقيموا فرائضهم كما أقام الأولون
نوافلهم وأن يتقوا على دينهم كما يتق الأولون على نعالهم وأن يشفقوا
من الذنوب كما خاف الأولون من عدم قبول أعمالهم ..

[الحاج سبع]

ومنهم الحاج سبع، وفي المعلقات قال الحاج سبع، من فسح له
في المجلس فرأى أنه يستحق ذلك فهو هالك ..

[عطية بن مفرح]

ومنهم عطية بن مفرح وفي المعلقات قال كل ما يلد البيض لا
ينجس طرحه إلا الدجاج وشبهه مثل الوز والوزغ وغيره، وقال لا يقال
لغير المتولي مرحباً، ومن جعل له طعام فله أجر كل من أكل منه قال
يحيى بن زكريا إذا رفع يده منه وهو يريد أن يأكل منه غيره ..

[محمد بن علي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي شيخ من قرب الحمى، روى عنه تجويز ألفاظ على الله بالبربرية، وعنه من صبر في الصلاة على ألم برغوث أو قملة وهو في الصلاة غفرت ذنوبه، ومن استقبل القبلة بحاجة الإنسان وهو غافل فتذكر وانحرف عنها غفرت ذنوبه، ومن انحنى ليحمل حجراً للاستجمار لا يستوي إلا وقد غفرت ذنوبه..

[عبد الرحيم بن أبي منصور]

ومنهم عبد الرحيم بن أبي منصور شيخ من شيوخ العلم فائق وقدوة من أئمة أهل الدعوة، صادق ذو كرامات وفضائل، روى صالح بن عبود عن أحمد بن يوسف عن عبد الله بن لنت عن عبد الرحيم ابن أبي منصور أنه رأى أباه أبا منصور خرج من قبره وأتبعه بصره حتى وصل قبر يوسف بن خليل فغاب عنه، وعنه من قال إذا أصبح: «اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأنبيائك ورسلك وجميع خلقك أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمد عبدك ورسولك وما جاء به حق من عندك» أربع مرات كان عتيقاً من النار..

[أيوب بن عبد الرحيم]

ومنهم ابنه الشيخ أيوب بن عبد الرحيم، وفي سير المغرب وذكر أن امرأتين لما تغيرت لواتة الساكنون بطرة ورجعوا حشوية خرجت امرأتان أختان مهاجرتان بدينهما إلى تجديد فتزوجت إحداهما واسمها مَقْرِيثُ الشيخ عبد الرحيم بن أبي منصور فولدت له الشيخ أيوب وتزوجت الأخرى واسمها أم العز الشيخ عيسى ابن إبراهيم فولدت له الشيخ محمد..

ومنهم أبو منصور أبوه وهو مزاتي..

[عبد الله بن لنت]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن لنت شيخ أخذ العلم من الأسياف وروى عن عبد الرحيم بن أبي منصور وروى عنه أحمد بن يوسف روى صالح بن عبود عن أحمد بن يوسف أن عبد الله بن لنت قال ليس علينا ممن رمى غير المتولي شيء...

[يعقوب بن خليل]

ومنهم أبو يوسف يعقوب بن خليل كان شيخاً فاضلاً متقياً مستجاب الدعاء ومما يروى عنه أنه يدع: «اللهم اجعلني قمحة على سطل» ونام تحت طاقة في المسجد فأخذ بعض كساه منها فاسقط عليه حجراً فقال لأقتلك إلا سبع، فكان كذلك...

[ميمون بن أحمد]

ومنهم ميمون بن أحمد شيخ مذكور، ومما يروى عنه أنه قال من عطس خمس مرات يوم الجمعة غفرت ذنوبه ومن قال لمتول يا ثقيلاً، يبرأ منه، ومن مسح بعد الصلاة تراب جبهته بثوبه ولم ينفذه سبح له ما دام ملتصقاً بثوبه وتقدم ذكره...

[سليمان بن زمير]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن زمير سأل أبا عمران عن تمر بال عليه الجديان أينقيه الزمان والريح والشمس قال نعم قال رزقك الله الجنة يا شيخ، قال وأنت رزقك الله الجنة يا شيخ، وعنه المسلم من بني آدم أفضل من الملائكة قيل لأنهم يحفظونهم في الدنيا ويدخلون عليهم في الآخرة من كل باب...

[يوسف بن يرصوكسن]

ومنهم أبو يعقوب يوسف بن يرصوكسن ممن أخذ عن أبي الربيع سليمان بن يخلف، وسأله عمن قال ليس هنا إلا الله يطلع وينزل وعمن قال لآت فمي في الله، وعمن قال الله في فمي كالخبز فأجابه بأن ذلك في تأويل الإيمان وكثرة الحلف بالله..

[محمد بن مسلم]

ومنهم عبد الله محمد بن مسلم، وفي المعلقات قال من أخذ أن الله أمر بهذا عرف أنه طاعة وبالعكس ومن أخذ أن الله نهى عنه عرف أنه معصية وبالعكس، وروى أن عبداً له مات فغسله وحده عند ماء، وروى عنه أن الأمر والنهي ليس علينا منه شيء اليوم، وروى أنه دعا العزابة إلى طعام صنعه لهم فسبقهم فوطئ برجله في قصعة الزيت فقال كلوا لم أزل على الوضوء أريد أن لا يستقذروا الزيت..

[عيسى بن إبراهيم الهواري]

ومنهم أبو موسى عيسى بن إبراهيم الهواري شيخ مشهور من أهل تجديد تزوج أم العز أخت مقرية زوجة الشيخ عبد الرحيم بن أبي منصور فولدت له الشيخ محمد بن عيسى وهي إحدى المرأتين الأخنتين الصالحتين اللتين هاجرتا من طرة لتحصين دينهما، وهذا الشيخ في عصر أبي عبد الله، وفي السير أن عيسى ابن إبراهيم مر بأبي عبد الله فقال أين تريد قال إلى قاتل أبي فأقتله قال هل رأيته قال لا قال هل شهد لك شهود قال لا قال فارجع وإلا كنت قاتل نفس بغير نفس..

[محمد بن عيسى]

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عيسى ابنه وكان شيخاً تقياً

سيداً فاضلاً أمه المرأة الصالحة المهاجرة بدينها أم العز وأصلح الله له
زوجها وهي نسل الشيخ محمد بن بكر أم عبد السلام بن عبد الكريم
تزوجها بعد عبد الكريم والله أعلم وكان هو وأبوه وأمه وزوجه وربيبه
بيت علم وتقى وزهد اشتهروا في الخير . .

[إبراهيم بن جنون]

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن جنون شيخ من شيوخ العلم روى عنه
الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد، ومما روى عنه قال سألته عن البينة
واليمين متى يرجعان على المدعى عليه قال كل شيء لا يشهدون فيه
الشهود إذا غاب عنهم فالبينة فيه واليمين على المدعى عليه، وروى عنه
أن الميت إذا انفتح فاه وانفتحت عيناه لا يغسل . .

[صالح بن أفلح]

ومنهم أبو نوح صالح بن أفلح أخذ العلم من أبي العباس وروى
عنه أن الدعاء إذا راجعه القوم بينهم سبع مرار اختطفه الشيطان، وأما
أبو نوح صالح الذي لقي أبا عمار بظعيتنهما باندراو فهو في غالب ظني
الشيخ صالح بن الشيخ إبراهيم المعروف عليه السؤالات وسيأتي وذلك
أنه لما لاقاه سأله عند النزول وعند الارتحال قال أبو نوح منك الجواب
قال تقول: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ الآية . . وتصلّي ركعتين عند الارتحال
وتقول رحلنا وربنا محمود، وبلاؤه عندنا حسن، وتذكر الله ألم تعلم أن
الجبل سأل الجبل هل مر بك اليوم من يذكر الله . .

[عيسى بن عيسى النفوسي]

ومنهم أبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي وكفاك به علماً وشهرة

أنه الذي ألّف كتاب السّؤالات التي رويت عن أبي عمرو إملاء الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد وتقدم التعريف به ..

[صالح بن إبراهيم]

ومنهم أبو نوح صالح بن إبراهيم وكفّك به شهرة أنه الذي عرض عليه كتاب السّؤالات وكان شيخاً وأبوه أبو إسحاق إبراهيم من كبراء الأشيّخ أيضاً ..

[عمران بن علي]

ومنهم عمران بن علي شيخ فاضل من كبراء العلماء وفي السّؤالات وقال عمران بن علي يحكى عن أبي القاسم يونس بن أبي زكريا من قال إبليس من الملائكة أشرك، وفيها وقال ليس علينا من ولاية من وحد من اليهود حتى نرى له الوفاء رخصة منه ﷺ وأظن الضمير في قال، لأبي القاسم وله أخبار وروايات ..

[أبو القاسم التوجميني]

ومنهم الشيخان أبو القاسم التوجميني وأبو نوح وكلاهما معاصر لأبي القاسم يونس بن أبي زكريا، وفي السّؤالات وسمع رجلاً يدعو آخرأ إلى الحق عند محرز بن سفيان فلم يجب فقال له أبو القاسم التوجميني فدعاه فقال أبو القاسم أجب فأجاب إلى الشيخ أبي نوح وأظن أن السامع أبو القاسم بن أبي زكريا وضمير له للمطلوب وفاعل قال الداعي وأبو القاسم مبتدأ أي بيني وبينك أبو القاسم، وفيها أن أبا القاسم له على رجل حق فدعاه إلى الحق وليس معه إلا أبو نوح فأبى عليه من الحق أي من الإجابة إلى الحق ولم يكثرث بهما أبو نوح

وَعَفَلَ ﷺ فلما رآه أبو القاسم غفل قال لأبي نوح أعطيتك الذي عليه
ف قيل فقال ادعه إلى الحق فدعاه الشيخ فخاف الرجل من أبي القاسم
فجاء إلى الحق صاغراً وهذه بمناقب أبي القاسم أولى ولكن أردنا
التعريف بالشيخين . .

[يونس بن سبال الواشتي]

ومنهم الشيخ يونس بن سبال الواشتي، وفي السؤالات وإن شهد
أمينان على أن هذا اسم من أسماء الله أو صفة فعلى السامع كذلك أن
يصفه ويعلم معناه وأن لم يعلم معناه فلا يعذر في ذلك وفيها رخصة أن
يعلم معناه وهي مسألة يونس بن سبال الواشتي ﷺ . .

[أبو الفتوح]

ومنهم أبو الفتوح شيخ أخذ العلم من أبي عمار متأخر وفي
السؤالات، وروى أبو الفتوح عن أبي عمار ﷺ إنه قال يجوز أعوذ
برضاك من سخطك وهذا مما يدل أن الرضا والسخط صفتا فعل وكثيراً
ما يروى في السؤالات عن أبي عمار وإن كان متأخراً عن أبي عمر ولأنه
تقدم أن المؤلف لها غير أبي عمرو بل هي أو أكثرها مروية عنه وربما
روى عن غيره . .

[عيسى بن يوسف المديوني]

ومنهم الشيخ أبو موسى عيسى بن يوسف المديوني شيخ فاضل
عالم تقي، وفي السؤالات روى الشيخ أبو عمرو ﷺ عن أبي موسى
الشيخ عيسى بن الشيخ يوسف لما حس في عقله شيئاً إذا سأل عن شيء
قال كان شيء وفرغ وكذا أبوه من الأشيخ أيضاً . .

[خليفة بن تازوراغت]

ومنهم الشيخ خليفة بن تازوراغت وتقدم أنه معاصر لجابر بن سدرمام وذكر أبو عمرو وغيره أن جابراً صنع طعاماً للشيخ فدعا الشيخ خليفة فقال يعلم الله لا أمضي إلى ضيافتك قال جابر قد وقع عليك الحنث فإن شئت فامض وإن شئت فدع، وبيان المسألة من قال يعلم الله إني لم أفعل هذا وقد علم الله أنه فعله أو قال يعلم الله إني فعلت وعلم أنه لم يفعل لزمته الكفارة مطلقاً وَعَصَى وَالْعَصِيَان كَبِيرٌ وَقِيلَ صَغِيرٌ وَقِيلَ غير ذلك كذا عن أبي عمرو وروى عن الشيخ يحيى بن أبي بكر أنه الشرك أي تفسير غير ذلك لأنه أجرى علم الله على خلاف ما علم، قال أبو رحمة حكاهما أبو زكريا يحيى بن زكريا عن أبي العباس بن محمد مشافهة وإن بقي علم الله عن الشيء الموجود أشرك، وإن قال يعلم الله أن هذا يكون أولاً يكون وأراد لحتم كفر وإن لم يرده فهو بمنزلة اليمين . .

[يحيى بن أيوب ابن بختيت]

ومنهم الشيخ أبو زكريا يحيى بن أيوب اشتهر بابن بختيت أخذ من الشيخ أبي عبد الله بن بكر، وفي السؤالات وإن رأى من فعل فعلاً ولم يأخذ قبل ذلك أنه كبيرة فلا يكون له حجة إلا أمينان، وروى يحيى بن أيوب المعروف بابن بختيت عن أبي عبد الله أنه يبرأ منه على مشاهدة الفعل واشتهر أيضاً بمطحنة المسائل وهو نفوسي، وفي السؤالات وحكى عن الشيخ يحيى بن أيوب الملقب بمطحنة المسائل المعروف بابن بختيت إنه قال علينا أن نعلم أن الدنيا ستفنى أو الدنيا في نفسها الليل والنهار وما فيهما وسميت بذلك لأنها دنت إلى الفراق وجمعها دُنَى . .

[ساناج بن محمد]

ومنهم الشيخ ساناج بن محمد بن أبي محمد جمال وتقدم التعريف بأبي محمد وهم جميع أهل بيت علم ودين أصلية في الوهبية، وفي السؤالات حكى الشيخ عن أبي زكريا يحيى الزواغي عن أبي مجبر الشيخ توزين أنه قال، قال لي ساناج بن محمد ابن أبي محمد جمال المزاتي رحمته الله إن فعلت كبيرة ثم تبت كما قال الله فجاء من يبرأ مني عليها فأني لا أبرأ منه، فجعل نفسه مثل المتولي وحكى الشيخ عن عيسى بن يوسف المديوني إنه قال قال سانوج إن فعلت كبيرة ثم تبت منها كما قال الله فجاء من يبرأ مني عليها فأني أبرأ منه سواء قصدها أو لم يقصدها فجعل نفسه أكبر من المتولي ..

[سعيد بن تينا]

ومنهم أبو عثمان سعيد بن تينا بن أبي محمد ويسلان بن يعقوب الدجمي تقدم التعريف بالشيخ أبي محمد، وأما الشيخ سعيد فكان في عصر أبي عبد الله، وفي السؤالات ومن فعل فعل الجوارح فجاء من يبرأ منه عليه فلا يبرأ منه وأما كبيرة القلب فإنه يبرأ منه لأنه لا يصل إلى معفرتها وهي مسألة سعيد بن تينا بن أبي محمد ويسلان بن يعقوب الدجمي المزاتي وهو الذي قال في حلقة أبي عبد الله أخذت مسألتي ولا أبالي بعبد الجبار والحارث، وتقدم التنبيه على الحارث وعبد الجبار، وأما الشيخ تينا بن أبي محمد فشيخ مذكور في المشايخ وهم أهل بيت علم وتقي وذو أصالة في المذهب وقادة فيه وضبطه ثلاث سينات عليها ثلاث نقط وبعضهم أهملها ..

[إبراهيم بن عبد الله]

ومنهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ عبد الله ويروى عن أبي

عمرو، وفي السؤالات ومنهم من يقول بالولاية بالعبد والنساء حكاها
الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الله يروى عن الشيخ أبي عمرو وأبوه أيضاً
شيخ مذكور..

[محمد بن أحمد]

ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أحمد، وكان أبو نوح
ممن يروي عنه، وتقدم التعريف بأبي نوح وإنه كثير الروايات عن
الأشياخ، وفي السؤالات، وأما إن قال برئت من أهل ولايتي أو قال
وقفت في أهل ولايتي فإنه يبرأ منه، وقيل ليس علينا منه شيء إلا أن
قال برىء منكم أهل ولايتي، يبرأ منه، عن الشيخ عبد الرحمن بن معلا،
وروى الشيخ أبو نوح عن الشيخ محمد بن أحمد أنه ليس علينا منه شيء
وتقدم التعريف بالشيخ عبد الرحمن بن المعلا والله أعلم.

[إسماعيل بن يحيى]

ومنهم أبو يحيى إسماعيل بن يحيى ممن أخذ من أبي عمار، وفي
السؤالات إبليس أبو الجن الذي هو الجان ولما شمله الأمر جاز أن
يستثنى من المأمورين كما أمرنا مع الجن وليسوا منا، ثم قال فالمطيعون
له من ذريته والمطيعون له من ذرية آدم كانت لهم النار، ومن أطاع آدم
وأتبعه على الدين من ذريته ومن ذرية الجان فهم المسلمون، روى ذلك
أبو يحيى إسماعيل بن يحيى عن أبي عمار عن أبي زكريا يحيى بن أبي
بكر اليراسني رحمهم الله، وهو قول الحسن وجماعة من التابعين وغيرهم
ورواه أبو صالح عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وذكر عن أبي يعقوب
محمد بن يدر النفوسي وكان شيخاً معاصراً لأبي القاسم يونس بن أبي
زكريا ولأبي عبد الله محمد بن بكر، وفي السؤالات في تمام المسألة

المتقدمة عن أبي يحيى وجدوا في كتاب أن الجان أبو الجن رجل صالح فأخذوها، بل أبوهم إبليس، قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾⁽¹⁾ واتصل الخبر إلى آخر قصته فسماه بإبليس ثم قال ومن جعله من الملائكة أشرك وهي المسألة التي رد الشيخ أبو القاسم يونس بن أبي زكريا اليراسني على أبي يعقوب محمد بن يدر النفوسي في حديث عند أهل السير من أصحابنا رحمة الله عليهم وتقدم التعريف به وبسط المسألة في السؤالات ..

[سليمان بن أيوب وآخرون]

ومنهم الشيخان الأفاضلان العالمان القدوتان أبو الربيع سليمان بن الشيخ أيوب بن الشيخ محمد بن أبي عمر وبل الشيوخ الأفاضلون وأظن أنه تقدم التعريف ببعضهم، وذكر في السؤالات أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن محمد ذكر عن الشيخ سليمان بن الشيخ أيوب بن الشيخ محمد بن أبي عمرو التناوتي رحمته الله قال لما كثر القبل في أخيه يحيى نهاه عن الدخول في أمور الناس وأمره بالاعتزال فلم يطعه ولم يصغ إليه فلزم سليمان بيته فتحير الناس من ذلك فدخلوا عليه فكلموه في الخروج إليهم والحضور لمجالسهم تبركاً به لما يعينهم به ويستفيدون منه فتمثل لهم بقول الحكيم:

إِذَا مَا كُنْتُ فِي زَمَنِ عَبُوسٍ وَفِي نَاسٍ مِنَ الْبَشَرِ الْخَسِيسِ
لَزِمْتُ الْبَيْتَ مُضْطَرِيراً كَأَنِّي أَخُو قَبْرِ دُفْنْتُ بِلَا أُنَيْسِ

وهؤلاء الأسيخ مذكورون في أسيخ تناوت وهذا كلف في التعريف بهم وإن أردت أخبارهم فتبعها في الكتب ..

(1) سورة الحجر آية 27.

[المعز بن جناو بن الفتوح]

ومنهم الشيخ المعز بن جناو بن الفتوح وهو من الأسياف الذين عرضت عليهم السؤالات وهو من أئمة الكلام واللغة والفقه وأخذ العلم - أظن - من أبي عمرو ..

[سليمان بن محمد]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن محمد بن إسحاق وكان شيخاً متكلماً معاصراً لأبي عمار ولأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم ..

[سليمان بن يومر]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن يومر أخذ من أبي عمار وغيره، وفي السؤالات الواحد في صفة الله على أربعة وجوه، واحد في الصفة، وواحد في الذات، وواحد في الفعل، وواحد في العبادة أي لا يستحق العبادة غيره قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾⁽¹⁾ و﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽²⁾ .. وأمر الشيخ أبو عمار أن يزداد الرابع يعني في كتبه والراوي عن أبي عمار سليمان بن يومر وعن سليمان بن محمد بن إسحاق ..

[موسى بن هارون النفوسي]

ومنهم الشيخ أبو عمران موسى بن هارون النفوسي وهو غير أبي هارون موسى بن هارون الساكن بابناين بل هو متأخر أخذ من أبي محمد عبد الله بن محمد العاصمي وفي السؤالات التقى الشيخ موسى بساق في

(1) سورة الأنعام آية 19.

(2) سورة الأنبياء آية 25.

سفاقس فطلبه الشيخ أن يسقيه فقال له الساقى لا أسقيك حتى تجيب لي هذه المسائل وهن من قال لامرأته أنت طالق لا طالق بل طالق يا مطلقة قال هي مطلقة تطليقتين، ومن قال لآخر أنت خلاف لخلاف الذي هو خلاف الذي هو خلاف الجميل، قال هذا مدح، ومن قال أنت خلاف لخلاف الذي هو خلاف لخلاف القبيح، قال هذا ذم، ومتولّ دعا اللهم إني أسأل كناراً تقطع لي منه ثياباً ولا أسأل كالجنة فأوصل الكافين باللامين يوهم أنهما للخطاب قال ذلك جائز والكنار شقق الحرير، وقال له ما تقول في عائشة وابن عباس وهما متوليان عندكم قال ابن عباس إن محمداً رأى ربه بعين رأسه وقالت عائشة من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال أراد ابن عباس عمله بتمييز واستدلال من عقل، ولا يعني به التفكير بل بتعليم والأطباء تزعم أن العقل في الرأس فسقاه ..

[أبو الفتح]

ومنهم أبو الفتح وهو ممن أخذ عن أبي عمار وفي السؤالات وروى أبو الفتح عن أبي عمار الوجه في تبليغ الرسول ﷺ إيانا من جهة التواتر من قبل الكتاب والسنة واهملهما ولعله أبو الفتوح والله أعلم ..

[أبو علي بن أبي علي وابنه]

ومنهم الشيخان أبو علي بن أبي علي وابنه أبو عمران موسى بن علي وكان من المذكورين في الأشياخ، وفي السؤالات وندين باستتابة المرتد على معنى نصوب وقيل عن الشيخ موسى ابن الشيخ علي ابن أبي علي ندين باستتابة المرتد أي إنها فريضة أراد أنها من الدين أي نتخذوه ديناً لأن لندين معنيين نصوب ونتدين .

ومنهم أبو مسعود معاصر لأبي عمار وقد كان يكتابه، وفي
السؤالات باختصار ولينا أن نعلم أن الدنيا ستفنى وما فيها وفناؤها على
التلاشي إلا الثقلين والملائكة وأطفال المسلمين والله أعلم في أطفال
غيرهم، وعلينا أن نعلم أن كل عاقل يذوق الموت وليس علينا في
غيرهم شيء إلا أن أخذت كل نفس ذائقة الموت على العموم، وعلينا
أن نعلم أنهم يبعثون ويحاسبون أعني العقلاء، وعلينا معرفة سبعة أسماء
بالعربية: «الله، وجبريل، وآدم، ومحمد، والقرآن، والجنة، والنار»
وعلينا أن نعلم أن الله ثواباً لا يشبهه ثواباً وَعقاباً لا يشبهه عقاباً، وعلينا
أن نعلم أنهم حدثوا ومحدثهم واحد لا يشبههم ولا هو منهم، قال وهذه
الوجوه التي كتب الشيخ أبو عمار للشيخ أبي مسعود فعرضها على أبي
يحيى واستحسنها غاية الاستحسان وسوغها واشتد به العجب..

[مرصوكسن الصاويني]

ومنهم الشيخ مرصوكسن الصاويني وكان ممن يروي عن الشيخ
عيسى بن يوسف، وفي السؤالات التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله وإن ما جاء به حق يأتي بهذا
هكذا بالعربية وإن ترك منها شيئاً فلا يجزيه، روى هذا الشيخ مرصوكسن
الصاويني عن الشيخ عيسى ابن الشيخ يوسف عن الشيخ عبد الله بن
محمد اللتي رحمته الله.

[أفلح بن عبد العزيز]

ومنهم الشيخ أفلح بن عبد العزيز وكان شيخاً فاضلاً، وفي
السؤالات في الذي تولى رجلاً وهو كافر في الكتب المتقدمة أو تبرأ منه
وهو مسلم فيها فعن الشيخ يحيى بن زكريا الزواغي يسعنا هذا ولم يلزمنا

إلا ما في هذا الكتاب، وحكى أفلح بن عبد العزيز عن الشيخ عيسى ابن الشيخ يوسف أنه لا يسعنا خلاف الكتب..

ومنهم الشيخ أبو موسى عيسى بن حمدان مذكور في الرواة ومشهور في الأشياء..

[عبد الرحمن الكزيني]

ومنهم الشيخ عبد الرحمن الكزيني المصعبي، وذكر الشيخ عيسى ابن حمدان أن الشيخ عبد الرحمن الكزيني المصعبي كتب إلى شيوخه وأرجلان سائلاً عن اليقين والقدر والفرق بينهما وعن أعلام الساعة وغير ذلك، فأجابه أبو عمار ووافقه الشيوخ بأن اليقين فعل للعباد والقدر فعل الله واثنان من أشراط الساعة منصوصان ﴿حَقَّقْ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ الآية⁽¹⁾ ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ الآية⁽²⁾ يعني عيسى، واثنان مستخرجان من النص، طلوع الشمس من مغربها يوم يأتي بعض آيات ربك، وخروج الدابة ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾⁽³⁾.. ونار تخرج من عدن تسوق الناس إلى محشرهم لما روى عن النبي ﷺ في ذلك، وحبشي يعلو الكعبة بفأس يهدمها، وخسف بجزيرة العرب..

[أبو إبراهيم بن خلف بن المزاتي وابنه]

ومنهم الشيخان الأفضلان أبو إسحاق إبراهيم ووالده أبو إبراهيم ابن خلف بن مالك المزاتي الدجمي التغرمانى فإن كان أبو إبراهيم هو

(1) سورة الأنبياء آية 96.

(2) سورة الزخرف آية 61.

(3) سورة النمل آية 82.

مصكدا سن فقد تقدم التعريف بهما وإن كان غيره وجمعهم الاسم والقبيلة والزمان والدين والعلم فالله أعلم ومما يزداد من الأخيار أن إبراهيم كسر ألف دينار على الكتب وجمع منها كثيراً ولما حضره الموت أوصى بها للشيخ أبي العباس بن محمد والتقى معه الشيخ أيوب ورآه بغير جريدة يدفع بها المكروه فيما يظن فقلت معي مدية فقال حسن اذن فارجع فقلت له تبت فقال رددتك ..

[علي بن خزر الوسياني وآخرون]

ومنهم أبو الحسن علي بن خزر الوسياني النفوسي وكان شيخاً فاضلاً، وفي السير، سير أهل المغرب أن الشيخ سعد بن يفاو أورد على الشيخ علي بن خزر ثمان خصال ظن أنه عملها وهو منها برىء فلما أخذ يعدّها عليه بادر إلى التوبة والاستغفار وعدم العود إليها فقبل منه فقبل له لم لم تدفع عن نفسك وأنت لم تعمل فقال أعوذ بالله أن أرد ناصحاً ولو رددته لضرني فيما أعمل فيقول أراد نصحه فلان فلم يقبل ولست خيراً منه وهذا الشيخ معاصر لأبي عبد الله بن بكر ..

ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي ابنه وكان مذكوراً في الأشياخ وتقدم التعريف به ..

ومنهم أبو سليمان الشيخ داود بن ويسلان من جملة الأشياخ الذين عرضت عليهم كتب أبي العباس التي ترك في الألواح ..

[بعزيز النفوسي المسناني]

ومنهم الشيخ بعزيز النفوسي المسناني وذكر أبو نوح وأبو عمرو أن شيخاً من امسنان سأل هل تعطي الزكاة لمن جاز عليك من أهل الدعوة ولم تعرف له كبيرة قال نعم لوحاً ولوحين فأنكر عليه سعد بن يفاو وعلي

بن خزر وَعَلي بن سهل وَقَالَ لَهُم مَرَادُكُمْ أَنْ لَا يَأْخُذَهَا إِلَّا مِثْلُكُمْ وَأَنْتُمْ
بَيْنَ مَنْ يَطْعَمُهَا لِأَمَةِ خِمَارَةٍ وَقَوِي يَقْدِرُ عَلَى الْإِحْتِرَافِ وَمُسْتَخْلَفٍ عَلَى
رَبْعٍ ..

[عَلي بن سهل النَّفُوسِي]

وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بن سهل النَّفُوسِي وَهُوَ مِنَ الْأَشْيَاحِ
الْمَشْهُورِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِينَ وَلَهُ سِيرٌ وَأَخْبَارٌ ..

[ابن أَبِي صَالِحِ النَّفُوسِي]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَبِي صَالِحِ النَّفُوسِي مِنْ أَمْسِنَانَ وَهُوَ
مِنَ الْأَشْيَاحِ الْمَذْكُورِينَ، وَذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو وَأَبُو نُوحٍ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعِزَابَةِ
مِنْ أَرِيغٍ جَازَوْا عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي صَالِحِ النَّفُوسِي قَالَ أَنْتُمْ
مَغْرَاوَةٌ أَعْظَمُ مِنَّا بَخْتًا وَمِنْ قُوَّةِ سَعُودِكُمْ أَنْ انْتَقَلَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ امْتَّازَ بِهَا: الْعِلْمُ، وَالْوَرَعُ، وَالْعِبَادَةُ،
وَالشَّجَاعَةُ، وَالسَّخَاءُ، وَمِنْ ذُرُوءِ نَفُوسَةٍ ..

[إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاعِلَانِي]

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَاعِلَانِي
كَانَ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ أَهْلِ الدِّينِ وَمَأْوَى وَحَصْنًا لِلْأَخْيَارِ تُوُفِيَ عَامَ ثَمَانِيَةِ
وخمسمائة فِي أَنْوَارٍ، وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ مَاتَ أَبُو يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي
جُرْبَةٍ وَفِيهَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ثَلَمَةٌ مِنْ هَاهُنَا
وَتَلَمَةٌ مِنْ هَاهُنَا، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ أَمَّا الْعَقْلُ فَقَدْ طَارَتْ بِهِ
عُقَابُ الْجَوِّ، وَفِيهِ قَالَ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ فِي اللُّغَةِ
كَمَا يَسْتَنْدُ إِلَى السَّارِيَةِ ..

[محمد بن إبراهيم]

ومنهم والده محمد بن إبراهيم وكان متقياً عابداً ورعاً مات شهيداً وذلك أن بني مسافر غدروا بأهل واغلانت فقتلوا منهم بشراً عظيماً وكان الشيخ يصلي الضحى فلم يشعر بهم حتى وقفوا عليه فقتلوه وقد قال لهم غدرتم بهم ردكم الله تحتهم ..

[يزيد بن يخلف الزواغي وابنه]

ومنهم الشيخان القدوتان يزيد بن يخلف الزواغي وابنه خلف، وذكر أبو عمرو أن أبا يعقوب محمد بن يدر أجاب مسألة فاختأ وذلك أنه قال علينا العمل بالفرائض وليس علينا العلم بها وهو جواب مستأوا وكان أبو الربيع سليمان بن يخلف ويزيد بن خلف الزواغي خلف المجلس فأجابا بأنه علينا العمل والعلم بكيفيته وبأن عليه الثواب وبأنه فرض ودل وكانا باتا عند حلقة فلم يقل لهما نزع قولي ولا قالاه تب، وذكر أن الشيخ يزيد كان في جبل نفوسة فسألهم بعض مستأوا هل تعلمون لربكم سمياً وكان من عادة مشيخة نفوسة لا يعجلون بالجواب مع كثرة علمائها حتى يدور السؤال جميع الجبل من لالت إلى تغرمين ثم يرجع إلى الشيخ الذي سأل عنه أولاً، فيجيبه، وأجروا هذا السؤال في عدم المسارعة إلى الجواب كذلك فضاقت العامة والعجائز ذرعاً فبادر يزيد بأن قال ما نعلم له سمياً يا عدو الله وارتفع عندهم، وعلت منزلته ..

[وافي بن عمار الزواغي]

ومنهم الشيخ أبو محمد وافي بن عمار الزواغي، وكان شيخاً عالمياً تقياً ورعاً مفتياً مشهوراً مذكوراً في الأشياخ، ونقل عنه جماعة

وهذا الشيخ في عصر أبي الربيع سليمان ابن أبي هارون موسى وهو الذي استفتى أبو زكريا ابن الشيخ أبي هارون موسى حين شدت عليه المشايخ إذ جاء على نفسه بكثرة الوضوء بالماء البارد حتى شلت إحدى يديه فقال له وافي بن عمار العضو الذي أهلك في طاعة الله الجنة أولى به، وكان يقول ماذا وجدت في عمي وافي، وتقدم هذا بالتعريف بالشيخ أبي هارون وبالجملية أنه شيخ حزيم ورع، وبطون الكتب مشحونة بما روي عنه، ومن نباهته أن مشايخ نفوسة سافروا إلى درج فتعرضهم رجل من أهلها ليضيفهم فأبى عليهم وافي بن عمار لكونهم قبل ذلك حكوا عليه بغير المشهور من الأقوال خوفاً عليه من غريمه ونظروا صلاحه في ذلك فعصوا أبا محمد وتركهم في البيت ولم يكرمهم ..

[يحيى بن الخير الجناوني]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني تقدم التعريف بجده وإنه أخذت فيه بركة الشيخ أبي الخير الزواغي، إذ دعي له وسمي باسمه وكني بكنيته وبقي أثرها في ذريته، وأبو زكريا في زماننا أشهر من جده لكثرة تأليفه، ومن غزارة عمله وعمق بحره أنه يفتي للناس حين رجع عن أستاذه أبي الربيع سليمان بن أبي هارون ستة أشهر، ولم يتوقف ولو في مسألة واحدة مع كثرة السائلين في أي فن من الفنون سألوا، ومن شدة عدله أن ضافه رجل من أهل تنبطين فلما أصبح تخاصم هو وغريم له عند أبي زكريا وكان أكرمه إكراماً تاماً ولم يجز الأحكام لإكرامه الشيخ فأدبه الشيخ بنفسه ضربة وإعانة بل هذا سهو مني وإنما اتفق هذا لأبي يحيى توفيق الجناوني، وذكر في آخر كتاب النكاح وكان سفرأ مستقلاً وإنما كتباه رغبة فيما يتحفظه من آثار من أدركنا ثم قال وقصدنا فيه إلى الحاجة مما يحتاج الناس إلى استعماله مما أفتاه

الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي هارون رحمته الله وقدس روحه وأكرم مثواه إلا القليل منه فربما أسندناه إلى غيره وربما لم نسند من رواية مستظرفة وقول مستظرف وأما الحل منه فهو عنه، وكفاك حفظاً وقوة ثبوت أن صنف كتاباً مما حفظ عنه وسمع من شيخه إلا قليلاً مما سمع من غيره، وجازت عليه نسبة الدين وأخذ عنه بشر كثير وكان اعتماد أهل نفوسة على كتبه حفظاً وفتياً لكونه أودع فيه المأخوذ به من الأقوال، وربما ذكر الخلاف وهي كتب مفيدة في الأحكام، ومما ذكر عنه أقام عند أبي الربيع مدة طويلة في مسجد ابنانين، ومن عادة نفوسة أن يجعلوا سترة على الصف الآخر من المسجد وذلك في جميع مساجدهم يدخله النساء لسماع العلم وللصلاة ليكون بينهن وبين الرجال حجاباً فلما أراد الانصراف من عند شيخه والموادعة قال امهلوني حتى ادخل خلف السترة لأنظرها ولعلي أن أسأل عنها فناهيك من رجل أقام بمسجد أعواماً لم يختبر أركانه ولم يعلمها تورعاً وهذا الموضع في غير أوقات الاجتماع مباح للرجال للقعود وللصلاة.

[داود بن هارون]

ومنهم الشيخ أبو سليمان داود بن هارون كان الغاية في العلم والورع والحلم أخذ العلم عن أبي زكريا بن الخير وأخذ عنه كثير وله أجوبة مفيدة، وهو الذي ألّف المسائل التي نقلها أبو محمد وارسفلاس عن أبيه مهدي عن أبي يحيى وفي المعلقات قال عيسى بن حمد أن حضرت مجلسه فسألته هل يجوز على الله متكلم قال الله أعلم، على نفي الحرس عنه، قلت ومكلم قال على أنه فاعل للكلام قلت تكلم وكلم قال يجوز بعد خلق الخلق قلت يتكلم قال لا يجوز في الأزل وفيه اليوم قولان وسأله عن غير ذلك فأجابه قال فعلمت أن الرجل ماهر وقال

البغطوري قال بعض المغاربة سرْتُ البلاد شرقاً وَغرباً فلم أر مثل داود بن هارون وَهذا الشيخ يعني أبا محمد بن محمد وَبالجملة أنه في أيامه تضرب إليه أكباد الإبل في إيضاح كل مشكل وَتفسير كل غريب وَجواب كل سؤال وشهرته في التقى والورع في بلاد نفوسة بل في جميع المغرب أشهر من أن تخفى..

[نالوف بن أحمد]

ومنهم الشيخ أبو يعقوب نالوف بن أحمد كان في زمان أبي زكريا يحيى بن خير وكان ممن يكتب في مشكلاته أبا الربيع سليمان ابن أبي هارون وله إليه أجوبة مودوعة بطون الكتب لمن أرادها..

[أبو محمد عبد الله المجدولي]

ومنهم أبو محمد عبد الله المجدولي المعروف بتميجار هذا الشيخ من طلبة أبي الربيع وهو خاص به وكثيراً ما يكتبه بعد أن رجع إلى بلده ولأبي الربيع إليه أجوبة وكان يؤثره على سائر التلاميذ وإذا سافر أو انتقل كان رديفه على البغلة، وفي السير سير نفوسة أن رجلاً أطعم أبا الربيع وطلبته في بعض المنازل فلم يأكل بعض التلاميذ لعله استراب طعام الرجل فغضب عليه أبو الربيع فقال لأبي محمد عبد الله التميمجاري وقد كان رديفه على البغلة قل له يلحق بيته فقال أبو محمد مجيباً إن لم تأثم أنت لم يَأثم هو يا شيخ عرف الحق فجعل يطأطئ برأسه حتى بلغ رأسه قرب قربوس السرج وأجوبته له كثيرة، منها أن من جرح أو قتل غيره بأمر فقد كفر ويعطي الدية للورثة في القتل ويعطيها له في الجرح ويعطيها الأمر للورثة وقد كفر أيضاً، ومن قال لامرأته أنت طالق كلما دخلت الدار، وإن دخلت الدار أبداً فكلما دخلت لزمها الطلاق في

المسألة الأولى ويرتفع ذلك إذا نكحت زوجاً غيره بلزوم ثلاث لا بتمام العدة وفي الثانية قولان، وبالجمله كل امرأة بانث من زوجها بثلاث ثم نكحت غيره ارتفع كل يمين قبل ذلك، ومن تبرأ من رجل ببراءة وليين ثم رجع أحدهما أن البراءة ثابتة وإنما اخترت هذه من سائر الأجوبة طلباً للاختصار ولحسنها ..

[هارون بن أبي الربيع]

ومنهم الشيخ هارون بن أبي الربيع سليمان بن أبي هارون موسى ابن هارون الباروني النفوسي تقدم التعريف بابنه لشهرته وهو أيضاً من الأشياخ المذكورين والعلماء المفتيين، وذكر ابنه أبو سليمان داود في بعض أجوبته لأبي عبد الله محمد ابن أبي زكريا عن أهل تملشايث وجماعتهم من أهل تيجي حين أبوا أن يدوا معهم، قال اعلم يا شيخي أنهم قد سألوا أبي في حياته فقال لأهل تيجي أدوا على أموالكم في تملوشايث مع أهل تملوشايث فيما يدارون به على أنفسهم وأموالهم، فقال أبو يوسف ابن عم نزار ما نشتغل بأبي داود ولا بأبي عبد الله ثم قال يا شيخ أن أجابوا لك بما يوجب عليهم الحق أن يفعلوه فقد أخبرتك بما قال لهم أبي وعندي أنا مثل ذلك وتكلموا يومئذ أن من عثر في العرب باطلاً فعليه جنايته في ماله وإن أغاروا عليه فليس عليه شيء في ماله وكذا إن خرجوا يدافعون جميعاً فعثر واحد يعني والله أعلم على الجميع ..

[يحيى بن إبراهيم الباروني]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن إبراهيم الباروني النفوسي كان شيخاً مذكوراً وحاكماً منصوراً أظن أنه معاصر لأبي زكريا يحيى بن الخير

وكان يستفتى أبا الربيع سليمان ابن هارون في النوازل الواقعة في أيامه ما يستشكله من الحكم ، ولأبي الربيع إليه أجوبة . .

ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبي زكريا يحيى كان شيخاً فاضلاً وحاكماً عادلاً وكثيراً ما يكاثبه أبو سليمان داود بن هارون ويخاطبه بيا شيخى إما تعظيماً وإما حقيقة المشهور عن داود أنه أخذ العلم من أبي زكريا يحيى بن الخير الجناوني وكان أبو عبد الله يستفتى فيما يستشكل من النوازل عليه في الأحكام داود بن هارون ورأيت له إليه أجوبة كثيرة وكان حاكماً على نفوسة بعد أبيه أبي زكريا . .

ومنهم أبو منصور بن أبي زكريا كان إماماً سالكاً على الصراط وحاكماً قاضياً بالأقسط وهو أيضاً ممن اشتهر في أيامه وقدم حاكماً في جبل نفوسة وهو أيضاً يستفتى في نوازل ومشكلاته داود بن هارون وجوابه إليه بالتعظيم ، ومن أجوبته للشيخ أبي منصور بن أبي زكريا تولاك الله بالحسنى وزينك بالتقوى ويسرك لليسرى وجبك سبل الردى أوصيك ونفسي بتقوى الله التي لا وصية أبلغ منها ولا هداية أنفع منها ومثل هذا كثير ويخاطبه أيضاً كما يخاطب أبا عبد الله بيا شيخى وكانت حكومته بعد أبيه ولا أدري قبل أبي عبد الله أم بعده وإلا ظهر قبله ، ومن أجوبة داود إليه اختلف العلماء منهم يقول يؤخذ الورثة على الدين ولو لم يقتسموا ما بينهم من التركة ، ومنهم من يقول لا يؤخذون وبهذا القول رأيناهم يفعلون أي لا يأخذون حتى يقتسموا . .

[زكريا بن إبراهيم]

ومنهم أبو يحيى زكريا بن إبراهيم وكان أيضاً معاصراً لأبي سليمان داود بن إبراهيم وهو جد أبي يحيى زكريا بن إبراهيم بن أبي يحيى بن

إبراهيم بن زكريا بن موسى بن هارون وتقدم الكلام على زكريا وورعه
في التعريف بأبيه أبي هارون وكان شيخاً مذكوراً وكان أيضاً ممن يكتب
داود بن هارون . .

[سليمان بن هارون]

ومنهم أبو الربيع سليمان بن هارون وتقدم أن أبا زكريا يستفتيه في
نوازله وكان عالماً مفتياً وشيخاً تقياً وأخذ العلم من أبي زكريا بن الخير
أظن ومن أجوبته لأبي زكريا يحيى بن إبراهيم أن شهادة أهل الجملة
على موت غائب في شهر كذا أو مات فلان قبل فلان جائزة ولو لم
يكونوا أمناء إذا لم يتهموا قال وسمعت الشيخ أبا زكريا يذكر في المسألة
ما هو أكثر من ذلك ولهوان الظلمة إذا أغاروا على قوم فقتلوهم وقالوا
قتلنا فلاناً قبل فلان وهم ممن يتوارثون أن قولهم جائز يعني أن المقتول
آخر في قولهم يرث المقتول أولاً، ومن أجوبته له أن من استخلف خليفة
أو وُكِّل على إعطاء ما عليه من الحقوق وأخذ ما له ثم عزله عند الشهود
وسافر أن لشهود الذين سمعوا منه إذن علموا بخداعه وحيله فشهدوا
بذلك أن الشهود يوبخون ويغلظ عليهم ويعنف بهم ولا ينصت لشهادتهم
لأنهم معونة له على تعطيل الضعفاء، وللحاكم إذا أراد أن يتخذ خليفة
أن يشترط عليه أن ينفذ جميع ما استخلفه عليه وإن غاب أو عزله فإن
اشترط ذلك عليه لزم الخليفة ذلك ولو نزعه ويلزمه ما فعل الخليفة . .

[محمد التنكيصي الطرمسي ومحمد بن بركين]

ومنهم الشيخان الأتقيان أبو عبد الله محمد التنكيصي الطرمسي
ومحمد بن بركين كانا شيخين صالحين عالمين عاملين ورعين، قال
الشيخ الفاضل داود بن هارون في جواب أبي منصور بن أبي زكريا وقد

اجتمعنا في المسألة في جادو كما عملت مع أبي عبد الله التكنيصي وأبي عبد الله محمد بن بركين فلم يكن بيننا في المسألة إلا أن البيع ماض واختصرت كلامه لأن المقصود التعريف، وأبو عبد الله الطرمسي بلغ به الورع إلى أنه لا يأكل اللحم خشية أن يقع في الريبة أو الحرام كيف لا يعلم إلا أن يكون، طيراً وأرسل إليه بعض إخوانه أن يأخذ بظاهر الشرع ولا يبحث وإلا فإدراك الحلال البين متعذر وما لزمك في اللحم والمأكول يلزمك في الصوف والملبوس أتتخذ ملبوساً من الريش أم تبقى عرياناً..

حكاية

وقعت لبعض المجتهدين يوماً، وقد ذكر الشيخ أبو الربيع سليمان ابن موسى ابن الشيخ أبي ساكن عامر بن علي مشايخ نفوسة وما أدركوا في الورع والعلم وإقامة الحق وما لهم من الكرامات فقال بعض المجتهدين الحاضرين يا شيخ بلغت مشايخ نفوسة في دين الله ما لم تبلغه الأنبياء فانتهره الشيخ ووبخه وقال له تب إلى الله وانزع لأن درجة الأنبياء لا تدركها الأولياء وأبى الجهل والبله أن يتركاه فزاد وقال نعم والله لأرض أبو عبد الله الطرمسي ما رضيت أولاد سيدنا يعقوب فزاد الشيخ في توبيخه وتهديده عصمنا الله من الجهل المركب..

[يحيى بن يصلتن]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن يصلتن كان معاصراً لأبي زكريا بن الخير وفي أجوبة أبي سليمان داود لبعض إخوانه روى يحيى بن يصلتن عن يحيى بن أبي هارون أن جملة أكل من شجرة يتيم في كاباو فجعل عليه المشايخ اثني عشر غصناً بدرهم، وأما لزيتونة فعلى سبعين غصناً درهم

وقيل ستين وإذا كانت على غصن واحد فربح دينار وتقدم التعريف بأبي زكريا يحيى بن أبي هارون وورعه في التعريف بأبيه وأخيه أبي الربيع ..

[عبد الله بن مصكود]

ومنهم عبد الله بن مصكود شيخ فاضل عالم عامل أخذ العلم من منبعه الشيخ أبي الربيع وتقدم التعريف به وأخذ عنه أبو سليمان داود بن هارون وكان خاصاً به يحبه ويؤثره على غيره وهو جد أبي محمد وسيأتي، وروى البغطوري عن أبي محمد أنه قال قعدتُ معه ذات مرة في شرق مسجد تارديت تحت زيتونة يحدثني فأتانا الشيخ ابن وريازن فقعد فقال كنت أبغضك فقال له لماذا قال ابن وريازن يا شيخ رأيتُ الشيخ أبا سليمان بن هارون يؤثرُك ويحبك فمنتُ فرأيتُك في النوم قاعداً مع عمر بن الخطاب في خيمة فأتيتكما فأردتُ الدخول فقام إلى عمر يريد ضربني بدرة في يده فقال بماذا تبغض ابن مصكود فزال ذلك من قلبي من هناك بإذن الله ..

[وجدليش الأمللي]

ومنهم وجدليش أبو يوسف الأمللي شيخ فاز بالتقى والدين وغاص في بحور العلوم فكشف الجهل والدين أخذ العلم من معدنه داود بن هارون وأخذه عنه جماعة وجازت عليه نسبة الدين وكفاك به سؤدد أنه أستاذ الشيخ أبي يحيى زكريا ابن إبراهيم، وذكر البغطوري في ذكر نسبة الدين أن بعض الأشياخ ذكر له أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام في مجلس عظيم ودرجته على الجالسين مرتفعة ومرتبته عنهم عالية وهو مشرف عليهم وفي صدر المجلس ومقدمته ثلاثة شيوخ أبو يوسف الأمللي وأبو يوسف الأرجاني وأبو محمد عبد الله بن محمد المجدلي وسيأتي تمام المنام عند التعريف بأبي يوسف الأرجاني ..

[عبد الله بن محمد]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مصكود شيخ استفاد العلم وأفاده أخذ العلم من داود بن هارون كما أخذه من جده لكن أبا محمد بن محمد أشهر من جده لكثرة من أخذ عنه، قال البغطوري أن الشيخ أبا محمد بن محمد رحمته الله أفضل من أدركت وكان عالماً بسيرة الأولين وأخبارهم كأنه حضر معهم فأكثر مجالسه في آخر عمره في ذلك ومثله وما أدركنا أحداً في زماننا أكثر نية منه قال لهم إنسان مغربي سرتُ البلاد غربها وشرقها فلم أر مثل داود بن هارون وهذا الشيخ يعني أبا محمد وكل ما وجدت رواية وسيرة في أخبار مشايخ نفوسة فالأكثر من ذلك هو راويه، وكان إماماً تعلم منه بشر كثير وله فضائل ومواعظ ..

[توفيق بن يحيى الجناوني]

ومنهم أبو يحيى توفيق بن يحيى الجناوني أخذ من أبي محمد بن محمد وساد معه ولعله أخذ من غيره ثم عنه وكثيراً ما يروى عنه عن أبي سليمان داود بن هارون في كتبه وذكر البغطوري أنه أخذ عنهما دينه وله تأليف مختصرة وتقييدات وأخذت فيه دعوة الشيخ أبي موسى الجناوني وتقدم التعريف به، قال البغطوري وكان أبو يحيى يقول قدر الله أنه دخل إلى المصلى الذي عند قسبة أجناون فمر أبي إليه وحملني في ذراعه فلما دخل عليه قال له الله الله لهذا الغلام فقال عسى الله أن يجعله نور هذا البلد، فخرج والحمد لله فقيه أجناون وغيره قال وأعطاني رمانة واحدة ولذلك عقلته، وفي مختصره في الطهارات وكل دم من بني آدم نجس إلا ما استخصوه من دم الشهداء وقد كنا حاضرين لدعوة عند موضع الشهداء في امسين مع الشيخ أبي محمد رحمته الله فمسحتُ الدم بثوبي من الصفا فإذا

تثانة الدم ظاهرة على الثوب فجرينا خلف شيخنا أبي محمد فسمعتُه يتحدث عن تلك الشهداء قال اثنان على دين عيسى قبل مبعث النبي بستين عاماً قتلاً على الإسلام والتوحيد ظلماً والثالث من جبل دمر كان يتعبد في ذلك الموضع وَيصلي فقتل ظلماً وكانت دماؤهم الثلاثة ظاهرة وَبقيت دماؤهم الثلاثة على الصفا مجرى الماء ماء المطر فسأل الشيخ أبو محمد عن دمائهم فقال إن دماء الشهداء ليست بنجسة، انتهى كلامه ملخصاً. . وهذه الدماء أحد الكرامات التي اختص الله بها جبل نفوسة أعني بقاء دماء على صفا مجرى ماء مطر على طول الدهر وإذا مسحته بثوب تعلق به وَتشم منه رائحة الدم القريب العهد، وأول ما رأيتها وأنا مع شيخي أبي عفيف صالح بن نوح رحمته الله وَحَكَّكَه بثوبي فقال والله أعلم بطهارته، ومن كرامات جبل نفوسة أثر الغنم الذي بتالا على الصفا هابطة من جبل وماشية مع الطريق كأنها ماشية في الطين ربما وقع أثر بعضها على أثر بعض وربما انفرد فيتبين أتم بيان يميز الصغير والكبير والمتوسط كل ذلك على صفا وصخور وجبل وبقي بقاء الدهر إلا ما دفن من الصخور بالتراب أو تحول عن الطريق بطول الأمد ولذا تجد موضع التراب خالياً وفي الصفا ثابتاً، ومنها أثر أبي عثمان الساكن بدجى أعني أثره في مصلاه على صفا، ومنها أثر أبي مرداس في صفا عند مصلاه ثلاثة أقدام، ومنها الأثر الذي في اكفى أثر ناقة ودابة وكلب عند مصلى الشيخ عمي ظاهر ونسبه على السنة الطلبة لدابته وكلبه وناقته مشهور وبينها وبين حرف الجبل من أربعة أصابع إلى أذرع لتفرق الأثر لأنه غير واحد والله أعلم، ومنها الأثر الذي على الصخرة تحت بادو نسبه التلاميذ والطلبة إلى أبي الليث حين صعد من أجناون إلى جادو إذا انتقص لبن بقرته ووجد أبا منصور يضرب رجلاً وتقدمت الحكاية في التعريف به، ومنها الدماء التي في الرمل في ككلة وتسمى دماء الشهداء

ولعلها لأصحاب أبي حاتم، ومنها ما يحكى عن الصخرة التي سقطت عن بعض الأشياخ يصلي ومن قطعة عظيمة من جبل وأبا أن يزول ولا يلتفت فانحنت عليه حتى كادت أن تناله فأمسكها الله والله أعلم، ومنها خشبُ الشيخ ورأيتُ منه خشبتين أحدهما بلالت والأخرى بتالات وقسُتُهما بيدي من تسعة أشبار إلى أحد عشر شبراً الشك مني لطول المدة، وبالجمله أن جبل نفوسة احتوى على الكرامات وعلى كثرة الصالحين والعلماء ما لا يوجد بغيره وذكر أن بعض الأزمنة لا تحتاج فيه قرية إلى قرية للفتيا إلا اجناون وويغوا وتندميرة لا تحتاج دار إلى دار وقالوا اجتمع في اجناون سبعون عالماً في أيام أبي عبيدة عبد الحميد من أهل ولايته وذكر أن إماء نفوسة في تلك الأعصار إذا وردن أو خرجن إلى الحطب لا يرحن حتى يتذاكرن جميعَ مسائل كتاب ماطوس وتقدم فيما مضى التعريف ببعض شيوخهم ووقعت محاوره ومناظرة بيني وبين بعض ملوك أفريقية عام أحد أو اثنين وتسعين فآل بنا الأمر إلى أن قال ليس فيكم أولياء ولا صالحون فقلتُ يا سبحان الله إذا لم تكن الأولياء فينا ففي أي الفرق تكون من رأيتم يبول على عقبه ويترك الصلاة قلتُ هذا مجذوبٌ وولي ولكن أرسل الشهود إلى جبلنا لينظروا ما فيه من الكرامات ما لا يحتمل التأويل فسألني عنها وكنتُ أعدها عليه وعندهم الخبر في بعضها كأثر الغنم لشهرته وخشب الشيخ بل حملوا خشبة منها إليهم وأبصروها فأفحم وسكت..

[أبو عيسى الجناوني]

ومنهم أبو عيسى الجناوني أخبر عنه البغطوري وقال في بعض الأخبار حدثني بذلك شيوخ أجناون وعده فيمن حدثه..

[أبو يوسف الأرباني]

ومنهم أبو يوسف الأرباني كان شيخاً فاضلاً تعلم العلم وعلمه وتعلم العلم وعمل بموجبه وكان ممن ساد أهل زمانه، وذكر البغطوري أن بعض الأسيّاح حدثه أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام في مرتبة عالية مشرفاً على مجلس من الناس عظيم وتحتة ثلاث درجات وفي مقدمة المجلس ثلاثة أسيّاح أبو محمد عبد الله بن محمد وأبو يوسف الأمللي وأبو يوسف الأرباني فجرت وسط المجلس وهمتي الوصول إلى الرسول عليه السّلام فأمسكني أهل المجلس ولم أشتغل بهم فلما بلغت الدرجات ورقيت واحدة أو اثنتين فحبسوني فسألت حينئذ رسول الله ﷺ عن هذا المذهب فقال أنتم خير الأديان ومراده خير المذاهب أعني صاحب الرؤيا . .

[زكريا بن إبراهيم]

ومنهم أبو يحيى زكريا بن إبراهيم بن زكريا بن أبي هارون الباروني هو الغاية القصوى في العلم والعمل والأمر والنهي جدد المذهب بعد أن اخلق أخذ العلم من أبي يوسف وجدليش الأمللي عن أبي سليمان داود ابن هارون وعن أبي محمد بن محمد عن أبي سليمان داود وفي أيامه رجعت بنو يفرن وككلة وبابل وتاكبال إلى مذهب الوهبة وكانت قبل ذلك مستاوة وحسنية وخلفية أتباع خلف بن السمع أي بعضهم حسنية أتباع أحمد بن الحسين الأباضي وبعضهم مستاوة أتباع عبد الله بن يزيد الأباضي وأخذوا في الفقه بقول ابن عبد العزيز وأبي المؤرج وحاتم بن منصور وشعيب بن المعروف وتقدم بعض أخبارهم في صدر الكتاب ودانت له الدنيا يحكى عنه أنه تصدق على جميع جبل نفوسة وبني يفرن وككلة وبابل وتاكبال بشيء من الدراهم من خمسة دراهم إلى أربعة لكل

بيت وَثْمَن زيت أو أكثر وَغَيْر ذلك، وزاره في هرمه بنو يفرن فلما أرادوا الوداع أعطى لكل إنسان منهم عشرة دراهم فأراد أن يعطي ما بقي لعون بن حريز مقدمهم فقال لا أريد إلا البركة وما أتيتُ من بلادِي اطمع دنيا وَقَبْل قبض لكل واحد قبضة فأراد أن يعطي الباقي لعون بن حريز فقال ادع لي الله فنشر له ثوبه فدعا له وَضَم أطراف ثوبه فلما بلغ داره نفَض ثوبه فبقيت تلك البركةُ في ذريته إلى يومنا هذا، وكانوا سادات بني يفرن وَمَقْدَمِيهِمْ وَمِنْ فضائله أن نفوسة إذا كانوا بالجزيرة متحصنين بها من يحيى بن إسحاق الميروقي كان فيهم رجل شجاع تكفل باحتراس المدخل فكان يعطيه كل يوم أربعة دراهم، ومنها أن طلبته أرادوا أن يفترقوا لجذب وَبلاء وَشدة وَقَالُوا اضررنا بشيخنا وَكَانُوا على ما قيل قرب ثمانين طالباً وكان ينفق عليهم فلما بلغه ما اجتمعوا عليه جمعهم على طعام بغير إدام فقال لبعضهم آتيهم بالأدام من موضع في البيت سماه له فأتى الموضع فوجده مائلاً ثم أتاهم بأدام من غير ذلك الموضع فقال أخبرهم بما رأيته فقال لهم لم أجمعه إلا لأنفقه عليكم في المسغبة ولا أذن لأحد أن ينصرف إلا لحاجة فأقاموا فأخذ ينفق عليهم حتى زال القحط وقيل أن بعضهم سأل من أين جمعه، فقال من البيع في الشدائد وَقِيلَ معه الاسم الأعظم وقيل علم الكيمياء، ومن حزمه أنه إذا أرسل من يأتيه بالطعام من دكي وَبَيْنَ البلدين مسافة قليلة أرسل معهم خبيراً من نفاث وَسَيَّاتِي حديث ذلك عند التعريف بالشيخ يخلف الفرستائي تلميذه وَمَدَّة حياته أقام منار الحق وَلَمَّا مات حزنت عليه طلبته وَأَهْلُ مذهبهِ وَرَثَتِي بقصائد كثيرة من طلبته رأيته منها جملة وَصَلَى عليه يوجين بن نوح أخو سعيد بن نوح من بلد مسين ووعظ الناسَ وَإِلَيْهِ يشير الشيخ أبو نصر فتح بن نوح في مرثيته إذ قال قام الخطيب يبكي الناسَ وسادَ من طلبته جماعة وَسَيَّاتِي التعريفُ ببعضهم وَبِالْجَمْلَةِ أن الشيخ حزيم لآخراه وَلَدُنِيَاهُ

ووصل معروفته القريبَ والبعيدَ والمطيعَ والعاصي رحمة الله علينا وعليه . .

[مقرين بن محمد البغطوري]

ومنهم الشيخ مقرين بن محمد البغطوري أحد الأسياف الذين تمسكوا بالعلم وأتموا بالعمل وأتبعوا الطريق وهو ممن حفظ على المذهب وحافظ على السير وهو أحد المؤلفين سير من قبله من أسياف جبل نفوسة وألف في الفقه ما تيسر أخذ العلم من أبي يحيى توفيق الجناوني وأظنه السير والأخبار وذكر أنه أكمل الكتاب في أواخر شهر ربيع الآخر عام سبعة وتسعين وخمسائة من الهجرة في جناون في محضرة الشيخ أبي يحيى توفيق رحمهما الله . .

[عبد الله بن يجين]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن يجين كان شيخاً عالماً أخذ العلم من أبي محمد بن محمد وعمل به وأفاده غيره، وذكر البغطوري أن ثقة روى له عن الشيخ عبد الله بن يجين في المطلقة إذا احتبس عنها الحيض بعدما رأت حيضتين إنها تتربص تسعة أشهر للحمل وثلاثة للعدة ثم تتزوج إن شاءت ولو لم تقارب وقت الإياس وقد نزلت وأفتى بها رخصة منه ﷺ، قال البغطوري ممن تعلم العلم عند أبي محمد عبد الله بن محمد أبو عبد الله بن يجين قال أول ما أخذت عن الشيخ أبي محمد ثلاثة مسائل، الأولى من حلف على شيء فأكل ما خرج عنه فلا بأس عليه، الثانية من علم أن هذه كبيرة فعليه أن يكثُر فاعلها ويعرف أن عليه عذاباً إن لم يتب، الثالثة من ضيع الغسل في رمضان أعاد يومه رخصة وهو غير مأخوذ به . .

[فتح بن نوح الملوشائي]

ومنهم أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي عالم فائق وواعظ صادق أخذ العلم من خاله أبي يحيى زكريا بن إبراهيم وله عليه مرثية وكان لغوياً وقرظ ما ألف شعراً، له النونية في أصول الدين وشرحها الشيخ إسماعيل ابن موسى في ثلاثة أسفار، وله الرائية في الصلاة ولم يوضع لها شرح، وله النونية في الرد على من قال بخلق القرآن، وبقية القصائد في الوعظ، وذكر عنه إذا أراد أن يحكم بين الخصمين جعل بينه وبينهما سترًا من باب وغيره خشية ميل النفس وفي أيامه أو قبله بقليل ورد حل ابن وصاف لكتاب «الدعائم» فصلح ما صحف فيه النساخ وأنشد عليه أبياتاً . .

[يحيى بن وجدليش]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن وجدليش أخذ العلم من أبي يحيى زكريا ابن إبراهيم وأقرأه لغيره وجازت عليه نسبة الدين وكانت عليه حلقة أخذوا عنه العلم والسير وهو أحد الحائزين قصب السبق من طلبته في حلبة الرهان وفاز مبرزاً بين الأقران في الميدان علم وعمل واستفاد وأفاد رحمة الله عليه وهو الذي يعني الشيخ سليمان أبو الربيع بن موسى بن عامر بن علي بقوله يحيا السران في قصيدته التي نسب فيها دينه . .

[يخلف الفرسطائي]

ومنهم الشيخ يخلف الفرسطائي أخذ أيضاً العلم عن عمنا الشيخ أبي يحيى زكريا بن إبراهيم وذكر الشيخ أبو عبد الله عمنا محمد ابن الشيخ في كتابه أن ثقة ذكر له وهو الحاج حجاج المرساوني أن الشيخ عيسى بن عيسى الطرمسي أرسله من بلد مزغورة وبعضهم يكتبها برغورة بالباء قال أرسلني إلى الشيخ يخلف الفرسطائي أسأله عن المعروف

وَالزَّكَاةَ الَّتِي يَجْمَعُ لِيَنْفِقَهَا عَلَى الطُّلُبَةِ وَالتَّلَامِيذِ وَالْمَحَاوِجِ هَلْ يُعْطِي مِنْهُ وَيُدَارِي عَنْهَا الْعَرَبَ وَغَيْرَهُمْ وَاسْأَلْهُ مَا سِيرَةُ الشَّيْخِ أَبِي يَحْيَى زَكْرِيَا بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَعَمَّنَا يَخْلَفُ مِنْ طَلْبَتِهِ فَلَمَّا بَلَغَتْهُ وَجَدَتْ عَلَيْهِ أَثَرَ الضَّعْفِ وَحَالَةَ الْفَقْرِ فَرَحِمْتَهُ وَكَانَ مَعِيَ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ فَتَصَدَّقْتُ بِهَا عَلَيْهِ وَسَأَلْتَهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ إِنْ عَمَّنَا أَبُو يَحْيَى كَانَ يُدَارِي مِنْهُ وَإِذَا بَعَثَ الْجَمَالَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى دَجَى وَالْمَسْفَةِ قَرِيبَةً وَالْأَشْجَارَ مُتَّصِلَةً لِتَحْمِلَ لَهُ الطَّعَامَ لِنَفَقَةِ الطُّلُبَةِ أَرْسَلَ مَعَهَا سَلَامَةً بَن تَارَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ جَمِيعِ النِّفَائِي خَشِيَّةٌ أَنْ يَتَعَرَّضَهَا أَحَدٌ وَيَكُونَ مُنْقَضَةً عَلَى الْإِسْلَامِ فَإِذَا رَجَعْتَ أَعْطَاهُ غَرَارَةً مِنْهَا وَقَالَ مَا ثَكَلْتُكَ قَطُّ عَلَى حَرَمَتِي دُونَ الْحَزْمِ، قَالَ الشَّيْخُ يَخْلَفُ لِلْحَاجِّ حَاجًّا إِذَا رَجَعْتَ فَقَفَّ عَلَيَّ وَجَازَ لَزِيَارَةِ الْأَشْيَاخِ وَالْفُقَهَاءِ بِبَلَدِ ابْنَانٍ قَالَ فَلَمَّا رَجَعْتُ وَأَرَدْتُ وَدَاعَهُ وَقَالَ قُلْ لِلشَّيْخِ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَمَشَى مَعِيَ فَأَعْطَانِي شَيْئاً وَقَالَ أَعْطَاهُ لِعَمَّنَا عَيْسَى قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ سَبْعُمِائَةِ دِينَارٍ فَاتَيْتُ بِهَا عَمَّنَا عَيْسَى وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ وَالْأَشْيَاخُ أَنْ يَدْخُرُوهَا إِلَى وَقْتِ الْحَاجَّةِ وَاجْمَعُوا أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي عُثْمَانَ سَعِيدَ بْنِ نُوحٍ فِي بَلَدِ مَسْنٍ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَصَّتْهَا طَوِيلَةً ثُمَّ قَالَ وَسَبَّبَ كَثْرَةَ الْمَالِ بِيَدِهِ أَنْ زَوْجَتَهُ عَقِيلَةٌ كَانَتْ بِوَطْنِ يَفْرَنْ مَشْهُورَةً بِمُخَالَطَةِ السُّفَهَاءِ وَأَصْلُهَا مِنْ جَرَبَةِ فَحَضَرَتْ مَجَالِسَ عَمَّنَا أَبِي يَحْيَى إِذْ يَذْكُرُ فَاتَعَزَّظَتْ وَتَابَتْ وَأَتَتْ الشَّيْخَ فَقَالَتْ أَشْرَ عَلَيَّ وَالشَّيْخُ آنَذَاكَ عَمَّنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَوْ أَبُو يَحْيَى بِنَفْسِهِ تَطَاوَلَتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوِي وَامْتَدَّتْ إِلَى النُّفُوسِ طَلِباً لِلتَّزْوِيجِ خُطْبَنِي فَلَانَ وَفَلَانَ مِنْ شِيُوخِ يَفْرَنْ أَوْ خُطْبَنِي عَمَّنَا يَخْلَفُ الْفَرَسْطَائِي فَقَالَ لَهَا الشَّيْخُ أَبُو زَكْرِيَا إِنْ أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَتَزَوَّجِي فَلَاناً أَظْنَهُ عَوْنُ ابْنِ حَرِيزٍ وَاسْمَعْتَ ذَلِكَ قَدِيماً وَإِنْ أَرَدْتَ الْآخِرَةَ فَعَمَّنَا يَخْلَفُ فَقَالَتْ شَبَعْتُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَتَزَوَّجْتَهُ فَكَانَتْ تَصْنَعُ كُلَّ عَامٍ اثْنِي عَشَرَ كَسَاءً وَكُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا أَصْلَهُ مِنْ عَمَلٍ يَدِيهَا ..

[سعيد ويجين ابنا نوح]

ومنهم الشيخان الصنوان سعيد بن نح وأخوه يجين وتقدم أن يجين هو الذي صلى على الشيخ زكريا بن إبراهيم وذكر عنده وأما سعيد فمشهور بالبركة في وطنه وبقيت ذريته تهاب إلى يومنا هذا وقبره مزار وبه يستغيثون عند نزول ما لا طاقة لهم بدفعه وعند المضايق . .

[يحيى الجادوي]

ومنهم أبو زكريا يحيى الجادوي وأظنه مؤلف «كتاب الوضع» وهو كتاب مفيد به يقع ابتداء من أراد الفقه والله أعلم، وروى الشيخ أبو عبد الله عن عمه الشيخ أبي عزيز بن إبراهيم عن الشيخ أبي عثمان سعيد الفساطوي أنه قال اختلفت شهراً إلى الشيخ أبي زكريا يحيى الجادوي أسأله هل أعطى القليل من الزكاة لمن حضرني من الضعفاء الحاضرين عند الكيل إذا لم يكونوا من أهل الولاية وهم من أهل الدعوة وأكرر عليه السؤال فيقول التسعة أحمل وأعط العاشرة لأهلها يعني أهل الولاية وأظن أن له مريثة على أبي يحيى وزعم إنها معروضة على البلغاء وأهل المعاني فاستحسنوها ولم يحضرني وقت الكتابة ذلك والله أعلم ولعل هذا الظن خطأ . .

[عيسى بن سليمان وأخوه]

ومنهم أبو موسى عيسى بن سليمان وأخوه أبو العز، أما عيسى بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن يوسف وهو أبو يعقوب الشيخ المشهور المذكور في جملة الأشياخ المتقدمين وسكناهم بتاغرمين من جبل نفوسة وعيسى ممن قيد السير بل ممن أكمل عليها وأظنه ممن أخذ العلم عن أبي يحيى توفيق بن يحيى ولم أرو ذلك عن ثقة إلا أن البغطوري لما

ذكر أنه تم الكتاب كتاب «السير» على يديه في ربيع الآخر عام تسعة وتسعين وخمسمائة في منزل أيجناون من بلاد نفوسة في محضرة الشيخ أبي يحيى توفيق بن يحيى رحمته الله إلا قليلاً منه وذكره غيره وهو عيسى بن سليمان الشماخي وقيل لما أشرفت تغرمين على الخراب وقل أهلها وكثر الظلم فيها مد شيخها إلى ذرية أبي يعقوب يده وكانوا قبل لا يلتمس منهم إلا الدعاء الصالح اجتمعوا ليلة جمعة عند قبره وأحيوا ليلهم فما أدركت الجمعة المستقبلية إلا وسبب الله له بأن أكله كلب وكان به هلاكه والحمد لله، وأبو يعقوب لا أدري أذكرت فضائله في الأشياخ المتقدمين والتعريف به أو أخذتني غفلة وهو لا ينبغي أن يكون ممن يغفل عن مثله..

[عبد السلام الأزاجي وآخرون]

ومنهم الشيخ عبد السلام الأزاجي شيخ متق ورع وذكر أبو عبد الله أن عمه روى له عن أبي عثمان الفساطوي لما منعه أبو زكريا الجادوي أن يعطي زكاته لغير المتلوي صار يعطيها للشيخ عبد السلام الأزاجي فلما توفي أعطاها لأبي زكريا إلى أن مات انتقل إلى يفرن فكان يعطيها للشيخ عبد السلام بن صالح اليفرني..

ومنهم أبو عثمان سعيد الفساطوي وكان بنفوسة وتحول إلى يفرن..

ومنهم الشيخ عبد السلام بن صالح اليفرني كان تقياً صالحاً كذا قال أبو عبد الله عن عمه..

[عمروس اليفرني]

ومنهم الشيخ عمنا عمروس اليفرني وذكر أبو عبد الله أنه سأل عمه عن الذبيحة إذا جرى دُمُّها ولم تتحرك قال لا تؤكل عند أهل الشرع والفقهاء والنفس عند أهل اللغة الدم ثم قال وقيل أن أهل أمرساون

ذبحوا بقرة ولم تتحرك فسألوا الشيخ عمروس اليفرني وكان بتميجار فقال
اجعلوا قطعة من لحمها في الماء فإن نزل فكلوها وإن طفى ولم تنزل فلا
تأكلوها . .

[زكريا بن عبد الرحمن]

ومنهم أبو يحيى زكريا بن عبد الرحمن اليفرني وكان شيخاً عالمياً
قال أبو عبد الله وسألتُ عمنا أبا عزيز عن شجرة المسجد إذا كانت في
فدان أحد وضررت به أيجوز له أن يعطي عرضها ويبدلها بشجرة له خارج
الفدان ويمسك تلك قال لا يجوز ذلك له، وقال وذكروا عن الشيخ عمنا
زكريا بن عبد الرحمن اليفرني بدل شجرة المسجد بغيرها وكان عالمياً . .

[عيسى بن عيسى الطرمسي]

ومنهم أبو موسى عيسى بن عيسى الطرمسي أخذ العلم عن الشيخ
يحيى بن وجدليش وعلمه لغيره واشتهر بالورع والعلم والتعليم ولم يتزوج
قط لاشتغاله بالعلم وتحول إلى مزغورة عام تمام سبعمائة وحج عام
أربعة وسبعمائة وكان لونه مائلاً إلى البياض قليل الشعر في جسده
مستجاب الدعاء ساد جماعة ممن أخذ عنه وتوفي عام ثنين وعشرين بعد
سبعمائة وحبس ما خلف من الكتب على طلبة نفوسة وفقهائها وكان
بعض الأعراب يقول زوجته طمعاً أن يترك ما يشبهه .

[يحيى بن أبي العز]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن أبي العز وأخوته تعلم العلم وعلمه وكان
نساخاً للكتب ولم يشغله العلم عن النسخ ولا النسخ عن العلم، شرح
الدعائم في سفرين وتبع طريقة الوصاف وحذف أكثر الشواهد قال أبو

عبد الله أن عمه ذكر له أنه كان بتغرمين يتعلم عند الشيخ يحيى بن أبي العز الشماخي عام حج شيخه أبو موسى عيسى بن عيسى الطرمسي قال أعطيت خمسة دراهم للمؤذن يشتري لي شعيراً وقلت له لا سبيل يعلم بذلك أحداً فاشتراها شعيراً فلما سلم الإمام والمسجد غصت بالناس كثرة بل فيه ما شاء الله من الناس قام المؤذن فقال ادع الله يا عمنا أبا عزيز للمؤذن الأندومني زاد لك ربع صاع على ثمن دراهمك وقال أبو عبد الله عن عمه أبي عزيز بن إبراهيم الباروني أن رجلاً سأله بتغرمين إذ يقرأ عند عمنا يحيى عمن أكل وحس بفيه الدم واستحيى أن يقوم لكثرة الناس وبصق بيده فإذا الدم فتماديت على الأكل فقلت عليك كفارة التغليظ فلما جلست إلى الشيخ سأله عن المسألة قال ليس عليه شيء قال سألت عمنا أبا عزيز فقال عليك مغلظة قال عمنا يحيى لا تسمع عمن عاش في بلاد الغلاء يعني من المشددين وكان أبو زكريا أعطى فضل البنان ورأيت له كتباً كثيرة بخطه من التفاسير وشرح الدعائم والضياء وغير ذلك لا تخلو خزانة من خزائن كتب نفوسة من خطه . .

[يحيى بن أبي يحيى]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن أبي يحيى وكانت عليه حلقة وأظن أنه كان حاكماً بجبل نفوسة وتقدم أنه كان بيفرن بحلقة يطوف في البلاد ينكر الناس وبنيه ويوعظ وهناك استشارته عقيلة زوجة عمنا يخلف الفرسطائي . .

[أبو يعقوب الأزاجي]

ومنهم أبو يعقوب الأزاجي النفوسي قال أبو عبد الله عن عمه قال صنع عمنا شعيب الشماخي وهو ابن أخي عمنا يحيى بن أبي العز طعاماً

فدعاني ودعا الشيخ يوسف الأزاجي فلما أردنا الأكل قال تلك زكاة قمحي فكلوا فلما خرجنا سألت عمنا يوسف عن المسألة قال لا يجزيه وقد صنع لنا طعاماً فأكلناه..

[أبو غالي أبو عزيز ابنا إبراهيم]

ومنهم الإخوان الشقيقان أبو غالي أبو عزيز والشيخ ابنا إبراهيم بن أبي يحيى أخذوا العلم عن عمنا عيسى بن عيسى وعلمناه غيرهما أما أبو عزيز فهو الذي رجع في مرتبة شيخه بعد موته وتولى مجلسه وكان عالماً ورعاً وقال أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عن عمه أبي عزيز قال ما تعرضت للمعروف ولا طلبته إلا مرة واحدة سرت من عند شيخي بن عيسى الطرمسي من مزغورة إلى سوق امسين فقال لي حجاج امرساون تأتينا نعينك من المعروف على وقتك وإخوتك وكانت إخوته يتامى فأتيت امرساون قبل صلاة الظهر متعرضاً للدنيا فلما صلى الناس العشاء الآخر انصرفوا وبت طاوياً فلما أصبحت رجعت إلى شيخي صفر اليد خائب الرجاء وتوفي عام ستة وأربعين، وأما الشيخ فكان حاكماً عدلاً وقامعاً للجحرة بسلا قال ابنه أبو عبد الله بن الشيخ ذكر لي رجل كان جالساً عند عمنا الشيخ رحمه الله بتمزادا فإذا برجل من أهل تميمجار على ظهره مزود كبير فسلم على عمنا الشيخ فأعطاه المزود فقال تانك وبيتان قمحاً كلهما فأخذ المزود وأدخله ثم خرج فقال التميمجاري واعدت فلاناً الجيطالي لتحكم بيننا صلاة الظهر فقام ودخل واخرج له مزودة ورمأها له وأغلق الدار فقال التميمجاري تبت إلى الله وتركت حقي لفلان وامسك المزود ولم يجبه بشيء ورفع مزوده وانصرف، وذكر أيضاً أن ثقة وهو عمنا صالح المزغوري قال له كنت آكل مع عمنا الشيخ عند عبد العزيز بن فرحون في أجناون فلما قضينا وطرنا من الأكل قال واعدت أولاد أبي

الخير لتتحاكم عندك صلاة الظهر في مسجد ايجناون قال لي عمنا الشيخ كم ثمن الطعام واللحم قلت درهمان فجعل على الطبق أربعة دراهم ولم يدع وخرج، ومن عادتهم رحمهم الله الدعاء بعد الطعام وتقدم مثلها لأبي الشعثاء الزنتوني وتوفي هو وشيخه في عام واحد وقيل في يوم في عام اثنين وعشرين أو نيف على العشرين الشك مني والوقت معروف ولم يحضرني حين الجمع وكان بأجناون عالم فاجر ولولا أن عمنا الشيخ قمعه لأفسد كثيراً من أحكام الناس ولما مات عمنا الشيخ امتد وإياهما يعني الشيخ أبو طاهر بقوله: «تموت الصالحون وأنت حي»، وأخبار عمنا أبي عزيز وعمنا الشيخ كثيرة..

[يدراسن الأزاجي]

ومنهم عمنا يدراسن الأزاجي أخذ العلم عن عمنا عيسى وصاحب عمنا أبا عزيز وحج عام اثنين وثلاثين وسبعمائة وفيها توفي على ما أظن أني سمعت ولست في ذلك على ثقة وكان عالماً ورعاً تقياً وقال أبو الله سألت عمنا أبا عزيز هل يحفر من أراد حاجة الإنسان في صوب الناس قال نعم وإذا قام سوى ما حفر ولا يرمي حجر الاستجمار في كل موضع وذكر عن عمنا يدراسن أنه رمى به ذات مرة على ما قيل وتصدق بصاعين شعيراً ولا يرمى به إلا حيث لا يضر أحداً..

[يونس التملوشايتي]

ومنهم أبو النجاة يونس التملوشايتي وكان عالماً ورعاً وعليه حلقة وكان يطوف بطلبته في جبل نفوسة غادياً ورايحاً يذكر ويوعظ ويأمر وينهى وقيل رجع مرة إلى بلده على سبعة أعوام وقيل أقام بيفرن عاماً ومن ورعه أن بني يفرن امتحنوه بحكومة بين ضعيف لا يعرفه وبين عظيم

من كبرائهم كثير الإحسان إلى الشيخ فقدم إليه صاحب المعروف والإحسان لا تفضحني على رؤوس الأشهاد فإن كان رأيت الحق لغيري فاسترني فلما تحاكما أعطى الحق لصاحبه فقال ذو الإحسان يا فرطاس إنما أحسن إليك لتفتضحني على رؤوس الأشهاد فأجابه الشيخ إن أعطيتك حق هذا الضعيف أكون ذا قرون ولم أحفظ أنه تزوج قط . .

[إسماعيل بن موسى الجطالي]

ومنهم أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجطالي كان شيخاً حافظاً وعالمًا عاملاً محافظاً شديداً في الأمر والنهي أخذ العلم عن عمنا عيسى ابن عيسى الطرمسي وصاحب عمنا أبا عزيز زماناً، وذكر أبو عبد الله بن الشيخ أنه اجتمع ثلاثة شيوخ في مسجد مزغورة عمنا أبو عزيز وعمنا إسماعيل وعمنا يدراسن ومن كثرة حفظه أنه يقرأ ويحفظ كتاب العدل ويدرسه ويدرس جمل الزجاج في النحو ومقامات الحريري وكتاب الدعائم والأشعار الستة وغير ذلك مما يكثر والعدل في ثلاثة أجزاء وله تأليف جليلة أحى بها المذهب منها: القواعد، ومنها القناطر في أجزاء كثيرة، ومنها شرح النونية في ثلاثة أجزاء في أصول الدين وهي للشيخ أبي نصر فتح بن نوح، ومنها كتاب في الحساب وقسم الفرائض، ومنها ما جمع من أجوبة الأئمة في ثلاثة أجزاء، ومنها كتاب الحج والمناسك، ومنها ما جمع من الرسائل، وله قصائد وإذا نظرت كتبه ظهر لك قوة حفظه وكان مستجاب الدعاء، وذكر أن وطن غريان لما رجع أهله إلى مذهب الحشوية وكانوا قبل أباضية نزل ومعه عبيد أراد بيعهم بمدينة طرابلس فآل أمره إلى أن قال هل عندكم من علم فتخرجه لنا فما زال قاضيه وأميرها يلتمسون عليه الأسباب حتى سجنه وأخذ ما معه والله أعلم، وبقي في السجن مدة وأنشد قصيدة مدح بها ابن مكي

صاحب قابس وكانت جزيرة جربة تحت يده فتشفع فيه عند صاحب طرابلس فأطلقه فلما خرج دعا عليها وقال سلط الله عليك عدواً لا يخاف رباً ولا يتقي ذنباً فما مضت إلا أيام قليلة فأخذتها النصراري ثم بعد ما خرج رأيت له رسالة ولا أقوم بها الآن أنه يعتذر إلى ابن مكّي ويخبره أنه لا يستحق ذلك المدح كله وذلك من تحفظه وورعه أن لا يكون كذب في شعره وأن لا يكون من الذين يهيمون في كل واد، وذكر أنه سافر نحو جربة وكانوا يومئذ لا يدخلون إليها إلا بالسفن قبل بناء القنطرة لأن القنطرة إنما بنيت في أيام عبد العزيز أبي فارس سلطان أفريقية وتوفي عام سبعة وثلاثين وسبعمائة فأقام عمنا إسماعيل ومن معه ينتظرون سفينة فنجد زادهم بلغتهم شدة المسغبة والجوع ثم أتتهم سفينة فدخلوا من جهة مستأوة فطلب بعض من معه واستطعم أهل تين وسرغين فاستهزأ به بعض أغنيائهم قيل عنده أربعون مملوكاً فانسل بعض الضعفاء فصنع لهم طعاماً قال فما استوفوا الأكل حتى عرفت البركة في الطعام فدعا له الله ﷻ فما مات لأول حتى افترقوا وما مات المطعم حتى اجتمع عنده أربعون مملوكاً وبقي فيهم أثر الغنى والبركة إلى يومنا هذا وطلبه مستأوة إلى الإقامة عندهم فامتنع لكونهم خالفوا وانتقل إلى الوهبة وأولاد أبي زكريا بن أبي مسور هم الذين تسبوا في إطلاقه من السجن وتحملوا عنه ما لا مع ما تقدم من مدحه لابن مكّي وعندهم توفي بالمسجد الكبير وأولاد أبي زكريا بيت علم قديماً وحديثاً ورؤوس الفقهاء بجربة وإليهم الإشارة ومرجع الأمر، وذكر أن الشيخ إسماعيل قدم مرة إلى جربة في أيام العنب فلم يدخلوه لأمر وقع من بعض فقهاء على ما قيل فأتاه بعض بعنب خارج البحر فنظر فأعجبه حسنه فقال احرموني منها احرمهم الله منها فاحترق عنبها بإذن الله وبقي ذلك فيها وكانت فيما ذكر لا تحترق قبل ذلك فإذا قرب وقت طيابه وانضاجه تجد

أهله مشفقين فربما سلم جميعاً وربما احترق كله أو بعضه، وذكر أنه يصلي ذات ليلة بالمسجد الكبير بجربة فسقط طرف ثوبه فرده على كتفه فصادف قنديل المسجد وسقط وثبت على الأرض قائماً لم ينكسر ولم ينهرق زيته ولم ينطفأ نوره، وكان بعض مشايخ جربة وهم على ما قيل أبو عمران الوارجلاني حاضراً فجعل يردد ويقول كنت أظن صلواتك تخيب يا إسماعيل على وجه التعجب وكان يكثر على الناس التذكير والأمر والنهي حتى يأتي الأسواق ويوعظ وطعن الحاسدون فيه وقالوا علم السوق مسائل الغش يعنون أنه ينهاهم عنها فتعلموها وسكن فرسطاء من بلاد نفوسة تسعة أعوام وحملهم على السبيل المستقيم فأتاه آت ذكر له أن خمراً عند بعضهم فخرج إليه في الفقهاء وأهل الصلاح فأرسل إليه أهل المتهم بعض الأعراب فرده فأراد الارتحال فتعلق به الناس فقال لا أقيم ببلد لا أقيم فيه الحق ولا أمر ولا أنهي وقال للعربي الذي رده سلطك الله عليهم وسلطهم عليك فدخل بإذن الله إلى القصر على غفلة من أهله ليتمكنه ممن يستبيحه فخرج رجل من بعض بيوت القصر غير عارف بموضعه فقتل الأعرابي ثم إن العرب قتلوا منهم ثم بقوا كذلك في حرب وفتنة زماناً من الدهر، وذكر عنه أنه كان بمزغورة بعد موت الشيخ أبي عزيز فأرسلت إليه أعرابياً أهل تلك البلاد أن ينتقل لعداوة بينهم وبين قبيلته فلما أخبره الأعرابي قال له قل لهم فرقم الله بسحابة مطر وكانوا مجتمعين ينتظرون الجواب وهابوه أن يباشروه بأنفسهم بهذا القول فأرسل الله إليهم مطراً ففرقهم فجعل الأعرابي يقول فكيف بكم لو قال سحابة حجر، وذكر أنه دعا على أرض القوم تكلموا في طلبته أنهم يلعبون وأفسدوا بعض الجسور بعدم البركة فغرسوها مراراً فلم تثمر وذكر أنه دخل عند العشاء الآخر إلى مسجد بلده جيطال وكان عمنا عامر ينظر في كتاب فقعد إليه يسأله عن المشكلات والمبهمات إلى أن انفجر

الصبح ولم يقف في واحدة فإذا سأل عنه بعد ذلك يقول عامر وحيد
عصره ومات عام خمسين بجملة وأخباره وفصائله كثيرة..

[عامر بن علي الشماخي]

ومنهم أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن يسفا والشماخي واسطة
العقد ومنتهى القصد أخذ العلم من أبي موسى عيسى بن عيسى وصاحب
الشيخ أبا عزيز وكان يؤثره على غيره من الأشياخ وأعانه حين سافر إلى
الحج وذكر أنه قال له هذا المذهب أبلغته إليك فإن أحسنت سياسته بقي
وإلا افترق فساسه بل جدده بعد أن أخلق وذكر أنه رأى في المنام كأنه
يقاتل النصاري فإذا حملوا عليه صبر وهو ينشد:

أنا أبو معمعة لا أفرّ حتى أرى جماجماً تخرّ

وتأولوها على المذهب والمخالفين وكان الأمر كذلك جدد منه ما
أخلق وأحيى ما مات وكل وهبي بالمغرب إنما يرجع ما معهم من العلم
إليه أعني علم المذهب فهو واسطة بين من بعده ومن قبله وكان مع أبي
طاهر كفرسي رهان يتسابقان في ميدان ومات عام اثنين وتسعين وهو
شيخ كبير قيل مع هرمه لم ينتقص عقله ولما فارق الشيخ أبا عزيز أقام
بميتون يقرئ العلوم ثلاثة عشر عاماً ثم تحول إلى يفرن عام ستة
 وخمسين وسبع مائة وأقام بالمسجد الكبير إلى أن مات وأخذ عنه بشر
كبير وقيل لما آيس أبو عزيز من نفسه أرسل إليه ولم يأته الرسول وخرج
زائراً له فصادفه وقد قرب أجله فأوصاه بما أوصاه ورجعت إليه طلبه
عمنا أبي عزيز وساد ممن أخذ عنه ابنه أبو عمران موسى وابن ابنه
سليمان وأبو يعقوب يوسف بن مصباح والشيخ ابن محمد بن الشيخ وأبو
عمران موسى بن أبي يوسف وأبو زكريا يحيى بن زكريا وعمنا أيوب

الجبтали وأبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي وعمنا نوح بن حازم المرساوني وأبو عبد الله محمد التفجاني وأبو الضياء يسفا والطرمسي وغيرهم ممن يكثر عددهم وكان أول عمره يقرأ العلم وآخره يقرئ وألف ديوانه في عشرة الثلاثين بعد موت عمنا عيسى وقبل موت عمنا أبي عزيز ولم يكمله لأمر عرض له، فالكتاب الأول في الصلاة سفر مستقل، والثاني في الزكاة والصوم والحج والنذور والإيمان والحقوق وهو سفر ضخيم، والثالث في البيوع والقسمة والرهن سفر مستقل، والرابع في الوصايا والهبات ثم امتنع من تكميل الفقه وهذا التأليف ما أظن ألف في المذهب مثله جمعاً وتعليلاً واختصاراً غير مخلّ وتطويلاً غير ممل ولا مكرر وهو اعتماد أهل المغرب في وقتنا خصوصاً نفوسة وبعده، ديوان أبي زكريا يحيى بن الخير وبعدهما الديوان ديوان الأشياخ وعقيدة ألفها لعمنا نوح بن حازم وقصيدة في الأزمنة وإذا أطلق الشيخ في عرف زماننا فهو المعني، وما يذكر عن اجتهاده في الإقراء والعبادة والحزم والتزام الطريقة وإحياء السير أمر كبير، وذكر أنه يصلي بالناس في هرمه وآخر عمره في مصلى المسجد الكبير فلما أخذ في الدعاء وذلك وقت صلاة العصر فظهر بوله من تحته لم يمسكه من الهرم ووفره الناس أن يخبروه فنظر فأبصر فبكى فقال اطمع من الله أن يغسله وأظن أن الوقت صيف فأرسل الله سحابة فغسلته، وقيل إن حرباً وقع بين قريتين من قرى يفرن فاصلح بينهما ثم إن أهل إحدى القريتين غدروا بالآخرين واشتكى إليه إخوانهم وقد قتلوا منهم جماعة فدعا على الغادرين فما زالوا في قلة إلى يومنا هذا واحرق الآخرون أعني المغدور بهم أندر الغادرين فاشتكوا إليه ما فعل بزرعهم فدعا على الفاعلين بقلة البركة وللآخرين بالبركة فهم كذلك والله أعلم، وأستغفر الله من الخطأ والزلل، ويوصف بالحلم والوقار وعدم الحدة، وكان أبوه أرسله يرعى بقرة فجاز عليه بعض

الأعراب وَوَجَدَهُ مَاسِكاً رَسْنَ بَقَرَتِهِ فَقَالَ لِمَ أَمْسَكْتَهَا دُونَ الْأَطْفَالِ قَالَ خَشِيتُ أَنْ تَغْشَى زَرْعَ النَّاسِ فَأَتَى أَبَاهُ فَقَالَ أَنْ ابْنَكَ يَصْلُحُ لِلْعِلْمِ وَالْقِرَاءَةِ لَا لِرَعْيِ الْبَقَرِ، وَكَانَ أَبُوهُ مَشْهُوراً بِالصَّلَاحِ مُسْتَجَابَ الدُّعَاءِ يَهَابُهُ كُلُّ مُخَالَفٍ وَمُوَافِقٍ وَكَانَ يَعْدِي الْقَوَافِلَ مِنَ اللَّصُوصِ وَالْمَحَارِبِينَ وَإِذَا أَبْصَرُوهُ مَعَ غَيْرِ رَجَعُوا رَهْبَةً، وَذَكَرَ أَنَّهُ مَاتَ بِيَفْرَنْ وَلَهُ فِدَانٌ زَرْعَ فَأَرَادَ بَعْضُ أَنْ يَحْصِدَهُ بَلِيلٌ فَوَجَدَهُ يَصْلِي عَلَى جِسْرِ الْفِدَانِ فَرَجَعَ فَلَمَّا أَصْبَحَ فَإِذَا بِهِ قَدْ رَجَعَ مِنْ يَفْرَنْ..

[يَعِيشُ الْجَرَبِيُّ]

وَمِنْهُمْ أَبُو الْبَقَا يَعِيشُ الْجَرَبِيُّ كَانَ شَيْخاً مُوصِوفاً بِالْخَيْرِ سَكَنَ جَبَلَ دَمَرَ زَمَاناً ثُمَّ رَجَعَ إِلَى جَرَبَةٍ، وَابْنُهُ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى كَانَ أَيْضاً شَيْخاً أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ..

[زَكَرِيَّا بْنُ عَيْسَى الْأَبْدَلَانِي]

وَمِنْهُمْ أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَّا بْنُ عَيْسَى الْأَبْدَلَانِي كَانَ شَيْخاً فَضِلاً وَهُوَ الَّذِي أَلَّفَ كِتَابَ الْمَنَاسِكِ وَجَعَلَهُ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ عَلَى عَدَدِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَأَكْمَلَهُ بِبَابِ وَدَاعِ الْبَيْتِ بِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِبَابِ الْوَصِيَّةِ بِالْحَجِّ فَصَارَ عَشْرَةَ أَبْوَابٍ وَهُوَ اعْتِمَادُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ فِي الْحَجِّ وَالْمَنَاسِكِ وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ إِمَاماً قَدَوَةً..

[عَمْرُ بْنُ جَمِيعٍ]

وَمِنْهُمْ أَبُو حَفْصِ عَمْرُ بْنُ جَمِيعٍ كَانَ إِمَاماً مَشْهُوراً وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْعُلَمَاءِ مَنْظُوراً وَإِلَيْهِ تَنَسَّبَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي كَانَتْ بِالْبَرْبَرِيَّةِ فَأَبْدَلَهَا بِلِسَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَهِيَ اعْتِمَادُ أَهْلِ جَرَبَةٍ وَغَيْرِهِمْ غَيْرِ نَفُوسَةٍ فِي ابْتِدَاءِ الطَّلَبَةِ وَأَوْدَعْتُهَا شَرْحاً عَلَى قَدَرِهَا..

[موسى بن عامر الشماخي]

ومنهم أبو عمران موسى بن عامر الشماخي أخذ العلم من أبيه وغلب عليه علم الفقه والفروع، وذكر أن أول عمره اجتهد ولم يتعلق به علم كبير فطاف بمشاهد نفوسة ومساجدها فدعا الله فاستجاب له وقيل أمره أبوه بذلك وعندهم أن من طاف بها ودعا الله على أمر أجاب الله دعاءه بذلك وهذا أمر مشهور بين فقهاءها ودونوا تلك المشاهد وسطروها في الكتب وحفظوها وأظن أنه توفي عام سبعة بعد ثمانمائة أو عام ثمانية..

[سليمان بن موسى الشماخي]

ومنهم ابنه سليمان أبو الربيع بن موسى بن عامر أخذ العلم من جده وتوفي قبل أبيه بقليل قيل قرأ عليه ثمانين كتاباً وأظن إنني سمعت ذلك من شيخنا أبي عفيف صالح بن نوح وكان في العلم والورع بمكان وهو الذي تولى مجلس جده ومرتبته، وذكر عنه أنه في شبابه أنه دخل جنان رمان بباب داره وكان جميل الصورة طلباً للقليلة فهجمت عليه امرأة وقد تزينت وراودته وكان عازباً فامتنع كل الامتناع فقالت لئن لم تفعل لأنين جدك وأخبره إنك تعرضتني وكانت هيئته في القلوب عظيمة أعني هيبة عمنا عامر فقال لها انصرفي وقولي ما شئت ففضيحة الدنيا أهون من فضيحة يوم القيامة، ومات بطرابلس وقد عاين بعض أهلها النور ينزل عليه وهم مخالفون وشهادة المخالف لك يمثل هذا مع حرصهم على تنقيصنا أجدر والذي أبصره من كبرائهم وقبره بها مشهور، وقيل اطعموه السم بها وبه مات..

[أيوب الجطالي]

ومنهم الشيخ أيوب الجطالي أخذ في ابتداء القراءة عن عمنا

إسماعيل فلما سافر إلى جربة تحول عند الشيخ أبي ساكن الشماخي فأراد قراءة كتاب (العدل في أصول الفقه) تأليف أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني فقال الشيخ اقرأ غيره حتى تصل إليه فقال إن أبا طاهر سافر إلى جربة ولم يبق من يقرأ عليه سواك فإن مت انقطع من يقرأ عليه فأخذ يقرأ فيه وساد بعد ذلك وله مجلس عظيم وكان متقياً شديداً في الأمر والنهي وكان حزيماً لدنياه وأخراه يجتري على طلبته من الوصايا وغيرها، وذكر أن طلبته غرباء قدموا عليه فنأى في المسجد من يخدمهم فقال بغض الأغنياء أنا أخدم واحداً فقال الشيخ يعطيك الله واحداً وقبل كان لا ولد له فنأى ثانياً فقال أزيد واحداً فقال الشيخ يزيدك الله ونأى ثانياً فقال أزيد فقال يزيدك الله حتى انتهى إلى سبعة فأعطاه الله سبعة أولاد ببركة الشيخ ودعائه وكان يربي اليتامى ويقرأهم، ومن جملتهم عمنا زكريا الفرسطائي أبو عمنا سليمان..

[عبد الله ومحمد ابنا أيوب الجطالي]

ومنهم أبناء أبو محمد عبد الله وأبو عبد الله محمد أما عبد الله فشيخ أخذ العلم من أبيه وعلمه لجماعة وأخذ عنه كثير وكان متمسكاً بسيرة من قبله وتولى موضع أبيه مجلساً وعلماً لا بدلاً إلا أن أباه كان بشروس وهو بلده أجمطال وبها توفي عام تسعة وعشرين وثمانمائة.

وأما عمنا محمد فكان شيخاً نظم الفقه شعراً ولم أر من اشتغل به لأشغال الناس بالدعائم وقصائد الشيخ أبي نصر..

[موسى بن أبي يوسف]

ومنهم أبو عمران موسى بن أبي يوسف أخذ العلم من الشيخ أبي ساكن عامر بن علي وأوقفه بامسين وبها توفي وتحول بعده ابنه إلى بلده

يفرن وبها مات وخلف بها ابنا يسمى أبا يوسف يعقوب أن أحمد بن موسى أخذ العلم من عمنا عبد الله الشماخي وغيره وكان محققاً وحيد العصر وفريد الدهر إماماً في العلوم وكنت سمعتُ بتونس حضرة أفريقية من البيدموري وكان محققاً في العلوم كلها على ما يدعى وكنت اقرأ عليه وقد سألتني عن الشيخ أبي يوسف وعن حاله فقلت له بخير وكان يومئذ حياً فقال ما في تونس أنحا منه أي «اعلم بالنحو» وكان بها قرأ العلوم من النحو والبيان والمنطق والأصول، وسمعت من فقهاء تونس أخباراً في علو درجته في العلم وكانت طلبته بها ومن أخذ منه يفتخر على غيره، وذكر أنه اختلف مع بعض الأشيخ بها في مسألة في النحو فأحضر في إثباتها ما يقرب على عشرين شاهداً من أشعار العرب ثم انتقل إلى امسين قرية من نفوسة وأقام بها إلى أن توفي في شوال عام أربعة وتسعين وثمانمائة، وقد جالسته مراراً وبأحثته فما رأيتُ في جميع من لاقيتُ أكثر استحضاراً منه لو جالسته يومك ما ظفرت بكلمة لحن فيها في أعراب ولا تصريف ولا يسكت ولو هنيهة فكل كلامه علم مع سرعة لسان إن سألته عن مسألة لا ينفصل منها إلا أن تعارضه بسؤال آخر، أما النحو فعشه الذي يعرف كيف يدخل فيه ويخرج، وأما اللغة والتصريف فيا للعجب، وأما التفسير فلو ادعى أحد أن ما شد عليه شيء من التفسير لم يكذب، وعلم الحديث أظن أنه يحفظ ما رواه المخالفون والموافقون بضبطه وشكله ومعناه، وعلم التواريخ وتسمية الرواة والعلماء فكأنه حضر معهم وصحبهم، وعلم الرقائق من الوعظ والتذكير فأية وهو مفزع علمه والفقهاء حضرت عنده مراراً يحكم بين الناس فتعجبتُ من تفصيله فقلت لا ينبغي أن يحكم بين الناس إلا مثل هذا وآتيته يوماً زائراً وهو شيخ كبير فالفيتُهُ يدرس تحت شجرة التين فتسمعتُ فإذا هو يقرأ مقدمة الخونجي في المنطق وأما القراءات فأظنه يقرأ كتاب الله بالسبع

والبيان والأصْلان فهما نصب عينيّه، وحضرت مجلسه يوماً وكنت قبل مستشكلاً مسألة فلم أجد من أزال أشكالها فوقعت في المجلس عارضة من غير أن أسأل عنها فباحثته فرأيت منه ما أبهرني وأودعت بعض البحث في إعرابي لمشكل كتاب الدعائم في أول قصيد الجنائز وغيرها، وذكر لي بعض طلبته أنه بقي في آخر عمره خمسة أعوام ما وضع جنبه على الأرض نائماً طوى الفراش، وكان صائم الدهر، وكانت صدقاته سرّاً، وكان كثير الصلاة، وعادته يوعظ الجالس إليه أو يقرأ القرآن ويدرس ما حفظ من العلوم دون أن ينظر في الكتب، وإذا أخذه الناس تناوم قليلاً كذلك قال لي حفظت ابن حريق في اللغة في خمسين يوماً وكان يدرسه ويدرس المقامات وكان كثير الحفظ قلْتُ له يوماً كدت أن تكون ترجمان القرآن ما رأيتُ أحفظ منك قال عمنا عبد الله بن عبد الواحد لا أصله في الحفظ، وزرته مريضاً ومعني الحاج محمد بن عبد الله العماني السمائي وعمنا يونس بن محمد فتكلما معه في علم الطب فافحهما وقال عمنا يونس إذا شاب ابن آدم تشب خصلتان الحرص وطول الأمل فضم شين تشب أظن فأنكر عليه وأخذ في تصريفها بلغاتها ومصادرها فكأنه ينظر في إصلاح المنطق لابن السكيت أو فصيح ثعلب، وبالجملّة، من لم يره لم ير ما يتحدث به في أخبار العلماء ومات ولم يترك تأليفاً مع أنه ذو قدرة على التأليف في أي علم أراد خصوصاً التفسير والحديث..

[يحيى بن زكريا]

ومنهم أبو زكريا يحيى بن زكريا أخذ العلم من الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي وكان ابن أخيه أبو عفيف صالح بن نوح بن زكريا أخذ العلم من أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد الشماخي وكان

أدبه بعد أن تعلم يقرئ العلم واجتمع عليه طلاب كثيرة، ومه أخذت بعض العلوم ثم توفي عام أربعة وسبعين وكان ورعاً حافظاً على الدين والسير مجتهداً أما في الصيف فيقوم آخر الليل للصلاة والعبادة فإذا صلى الصبح قعد يقرأ القرآن إلى طلوع الشمس أو قرب طلوعها فتقرأ عليه الدول إلى أن يرتفع النهار فيصلي الضحى وينصرف إلى الدار فيكتب الطلبة ألواحهم ثم يرجع فيصححون ما كتبوا ثم يأخذون في ضرب الفرائض وقسمة الموارث وتعليم الحساب إلى أن تميل الشمس قليلاً فيقوم فيصلي الظهر فيأخذون في قراءة الدول من الفقه والأصول خاصة فيؤخر بصلاة العصر فإذا صلاها انصرف إلى داره ثم إذا صلى المغرب أخذ في قراءة القرآن ثم إذا صلى العشاء وصلى ورده انصرف وأكل وإن كان ضيفاً حمله ثم يرجع فيأخذ في تعليم الفرائض إلى هون من الليل فيقوم وينام ثم يقوم آخر الليل، وأما الشتاء فيقوم آخر الليل فيصلي ما شاء الله ثم يأخذ في نظر التفاسير والدول والتلاميذ بعضهم ينظرون وبعضهم يقرأون ألواحهم فإذا صلى الصبح أخذ في قراءة القرآن مع الطلبة إلى أحوال الطلوع ثم يبتدىء بالتفسير حتى يرتفع النهار ارتفاعاً تاماً ثم ينصرف إلى أهله بعد أن يصلي الضحى ثم بعد ذلك يقوم إلى الاشتغال بصلاة الظهر ثم يقرأون دول الفقه بعد الصلاة إلى العصر فإذا صلى المغرب أخذ هو والطلبة في قراءة القرآن فإذا صلى العشاء وأكمل ورده انصرف ينظر التفاسير والشرح وربما عمل مجلساً في داره لأقاربه ويجتمع عليه طلبة العلم من نفوسة وجربة ودمر ويفرن والمغرب، ومات والعلماء نفوسة وغيرهم عنه راضون وخلف أولاداً نجباء أحيوا السيرة والعلم، منهم من مات، ومنهم من بقي تفننوا في العلوم وحققوها.

[نوح بن حازم المرساوني]

ومنهم الشيخ عمنا نوح بن حازم المرساوني أخذ العلم من الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشماخي وكان شيخاً أخذ العلم عنه كثير وساد في أيامه وكان مستجاب الدعاء أعطاه الله قوة على خدمة العلم والعبادة والزهد في الدنيا، وذكر أنه لم يعقد عقدة بيع ولا شراء عمره، وكانت له زوجة صالحة ولها فضائل ولم يرزق ولداً، وذكر أن أباه دعا عليه بذلك وسبب الدعاء أن أباه أمره أن يجني التين وله أشجار جملة فأخذ يجنيها حتى نفذ التين فأراد أن يكسر الورق فخرج أبوه معه فوجد حبة تين فآثر بها ابنه على نفسه فقال خذها يا نوح فأخذها فأكلها فقال هي أول حبة أكلت في عامي فقال ولم قال أنت لم تجعل لي إذناً أن أكل وأنا استحييت أن أطلبك إلى ذلك قال أبوه رعت قلبي لا أعطاك الله ولداً يروع قلبك، وكان أبوه حاجاً صالحاً وكذا جده وهو الحاج حجاج وتقدم أنه الرسول من عمنا عيسى الطرمسي إلى عمنا يخلف الفرستائي يسأله عن المداراة بالزكاة أي ما يجمعه الناس إليه من الزكاة هل يجوز أن يداري منه الأعراب إذ هو بمنزلة الإمام أو لا وأجابه بجواز ذلك وكان يسكن بفساطوا من قرى نفوسة ثم تحول إلى مزعورة والسبب أن طلب إليه بعض من يحسن إليه أن يفتي له بغير المشهور ويحكم له على غريمه فسكت فأرسل إلى أهل مزعورة فأتوه ليلاً وقد هبىء نفسه للرحيل ففطن به بعض أهل فساطو فأذاع الخبر فأرادوا إمساكه فقال من أراد سكنى بلدكم لا يغفل ولا يسهى يعني أنهم يكثرون المعروف فيسرقون دينه إذا غفل أو سهى وتحول وأراد كبراء نفوسة قسمة ما خلف وهو يريد لطلبة العلم فرآه بعضهم في النوم كأنه أخذ طرف ثوبه فإذا به مصبوغ قال لِمَ فعلت بي هكذا قال أنا نوح أصبغ حياً وميتاً فأخبرهم

بالمنام فأبوا من قبول قوله وحذرهم فلم يسمعوا فلم يأخذ شيئاً وبورك له
ومن أخذ غيره منه شيئاً دمره الله إِمَّا استئصالاً وإِما فقراً ومعلوم بإجابة
الدعاء، وكان شيخه أبو ساكن يدعو الله أن يميتَه قبل أن يملك الظلمةُ
نفوسة وتبعه طلبته على ذلك، منهم عمنا نوح قَمَات   ثاني عشر من
رمضان سنة ست بعد ثمانمائة، وأخذ أبو فارس بعض تقوسة سنة سبع
والله أعلم..

[محمد بن إبراهيم]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشيخ بن إبراهيم بن أبي يحيى وتقدم
التعريف بأبيه الشيخ وإنه مات هو شيخه عمنا عيسى الطرمسي في يوم
واحد عام اثنين وعشرين وسبعمائة أخذ العلم من عمه هو أبو عزيز وكان
شيخاً فاضلاً ألّف الكتاب الذي نقل مسائله عن عمه وهو مشهور وذيله
بمواظظ وتذكيرات ووصايا وحِكم، وكان سخي النفس وبقي ذلك في
ذريته توفي بيفرن عام نيف وتسعين وثمانمائة، وتزوج بككلة وكان يحيي
ليلة الجمعة في مسجد وشيشال خارجة عن البلاد معلومة بالبركة ومظنة
بإجابة الدعاء..

[ابن محمد بن إبراهيم]

ومنهم ابنه الشيخ كان مشهوراً في الخير وبَاسط اليد وله في ذلك
أخبار مشهورة مذكورة وله مسجد بناها في داخل داره يجلس فيها ويغشاه
الزائرون واتخذ جفنة فملاها بالبسيس فإذا نفذ ملأها ثانياً كذلك دأبه
فكل من دخل عليه أمره أن يأكل فمكثر ومقل وصائم واشتهر عنه ذلك
فكان الأعراب يغشونه جماعات لكثرة طعمهم وقوة شرهم، وتمادى
بنوه على ذلك فهي إلى يومنا هذا كذلك أخذ العلم من الشيخ أبي ساكن
عامر بن علي الشماخي، وأما ابنه أبو الربيع سليمان وأبو محمد عبد الله

فأخذ العلم من عمنا نوح بن حازم ومات أبو محمد عبد الله بن الشيخ عام تسعة وعشرين في مدينة طرابلس وهو مسافر إلى الحج وخلف ابنا اسمه أبو حفص عمرو مشهوراً بالورع والصلاح وهو اليوم القائم بأمور الدار والإطعام وغير ذلك، ومات عمنا الشيخ عام ثلاثة وثلاثين، ومات عمنا سليمان بن الشيخ عام أحد وستين تاسع رمضان دخل عليه شيخنا وهو شيخ كبير وأخذ يسأله عَمَّن أدرك من الأشياخ وكيف سيرُتهم فأتاه من يدعوهُ إلى الطعام فأثر الفائدة ولم يرد أن يقطع السؤال فقال له أبو الربيع قم مع الداعي يا أبا عفيف أدركت أتباع الأشياخ لو أدركوني وإياك لم يصلوا خلفنا لشدتهم في دينهم وقوة ورعهم . .

[عبد الله بن عبد الواحد الشماخي]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الشماخي أخذ العلم من خاله أبي الربيع سليمان بن موسى وأخذه عن جده أبي ساكن عامر بن علي الشماخي وأخذ عنه جماعة منهم شيخنا أبو عفيف صالح بن نوح وتقدم التعريف به مع عمه يحيى وأخذ عنه أيضاً أخوه سعيد بن عبد الواحد، ولما مات خاله سليمان بن موسى انتقل إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بن أيوب الجطالي فأقام عنده سنة ثم رجع إلى يفرن، وكان حافظاً صائماً الدهر من صغره كثير العبادة كثير الصلاة، وسمعت إنه ليلة الجمعة وليالي رمضان يصلي إلى الصبح سمعت ذلك من ثقة، وكان مجاب الدعاء، أقبل بعضُ فقهاء المخالفين من تونس مع عامل طرابلس وقصدا نفوسة مع جند العامل ليرد الناس إلى مذهب الحشوية فأتوا المسجد الكبير بيفرن وهو يومئذ إمامها وكان ذلك باتفاق نفوسة مع العامل أي الاجتماع بيفرن فتخلفوا فطلب الفقيه المناظرة فناظره عمنا عبدُ الله فأفحمه ولم يحضر للمناظرة في بيته إلا العامل وشيخ يفرن

شقرون بن عايد بن عون ابن حريز فلما أفحمه عمنا عبد الله أراد العامل أن يقهره بالسيف فقال له شيخ يفرن سامح خشية عليه بالبربرية والعامل لا يفهمها فقال له عمنا عبد الله اشتغل بنفسك فلما أبهره خرجوا وتلقاه الناس يسألونه ما فعل مع الشماخي فقال لهم لم ينحصر الحق في مذهب مالك ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾⁽¹⁾ وحدثني بعض الكتاب وكان ممن يدعى الأدب أنه كان مع ابن عمرو منفذ صاحب طرابلس فأتوا نفوسة ونزلوا أجنانون وكان عمنا عبد الله تحول إليها من يفرن وبقي أخوه بيفرن قال ومعنا عالم من أهل تونس يدعي أنه محقق وإنه ذو فنون قال وأراد التونسي مناظرة الشماخي فنهاه ابن عمرو فقال أتخشى عليّ من أهل الجبل وأنا من علماء حضرة تونس أو كلام قريب من هذا قال وسرت معه فوجدناه في المسجد فقعدنا إليه فأخذ يسأله وينظره فرجع صاحبنا بين يديه كالتلميذ فأفحمه ورجعنا إلى ابن عمرو فوبخه نهيتك فلم تنته، وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم ولا يلتفت إلى جبار وكان لا يصافح الجبابرة البتة فاشتكوا إلى أخيه فقال أن الله يسأل اليد لم تصافح اليد، وأخذ عنه بعض الأعراب ظلماً على زيتون اشتراه فدعا عليه فأماته الله عن قريب، ووقع خصام بين أهل نفوسة على بستان ووقف بعض الجبابرة مع غير صاحب الحق فوقف إليه فقال له بفضلك انزع يدك عن هذه القضية فقال عمنا عبد الله كيف انزع يدي واترك الحق فقال له البستان يتولاه فلان أردت أو كرهت أو كلام مثل هذا والجبار ذو مكانة من سلطان افريقية وحاف إلى بعض الأعراب دون بعض وهو عامل لهم فدعا عليه فانصرف غير بعيد فقتل في ساعته ومزق فنعوذ بالله من عقوق أوليائه، وحدثني بعض بني يفرن أن أخاه سعيداً

(1) سورة الأحزاب آية 25.

اشترى ييفرن أعواد زيتون فأحرقها بعض الحاسدين فأرسل إليه أخوه
فقدم يفرن فاجتمع إليه بنو يفرن وقالوا إن علمتم من فعل هذا ومن علمه
ومن اتفق فيه يخرب الله ديارهم فافترق الناس قال لي هذا الإنسان فلم
يكن إلا أيام قليلة حتى خلت خمس قرى في يوم واحد والذي حدثني
واحد من أهل تلك القرى، وحدثني هذا قال كان عامل يفرن يحرص
عليهم الزيتون فأقبل عمنا عبد الله يريد بعض القرى فلما أبصر به الناس
أقبلوا إليه وتركوا العامل حتى بلغ تلك القرية وقد دعا إليها إلى طعام
فمסקوهم ليأكلوا وكان الطعام كثيراً فغضب العامل لافتراقهم وبطئهم عنه
فشتهم وشت عمنا عبد الله فأخبر بما وقع فقال قسم الله ظهره قال
وأتيئت مدينة طرابلس فإذا به على باب داره لا يقف ولا يمشي وقد يبس
ظهره، وحدثني بعض طلبته إنه كان يحجز بين أهل يفرن لحرب وقع
بينهم وكان مع إحدى الطائفتين رجل مخالف فرماه بنبلة فلما قربت أن
تقع ببطنه إلتوت وسقطت بحفظ الله وأظن أنه قال كنت حاضراً معه،
وحدثني بعض أهل يفرن إنه كان يحرق ومعه ناقة ترعى فلما أراد الرواح
لم يجدها قال لي فمشيت في أثرها التمسها فإذا بأسد تلقاني وليس معي
إلا فأس فطلبت بركة عمنا عبد الله فصرفه الله عن وجهي فأتيئت بعد
العشاء الآخر البلد فألفيته منصرفاً من المسجد فقال لي ذلك فلان قلت
نعم قال غداً تجد ناقتك فوجدتها كما قال، وحدثني أيضاً أن عامل يفرن
غضب عليه فأتى عمنا عبد الله قال له لا تخف وكتب له حرزاً قال فأتيته
وما ضرني بشيء، وكذا شيخ نفوسة الحاج يونس خاف من صاحب
أفريقية أن يقتله لما طعن فيه فأتاه فدعا له وسار إلى السلطان فما ضره
بشيء، قال شيخنا كان يتعبد بمسجد فساطو إذ كان بها فإذا سكن الليل
وهذا الناس خرج ولا أدري أين يذهب فتبعته ليلة وكانت ذات مطر فأتى
غار أبي عبد الله فدخله وكان في خراب خارجاً من العمارة فرجعت وأنا

خائف من وحشة الظلام والخراب والمطر وكان يعتكف، واعتكف مرة بمسجد تكيت ويقال إنها للحواريين، وفي الجبل أحد عشر مسجداً تنسب إلى الحواريين قال لي من حدثني وفي آخر ليلة من رمضان رأى نوراً دخل عليه المسجد حتى نظر الخط في اللوح كان معه وأظن أنها ليلة القدر، وحدثني أخته قالت وقعت شدة عظيمة وأنا طفلة فإذا سجي الليل وسكن الماشي حملني شيئاً من الطعام فيسبق أمامي إلى بعض الأرامل أو بعض القراء فيضرب على الباب وينصرف ويوصيني أن لا أخبر من أكون وأخباره كثيرة ﷺ تركتها اختصاراً، وبالجملة أنه مجاب الدعاء ما أفلح من غيره من موافق ولا مخالف واشتهر عند الناس أنهم لم يروا من كلف نفسه بالعبادة من صوم وصلاة مثله، ويحفظ فقه الأباضية حتى يكاد أن لا تشذ عليه مسألة، قال أبو يوسف يعقوب بن أحمد وتقدم التعريف به مع جده أبي عمران موسى ابن أبي يوسف وكان شيخاً له وانتقل عنه إلى غيره لأمر ما، قال اختلفت أنا وشيخي وأنا أقرأ علم اللغة في يافع ونافع فأتيته فوجدته منصرفاً من المسجد فسألته عن اللفظة يافع أم نافع قال ما كتب عليها في الشرح قلت مهراق قال يافع بالياء قال الشاعر:

(من لم يمت يافعاً يمت هراماً)

قال ولا يكاد من حفظه أن يسأل عن لفظة في اللغة إلا أنشد عليها بيتاً من شعر وقل ما ينظر الشراح على الدول بل رجعت خزانة الكتب إلى أخيه سعيد إلا ما قل، وحدثني بعض الطلبة أن سُبُع ما يدرس من محفوظاته القرآن وأستغفر الله من الكذب والخطأ والزلل، وأما أخوه سعيد فقد أخذ العلم منه وارتحل إلى تونس وقرأ فيها علم المنطق والبيان والأصول وله مناظرات مع المخالفين وله معرفة بعلم النجوم،

وحدثني بعض أصحابه أن عالماً من المخالفين أرسل إليه وقد أتى إلى قرب بلده فصحبته فوقعت بينهما مناظرة فلما رجعنا قلت له متى هيئت جواب ما سألك ومن أخبرك أنه يسألك عنها حتى كنت على بصيرة وكنا مشرفين على واد كثير النخل قال المسائل في قلبي كنخل هذا الوادي كل واحدة وموضعها وكونها كبيرة أو صغيرة، وأقام عنده بعض القضاة فأراد الارتحال فقال أردت زاداً فأتى ابن له صغير فقال قل للقاضي لا يرتحل لأن مطرفاً غزيراً مقبل فكان الأمر كذلك ولعله أوصى زوجته بذلك، وأخذ عنه شيخنا أبو عفيف وأبو زكريا يحيى بن عامر بن إبراهيم ابن أبي عزيز بن محمد ابن الشيخ وتقدم التعريف بالشيخ أبي عبد الله وبأبيه وكان أبو زكريا كثير الحفظ قوي الفهم وقد صنع قصيدة في الزكاة وكان ناسخاً للكتب مقراً للطلبة مات عام أربعة وتسعين، وحدث بعض، أنا انصرفنا من المسجد بعد صلاة العصر فسمعنا رعداً فقلنا على ما يدل قال على قاضي تونس يموت مقتولاً في الجامع فخرج الأمر كذلك وله أخبار كثيرة في علم النجوم ومات عام خمس وستين ليلة الأربعاء في شهر ربيع الأول لثلاث مضيئ منه بل لليلتين مضيتا، وله في علم الطبي اليد العليا ونقل عنه فيه ما يقضي العجب وأكثر أدويته لا تتجاوز مرة واحدة، وحدثني غير واحد أنه في علم التفسير لا يجاريه أحد وكذا في علم الفقه، وحج هو وأخوه عبد الله عام تسع وعشرين، وحدثني أبو الربيع سليمان ابن زكريا وكان من خيار من أدركت وكان مأوى للمساكين وذوي الحاجات وذاك أنه كان يصلي في جوف الليل بسة أحزاب في كل ليلة وكان ثقیل القراءة لا يأتيه أحد ويصرف دون حاجة وكان متواضعاً يغشاه الزائرون وذوو الحاجات والطلبة فلا تراه أبداً إلا منبسطة معهم وقد اشتهر بذلك وتقدم التعريف بأبيه إنه أخذ من عمنا أيوب الجطالي وهو الذي رباه وعلمه، قال لي عمنا سليمان كنت اقرأ

على عمنا عبد الله بفساطو وعاشرت بها عمنا يسفاو بن منديل وكان من خيار من أدركت فأتانا عمنا عبد الله بطرفة يتحفنا بها بعد أن أخذت الناس مضاجعهم فسبق عند بعض الطلبة فوجدهم يخوضون ويتحدثون وما تركوا أحداً فانصرف إلينا فوجدنا ننظر الشراح على دولنا فنبه فخرجنا إليه فأعطانا نصيباً ونصبيهم وقال لا آذن لكم أن تعطوهم شيئاً .

[عبد الله بن أبي عزيز]

ومنهم أبو محمد عبد الله بن أبي عزيز من أولاد سعيد بن نوح وتقدم التعريف بسعيد وبأخيه يجين، وكان عمنا عبد الله أخذ العلم من عمنا عبد الله بن أيوب وما دخل المخالفون بلاد بابل وتاكبال وككلا إلا بعد موته ومسكنه بلده مسن . .

[يعقوب بن عمر]

ومنهم أبو يوسف يعقوب بن عمر كان عالماً تقياً لم يتزوج قط وله أخبار وعلم . .

[أبو القاسم بن إبراهيم البرادي]

ومنهم الشيخ أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدمري وتقدم أنه أخذ العمل من أبي ساكن عامر بن علي الشماخي وأخذ أيضاً من عمنا يعيش الجربي وأخذ عنه جماعة سادوا، وله تأليف جملة، منها الجواهر أتمم ما ترك من أخبار أهل الدعوة الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد في كتاب طبقات العلماء والرسالة التي أجاب بها الشيخ أبا عبد الله محمد ابن أحمد الصديغاني الجربي ذكر فيها حقائق وحدود أكثر مسائل العلم وشيئاً من الاعتقاد والتوحيد وكتاب شرح الدعائم لم يحمله

السفر الأول إلى الطهارات وهو المتداول، وجمع من الألواح من بعده إلى الزكاة أظن وهو تأليف مفيد وكتاب شرح العدل في أصول الفقه تأليف الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم ولم يكمله وذكر له غير هذه لم أرها، سكن بلده زماناً ثم تحول إلى جربة فأقام بها بمسجد واد الزيب وكانت عليه حلقة ومجلس عظيم، ومات بها وخلف أولاداً نجباء سادوا بجربة وبالجبل جبل دمر رأسهم عبد الله أبو محمد وكان شيخاً عالمياً متفنناً، وحدثني بعض طلبته قال كنت بتونس اقرأ بحضرة مجلس الحسين ف وقعت مسألة فتكلمت فيها بما حضرني وكان الشيخ توقف فيها فقال من أين أخذتها قلت من الشيخ أبي محمد البرادي قال لأهل المجلس ما رأيْتُ أعلم من البرادي فغضب بعض الحاضرين من قوله فقال للجبيري عبد الله وكان عالمياً بالعربية إنه يشاركك في العربية ويزيد عليك بعلوم ويشارك هذا في علمه ويزيد عليه بعلوم آخر، وحدثني أبو الربيع سليمان بن أبي زكريا الفرستائي إنه كان يقرأ على أخيه بجبل دمر وكان الشيخ أبو محمد يسكن جربة فقدم الجبل فرجع السؤال فيه فسألته وأنا مستحيي عن مسألة في الإيمان، قال بعض العلماء النظر في الإيمان إلى ما يدل عليه اللفظ ويقتضيه، وقال بعضهم النظر فيها إلى النيات وهو أولى، وكان أبو فارس سلطان أفريقية أرسل إلى أهل جربة ليردهم إلى مذهب الحشوية وطلب العلماء للمناظرة فتعين الشيخ أبو محمد لذلك وحدثني بعض طلبته أنه كان معه فخرج فحضرت العلماء قال وكنت معه في المجلس ف وقعت مسألة إما في الإعراب وفي غيره فقال لي تكلم فتكلمت واستحسنوا جوابي فأقام عندهم ما أقام ومن هناك عرفه الحسين، والذي حدثني أبو يوسف يعقوب وكان مشاركاً وله ابن اسمه أبو زكريا يحيى لم أره وهو في الطبقة العليا في العلوم وكان شيخاً محققاً ورأيْتُ جوابه لبعض السائلين له مستشكلاً أبياتاً في الدعائم يدل

على علو درجته في العلم وله مجالس بجرية وما أظن علماً إلا وهو فيه محقق والغالب عليه علم المعاني والبيان والمنطق والأصول والحكمة وبالجمله يفتخرون به أهل جربة كما أن أهل نفوسة يفتخرون بأبي يوسف يعقوب بن أحمد وإن كان أبو زكريا فاضلاً محققاً فقد أخذ من أبي يوسف وقرأ عليه وأبو يوسف ما أظن أن أحداً يقارن به في النقل والحفظ وبالجمله فكلاهما علامة، وممن أخذ من عمنا عبد الله ابن أبي القاسم البرادي أبو زكريا يحيى بن أفلح الرجيبي وكان شيخاً حليماً فاضلاً مطاعاً في الناس وله قدرة على الشعر نظم جمل الإعراب شعراً أعني التي لها محل والتي لا محل لها وشرحها عمنا موسى بن عامر بن يحيى بن زكريا وتقديم التعريف بجده أخذ العلم من عمنا أبي عفيف صالح ..

[محمد التفجاني الجربي]

ومهم أبو عبد الله محمد التفجاني الجربي وتقدم أنه ممن أخذ العلم من أبي ساكن عامر بن علي الشماخي وسكن بعد أن فارق شيخه تاسكت وذكر أنه ناظر بعض المخالفين ولم يكن ذلك مشهوراً والله أعلم وأستغفر الله ربي من كل خطأ وزلل ..

[عبد الله بن سعيد الصدغياني]

ومهم أبو محمد عبد الله بن أبي عثمان سعيد الصدغياني الجربي كان شيخاً فاضلاً وهو المقصود في زمانه بجرية وله رسالة أرسلها إلى أهل وارجلان فيها الرد على المخالفين والسبب أن بعضهم فضل مذهبهم على مذهب الأباضية وذكر وجوه التفضيل وشكك من بوارجلان فأرسلوا إلى أبي محمد فأجابهم ورد الشبهة التي أوردوها وأجاب عما نقص به الأباضية ..

[محمد بن أحمد الجربي]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الجربي الصدغياني وكان شيخاً أخذ العلم منه جماعة وهو الذي سأل الشيخ أبا الفضل أبا القاسم عن حدود بعض العلم وحقائقها وأجابه فيها وأنشد عليه قصيدة لأن أبا القاسم أظهر فيها عمله وبين درجته فيه ..

[سعيد السدويكشي]

ومنهم أبو عثمان سعيد السدويكشي.

والعلماء كثيرة وذكرنا منهم ما فيه الكفاية وليكن هذا آخر التعريف بهم، والحمد لله رب العالمين ولم أجد مكاناً حين الوضع لتشتت البال وتعذر الأحوال لأسباب كثيرة غير قليلة من تفاقم الفتن في البلاد وشدة القحط وتزلزل العباد وعتو أهل الفساد وكثرة الشكوى وقلة السواد، عصمنا الله من قول يخالف الصدق وغفر لنا ما خالفنا فيه الحق إنه التواب الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ..

انتهى ما ذكره الشيخ الإمام وقدوة الإسلام وعمدة الأنام أبو العباس سلالة الكرام أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي نسباً اليفرني بلداً رحمته الله وغفر له وأثابه وجعل الجنة منزله ومأواه وله فضائل ومناقب قال عمنا محمد بن زكريا الباروني رحمته الله وإن مد الله في العمر وأعان على المقدور أذكر منها واذكر لغيره ممن لم يذكره ما تيسر هو ولي التيسير ونسأله التوفيق في القول والعمل .. ثم قال وتوفي المصنف رحمته الله في شهر الله جمادي سنة ثمانية وعشرين بعد تسعمائة .. وهذا الكتاب تم طبعه من نسخة نقلت من أخرى نقلت من نسخة منقولة من نسخة بخط المؤلف رحمه الله تعالى ..

انتهى

الفهرس

31	الفتوحات	سيرة الإمام أبي العباس أحمد
33	مواقفه	الشماخي رحمه الله تعالى ... 5
35	وفاته واستخلافه	تصانيفه ... 5
37	ذكر خلافة عثمان بن عفان	شيوخه ... 7
38	توليته أقاربه	وفاته ... 9
40	أحداثه	مقدمة ... 11
45	مقتله	سيرة النبي ﷺ ... 13
	خروج طلحة والزبير ومعركة	مولده ﷺ ونسبه وبعثته ... 13
47	الجمال	هجرته إلى المدينة ... 15
51	حرب صفين	الغزوات والسرايا ... 16
52	قضية التحكيم	زوجات النبي ﷺ وأولاده ... 18
59	مقتل علي بن أبي طالب	مرض النبي ﷺ ... 19
60	فصل	وفاة النبي ﷺ ... 21
63	دولة معاوية وأيامه	ذكر خلافة أبي بكر رضي الله عنه ... 25
67	خروج أبي بلال	حروب الردة ... 26
71	ذكر طبقة التابعين	الفتوحات ... 26
71	[أبو بلال]	وفاته ... 27
72	[عروة أخو أبي بلال]	فضائله ... 27
74	[حريث بن حجل السدوسي]	خلافة عمر بن الخطاب رضي الله
74	[كهيمس بن طلق الصريمي]	تعالى عنه ... 29
74	[حويص أبو الشعثاء]	إسلامه ... 29

100	[أبو ققاس]	74	[غسان]
100	[أبو محمد النهدي]	75	[شيبان]
	[محمد بن حبيب ومحمد بن	75	[أبو العباس بن عبد القيس]
101	سلمة]	75	[أبو عمران عون]
102	[سلمة بن سعد]	75	[أبو عمر بن عقيل وآخرون]
102	[عبد الله بن يحيى وآخرون]	81	[عبد الله بن أباض]
103	[عيسى بن أبي عمرو]	81	[إمران بن حطان]
104	[عيسى بن علقمة]	83	[جعفر بن السماك]
107	طبقة «الربيع بن حبيب» رحمه الله	84	[صحار العبدي]
107	[الربيع بن حبيب]	84	[هيرة جد أبي سفيان]
109	[وائل بن أيوب]	85	[الأحنف بن قيس]
110	[الفضل بن جندب]	85	[إياس بن معاوية]
111	[قرة بن عمرو وآخرون]	86	[أبو روح تبرح]
112	[عبد الملك الطويل]	87	طبقة تابعي التابعين
114	[المعتمر بن عمارة]	87	[أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة]
115	[المثنى]	90	[ضمام بن السائب]
115	[المليح]	92	[أبو نوح صالح الدهان]
115	[مخلد بن العمرد]	93	[حيان الأعرج]
116	[بسطام]	93	[أبو حمزة الأشعث]
116	[أبو طاهر]	94	[حاجب أبو ودود]
116	[أبو محفوظ]	96	[أبو سفيان قنبر]
117	[أبو الوزير]	97	[خيار بن سالم]
117	[عيسى بن علقمة]	97	[أبو عبيدة عبد الله بن القاسم]
118	[أنس بن المعلل]	98	[أبو يزيد الخوارزمي]
118	[الحسن بن عبد الرحمن]	99	[العنبر جد أبي سفيان]
118	[سفيان]	99	[عمارة بن حيان]
118	[يحيى بن نجيع]	99	[أبو سالم وابنه وحفيده]

146	[ابن مغطير النفوسي]	119	[ديال بن يزيد]
147	[أبو داود القبلي]	120	[سابق العطار]
149	الطبقة الذين من بعدهم	120	[أردون]
	[عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن	121	[أبو الموسر]
149	رستم]	121	[أبو منصور]
163	ذكر محاصرة مدينة طرابلس	121	[أبو واقد]
165	[أبو هارون]	122	[زجر الحضرمي]
166	[أبو الخير الأرجاني]	122	[حفص الويلي]
166	[السمح بن أبي الخطاب]	123	[محبوب بن الرحيل]
168	[مزور بن عمران]	124	[عبد الملك بن صفرة]
168	[أيوب بن العباس النفوسي]	124	[الجلندي بن مسعود وآخرون]
168	[محمد بن يانس]	127	ذكر المشائخ بالمغرب
172	[مهدي النفوسي]	127	[ابن اليسع]
173	[أبو الحسن الأبدلاني]	127	[إبراهيم المصري]
174	[أبو مرداس مهاصر السدراني]	128	[عيسى بن علقمة المصري]
178	[أبو زكريا التوكيتي]		[أبو الخطاب عبد الأعلى بن
179	[أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني]	128	السمح]
188	[عبد الخالق الفزاني]	137	[يعقوب بن حبيب]
188	[عبد القهار بن خلف]	141	[عبد الرحمن بن رستم]
189	[إدريس الفزاني]	143	[عاصم السدراتي]
190	[جناو بن فتى المديوني]	144	[أبو درار الغدامسي]
191	من الطبقة الذين من بعدهم	144	[عبد الأحد بن تلائس]
191	[أفلح بن عبد الوهاب]	144	[عمر بن تمطين]
193	[محكم الهواري]	144	[عمر بن يمكتن]
194	[أبو يونس وسيم النفوسي]	145	[موسى بن عبد الله بن يمكتن]
194	[مدمان الهرظلي]	145	[أوس بن عمر الهواري]
195	[العباس بن أيوب]	146	[محمد البدي وسعيد بن قايد]

229	[أبو القاسم سدرات بن الحسن]	197	[أبو مهاصر الأفطماني]
231	[عبد الله بن الخير]	200	[يحيى بن موليت]
233	[يحيى بن يونس السدراتي]	200	[أبو نصر التميمي]
234	[مصلوكن التائب]	201	[إبراهيم بن عزيز]
235	[أبو زيد البصغورتي]	201	[ابنا منيب]
236	[بو الليث الجنائني]	201	[وكيل بن دراج]
236	[أبو معبد الجنائني]	202	[محمد وأبو عمر وآخرون]
237	[أبو يحيى زكريا الأرجاني]	202	[بيب بن زلغين]
238	[أبو عيسى]	203	[أبو عثمان المزاتي]
239	[لواب بن سلام]	207	[أبو عامر التصرياري]
239	[أبو يحيى تكسيت]	208	[أبو خليل]
240	[أبو الشعثاء]	210	[والي العهد]
241	[أبو صالح سدرات]	211	[أبو ذر صدوق الفرستائي]
241	[أبو إسحاق الأشارني]	211	[سعد بن أبي يونس]
242	[أبو محمد التفرميني]	212	[أبو ذرaban بن وسيم الويغوي]
246	[أبو يالدس]	215	[أبو الحسن التويغتي]
246	[أبو يعقوب]	215	[أبو يوسف حجاج الويغوي]
248	[أبو عمران موسى الأندوموني]	216	[أبو زجمين]
248	[أبو حيان التمساني]	218	[عيسى بن فرناس]
249	[أبو محمد القنطري]	218	[عبد الله بن اللمطي]
250	[أبو يحيى الأرذالي]	219	[أبو عبيدة الأعرج]
251	[أبو القاسم مومنين التفرسيني]	220	[أبو منصور النفوسي]
251	[أبو يعقوب التديتي]	221	[عمروس بن فتح المساكني]
252	[أبو الفضل الجرامي]	225	[سدرات بن إبراهيم المساكني]
253	[أبو عبد الله فضل]	225	[أبو مسور يصلتين النفوسي]
254	[سعيد الحدائي]	227	[أبو ميمون وآخرون]
254	[أبو معروف وبار بن جواد]	229	[شاكرا العرارية]

285	[محمد بن جلداسن اللالوتي] ...	256	[ماطوس بن هارون]
	[أبو الربيع سليمان بن هارون	257	[شبية الدجى النفوسي]
285	اللالوتي]	258	[جنا التزغتي]
286	[زار بن يونس التفستي]	262	[أبو بكر بن يوسف النفوسي] ...
	[أبو غلبون النفوسي وأبو محمد بن	263	[ابن يكوب]
286	المطا النفوسيان]	263	[أبو عمر ميمون بن محمد] ...
287	[أبو عبيدة التلاتي]	264	[أبو الفضل سهل]
288	[أبو هارون التملوشائي]	265	[أبو صالح الدركلي النفوسي] ..
290	[أبو الربيع بن أبي هارون]		[سليمان بن ماطوس الشروسي
292	[أبو يوسف]	265	وآخرون]
293	[أبو يعقوب البدني]	267	[أبو هارون الجلالمي]
293	[أبو محمد الكباوي]	268	[ابن زرقون]
294	[أبو محمد وتين الوريوري]	270	[أبو الخطاب]
294	[خيران بن ملال الفرطائي] ...	272	[أبو أيوب]
295	[أبو القاسم الفرطائي]	273	[أبو محمد الدرقي]
297	[أبو سليمان داود التبرستي]	275	[أبو يحيى]
298	[أبو محمد التميمصي]	275	[أبو داود سليمان]
	[أبو محمد عيسى بن محمد	276	[يعقوب بن سيلوس الطرقي] ...
300	الملوشائي]	277	[أبو سهل الفارسي]
301	[عيسى بن زرعة النفوسي]	277	[أبو محمد جمال المزاتي]
301	[أبو محمد عطية الله الملوشائي] .	279	[فتوح بن أبي حاجب الوسلاتي]
302	[زيديت بنت عبد الله]	280	[سحنون بن أيوب]
302	[الهيل]	280	[أبو عامر السدراتي]
302	[أم ماطوس]	281	[أبو ويسجمين]
303	[أبو عمرو التندنميرتي]	281	[أبو حسان بن أبي عامر]
303	[أبو زكريا التندنميرتي]	283	[أبو أحمد ومحمد بن بصير] ...
306	[أبو موسى]	283	[يحيى بن سفيان اللالوتي]
307	[وليد بن جرطوم]		

321	[أبو علي النفوسي]	307	[وهبلي التندميري]
322	[أبو الخير توزين الزواغي]	308	[أبو يوسف الأجفري]
324	[يزيتن بن ياسين الجناوني]	308	[أبو سليمان التندميري]
324	[أبو الخير توزين الجناوني]		[أبو عبد الله محمد بن جنون]
325	[ابن معبد الجناوني]	308	[الشروسي]
325	[أبو سليمان البطريسي]	310	[خيار التمنكرتي]
326	[أبو سليمان الأنري]	310	[أبو علي أسيان التمنكرتي]
327	[محمد بن أبي يحيى الدرفي]	311	[أبو أيوب التمنكرتي]
328	[أبو حكم]	312	[أبو عبد الله الويغويان]
328	[عيسى بن محرز التارديتي]	312	[وارسفلان بن مهدي]
328	[طاهر بن يوسف]	313	[وارسفلان بن عبد الله]
329	[أبو يونس ابدن الفرطائي]	313	[مهدي الويغوي]
330	[أبو محمد عبد الله بن مطكود]	314	[أبو العباس وجندوز التمنكرتيان]
330	[أبو بحر الفزاني]	314	[أبو عبد الله البغطوري]
331	[أبو مسور يسجا اليراسني]	314	[أبو عبيدة جلدن البغطوري]
	[يزيد بن مخلد ويغلا بن زلتاف]	315	[أبو يعقوب البغطوري]
332	[الوسايان]	316	[أبو يوسف مجدول النفوسي]
342	[أبو نوح سعيد بن زنگيل]	317	[أبو يعقوب الأتلجامي]
347	[عبود الكزيني]	317	[أبو موسى الأتلجامي]
347	[أبو صالح جنون بن يمران]	317	[أبو القاسم التملوشايتي]
349	[يعقوب بن أفلح]	318	[أبو بكر الغفسوفي]
351	[أبو صالح بن قاسم اليراسني]	318	[أبو أيوب حسن الجادوي]
355	[فصيل بن أبي مسور اليراسني]	319	[أبو القاسم الثغريسي]
356	[أبو بكر بن يحيى الزاغي]	319	[أبو يوسف وجدليش]
356	[أبو عمرو النميلي]	321	[عبيدة بن أفلح الجلائي]
357	[عيسى بن السمح الزواغي]	321	[أبو الربيع الجلائي]
358	[سعيد بن يخلف المزاتي]	321	[أبو عبد الله بن يدوسن]

391	[يوسف بن سهلون]	359	[ويسلان بن أبي بكر]
392	[تملي الوسياني]	360	[سعد بن يفاو]
393	[عبود بن منار المزاتي]	361	[ويسلان بن يعقوب المزاتي]
394	[سليمان بن يخلف المزاتي]	362	[أبو صالح الياجراني]
395	[ماكسن بن الخير الوسياني]	365	[هود بن محكم الهواري]
398	[عيسى بن أبي الحجاج]	365	[أبو عبيدة وشق]
398	[عبد الله الدمري]	366	[أبو باديس]
399	[محمد بن أبي خالد]	368	[بكر بن أبي بكر النفوسي]
399	[داود بن أبي يوسف الوارجلاني]	368	[أبو عبد الله محمد بن بكر]
400	[يونس بن أبي الحسن]	375	[عبد الغني الوسلاتي وابنه]
401	[سليمان بن موسى الزلفيني]	376	[جعفر الوسلاتي وابنه]
402	[معاذ بن أبي علي]		[أبو يحيى وأبو القاسم ابنا أبي]
403	[إبراهيم بن معاذ بن أبي علي]	376	[مسور اليراسني]
403	[أحمد ويوسف ابنا أبي عبد الله]		[محمد بن سودرين الوسياني]
406	[أحمد الويليلي]	377	[وآخرون]
407	[يحيى بن أبي بكر]	379	[عبد الله بن مانوج اللماثي]
408	[مصالة بن يحيى]	380	[أحمد بن خيران الوسياني]
409	[فلقول بن يحيى]	381	[عبد السلام بن منظور المزاتي]
410	[عيسى بن يرضوكسن]	383	[موسى بن زكريا]
411	[إسماعيل يدير]	385	[يحيى بن جرناز النفوسي]
412	[تبغورين بن عيسى]		[أبو مجبر توزين وكباب بن]
412	[وستقلال بن عيسر]	385	[مصلح]
412	[صابر بن عيسى]	385	[البصير بن ملال المزاتي]
413	[صنادي بن محمد السدراتي]	386	[عبد الله بن الأمير اللمدي]
413	[عبد الرحمن بن المعلى]	387	[يحيى بن وجمين الهواري]
415	[أيوب بن إسماعيل]	388	[محمد بن سليمان النفوسي]
416	[يحيى بن أبي زكريا]	390	[أبو ميدول مَضْكَدَاسَن الزنزفي]
		391	[أبو موسى يزيد المزاني]

442	[سعيد بن إبراهيم]	417	[عبد الله بن محمد اللواتي]
443	[يحيى بن بيدير الوسياني]	419	[عبد الله بن محمد اللتي]
444	[يوسف بن نفاث القنطاري]		[عبد الكافي بن أبي يعقوب]
445	[سعيد بن يخلف المادغسي]	421	[التناوتي]
446	[يحيى بن عيسى العباسي]	422	[يوسف بن إبراهيم السدراتي]
447	[يونس بن وزجين الويليلي]	424	[إبراهيم بن يوسف السدراتي]
448	[يعقوب بن يونس]	424	[يوسف بن خلفون المزاتي]
448	[كموس الزواغي]	426	[محمد بن علي السوفي]
449	[عبد الله بن يعقوب الواغلاني]	427	[زكريا بن صالح اليراسني]
450	[موسى بن سدرين]	429	[فضيل اليراسني وأبوه]
450	[هارون بن موسى]	429	[محمد بن داود]
451	[محمد بن تامر]	429	[سليمان بن داود]
452	[محمد بن سدرين]	430	[عبد الله بن يحيى العباسي]
453	[محمد بن الخير]		[عبد السلام بن عبد الكريم]
454	[نزورأس بن يوسف وآخرون]	431	[المزاتي]
454	[سال]	431	[أبو نوح بن يوسف]
455	[علي بن مجبر]	431	[أبو زكريا بن أبي نوح]
457	[عيسى بن مجبر]	432	[ميمون بن أحمد]
457	[وسلى الأعرج الوسياني]	433	[يوسف بن أحمد الوسياني]
457	[يخلفتن النفوسي]	433	[سليمان بن عبد السلام]
459	[فلحون بن إسحاق النفوسي]	433	[الشيخ يخلف]
460	[يحيى بن بشير]	435	[علي بن يخلف]
460	[جنون بن علي]	436	[سليمان بن علي]
460	[عبد الرحيم بن عمرو النفوسي]	438	[يوسف بن سديميان]
460	[أبو طاهر إسماعيل بن أحمد]	439	[سعيد بن سليمان]
461	[محمد النفوسي بن باباش]	439	[إدريس بن مفتي اللواني]
461	[إسماعيل بن علي النفزاوي]	440	[أبو جدروز الوشي]
		441	[سليمان بن أبي صالح وآخرون]

[إبراهيم بن يوسف الويسيليني]	462	[يعلو بن صالح الصدويني]	462
475 [وآخرون]	462	[سجيمان بن سعيد الصاريني]	462
476 [المعز بن أبي حبيب]	463	[سجيمان بن عبد الله اليارونتي]	463
476 [محمد بن بكار الزواغي]	463	[نصر بن سجيمان]	463
476 [أبو عمران وسلي]	464	[عبد الله بن سجيمان النصيري]	464
477 [يوسف بن محمد]	464	[عيسى بن سجيمان النفوسي]	464
477 [يوسف بن محمد التتوتوي]	465	[يوسف بن زرار النفوسي]	465
478 [حمو بن أفلح]	465	[موسى بن محمد]	465
479 [يوسف بن إبراهيم السدراتي]	466	[سليمان بن شاكر الفطناسي]	466
479 [إلياس بن عبد الله اللواتي]	467	[يوسف بن يعقوب التجري]	467
480 [يوسف بن فتوح]	467	[أبو العباس بن يوسف التجري]	467
480 [داود بن مصالة وابنه]	468	[موسى بن زكريا]	468
480 [أبو رخمة حنيني]	469	[يوسف بن موسى]	469
481 [أبو إسحاق بن رجا]	469	[أيوب بن أبي عمران]	469
481 [إسحاق بن إبراهيم]	470	[خليفة بن أيوب]	470
482 [إبراهيم بن إسحاق]	470	[يصلن بن عبد الرحيم]	470
[مصكوي الزنداجي وينكول بن عيسى]	470	[إسماعيل بن أبي زكريا]	470
482 [سمداسن بن يخلف المغراوي]	471	[إبراهيم بن إسماعيل وآخرون]	471
483 [حمودي بن أفلح المطكودي]	472	[إسحاق بن إبراهيم]	472
484 [عبد الله بن وانودين]	472	[عمار الزواغي]	472
484 [حمو بن المغر وآخرون]	473	[ابنة سعيد بن عمار]	473
485 [علي بن أبي علي]	473	[ميمون بن تجار]	473
485 [مصكوداسن الدجمي]	473	[محبوب بن أبي عبد الله]	473
486 [إبراهيم بن مصكوداسن]	474	[عبد الله المدوني]	474
486 [إدريس بن الطويل السوفي]	474	[عمروس الزواغي]	474
487 [أبو فارس عبد العزيز]	474	[أبو العز بن حدولة]	474
487 [يحيى بن إبراهيم]	475	[أبو محمد يتر]	475

503	[يدراسن]	488	[داود بن أبي سهل]
503	[الحاج سبع]	488	[عيسى بن ياوين]
503	[عطية بن مفرح]	489	[عبد الله بن محمد السدراتي]
504	[محمد بن علي]	489	[محمد السدراتي]
504	[عبد الرحيم بن أبي منصور]	491	فضل ذكر فيه بعض أهل الكرامات
504	[أيوب بن عبد الرحيم]	491	[اليانجاسني]
505	[عبد الله بن لنت]	492	[سليمان بن أجاج]
505	[يعقوب بن خليل]	492	[ذو النون التاغيارتي]
505	[ميمون بن أحمد]	492	[الياجراني وآخرون]
505	[سليمان بن زمين]	494	[أبو حبيب وآخرون]
506	[يوسف بن يروكسن]	495	[عدل بن اللؤلؤ]
506	[محمد بن مسلم]	495	[حوو بن اللؤلؤ]
506	[عيسى بن إبراهيم الهواري]	496	[موسى بن زنفيل]
506	[محمد بن عيسى]	496	[عبد الله بن توسينت]
507	[إبراهيم بن جنون]	497	[جنون بن سرغين]
507	[صالح بن أفلح]	497	[محمد بن رستم]
507	[عيسى بن عيسى النفوسي]	498	[عبد الملك بن خلوف]
508	[صالح بن إبراهيم]	498	[الصادق النفوسي]
508	[عمران بن علي]	498	[الشيخ صادق]
508	[أبو القاسم التوجميني]	498	[عمرو بن عدل]
509	[يونس بن سبال الواشتي]	499	[محمد بن يدر الدرفي]
509	[أبو الفتوح]	499	[صلح بن محمد وآخرون]
509	[عيسى بن يوسف المديوني]	500	[يوسف بن الوالي]
510	[خليفة بن تازوراغت]	501	[أفلح المادغاسني]
510	[يحيى بن أيوب ابن بختيت]	501	[عبد الله بن الحسن وآخرون]
511	[ساناج بن محمد]	501	[أفلح بن أبي زكريا]
511	[سعيد بن تينا]	503	[جلداسن وابنه يدر]

524	[هارون بن أبي الربيع]	511	[إبراهيم بن عبد الله]
524	[يحيى بن إبراهيم الباروني]	512	[محمد بن أحمد]
525	[زكريا بن إبراهيم]	512	[إسماعيل بن يحيى]
526	[سليمان بن هارون]	513	[سليمان بن أيوب وآخرون]
	[محمد التنكيصي الطرمسي]	514	[المعز بن جثاؤ بن الفتوح]
526	[محمد بن بركين]	514	[سليمان بن محمد]
527	حكاية	514	[سليمان بن يومر]
527	[يحيى بن يصلتن]	514	[موسى بن هارون النفوسي]
528	[عبد الله بن مصكود]	515	[أبو الفتح]
528	[وجدليش الأمللي]	515	[أبو علي بن أبي علي وابنه]
529	[عبد الله بن محمد]	516	[مرصوكسن الصاويني]
529	[توفيق بن يحيى الجناوني]	516	[أفلح بن عبد العزيز]
531	[أبو عيسى الجناوني]	517	[عبد الرحمن الكزيني]
532	[أبو يوسف الأرباني]		[أبو إبراهيم بن يخلف بن المزاتي وابنه]
532	[زكريا بن إبراهيم]	517	
534	[مقرين بن محمد البغطوري]	518	[علي بن خزر الوسياني وآخرون]
534	[عبد الله بن يجين]	518	[يعزيز النفوسي المسناني]
535	[فتح بن نوح الملوثاني]	519	[علي بن سهل النفوسي]
535	[يحيى بن وجدليش]	519	[ابن أبي صالح النفوسي]
535	[يخلف الفرسطائي]	519	[إبراهيم بن محمد الواغلاني]
537	[سعيد ويجين ابنا نوح]	520	[محمد بن إبراهيم]
537	[يحيى الجادوي]	520	[يزيد بن يخلف الزواغي وابنه]
537	[عيسى بن سليمان وأخوه]	520	[وافي بن عمار الزواغي]
538	[عبد السلام الأزاجي وآخرون]	521	[يحيى بن الخير الجناوني]
538	[عمروس اليفرني]	522	[داود بن هارون]
539	[زكريا بن عبد الرحمن]	523	[نالوف بن أحمد]
539	[عيسى بن عيسى الطرمسي]	523	[أبو محمد عبد الله المجدولي]

550	 [الخطاطي]	539	 [يحيى بن أبي العز]
550	 [موسى بن أبي يوسف]	540	 [يحيى بن أبي يحيى]
552	 [يحيى بن زكريا]	540	 [أبو يعقوب الأزاجي]
554	 [نوح بن حازم المرساوي]	541	 [أبو غالي أبو عزيز ابنا إبراهيم]
555	 [محمد بن إبراهيم]	542	 [يدراسن الأزاجي]
555	 [ابن محمد بن إبراهيم]	542	 [يونس التملوشايتي]
556	 [عبد الله بن عبد الواحد الشماخي]	543	 [إسماعيل بن موسى الخطاطي]
561	 [عبد الله بن أبي عزيز]	546	 [عامر بن علي الشماخي]
561	 [يعقوب بن عمر]	548	 [يعيش الجربي]
561	 [أبو القاسم بن إبراهيم البرادي]	548	 [زكريا بن عيسى الأبدلاني]
563	 [محمد التفجاني الجربي]	548	 [عمر بن جميع]
563	 [عبد الله بن سعيد الصدغياني]	549	 [موسى بن عامر الشماخي]
564	 [محمد بن أحمد الجربي]	549	 [سليمان بن موسى الشماخي]
564	 [سعيد السديكشي]	549	 [أيوب الخطاطي]
			[عبد الله ومحمد ابنا أيوب]



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة نلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

كتاب الناس



قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾